دكتورة
نبيلة محمد عبد الحليم
كلية التربية - جامعة الاسكندرية

مصر القديمة

تاريخها وحضارتها

دكتورة

نبيلة محمد عبد الحليم

كلية التربية ـ جامعة الاسكندرية

مصر القديمة

تاريخها وحضارتها



الهيئة المصرية العامة للكتاب

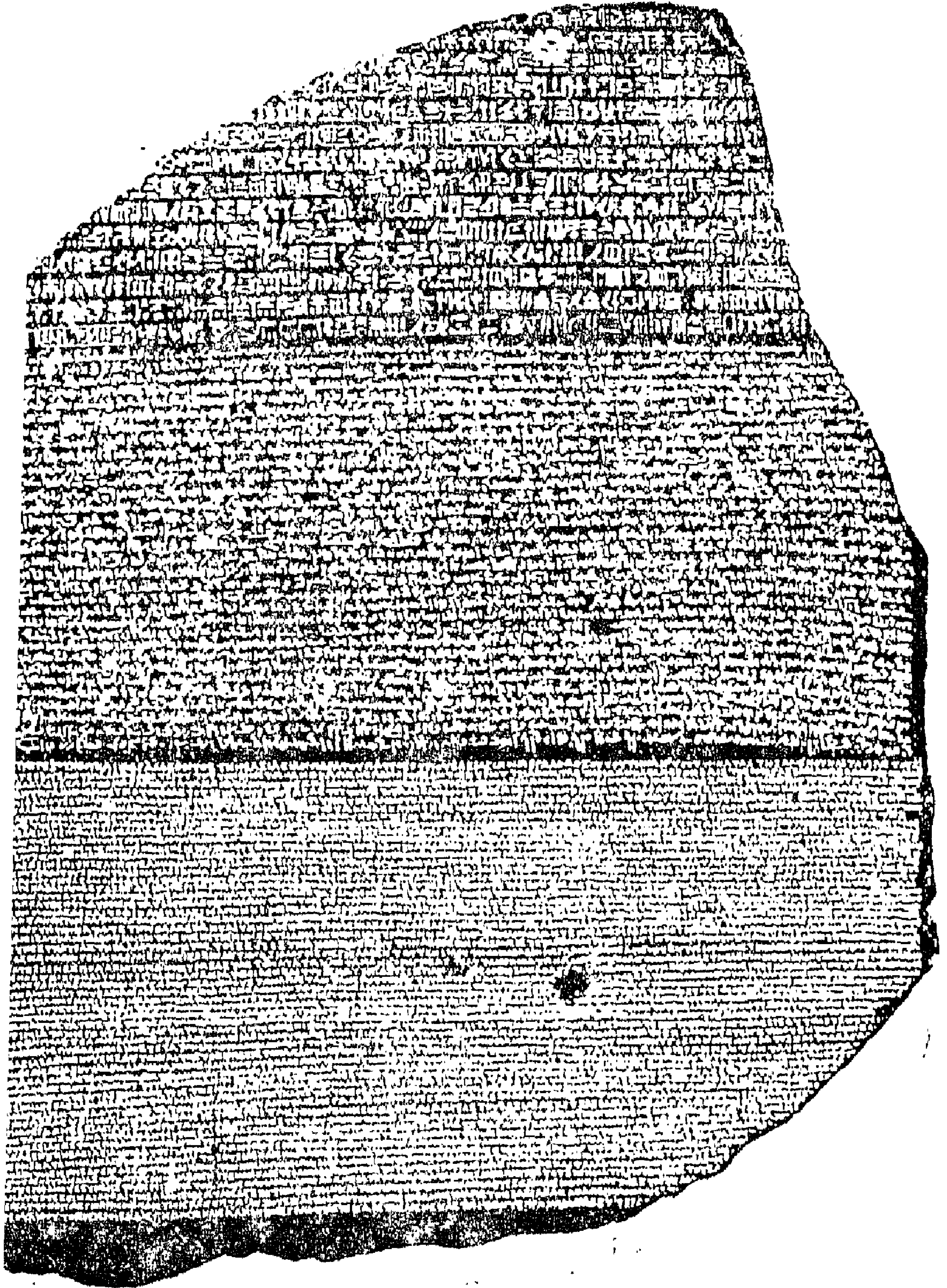
فرع الاسكندرية

صورة الغلاف

نفرتاری تقدم القربان للالهة حتحور

« من مقبرة نفرتاری بوادی الملوك بطيبة »

بسم الله الرحمن الرحيم



حجر رشيد

تمهيد

من المسلم به أن مصر منذ أن سكنها الإنسان استطاعت أن تقدم لصرح الحضارة البشرية الكثير من اللبنات ، كما أن شعبها عاش دهوراً طويلة رافعاً علم العلم والمعرفة عاليا بين جميع شعوب العالم القديم . ولقد دهش الإغريق القدامى عندما وفدوا إلى مصر منذ القرن السابع قبل الميلاد ووجدوا فيها حضارة موغلة فى القدم وتبعث فى النفوس الرهبة والاحترام . وكم من عالم إغريقى حج إلى وادى النيل المليء بالعجائب وفى نفسه أمل يراوده أن يلتقى ببعض العلماء من الكهان الذين ينتشرون فى معابد مصر ، لعلهم يساعدونه فى الكشف عما يكمن فى تعاليمهم من حكمة وعما يحفظونه من أسرار علمية . وبقيت مصر على مر السنين هى بلاد الحكمة المحوطة بالأسرار. لكن أمر هذه الأسرار لم ينكشف لنا إلا بعد العثور على « حجر رشيد » فى أغسطس عام ١٧٩٩ . وقد نقش على سطحه نص كتب بثلاثة خطوط الواحد يلى الآخر ، وكان الأول قد كتب بالخط الهيروغليفى ، والأوسط بالخط الشعبي أى الديموطيقى ، والأسفل باللغة الإغريقية المقروءة والمعروفة.

ومنذ ذلك الوقت تهافت العلماء على دراسة اللغة المصرية القديمة ، وتمكن العالم الفرنسى « شامبليون » عام ١٨٢٢ من الكشف عن أسرار هذه اللغة . وأقبلوا بعد ذلك على التعمق فى دراساتهم حتى أصبحنا الآن على استطاعة من أن نتفهم كل ما كتب على جدران أبنية المصرى القديم سواء كانت معابد أو مقابر أو ما سطره من كتابات على أوراق البردى أو اللخاف التى لا حصر لها ، قادرين على تتبع تطور حضارته منذ أن سكن وادى النيل ، مفاخرين العالم أجمع عندما نستعرض أمام أعيننا ما حققته الحضارة المصرية

من تقدم هائل ، وما أهدته للبشرية من علوم وفنون منذ أكثر من ستة آلاف من السنين . وسوف يؤلمنا أن نعرف أن المصرى لم يساهم فى هذا العمل الجليل بل اختص به علماء الغرب الذين أهدوا إلينا تاريخنا القديم وكشفوا لنا الستار عن معالم الحضارة المصرية . وهذا فضل لهم يجب الاعتراف به وشكرهم عليه ولكن هذا يحملنا وزراً كبيراً ، وزر الإهمال فى التعرف على تراثنا القديم الذى ينم عن حضارات زاهرة يمكن أن تكون لنا اليوم نبراسا نفخر به ، ونحاول من جانبنا أن نعمل جاهدين لإقامة حضارة لاتقل عن تلك بهراً وازدهاراً . وفى الواقع يجب على شبابنا المثقف ألا يتوانى عن التعرف على كل مايتعلق بشعب مصر الذى سكن أرض مصر منذ آلاف السنين ، كما يجب علينا ألا ننسى بأننا ورثنا مجد أمة خليق بنا أن نعتز به ونعمل على تفهمه كما يجب علينا أن نعترف بأن الاتصال بيننا وبين أجدادنا اتصال وثيق لا سبيل إلى إنكاره وإن جهله الناس .

حقيقة أن الدراسات المصرية القديمة قد خطت خطوات جبارة نحو التقدم حتى أصبحت المكتبة الخاصة بهذا العلم تحوى آلاف المراجع ، ولكن فى نفس الوقت لا يختلف اثنان فى أن هذه الدراسة لا تزال فى حاجة إلى المزيد من الإضافة ، حيث أن الواقع يقول بأن أرض مصر لم تخرج كل ما فى جوفها من كنوز أثرية ، وأن ما أخرجته البعثات العلمية لا يزيد إلا قليلا عن ثلث ما لا يزال محفوظاً فى أرض البلاد . ونحمد الله على أن حركة البحث والاستقصاء أخذت تنتشر بين شبابنا المصرى والمستقبل القريب يبشر بالخير على أيدى أبنائنا من الدارسين فى الجامعات المصرية .

وهكذا فقد دفعتنى الرغبة الملحة فى أن أقدم لهذا الشباب بعض المعلومات عن حضارة مصر القديمة ، تاريخا سياسيا وحضاريا ودينيا ، وأن أشير على صفحات كتابى هذا إلى ترجمات أوراق البردى المعروفة وما حوته من معلومات عن حياة المصريين القدامى وكيف كانوا يعيشون هذه الحياة اليومية .

لا أستطيع أن أنكر فضل من سبقونى من الدارسين والباحثين — وما أكثرهم — فهم الذين وضعوا نواة علم الدراسات المصرية القديمة ودفعوا بها إلى مجالات التخصص الدقيق ، وأرجو فيما أقدمه اليوم على صفحات كتابى هذا أن أكون قد ساهمت بقدر بسيط فى نشر الوعى العلمى للتعرف على حضارة أجدادنا القدامى ، وهى حضارة — كما سبق القول — كانت بمثابة المنارة التى أرسلت بشعاعها تضىء الطريق أمام العديد من شعوب العالم القديمة .

وعلى الله قصد السبيل .

الإسكندرية سنة ١٩٧٧

دكتورة

نبيلة محمد عبد الحليم

الفصل الأول

اهم مصادر التاريخ المصرى القديم وأقسامه

يعتمد الدارس لتاريخ مصر وحضارتها على المصادر الآتية : —

اولا : الآثار التى تركها المصريون فى مختلف العصور . وهى مسطرة على جدران المعابد والمقابر ، والتوابيت ، وأوراق البردى ، أو على التماثيل وغيرها وهى تحدثنا عن الكثير عن أخبارهم ، وتروى لنا معلومات عن فنونهم وعاداتهم ولعل السر فى تسجيل المصرى للنقوش والمناظر على جدران المعابد والمقابر والتوابيت ، هو أنه كان يعتقد فى الحياة الأخروية ، فزود قبره بالمناظر والصور التى تمثل حياته اليومية .

ثانيا : ما كتبه الرحالة اليونان والرومان عند زيارتهم مصر ، ولكن يجب ألا نثق فيهم الثقة المطلقة ، لأن معظمهم لم يزوروا مصر إلا أثناء ضعفها . كما أنهم لم يعرفوا اللغة المصرية ، ونقلوا ما سمعوه من صغار الكهنة ، أو عامة الشعب ، غير أن كثيراً منهم كانوا صادقين فيما رأوه ومنهم المؤرخ الإغريقى هيرودوت .

ثالثا : ما ذكر فى بعض المصادر الأجنبية التى كانت تعاصر الحضارة المصرية كما ورد فى المصادر البابلية أو الأشورية وغيرها .

ويمكن تقسيم النصوص أو الوثائق إلى مجموعتين : —

أ — الوثائق الملكية Royal Texts .

ب — الوثائق الخاصة بالأفراد Private Texts وهم الذين لا يجرى فى عروقهم الدم الملكى .

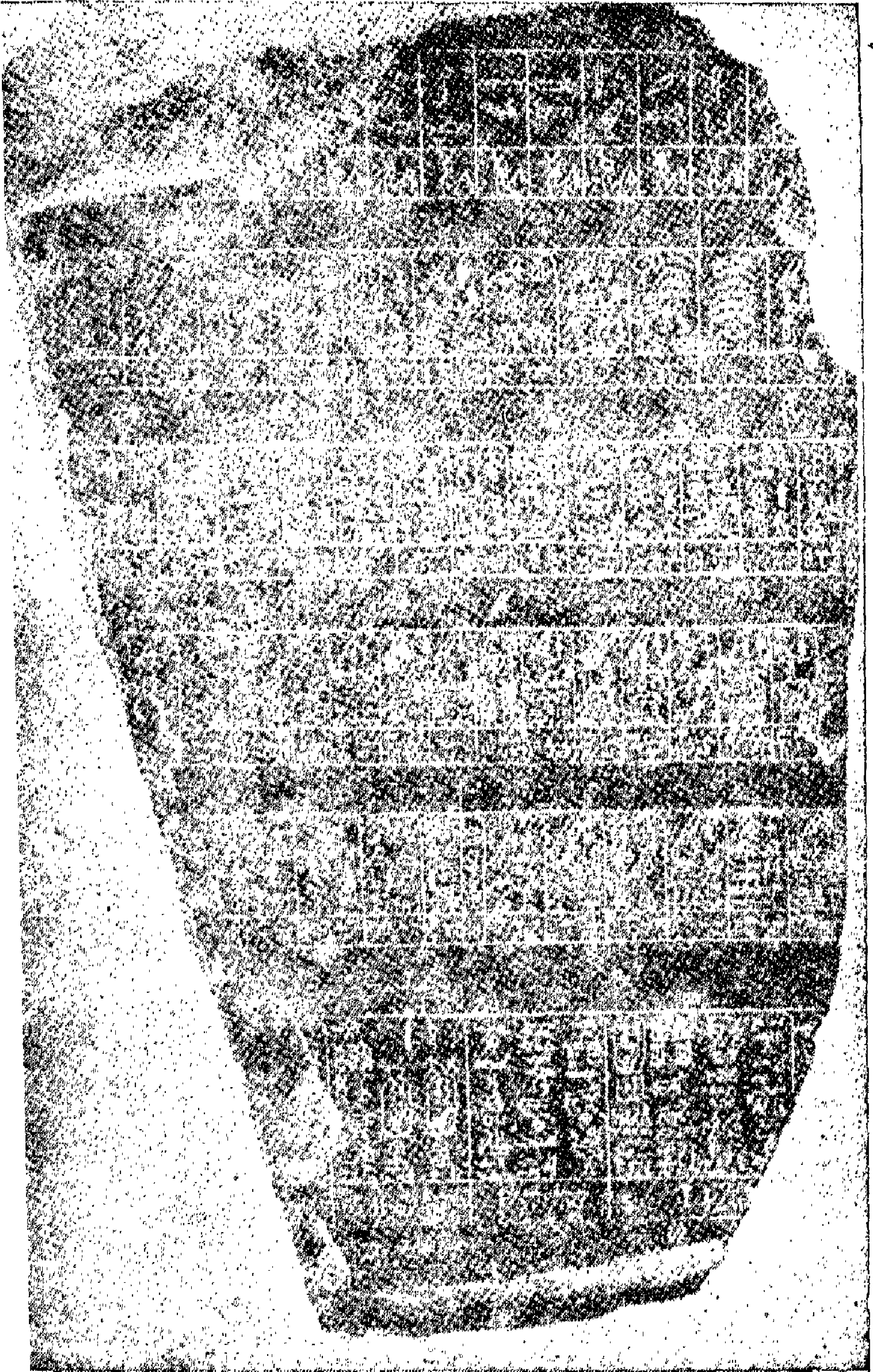
ويجب على الدارس مراعاة بعض الاعتبارات مثل خلو الوثيقة من التزوير والتأكد من أصالتها - كما يجب التأكد من صدق ما ورد بها سواء كانت تعالج المشاكل السياسية أو الاقتصادية لأنه يلاحظ أن الكثير من الوثائق الملكية أو الحكومية تحاول تغطية بعض مواقف الضعف سياسيا كان أو اقتصاديا . إذ أنه يصعب على الحاكم أن يعترف بالهزيمة إذ أن ذلك سوف يقلل من شأنه وبالتالى ينعكس على كيان الدولة ، خاصة وأن فراعـــين مصر أضفوا على أنفسهم الصفة الإلهية . وبالإضافة إلى ما سبق ، يجب على دارس الوثيقة أن يتعرف على اللغة والأسلوب لأن دراسة الأسلوب واللغة ، يكشف عما إذا كانت الوثيقة أو النص معاصرة للفترة التى سجلت فيهـــا . كما أنه يجب على المؤرخ القيام بالتقييم المقارن للوثائق المعاصرة لهذه الوثيقة ، وذلك بمقارنتها بمـــا جاء فى الوثيقة التى كتبها الجانب الآخر .

ونظراً لأهمية أسماء الملوك الفراعنة ، نشير إلى أهم المصادر المصرية التى حملت أسماء هؤلاء الملوك ، وترتيبهم ، ومدة حكمهم .

حجر بالرمو : (شكل ١) عبارة عن لوح حجرى مقسم إلى صفوف تحمل أسماء الملوك الذين حكموا مصر منذ أيام ما قبل الأسرة الأولى . وكان عصر كل ملك مقسم إلى سنوات ويكتب فى خانة كل سنة أهم الأحـداث . مثل الحروب ، والأعياد الملكية ، والأعياد الدينية ، والتعداد ، والاحتفالات ، وتأسيس المعابد والمدن ، والمبانى ، والبعوث البحرية التى أوفدوها إلى الخـــارج . وآخر اسم محفوظ على حجر بالرمو هـــو اسم الملك نفر إير كارع ، من الأسرة الخامسة ، ولما تهشم هذا اللوح ، عثر على ست قطع منه : القطعة الكبيرة الهامة (١) من هذا

---

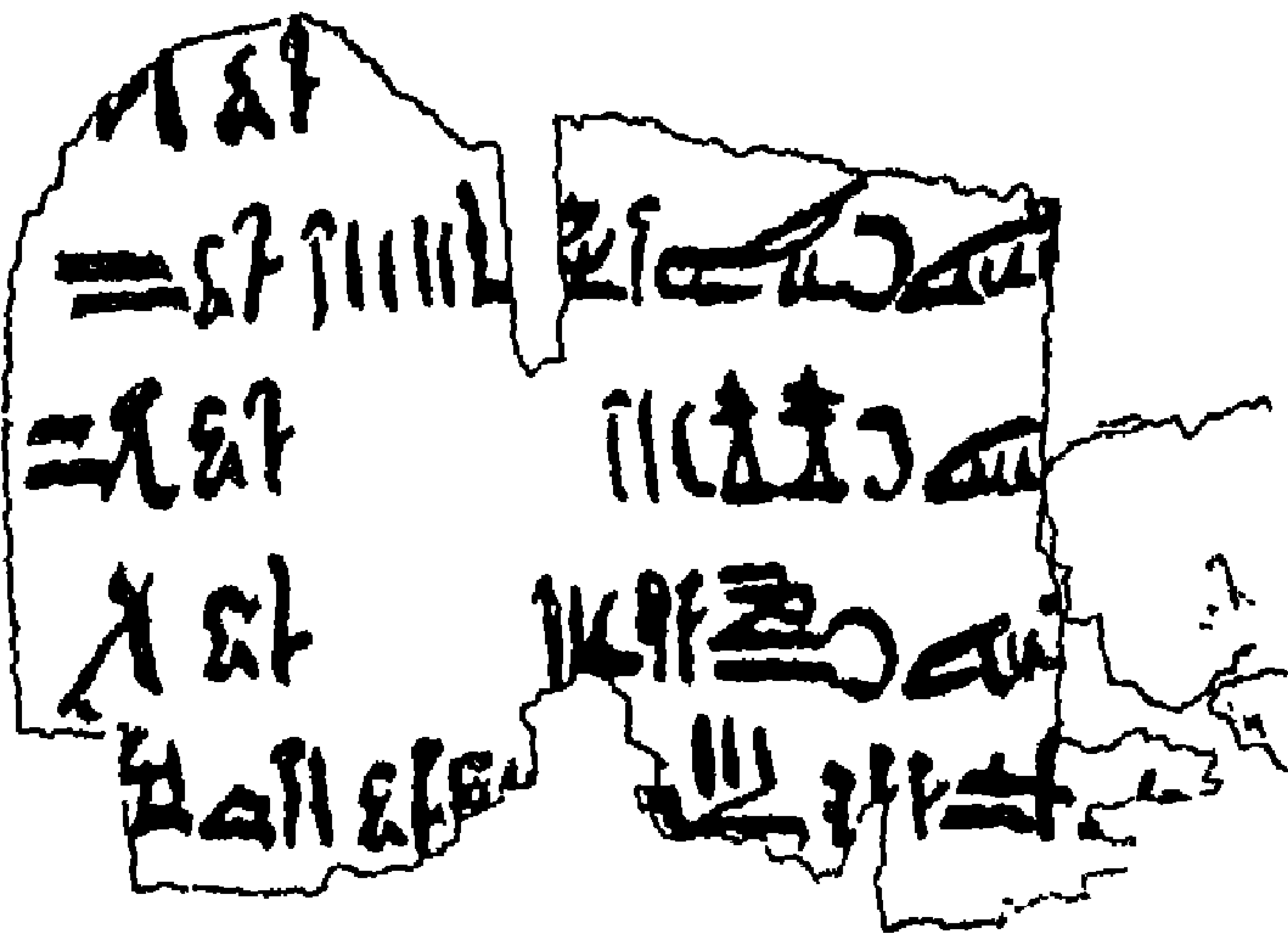
(١) Schaefer, H., Ein Bruckstuck Altägyptischer Annalen (Abh. d. Preuss. Akad. der Wissenschaften,) Berlin. 1902.



شكل (١) واجهة حجر بالرمو

الحجر ، توجد حاليا بمتحف مدينة بالرمو بجزيرة صقلية . أما المتحف المصرى بالقاهرة ، فيحتوى على أربع قطع صغيرة (١) . وبالنسبة للقطعة السادسة ، فقد اشتراها عالم الآثار بترى Petrie (٢) وهى الآن فى متحف الجامعة بلندن . ويشير حجر بالرمو كذلك إلى أسماء ملوك الوجه القبلى الذين حكموا قبل بداية العصر التاريخى ،وكان المصريون يعتبرونهم أنصاف الآلهة ، الذين جاءوا بعد الأسرات الإلهية الحاكمة . ويستدل من ذلك ، على وجود الصلة الوثيقة بين حكام مصر ، وبين منحهم الصفة الإلهية .

٢ — بردية تورين : (شكل ٢) كتبت هذه البردية بالخط الهيراطيقى ،



(شكل ٢) قطعة من بردية تورين

(١) Gauthier, H. : Quatre nouveaux fragments de la pierre de Palerme, Musée Egyptien III, pp. 29-35, pl. 24-31.

(٢) Petrie, W.M.F., Ancient Egypt, 1916, pp. 114 ff.

وتعود إلى عهد رمسيس الثانى (١) من الأسرة التاسعة عشرة . وقد توصل الرحالة الإيطـــالى دروفتى Drovetti للحصول عليها ، ثم أرسلت إلى متحف تورين بإيطاليا ووصلت إليه . وقد تهشمت قطعا صغيرة . وعلى الرغم من أنه لم يبق منها سوى خمسين قطعة إلا أن هذه البردية تعد من أثمن الوثائق المصرية . وقد تناولها بالدراسة العالمان : شامبليون الفرنسى وجوستاف سيفارث الألمانى (٢) . علما بأن محتويات هذه البردية نشرت مرات عديدة بعد التعديلات التى أجريت لترتيب أجزائها ونشرها الأثرى فارينا (٣) Farina وتناولها جاردنر Gardinér وشرنى (٤) Cerny بالمراجعة والإصلاح . وتبدأ البردية بالآلهة وأنصاف الآلهة الذين حكموا مصر فى عصر ما قبل الأسرات وتنسب إليهم مدد حكم أسطورية . وقد وصفت بردية تورين الحكام الذين سبقوا الأسرة الأولى على أنهم الأرواح المائمة « آخو » أتباع حور (٥) . وتعزز البردية وضع الملك منى كمؤسس للأسرة

---

(١) Emery, W.B , Archaic Egypt, Edinburgh, 1961.
ترجمه للعربية راشد محمد نوير ومحمد على كمال الدين وراجعـــه محمد عبد المنعم أبو بكر بعنوان « مصر فى العصر العتيق » ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٩ .

(٢) Gardiner, A.H , Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.
ترجمه للعربية نجيب ميخائيل ابراهيم وراجعه عبد المنعم أبو بكر بعنوان « مصر الفراعنة » القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٦٧ .

(٣) Farina, G., Il Papiro dei Re Restaurato, Publicazioni Egittologiche dei R. Museo di Torino, *Rome*, 1938.

(٤) Gardiner, A.H., and Cerny, J., The Turin Canon of king, 1952.

(٥) Edwards, L.E S., "The Early Dynastic Period in Egypt", (in) the Cambridge Ancient History, *Vol.* I., Cambridge, 1964, p. 4.

الأولى ، كما تقدم أسماء لاثنين وخمسين ملكا حكموا الست أسرات الأولى ، وسبعة ملوك حكموا الأسرة الثانية عشرة . وتتميز هذه البردية بتقسيم مجموعات الملوك إلى عصور ، وتبين طول حكم كل ملك بالسنوات والشهور والأيام .

٣ — تاريخ مانيتون : كاهن مصرى عاش فى هليوبوليس ، وكتب تاريخ مصر فى ثلاثة أجزاء باليونانية ، وعمل موجزا يحوى قائمة بأسماء الملوك . ولسوء الحظ أن النص الأصلى لتاريخه فقد فى حريق الاسكندرية . ولم يبق منه سوى ما نقله بعض الكتاب الأقدمين سواء من اليهود أو اليونانيين . ويقسم مانيتون تاريخ مصر عقب حكم الآلهة وأنصاف الآلهة أو أرواح الموتى (١) إلى إحدى وثلاثين أسرة من العائلات الملكية ويبدأ بمنى ، وينتهى بغزو الإسكندر الأكبر لمصر ، مع الإشارة إلى اسم المكان الذى نشأت فيه كل أسرة . وبالنسبة للأسرة الأولى والثانية ، تبدو تقاريره صحيحة ، ولكنه يشك فى سلامة المصادر التى اعتمد عليها . والمرجح أن هـــذا الكتاب الذى فقد لا يعتبر من بين الوثائق المصرية القديمة إذ أن مانيتون عاش عام ٢٨٠ ق.م وفى عصر بطليموس الثانى . ولو أن تقسيم الأسرات يعتبر صالحا بوجـــه عام بدليل أنه أصبح متأصلا فى الدراسات منذ كتب مانيتون كتابه . ولا يوجد تقسيم آخر أصلح منه . وقد قام وادل Waddell (٢) بدراسة تاريخ مانيتون دراسة مستفيضة .

---

(١) Baikie, J., A History of Egypt from the Earliest Times to the End of *XVIII* th Dynasty, Vol, 1, London, 1929, p. 54.

(٢) Waddell, W. G., Manetho (The Loeb Classical Library), Cambridge Mass, 1940.

٤ — لوحة سقارة (شكل ٣) عثر عليها عام ١٨٦١ فى مقبرة منف للكاتب الملكى جونيرى ، وهى موجودة حاليا بالمتحف المصرى . وتذكر اللوحة مجمو



(شكل ٣) جانب من لوحة سقارة

من الأسماء الملكية لسبعة وخمسين ملكا ابتداء من عدج إيب سادس ملوك الأسـ الأولى ، وتنتهى برمسيس الثانى (١) ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة . ونجد أ أسقطت جميع ملوك عصر الفترة الثانية ، كما أسقطت حتشبسوت وأخناتون وعائلة

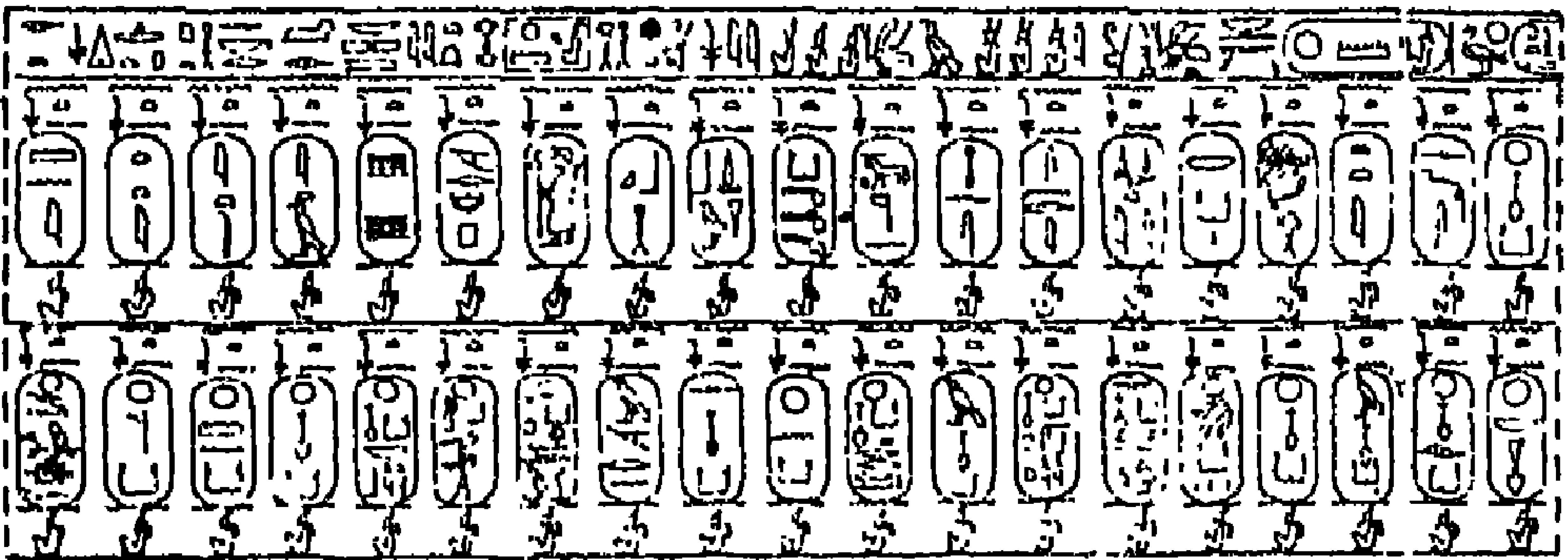
٥ — لوحة أبيدوس (شكل ٤) هذه اللوحة مسجلة على أحـــده جدر دهليز بمعبد الملك سيتى الأول فى أبيدوس ، ويرى فيها سيتى الأول ورمسيس الثانى وهما يقدمان القرابين للملوك الذين يبلغ عددهم ستة وسبعون ملكا ابتداء م منى حتى سيتى الأول (٢) . وقد أسقطت اللوحة أسماء ملوك عصر الفترة الثانية كما أسقطت أخناتون وتوت عنخ آمون ، وحتشبسوت .

---

(١) Rougé, Recherches Sur les Monuments des Six ...emières Dynasties de Manethon, Pl. II.

(٢) ...yer, Ed., Aegyptische Chronologie, Berlin, 1904.

٦ — لوحة الكرنك : لسنا نعرف الغرض من إقامة هذه اللوحة ، فقد أقامها تحوتمس الثالث لغرض خاص فى نفسه فى حجرة صغيرة إلى جانب بهو الأعياد فى معبد الكرنك . وهى موجودة حاليا بمتحف اللوفر بباريس حيث نقلها العالم الفرنسى بريس دافين Prisse d'Avenne عام ١٨٤٤ . وتحوى واحداً وستين ملكا (١) . وقد تحطم أول اسم فى اللوحة وذكر اسم سنفرو ثم بعض ملوك الأسرة الرابعة ، ثم الأسرات الخامسة والسادسة ، وأسقط ملوك عصر الفترة الأولى ، ثم ذكر إثنا عشر اسما من ملوك الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ممن لم يشتهر اسمهم فى التاريخ . وتعتبر هذه اللوحة من الناحية التاريخية أقل فى قيمتها من لوحة أبيدوس إذ أنها تستند أساسا إلى الروايات أكثر مما تستند إلى التواريخ المدونة .



(شكل ٤) جانب من لوحة أبيدوس

وفى هذا المجال تنبغى الإشارة الى المصادر الأخرى ومعظمها من كتابات المؤرخين القدماء والرحالة الإغريق والرومان . أمثال هيكاتيوس المليتى

(١) Sethe, Urk. 4, pp. 608 - 610.

Hecataeus of Miletus (نسبة الى بلدة ملتية الإغريقية فى آسيا الصغرى) الذى زار مصر فى القرن السادس قبل الميلاد ، وأورد الكثير من الشواهد التاريخية التى استمدها من الكهنة . أما هيرودوت ، فقد زار مصر حوالى ٤٤٨ - ٤٤٥ ق.م ووصل فى جولاته فى مصر حتى الجندل الأول . وقد أورد فى الجزء الثانى من كتابه التاريخ (يقع فى تسعة أجزاء) وصفا لجغرافية مصر وخاصة فيما يتصل بالدلتا . أما فيما وراء الفيوم فلم يذكر سوى مدن قليلة . كما أورد ذكرا للحوادث التاريخية وأعمال الملوك . وقد حوت كتاباته الكثير من الافتراءات نظرا لتدوينه لكل ماسمعه من الأدلاء الذين رافقوه فى رحلاته دون تدقيق فى التحقق التاريخى من صحة تلك المعلومات . ومن بين المصادر غير المصرية ، تجـــدر الإشارة الى ما كتبه ديودور الصقلى عن التاريخ العام General History . فقد زار مصر حوالى ٥٩ ق.م وأفرد الجزء الأول من كتابه عن تاريخ مصر . وقد اعتمد فى مصادره على من سبقه من الكتاب أمثال هيكاتيوس الأبدرى Hecataeus of Abdera وهيرودوت Herodotus وقد عالج فى مؤلفه وصفا للعقيدة المصرية والفتوحات المصرية فى كل من بابل وبلاد الإغريق كما أورد وصفا لأرض مصر ونيلها . وتبدو روايته عن تاريخ مصر العتيقة بعيدة عن التتابع الحقيقى . ومهما كان الأمر ففى الإمكان القول بأن كتاباته تعتبر ذات أهمية خاصـــة فى تاريخ القرنين الرابع والخامس ق.م. وخاصة فيما يتصل بسير الملوك وإدارة الأقاليم والقوانين وبعض مظاهر الحضارة المصرية سواء فى عادات الدفن أو التعليم . أما المؤرخ سترابو Strabo ، فقد عاش فى الاسكندرية وزار الجندل الأول حوالى عام ٢٥ — ٢٤ ق.م وأورد فى كتابه Geographica وصفا عن مصر بادئا بالنيـــل ثم وصف الاسكندرية والاقليم المجاور لها شرقا، وقد ركز — بتفصيل كامل — على أقاليم الدلتا وخاصة من الناحية الجغرافية . وعلى الرغم من أن كتاباته يشوبها عدم دقة

الرواية التاريخية فى بعض الأحيان ، إلا أنه يقدم لنا تفصيلات هامة عن العمائر والعبادات ومقياس النيل فى الفنتين وتمثال ممنون فى طيبة [١] .

أما المؤرخ الرومانى بلوتارخ Plutarch فقد رحـــل إلى مصر حوالى ١٢٠ ميلادية وعالج قصة إيزيس وأوزيريس المعروفة ويعتبر بلوتارخ من ناحية التحقق التاريخى من أصدق المؤرخين .

أقسام التاريخ المصرى القديم

بناء على دراسة المخلفات الأثرية اصطلح المؤرخون على تقسيم التاريخ المصرى القديم الى المراحل الرئيسية التالية على أساس اعتبارها مراحل لتطور القيم المصرية القديمة .

وتتميز المرحلة الأولى : وهى مرحلة عصر ما قبـــل التاريخ فى عصورها الحجرية القديمة . بما تركه إنسان تلك المرحلة من أدوات بدائية حجرية الصنع فى أغلب الأحيان ، ورسوم أولية تصور حيوانات البيئة القديمة وطريقة صيدها . كما تدل آثار تلك المرحلة أيضاً على تطور أساليب الصناعة وبداية استخدام النحاس والتطور الفنى خلال العصر الحجرى الحديث ولاسيما فى صناعة الأوانى الفخارية . وهكذا فإننا نستطيع القول بأن العصر الحجرى الحديث قد تميز بابتكار الزراعة وتشييد المساكن وإنشاء القرى . وهذه كلها كانت مقومات حضارة جديدة بنيت على الاستقرار . أما المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل التاريخ فتعرف بعصور ما قبل الأسرات ، وتعتبر فى الواقع من أهم مراحل حياة الإنسان المصرى القديم ، حيث حدثت قرب نهايتها النقلة إلى بداية العصر التاريخى . وقد تميزت تلك المرحلة

---

(١) أ. جاردنر ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

بإرساء المبادىء والقيم السياسية والدينية التى كانت بمثابة الأسس الرئيسية لحضارة مصر الفرعونية أثناء العصر التاريخى .

وبعد بداية العصر التاريخى ، تبدأ المرحلة الثانية أو عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق أو الثينى الذى يشمل الأسرتين الأولى والثانية : وهذه المرحلة تعتبر مكملة لعصور ما قبل الأسرات حيث تدعمت خلالها الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب. ويعتبر العصر الثينى بداية لحضارة الألف الثالث قبل الميلاد فى مصر .

ويلى ذلك المرحلة الثالثة المتضمنة لعصر الدولة القديمة وتشمل تلك المرحلة الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ، وتعرف بعصر بناة الاهرام . ويمكن اعتبار تلك المرحلة بمثابة عصر الاستقرار السياسى ، والمركزية المطلقة فى مصر القديمة ولا سيما فى النصف الأول منها . ثم حدثت قرب نهايتها مرحلة تطورية جديدة ولا سيما فى عهد الأسرة السادسة عندما بدأ حكام الأقاليم فى محاولة الاستقلال بمقاطعاتهم مما أدى إلى بوادر اللامركزية وإضعاف نظام المركزية المطلقة ، وقد أدى ذلك إلى المرحلة الرابعة وهى مرحلة عصر الانتقال الأول أو عصر الثورة الاجتماعية الأولى المتضمن للأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة قرب نهاية الألف الثالث ق.م.

أما المرحلة الخامسة ، فهى مرحلة عصر الدولة الوسطى : وتعاصر هذه المرحلة زمنيا الأسرة الحادية عشرة والأسرة الثانية عشرة . وتتميز باستعادة الوحدة السياسية والمركزية مرة أخرى وبداية مرحلة جديدة من الاستقرار السياسى . ثم المرحلة السادسة وهى مرحلة عصر الانتقال الثانى وتعاصر هذه المرحلة عصر الأسرة الثالثة عشرة إلى عصر الأسرة السابعة عشرة وقد انتقلت فيها البلاد انتقالا

من حال الوحدة الى التفكك ، وواجهت مصر أثناءها غزو الهكسوس . وتنتهى هذه المرحلة بإجلاء الهكسوس عن مصر .

أما المرحلة السابعة فهى تمثل عصر الدولة الحديثة ويتضمن عصر الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين . وهى فترة الانطلاق والخروج الى آفاق واسعة والسيطرة الكاملة على هذه الآفاق أثناء بناء الإمبراطورية المصرية ، وما ترتب على ذلك من تفاعل واضح بين الحضارة المصرية والحضارات المجاورة بحيث يستطيع الباحث أن يرى مظاهر فى الحضارة المصرية لا يمكن أن تحدث فى عصر الدولتين القديمة والوسطى . وهى فى نفس الوقت قد تمت على أساس الاختلاط المستمر بين الحضارة المصرية القديمة وحضارات الدول السامية والشعوب الهند أوروبية . أما المرحلة الأخيرة من مراحل التاريخ المصرى القديم فهى المرحلة الثامنة أو مرحلة العصر المتأخر ويشمل الأسرات من الواحدة والعشرين حتى الأسرة الثلاثين. وفى هذه المرحلة ، بدأت مصر تتعثر فى طريق التقدم . وفى نفس الوقت ، كانت مصر تقع من حين لآخر فريسة لغزو جديد . فقد بدأ التسلل الليبى ثم النوبى ، ثم الغزو الآشورى ثم تلاه الغزو الفارسى . ويطلق بعض المؤرخين على فترة الغزو الفارسى الأسرة الحادية والثلاثين، الذى انتهت معه مظاهر الحكم الفرعونى القومى . ثم يلى ذلك فتح الإسكندر لمصر عام ٣٣٢ ق.م.

الفصل الثانى

عصر ماقبل التاريخ

نشأة الحضارة المصرية :

يمكن القول بأن كلمة الحضارة تعنى مجموعة النشاط الإنسانى بمختلف مظاهره . والحضارة نتيجة مباشرة للتفاعل بين العقل البشرى وبين البيئة . فالعقل يستفيد من هذه البيئة ويسخرها بإمكانياته لصالحه، فينشط ويعمل وينتج ويكون الحضارة . وعلى ذلك ، فالمفهوم العام للحضارة يرتبط بمدى تطور تجارب الإنسان سواء المحلية أو الوافده التى تنتج عن مؤثرات خارجية . وهذا المفهوم الشامل للحضارة يتمثل بصوره واضحة فى مصر الفرعونية ، حيث نشأت الحضارة المصرية القديمة فى وادى النيل . وللإلمام بتاريخ مصر الفرعونية ، يلزم التعرف - فى أول الأمر - على طبيعة أرض مصر .

طبيعة أرض مصر

لما كان تاريخ الشعوب يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة أرضه ، لما لهذه الطبيعة من أثر عظيم على نشأه الحضارة وتطورها . وهذا يرتبط إلى حد كبير بموقع مصر الجغرافى . فقد كانت مصر مجاوره لكثير من أولئك الذين عاشوا فى الفتره الأولى والتى تسمى بالعصر الحجرى القديم ، وبدء نشأة الإنسان العاقل Homo-Sapiens

وكانت هناك جماعات تعيش فى شمال أفريقيا الذى كان به كميات ضخمة من أنواع مختلفة من الغابات والحيوان والبحيرات والمستنقعات . وكان إنسان تلك المناطق يأتى من حين لآخر إلى وادى النيل ، الذى لم يكن فى ذلك الوقت معداً

للسكنى ، لأن النيل لم يكن قد نحت مجراه بعد وكان النيل يفيض على جانبيه بحيث تبدأ المياه فى التسرب أو فى الذهاب غربا وشرقا ، إلى عشرات من الكيلو مترات . وكان الإنسان يأتى باستمرار ويبقى قليلا ، حيث نجد حتى وقتنا الحالى تلك الأدوات التى استعملها الإنسان الأول فى ذلك الوقت ، وهى عبارة عن أدوات حجرية ، مختلفة الأشكال والأنواع والأغراض ، التى استعملت فيها . وعندما بدأ النيل ينتهى من نحت مجراه ، بدأت هناك علامات تنذر بأن كميات الأمطار الضخمة التى كانت تسقط على شمال أفريقيا ، وجنوب أوروبا ، تجف وتقل . وبدأت الحيوانات تسعى وراء العثور على أوطان جديده ، تستطيع أن تعيش فيها ، حيث العشب والماء وقد كان من أهم هذه الأوطان الجديده . تلك التى تقع على ضفاف نهر كبير . ومن هنا بدأ يعرف أن هناك جزء أسفل ، مما نسميه وادى النيل الأسفل ، الذى أصبح فيما بعد ، نسميه مصر .

موقع مصر الجغرافى .(خريطة ١، ٢)

والواقع أن موقع مصر الجغرافى الذى يطل على البحر المتوسط ، ويقع بين صحراوين كبيرين ؛ قد كفل حماية أبوابها الشمالية والغربية والشرقية . كما كانت الجنادل فى نهر النيل جنوبا ، تخلق عائقا ملاحيا ، يصعب اجتيازه ومن أجل ذلك ، تزايد إحساس المصرى القديم بنوع من الأمن الجغرافى ، إزاء التهديد الخارجى . وفى إطار هذه العزلة النسبية عن جيران بلاده كان الإنسان المصرى القديم ، يركز على وادى النيل الأدنى - وهو مصر - كوحدة جغرافية مكونة من إقليمى الشمال والجنوب أو بمعنى آخر - الدلتا والصعيد - ولقد استخدم المصريون القدماء تعبير تاوى بمعنى الأرضين . وقد كانت هاتان المنطقتان تحسان بتباعدهما عن بعضهما خلال جميع العصور التاريخية حتى بعد وحدة القطرين .

البحر المتوسط
دمياط
رشيد
أبو قير
الإسكندرية
العلمين
رفح
العريش
بور سعيد
وادى النطرون
وادى المغارة
السويس
سينا
وادى سرابيط الخادم
القاهرة
بركة قارون
الواحة البحرية
المنيا
بنى حسن
أسيوط
واحة الفرافرة
سوهاج
بيت خلاف
قفط
قوص
نقادة
الأقصر
طيبة
أسنا
الواحات الداخلة
الواحات الخارجة
البحر الأحمر
القصير
وادى حمامات
إدفو
جبل سلسلة
أسوان
الجندل الأول
خريطة مصر
صفر ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ميل

خريطة (١)

خريطة
النوبة والسودان

خريطة (٢)

ولكى نتتبع نشأة الحضارة المصرية القديمة فى عصورها الأولى تنبغى دراسة عصر ما قبل التاريخ فى مصر ، وهو ينحصر فى المرحلة التى بدأ الانسان يظهر فيها فى وادى النيل حتى بداية الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ ق . م .

ويمكن القول بأن توصل الانسان إلى مستوى عالى من التفكير والانتاج لم يكن منبعثا من تفوقه البشرى فحسب ، بل كان نابعا من تجاربه المحلية وخاصة أثناء فترة الانتقال من حياته غير المستقرة إلى حياة الاستقرار والانتاج . وقد بدأ الإنسان يبذل مجهوداً ضخماً فى سبيل التوصل إلى هذه المرحلة ونجح فى إقامة القرى ، وبدأ فى اختراع الصناعات اللازمة لحياته الجديدة وتدعم ذلك الأدلة الأثرية التى عثر عليها علماء الآثار فى قرى حلوان العمرى ومرمدة بنى سلامة والفيوم ودير تاسا .

وقد اتسع افق تفكير الانسان بعد توصله إلى الزراعة والاستقرار ، وبدأ فى البحث عن إمكانيات أوسع نطاقا من إمكانياته المحلية ، واستلزم ذلك وسائل الاتصال بينه وبين المجتمعات المجاورة والبعيدة عنه ، فصنع المواصلات .

وقد قام الانسان المصرى القديم باختراع عدد كبير من الصناعات المتصلة بحياته الزراعية الجديدة ومنها صناعات حجرية وفخارية وعظمية وخشبية ونحاسية ، مما مهد نحو نمو المجتمع اقتصاديا واجتماعيا . وكان لذلك أثره فى الانتقال بحياة الانسان من مجتمعات ما قبل التاريخ فى مرحلتها الأخيرة ، إلى مجتمع جديد ساد فيه الاستقرار المادى والمعنوى .

وعلى ذلك يمكن تقسيم حياة الانسان المصرى القديم فى عصر ما قبل التاريخ إلى الأقسام التالية :

مرحلة جمع الطعام :

وهى المرحلة التى بدأت منذ ظهور الإنسان ، وتعاصر هذه المرحلة زمنياً العصر المعروف باسم العصر الحجرى القديم أو الباليوليتى Paleolithic . ولم يصل إنسان هذه المرحلة إلى مرحلة الاستقرار الكامل إلا قرب نهاية هذه الفترة . وقد تلى ذلك مرحلة عملية انتاج الطعام : Food Producing Revolution أو ما يطلق عليه المؤرخون « بالثورة الصناعية الأولى » . وتعتبر هذه المرحلة بمثابة تحول واضح فى حياة الإنسان الأول أدت به فى نهاية الأمر إلى توصله إلى الزراعة .

ثم تبع ذلك مرحلة جديدة توصل فيها الإنسان القديم إلى بناء القرى ، مما أدى إلى الاستقرار فى المجتمع الإنسانى . وتتضمن هذه المرحلة العصر الحجرى الحديث أو النيوليتى Neolithic ثم مرحلة عصر استخدام الحجر والنحاس (الانيوليتى) ثم مرحلة عصر ما قبل الأسرات .

اولا — العصر الحجرى القديم :

بينما كانت البيئة والانسان غير مستقرين فى ذلك العصر ، كان عنصر التغير والتطور مستمراً . وكان المصرى القديم فى ذلك الوقت جامعا للطعام سواء من ثمار الأشجار أو مما يصطاده من أسماك النهر أو الطيور أو الحيوانات . وبالرغم من قسوة ظروف البيئة فقد أقلم إنسان تلك المرحلة حياته بالبيئة التى يعيش فيها ، وصنع حضارة ، وترك أدواته الحجرية فى مرحلة العصر الحجرى القديم . وكانت نقلة حياته إلى مرحلة إنتاج الطعام بمثابة ثورة فى حياته الطويلة الجامعة للطعام .

وبناء على دراسة المادة الأثرية ، توصل العلماء إلى تقسيم مرحـــلة العصر الحجرى القديم إلى ثلاثة مراحل رئيسية : —

مرحلة العصر الحجرى القديم الأسفل، ومرحلة العصر الحجرى القديم الأوسط، ومرحلة العصر الحجرى القديم الأعلى.

أما بالنسبة لمرحلة العصر الحجرى القديم الأسفل، فيعتبر الفأس اليدوى المادة الأثرية التى تميز هذه المرحلة. وهذه الفأس كانت تشكل حوافها وقمتها من حجر الظران الذى كان متوفراً فى ذلك الوقت فى البيئة المحلية، كما كان يتميز بصلابته.

وأما الأدلة الأثرية التى تنتمى إلى مرحلة العصر الحجرى القديم الأوسط، فهى الشظايا المصنوعة من الأدوات الحجرية كالأزاميل والمكاشط وغيرها.

وفيما يتعلق بمرحلة العصر الحجرى القديم الأعلى، فيميزها صناعة الأسلحة النصلية وهى عبارة عن أدوات حجرية دقيقة وحادة.

ثانيا — العصر الحجرى الحديث : (حوالى الألف السادس ق م).

ويتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بوجود مرحلة انتقالية تسبق العصر الحجرى الحديث يطلق عليها ما قبيل النيوليتية. وتشير الأدلة الأثرية المنتمية لمرحلة العصر الحجرى الحديث إلى توصل الإنسان المصرى القديم إلى مرحلة إنتاج الطعام (الزراعة)، وبناء القرى ومختلف لوازم الحياة المستقرة. كما تمكن إنسان هذا العصر من صناعة الأوانى الفخارية المتصلة بالحياة الزراعية، وتربية الماشية وكذلك الأسلحة الصوانية، كما أنتج المنسوجات بجانب إقامته للمساكن والمقابر.

ويلاحظ فى تطور مجتمعات العصر الحجرى الحديث فى مصر، أنها بدأت باستكمال حاجات الإنسان الضرورية أولا، ثم الكماليات بعد ذلك. ولم يكن توصل مجتمع العصر الحجرى الحديث إلى الزراعة معناه إهمال الصيد حيث تدل الآثار المتخلفة عن وجود أدوات الصيد بجانب أدوات الزراعة. وقد تمكن العلماء

من العثور على مواقع حضارية تمثل القرى الأولى التى قامت فيها حضارة العصر الحجرى الحديث فى مصر . وفى الامكان ترتيب تلك المراكز الحضارية من الأقدم إلى الأحدث على الوجه التالى : —

أ — حضارة الفيوم .

ب — حضارة مرمدة بنى سلامة .

ﺟ — حضارة حلوان العمرى .

د — حضارة دير تاسا .

على أساس أن هذه الحضارات يمثل كل منها فترة زمنية ساد فيها أسلوب حضارى معين ، وتعتبر مميزة للبيئة والمجتمع الذى نشأت فيه تلك الحضارة .

مظاهر حضارة العصر الحجرى الحديث :

المسكن والقرية : تعطينا مرمدة بنى سلامة فكرة واضحة عن المسكن الأول وفن بنائه ، وعن القرية المصرية الأولى، وعن ظهور الروح الجماعية . وبالاضافة إلى ذلك، فإنها تمثل أول خطوة نحو تنظيم القرية وتخطيطها . فقد أقيمت المساكن على جانبى طريق رئيسى مستقيم يخترق القرية . وهذا يدل على خروج الإنسان من بدائيته إلى مجتمع مستقر . وتعتبر مساكن هذا العصر أول مساكن يقيمها الانسان لنفسه ولأسرته . وقد كانت بيضاوية الشكل ، وأغلبها من الطين ، على حين أن مساكن العمرى كانت مستديرة ومبنية من أغصان الشجر الذى يكسوه الطين . وتدل مواقع تلك القرى الأولى على أن الانسان كان يستغل الطبيعة فى اختياره الأماكن التى كان يبنى فيها مسكنه وقريته . فلم يكن يبتعد كثيرا عن موارد المياه ، غير أنه كان يعمل على أن يتجنب خطر الفيضان . وعلى هذا النحو،

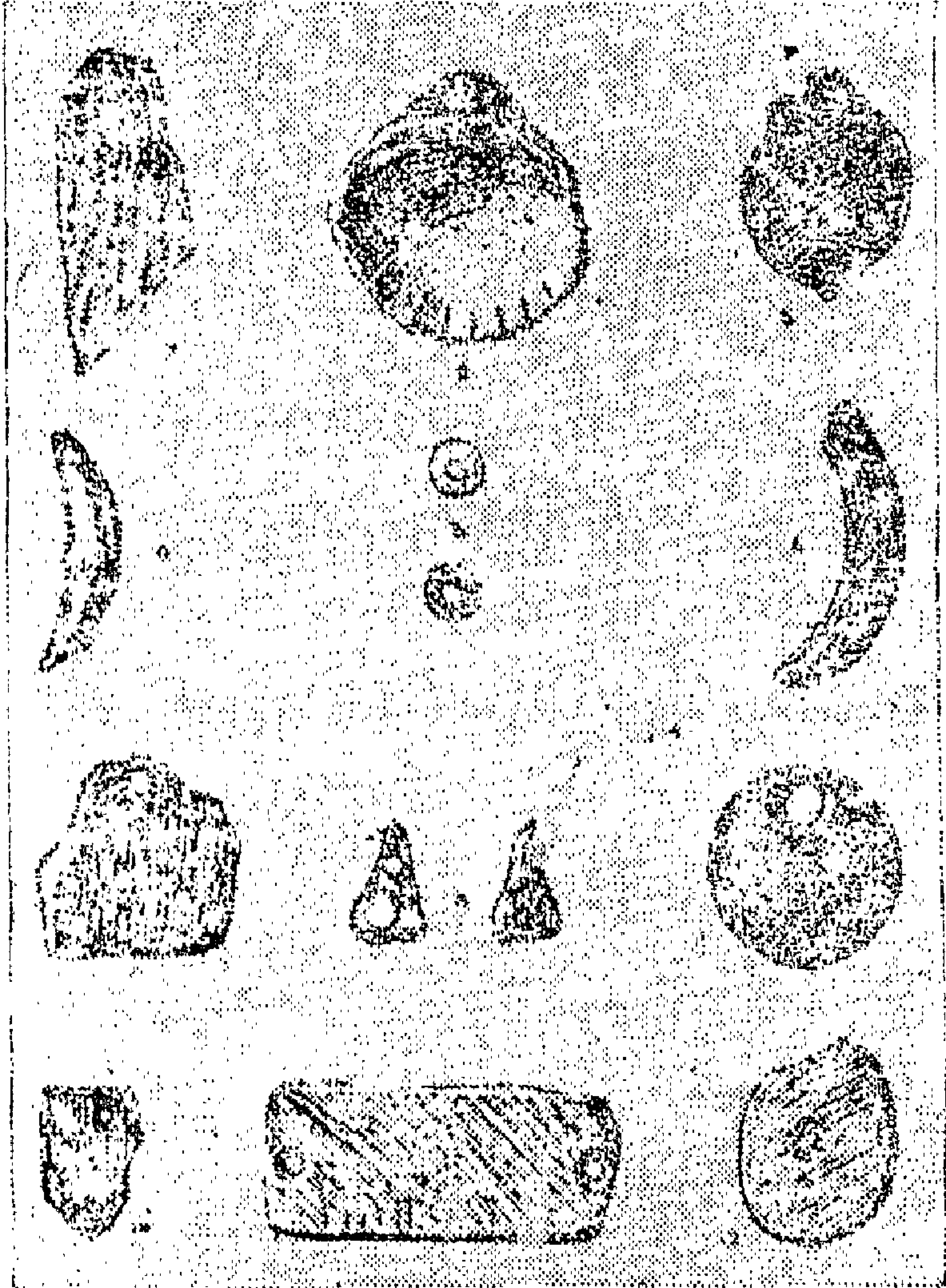
أنشئت قرية المعرى ، على ربوة مرتفعة قرب حلوان ، وأنشئت مساكن الفيوم على شواطىء البحيرة القديمة ، وأقيمت قرية مرمدة بنى سلامة على الضفة الغربية لفرع رشيد ، حيث يحيط بها تل مرتفع من ناحية الغرب .

الصناعات والفنون :

كان أهم ما ابتكره الإنسان فى ذلك العصر ، هو صنع الحصير والأسبتة وكانت أنواع الأسبتة التى عثر عليها فى حضارة الفيوم ، لا تقل إتقاناً عن مثيلاتها فى الأسرة الأولى . وتدل المخلفات الأثرية لبقايا نسيج الكتان فى الفيوم ومرمدة بنى سلامة ، على تعرف إنسان تلك الحضارة على الغزل والنسيج وبالإضافة إلى ذلك عرفت الصناعات الحجرية ، حيث صنعت منها الآلات والأسلحة ، ومنها أنواع كثيرة كالخناجر والحراب ورؤوس السهام ، والمكاشط كذلك أستخدمت فى الزراعة شرشرة مستقيمة من الخشب ، فى حافتها قطع حجرية لحصد الغلال . كما عرفت الفؤوس ، وأحجار لطحن الغلال ، ورؤوس دبابيس كمثرية الشكل ، كانت تستخدم فى القتال . وبجانب الأدوات الحجرية كانت هناك صناعات عظمية وعاجية ؛ وصدفية ، وقد استخدم الإنسان المصرى القديم ما أمدته به البيئة من أصداف البحر أو المحار (شكل ٥) أو قشر بيض النعام . ولم يفت المصرى القديم كذلك أن يستخدم الثروة الحيوانية والعاج المستخلص منها فى صناعة الحلى منذ العصر الحجرى الحديث [1] . وقد ساعده على ذلك سهولة الحصول على سن الفيل وناب جاموس البحر ، وكذلك قابلية العاج السهلة للنقش والحفر . لذلك استخدم المصرى العاج فى صناعة الكثير من

---

(1) Junker, H., Merimde Bani Salama, 1929, p. 237 1930, p. 71 — 72.



شكل (٥)

بعض الأصداف التى استعملت فى الزينة وبها ثقوب للتعليق

أدوات الزخـــرف والزينـة كالأمشاط ودبابيس الشعر والأساور ، كما رسم عليها صوراً ملونة ؛ وكان اللون الأحمر هو اللون الغالب فى التلوين يليه اللونين البنى القاتم والأسود . وقد يتساءل المرء عن تفسير الدافع الذى حفز المصرى القديم فى العصر الحجرى الحديث لصناعة أنواع مختلفـة من الفخـــار الملون . وللرد على ذلك يمكن القول بأن هناك غريزة عند الإنسان الأول هى غريزة حب الزخرف وهـــذه الغريزة هى التى دفعته لتزيين السطوح الداخلية والخارجية

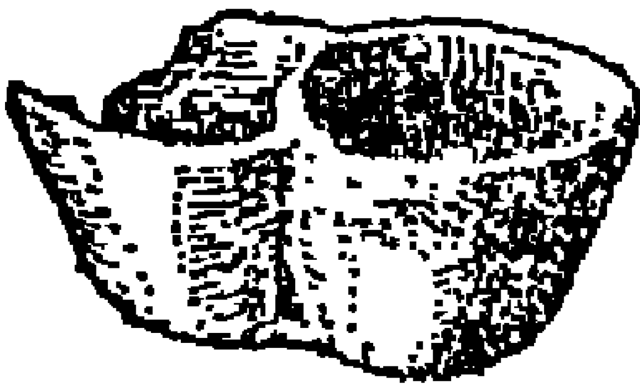
للأوانى الفخارية بزينة اتخذها من البيئة . وكان المصرى القديم مدفوعا إلى تقليد ما كان يراه فى البيئة بالغريزة التى يمكن أن نسميها بغريزة الفن . ويتضح فى (شكل ٦) و (شكل ٧) بعض الأوانى الفخارية من حضارة مرمدة بنى سلامة وحضارة دير تاسا .

ونستطيع القول بأن الفن بوجه عام لم يكن متقدماً فى هـذه المرحلة الحضارية لأن نماذجه التى عثر عليها تدل على طابع بدائى . ولو أن مجتمع حلوان المصرى أنتج نوعا لا بأس به من الفخار ، كما صنع أدوات من الخشب بالإضافة إلى صناعة المصنوعات الجلدية والنسيج والأسبتة . أما بالنسبة للصناعات الزراعية ، فقد عرف مجتمع دير تاسا (قرب أسيوط) الأجران ومخازن الغلال بجانب ممارسة أهله للصيد .

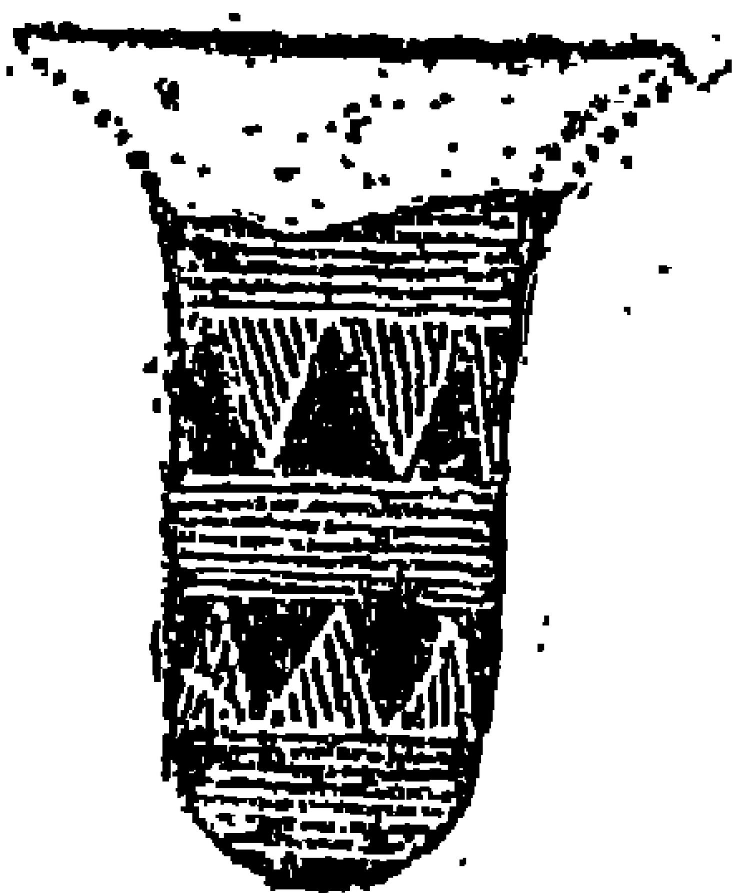








شكل (٦)
أوانى فخارية من مرمدة بنى سلامة



شكل (٧)
آنية فخارية من حضارة دير ساتا

المقابر : كان انسان العصر الحجرى الحديث يدفن موتاه فى القرية نفسها، غير أن عادة الدفن فى خارج القرية بدأت فى دير تاسا واستمرت بعد ذلك فى عصر ما قبل الأسرات .

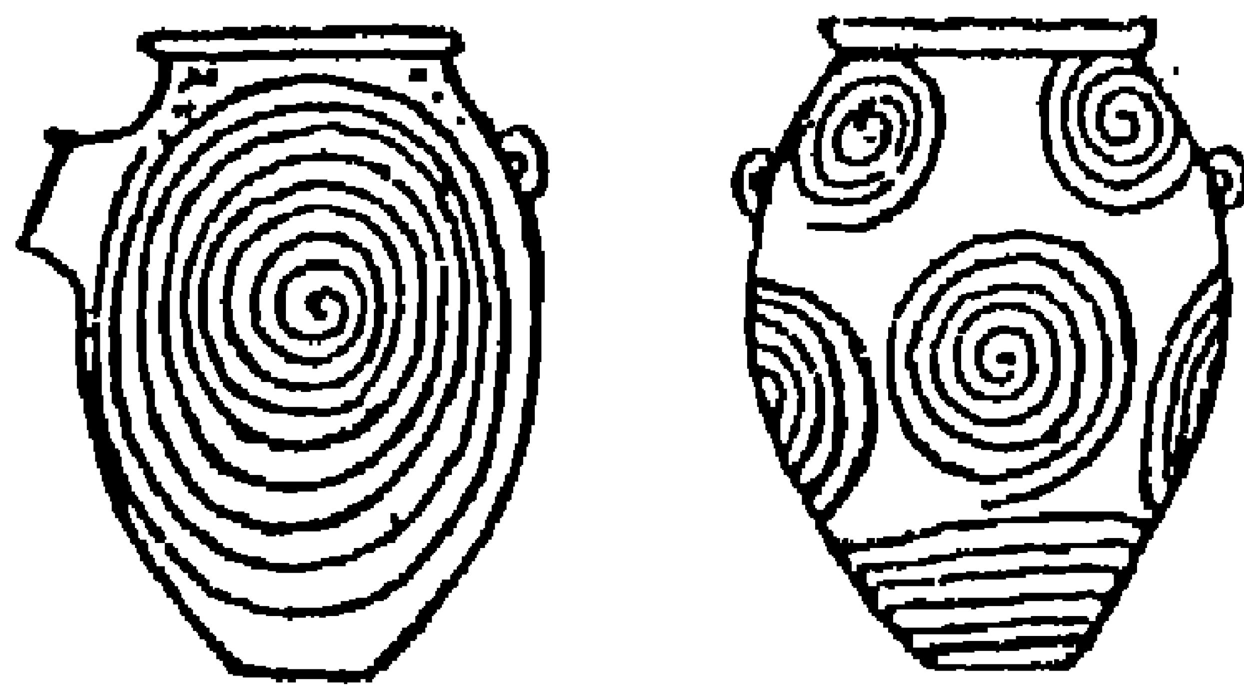
أما فى عصر حضارة مرمدة بنى سلامة ، فيتضح من فحص منـازل تلك القـرية ، انهم كانوا يدفنون موتاهم تحت أكواخهم ، دون أن يضعوا معهم احتياجات الميت . وفى حضارة حلوان المصرى ، كانت عادة الدفن تتطلب دفن الميت فى القـرية نفسها أو بجوارها . ويلاحظ أن جثث الموتى كانت توضع على الجانب الايسر ، والوجه متجه نحو الغرب ، حيث تغرب الشمس وتبـدأ دورتها فى العالم السفلى ؛ فيكون المصرى بهذا التقليد الدينى ، قد حاول أن يربط نفسه بمـا يحيط به من الظواهر الكونية ؛ وكانت طريقة الدفن تحمل معنى الاحترام الذى يكنه الاحياء للموتى ، والعناية بهم فى آخرتهم . فكانت جثث الموتى تكفن فى لفائف من الكتان ، وتغطى بالحصير أو الجلد كمحاولة مبكرة للمحافظة على جسم الميت ، وتحقيقا لعقيدة الخلود . كما كان يوضع مع الميت ، بعض الأوانى الفخارية ، وأيضا مستلزماته الشخصية بغرض تجهيز المنزل الأبدى بكافة الأدوات التى كان يستعملها فى حياته الدنيوية . وكانت مقابر دير تاسا مستطيلة الشكل ، كما كان الميت يوضع فى سله مصنوعة من الأغصان وتغطى بالحصير ، وتوضع تحت رأسه وسادة من القش . ولم يعثر على أى دليل يبين توصل أصحاب هذا المجتمـع ، إلى استخدامهم التوابيت الخشبية .

ثالثا — مرحلة عصر الحجر والنحاس (حوالى الألف الخامس ق.م.) :

بعد أن نجح الإنسان المصرى القديم فى الاستقـرار وانشاء القرى فى

العصر الحجرى الحديث ، بدأ فى تطوير حضارته خلال المرحلة الزمنية التالية والتى تبدأ بعصر الحجر والنحاس. وتقع هذه الفترة بين العصر الحجرى الحديث، وبين عصور ماقبل الأسرات فى مصر .

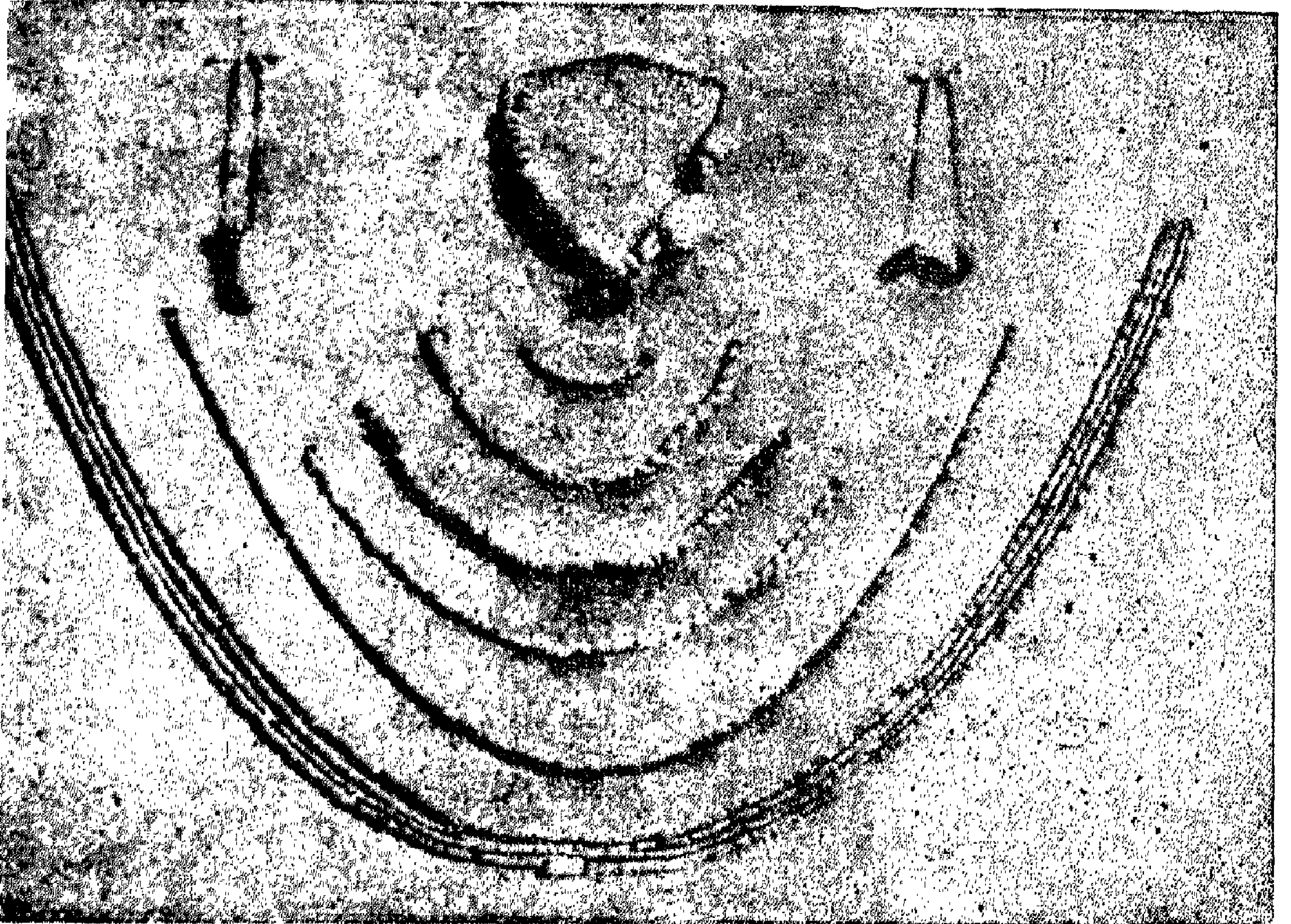
وتتمثل هذه المرحلة الحضارية فى موقع البـــدارى الذى يقع فى محافظة أسيوط . وقد كانت منازل السكان بسيطة وبدائية ، عبارة عن أكواخ مستديرة ، ووضعوا فيها أثاثا بسيطا ، كالأسرة الخشبية قليلة الارتفاع : كما استعملوا وسادات من الجلد أو الكتان . وقد عثر على أدوات للصيد ، ونماذج للسهام والحراب وأيضا للقوارب. وتمتاز حضارة البدارى ، بالفخار ، والزخارف التى تحلى سطحه الخارجى (شكل ٨). وقد استخدموا بعض الأساور من العاج ،



شكل (٨) أوانى فخارية مزخرفة من البدارى

وعرفوا النسيج ، وكانوا هم أول من استخدم النحاس . كما عرفوا الكماليات ومواد الترف والزينة . مثل الحلى الخرزية ، والعاجية ، والصدفية . ومن النماذج المعبرة ، بعض العقود التى كانت لا تزيد عن حبات الخرز (شكل ٩) تنتظمها خيوط بسيطة ، وكانت تضم إلى حباتها بعض التمائم فى أغلب الأحيان . كما عثر على مثاقب ودبابيس نحاسية تنتمى إلى ذلك العصر (١) . وقد عبر البداريون باستخدام الحلى تعبيرا فنيا ينم عن عقائد دينية ، بدليل وجود التمائم مع غيرها

(١) Perie, W.M.F., Prehistoric Egypt, London, 1920, pp. 52- 57.



شكل (٩) نماذج لعقود بسيطة من حضارة البدارى

من الأدلة الأثرية فى مقابرهم . هذا وقد وجدت تميمة وخـرزة من اليشب الأخضر تعود إلى فترة البدارى (١) . كذلك تطور إيمان إنسان البدارى بعقيدة الخلود . كما تطورت عمارة المقابر حيث يشاهد بعضها منحدر قليلا فى بنائها السفلى وعثر على بقايا الحصير على جوانب المقبرة (٢) . كما يلاحظ أيضا وضع الميت على لوحة مسطحة ، مما يعتبر مرحلة من مراحل التطور إلى فكرة

(١) Murray, M.A., The Splendour that was Egypt.

ترجمة للعربية ، محرم كمال ، وراجعه نجيب ميخائيل بعنوان « مصر ومجدها الغابر » القاهرة ، ١٩٥٧ ص ٤٠١ .

(٢) Brunton, G., and Thompson, C., The Badarian Civilization and Predynastic remains near Badari, London, 1928, pp. 18, 20.

وضعه داخل تابوت . كذلك أهتم البداريون بفن التماثيل ، وتخلفت فى مقابرهم تماثيل من العاج ، تدل على رخاء نسبى فى تلك الحضارة .

طرق التقويم الزمنى :

إتجه العلماء إلى معرفة عمر الحضارات المختلفة : ومن تلك الطرق ، نشير إلى طريقة التاريخ المتتابع Sequence Dating . فقد وجد بترى(١) من دراسته للأوانى الفخارية التى عثر عليها فى جبانتى نقادة والبلاص ، أنه فى الامكان ترتيب هذه الأوانى ترتيبا زمنيا من حيث طريقة صنعها وأشكالها وطرق زخرفتها : وعلى ذلك فقد قسمها إلى مراحل متتابعة ، من الأقدم للأحدث ، واستخدم ارقاما متتابعة من ١ إلى ١٠٠ . فخصص الأرقام من ٢١ إلى ٢٩ لحضارات العصر الحجرى الحديث وعصر الحجر والنحاس . أما الأرقام من ١ إلى ٢٩ فقد تركت لما يمكن أن يكتشف من آثار أقدم من هذه المراحل . وخصص لحضارة دير تاسا رقم ١٠ وخصص الأرقام من ٣٠ إلى ٣٧ لحضارة نقادة الأولى وما بعدها . واعتبر رقم ٧٩ بداية التطور الحضارى فى أول العصور التاريخية ، خلال عصر الأسرة الفرعونية الأولى . وطريقة التوقيت المتتابع لاتعطى تأريخا ثابتا ، بل هى إحدى الطرق التقويمية النسبية التى تساعد على ترتيب التطور الحضارى بناء على الدراسة المقارنة للأدلة الأثرية ، وخاصة الأوانى الفخارية . وبذلك يستطيع الدارس وضع كل حضارة فى مكانها بناء على ترتيبها التطورى ، من حيث طريقة صنعها ، وحجمها ، وأشكالها . وقد ساعدت هذه الطريقة العلماء ، فى ترتيب العصور الحضارية المتتابعة فى مصر منذ أقدم المراحل حتى العصر التاريخى .

---

(1) Petrie, W F., Diospolis Parva, The Cemeteries of Abadiyeh and Hu, London, 1898 – 1899.

وهناك طرق أخرى للتقويم الزمنى مثـل طريقة الطبقـات Archaeological Stratification . وتقوم هذه الطريقة ، على دراسة طبيعة الطبقات فى التلال والأكوام ، والكهوف ، التى كان يقطنها انسان تلك العصور . حيث تمثل هذه الطبقات آثار إقامة مجموعات بشرية متتالية فى نفس المكان ، مما يترتب عليه تجمع الآثار بعضها فوق بعض ، مكونة تلال وأكوام . ويقوم العلماء عادة بدراسة الأدلة الأثرية ، ودراسة سمك هذه الطبقات التى تعطى فكرة عن مدة استقرار الإنسان المصرى القديم فى منطقـة ما . وهذه الطريقـة فى الدراسة تساعد على معرفة عمر الحضارة .

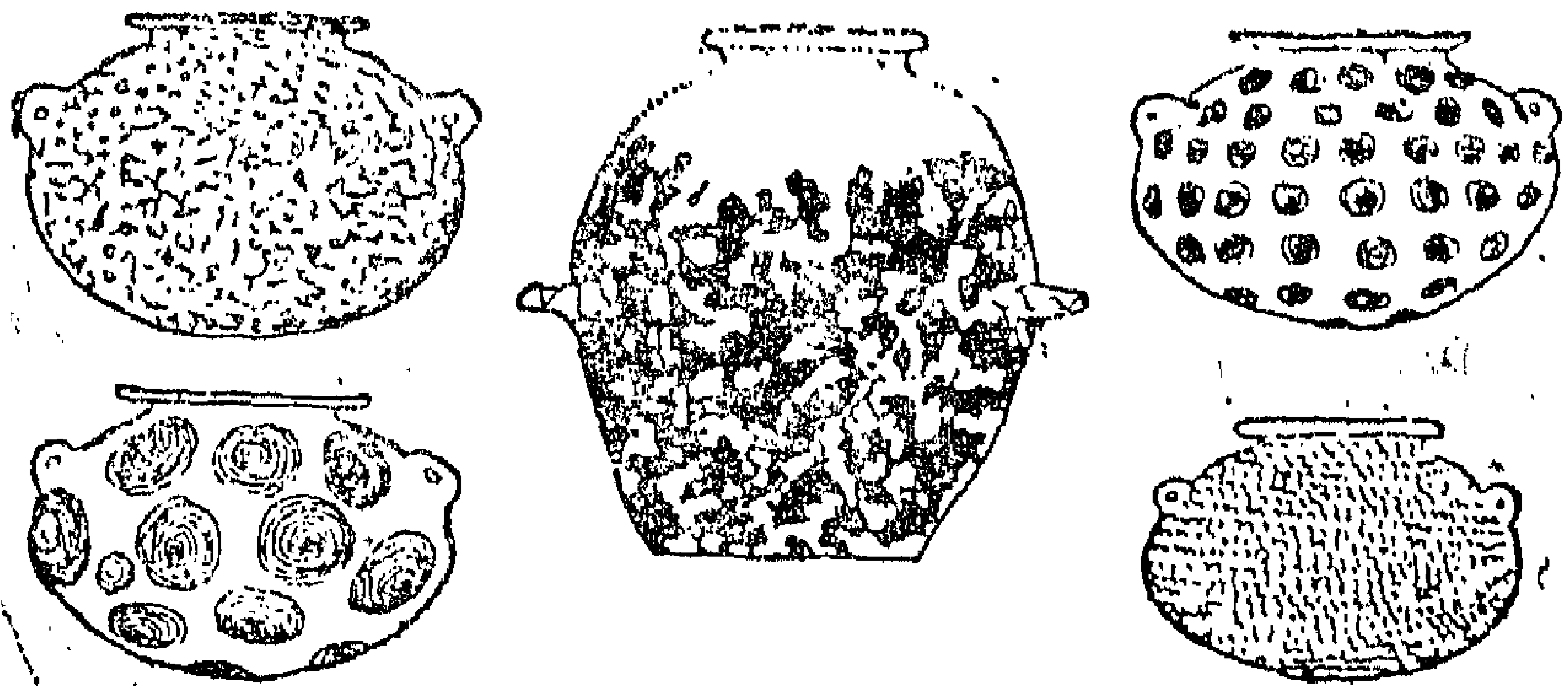
ومن طرق التقويم الزمنى كذلك، طريقة حلقات جذوع الاشجار Tree Ring Dating . وتتلخص هذه الطريقة فى إمكانيـة التوصل إلى عمر الأشجـار ، وبالتالى عمر الحضارات التى استخدمتها هذه المجتمعات ، عن طريق متابعـة مراحل النمو فى القطاعات الأفقية داخـل جذوع الأشجـار . هـذا بالإضافة إلى طريقة الدراسة المقارنة للأدلة الأثرية Comparative Archaeology ، التى تتخلف عن المراكز الحضارية . وتعتمد هذه الطريقة على الإلمام التام بالتركة الأثرية فى كل موقع على حـدة ، وفى المواقع الأثرية الأخرى ، حتى يمكن مقارنتها والتوصل إلى تقدير عمر الحضارات التى تخلفت عنهـا .

رابعا ـ عصور ما قبل الأسرات :

شهد إنسان عصور ماقبل الأسرات مرحلة حاسمة فى تاريخ الحضارة المصرية ، تخطى خلالها أكثر العقبات حيث أرسى قواعد الحضارة التاريخية التى أعقبتها ، ومهد لقيام أول وحدة سياسية عرفها التاريخ . ولقـد عرفت حضارة ما قبل الأسرات الكتابة ، وتميزت بقيام المدن وتقوية ، الصلات بالاقطار المجاورة ، وقيام الممالك المحلية . وتمتد هذه المرحلة من حوالى أربعة آلاف ق.م إلى حوالى

٣٢٠٠ ق.م . كما انقسم حضاريا — تقسيما إقليميا — إلى منطقتين هما : مصر السفلى ومصر العليا . ويتمثل هذا العصر فى مصر السفلى، فى حضارة جرزة الأولى (شمال بنى سويف) ؛ أما فى مصر العليا ، فيتمثل هذا العصر فى حضارة نقادة الأولى (قرب قنا) وحضارة العمرة (بجوار قنا) . ومع تقدم عصر ما قبل الأسرات استمر النفوذ الحضارى فى تلك المراكز بالإضافة إلى حضارة المعادى فى مصر السفلى . أما نهاية عصر ما قبل الأسرات فيتمثل فى حضارة جرزة الثانية ، وهى مرحلة مؤكد معاصرتها لعصر حضارة نقادة الثانية .

وتتميز حضارة عصر ما قبل الأسرات فى مصر السفلى ، بالفخار الملون (شكل ١٠) والفخار ذى الأيدى المموجة ، الذى يرجع إلى أصل فلسطينى ،



شكل (١٠) أوانى مزخرفة من حضارة ماقبل الأسرات (مصر السفلى)

مما يؤكد وجود صلات حضارية بين مصر السفلى وفلسطين . كما تتميز هذه الحضارة بالرأس الكمثرى الشكل للصولجان ، والتى تعتبر من صناعة منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط . وقد أنتج سكان مصر السفلى فى تلك المرحلة أدوات الزينة ، كالأساور العاجية والنحاسية (١) . ويلاحظ بناء المقابر فى حضارة جرزة الأولى بالشكل المستطيل أو البيضاوى . وكانت جثة الميت توضع

(1) Rickard, T. A., "The Early use of the Metals" (in) Journal of institution of Metals, XL 111, 1930, p. 305.

على جانبيه فى هيئة مقرفصة تلف فى حصير من البوص ، ويوضع حوله قليل من ممتلكاته كالعقود والأساور والأوانى التى تحوى الطعام والشراب. وكانت جوانب هذه القبور - فى كثير من الأحيان - تغطى بألواح من الخشب تربط إلى بعضها من الأركان بسيور من الجلد ، فيتكون منه ما يشبه التابوت حول الجسد (١) . كما نجد ظاهرة جديدة فيما يتعلق بعقيدة الإيمان باستمرار الحياة فى العالم الآخر، فقد كانت وجوه الموتى فى الحضارات السابقة تتجه نحو الغرب حيث تغرب الشمس . أما فى حضارة جرزة ، فكان الميت يدفن ووجهه يتجه نحو الشرق ، مما يدعم الاعتقاد بوجود عقيـــدة شمسية فى ذلك الوقت فى الشمال ، كما يرتبط ذلك بالدور الحضارى والسياسى الهام الذى قادته مدينة هليوبوليس فى محاولة توحيد القطرين ، وكانت السيادة فى هذه الوحدة الأولى فى الشمال .

أما فى مصر العليا ، فيتمثل هـذا العصر فى حضارة نقادة الأولى وحضارة العمرة . ولكن السيادة الحضارية كانت لحضارة نقادة الأولى التى تمكن إنسانها من صنع عدد من الصناعات الحجرية والفخارية المتعددة الأشكال والزينات (شكل ١١) . علما بأن فخار نقادة الأولى انتشر فى جميع المناطق الجنوبية من مصر ، ولكن لم يعثر على نماذج فى الأماكن الواقعة إلى الشمال من أسيوط . ويعتبر فخار نقادة الأولى صناعة مصرية نشأت فى بيئة إفريقية ثم إنتشرت فى مصر العليا . ويدعم هذا الاتجاه أن العناصر الزخرفيـــة المنقوشة على سطوحه الخارجية تمثل حيوانات إفريقية مثل التمساح والفيـــل وفرس النهر وبعض أنواع الغزلان التى تنتشر فى الصحراء الإفريقية . وكذلك وجود تشابه بين فخار نقادة الأولى والفخار الذى عثر عليه فى مناطق حضارة النوبة المعاصرة .

---

(1) Edwards, L. E. S, The Pyramiods of Egypt, London, 1967, pp. 38, 39.



شكل (١١)

أوانى من حضارة عصر ما قبل الإسرات (مصر العليا)

وعلى ذلك يمكن القول بأن فخار نقادة الأولى ربما يكون أفريقى النشأة . وقد اعتمدت رسوم فخار نقادة الأولى على الخطوط المستقيمة والمائلة مع تواجد خطوط بيضاء متقاطعة فى الفراغات أطلق عليها White Cross Lined Pottery وقد صممت الأوانى على هيئة شعيتين وثلاث شعب واختلفت أشكال قواعدها ، فبعضها بقوائم أربعة والبعض الآخر بقاعدة اتخذت شكل حرف "y" (١)

وقد زاد المصريون كذلك من استخدام النحاس وارتقوا بصناعتهم ، وقد تركزت معظم الآثار المعبرة عن تلك الحضارة فى منطقة نقادة . ومن الظواهر الخاصة فى حضارة نقادة الأولى ، ظاهرة عدم تواجد الهياكل العظمية بالمقابر كاملة . ويعتقد بعض المؤرخين أن ذلك قد يعود إلى أن انسان تلك الحضارة يأكل لحوم موتاه بغرض اكتساب صفات الموتى . وربما تعود أصول هذه الظاهرة إلى أصول قبلية إفريقية . وقد اختلف العلماء فى مصدر حضارة نقادة الأولى ، وهل كانت محلية الأصل ، أم وافدة من الخارج . فبينما يرى مسولارد (٢)

(1) Petrie, W.F. , Prehistoric Egypt, Pls. X,7, XV , 51 , 54

(2) Masoulard, E., Préhistoric et Protohistoire d' Egypte , paris 1949, P. 171, ff

أنها محلية متطورة عن حضارة البدارى ، يرى شارف ومورتجات[1] Masoulard Scharff and Moorigat أن الأصل التاريخى لتلك الحضارة يعود إلى أصول حامية وافدة من شرق أفريقيا والنوبة . أما بالنسبة لحضارة العمرة ، فقد اشتهرت بفخارها المزين بالزخارف . وفيما يختص بحضارة المعادى التى تنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات أيضا ، فقد عثر على قرى مكونة من منازل مستطيلة بنيت من اللبن المجفف ، بدلا من كتل الطمى . كما وجدت جرار فخارية لتخزين الغلال ، بدلا من السلال المصنوعة من الخوص .

أما نهاية عصر ما قبل الأسرات ، فقد شهد الدور السياسى الهام فى محاولة توحيد الوجهين القبلى والبحرى . حيث كانت مصر تتكون من مقاطعات صغيرة متعددة لكل منها علمها ورمزها وآلهتها التى تتخذه على شكل حيوان أو نبات . ويغلب أن يكون حاكم المقاطعة قد اعتمد إلى حد كبير فى تدعيم أعماله على الإله المحلى للمقاطعة . ثم استمر ذلك الاتجاه ، عندما اتجهت تلك المقاطعات إلى تحقيق الوحدة السياسية فيما بينها وتكونت مملكتين هما مملكة الدلتا، ومملكة الصعيد . وكان لكل منهما عاصمتان : إحداهما تمثل المركز السياسى ، والأخرى تمثل المركز الدينى فى المملكة . ففى الصعيد ، كانت العاصمة السياسية هى نخب Nekheb أما العاصمة الدينية فكانت نخن Nekhen أو الكوم الأحمر (وسماها الأغريق هيراقونبوليس أى مدينة الصقر لأن حوركان معبودها) وكانتا متقابلتين على ضفتى النيل عند الكاب الحالية شمال إدفو . أما عاصمتا الدلتا فهما دب Dep ، ب Pe (بوتو Buto) وموقعهما عند تل الفراعين بمركز دسوق فى غرب الدلتا . وكانت لعاصمة الوجه القبلى معبودة صورت فى هيئة أنثى النسر

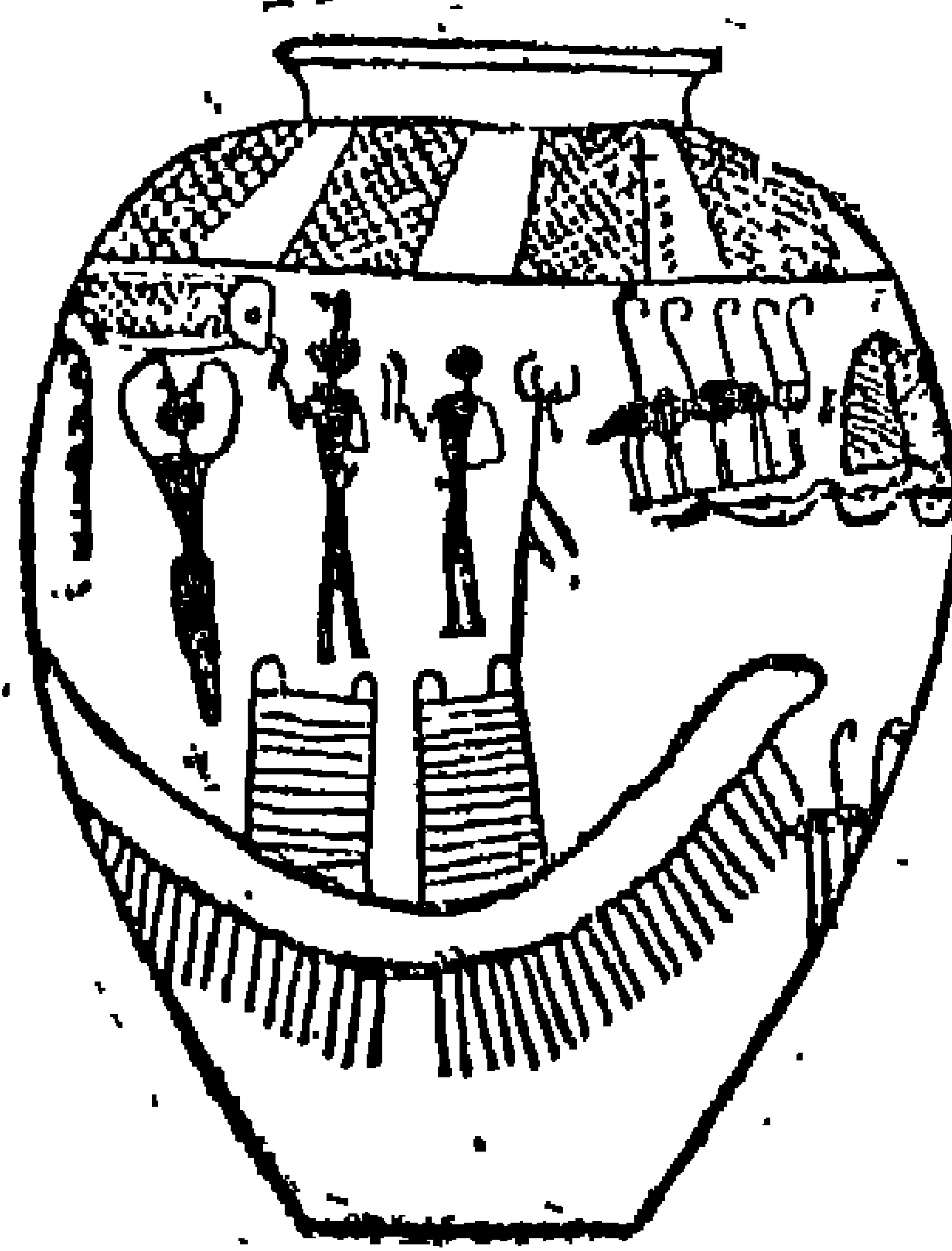
---

(1) Scharff, A., and Moortgat, A., Agypten and Vorderasien im Altertum, Munich, 1950, p. 13 f.

وهى الإلهة نخبت Nekhbet ، بينما عبدت عاصمة الوجه البحرى معبودة صورت فى هيئة أفعى وهى الإلهة واجت Wajet (شكل ١٢) . وقد اتخذت كلتا المملكتين شعارا من الزهر . فكانت زهرة البردى هى شعار المملكة الشمالية وزهرة اللوتس شعار المملكة الجنوبية .


شكل (١٢) الإلهتان نخبت وواجت

كما كانت هناك منافسات حضارية وسياسية بين الشمال والجنوب انتهت بسيادة الجنوب . ولكن يبدو أن الشمال قبل ذلك هو الذى بدأ أولى محاولات تحقيق الوحدة على أساس أن الشمال كان مهداً لحضارة متقدمة سبقت بها الجنوب وتعزز الأدلة الأثرية هذا الرأى مثل تواجد آثار شمالية الطابع فى الجنوب وأن تلك الأوانى الفخارية قد حوت عناصر زخرفية تدل على أن فنانها كان يعيش فى بيئة مليئة بالمستنقعات وبالبحيرات لإنتشار المراكب الكبيرة ذات المجاديف ولانتشار المثلثات المتتابعة التى لا يمكن إلا أن تكون تمثيلا لمرتفعات يراه الإنسان وهو بعيد عنها فى عرض بحيرة متسعة ، وكذلك مجموعة الطيور المرسوم على هذا النوع من الأوانى لها سيقان طالية ، وهى تعيش ولا شك فى مناطق مليئة بالمياه (شكل ١٣) . هذا بالإضافة إلى الأوانى ذات الأيدى المموجة التى عث



شكل (١٣)

آنية فخارية عليها رسم لطيور ذات سيقان عالية

عليا فى فلسطين (أصلا فى بيسان) ثم وفدت إلى مصر نتيجة للصلات الاقتصادية بين مصر وفلسطين أثناء عصور ما قبل الأسرات الأخيرة. كما أن تواجد الإله حور البحدتى فى نخن وفى إدفو، دليل على سيادة الشمال الدينية. كما ذكرت بردية تورين تسعة عشر ملكا حكموا الشمال. وقد عثر أيضا وين رايت Wainwright (١) على آنية من عصر ما قبل الأسرات نقش عليها التاج الأحمر. وتبعاً لسيادة الشمال الحضارية، قامت مراكز سياسية استطاعت أن تبسط نفوذها على الجنوب، وربما يكون قد أدى ذلك إلى تحقيق الاتحاد الأول حوالى ٤٢٤٠ ق.م. الذى اتخذ من مدينة أون On (أو هليوبوليس القديمة مكان عين شمس الحالية) عاصمة له. وكان بطل هذه الوحدة الأولى هو الإله أوزير، وتؤكد ذلك الأوصاف المتعددة التى وردت فى أناشيد أوزير. ويرجع السبب فى تقدم ورقى الدلتا عن الصعيد فى عصر ما قبل الأسرات، إلى كبر مساحة الدلتا

---

(1) Wain wrainuright, G.A., « The Red Croun in Early Pachis-toric Times», (in) JEA, IX, London, 1923, p. p. 26 – 27.

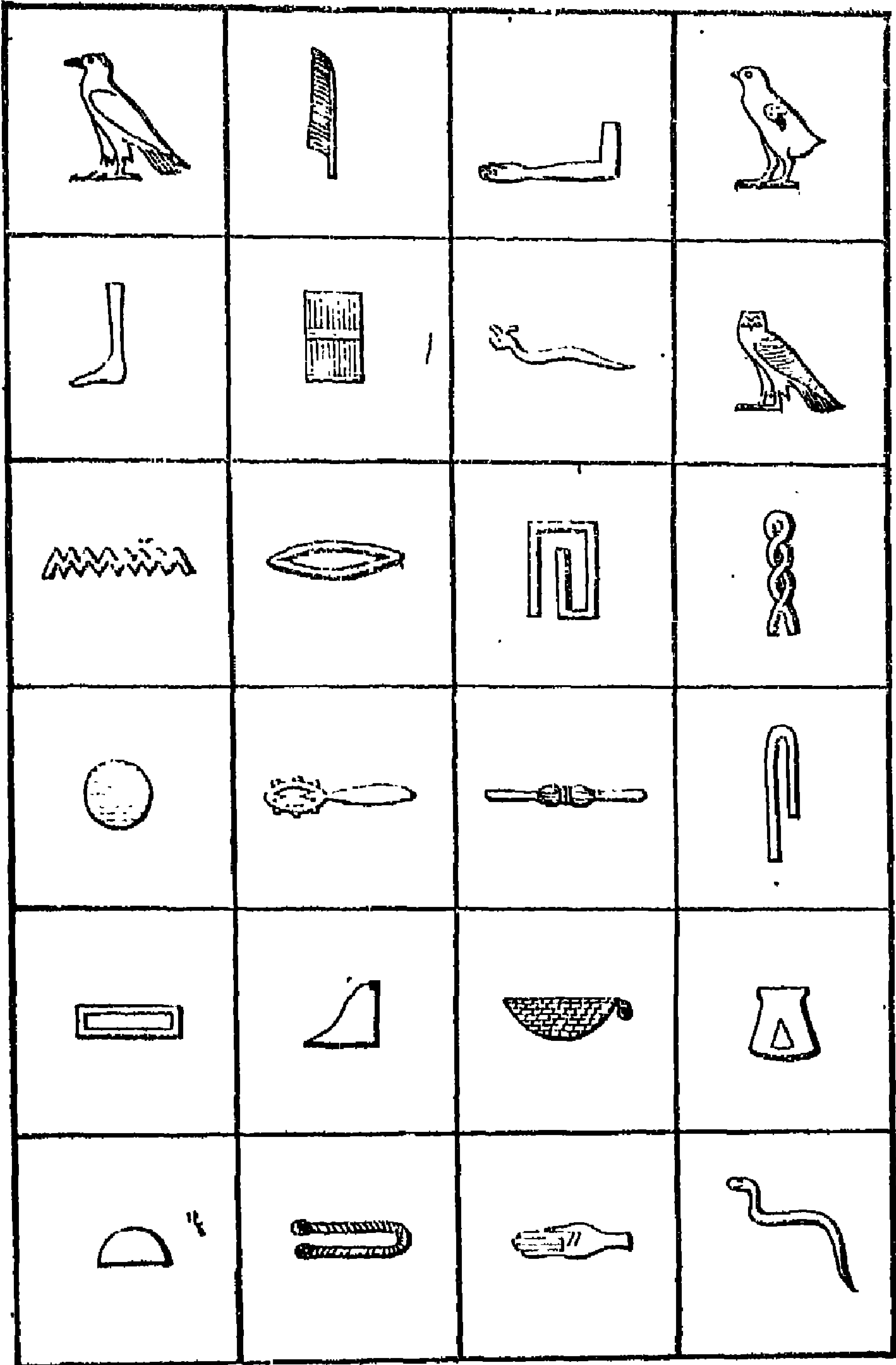
واتساع الأراضى الزراعية والمراعى فيها ، وكذلك إلى موقعها الجغرافى الممتاز الذى كان يسهل الاتصال مع الشرق والغرب . ولقد دلت الحفائر فى حلوان والمعادى على تأييد هذا الرأى .

ويؤيد كثير من العلماء الرأى القائل بأن الكتابة (شكل ١٤ أ ، ب) نشأت لأول مرة فى شرق الدلتا، لأنها تحوى الكثير من قواعد اللغة السامية . ولا بد أنها دخلت مع أولئك الذين وفدوا إلى مصر عند بدء عصر الجفاف وهجرة الإنسان إلى مجارى الأنهار . وكذلك تم التوصل إلى أول تقويم عرفه تاريخ البشرية ، مما يدل على نضوج الفكر الإنسانى فى ذلك العهد البعيد، على أساس أن مشاهدة الإنسان القديم لنظام الفيضان وظروف الزراعة جعل ، الفلكيون المصريون الأوائل يقسمون السنة إلى ٣٦٥ يوماً وإثنى عشر شهراً ، والشهر إلى الثلاثين يوماً ، اضاف إليها الخمس أيام الباقية للأعياد (١) .

أما فيما يتعلق بالنشاط السياسى فى عصر ما قبل الأسرات ، فإن ما ذكر على حجر بالرمو من أسماء الملوك تولوا العرش قبل مؤسس الأسرة الأولى ، قد يؤخذ كقرينة على قيام الوحدة الأولى . حقيقة أنهم تولوه إما على أنهم ملوك للجنوب أو ملوك للشمال ، إلا أن هذا يعتبر دليلا على وجود وحدة سياسية أولى . ويتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن قيام هذا الاتحاد رغم إستناده إلى بعض الأحداث، لا يعتبر نهائياً ولا يزال الأمر يحتاج إلى تدعيم أقوى بالأدلة الأثرية . ومهما كان الأمر فى إمكان قيام هذه الوحدة ، فقد انقسمت مصر فى فجر التاريخ إلى مملكتين متنافستين إلى أن بدأت بوادر الوحدة السياسية التى تحققت فى عصر ما قبل الأسرات الأخير ، وذلك حينما دب الضعف فى مملكة

---

(١) م. عامر ، تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى ، ص ٧١ .



شكل (١٤) الابجدية الهيروغيلفية

الترجمة العربية للأبجدية الهيروغليفية
مع دلالتها الصوتية

w و كتكوت	ꜥ ع ساعد	í إ قصبة	ꜣ أ النسر المصري
m م بومة	f ف افعى ذات قرن	p ب كرسي بدون مسند للظهر	b ب قدم
ḥ ح حبل مبروم	h هـ فناء	r ر فم	n ن ماء
s س قماش مطوي	s س ترباس باب	ẖ خ بطن حيوان ذو نتوءات	ḫ خ مشيمة
g ج سنادة إناء	k ك سبت بيد	ḳ ق سفح تل	š ش بركة أو بحيرة
ḏ ذ أفعى	d د يد	ṯ ث حبل للقيد	t ت رغيف

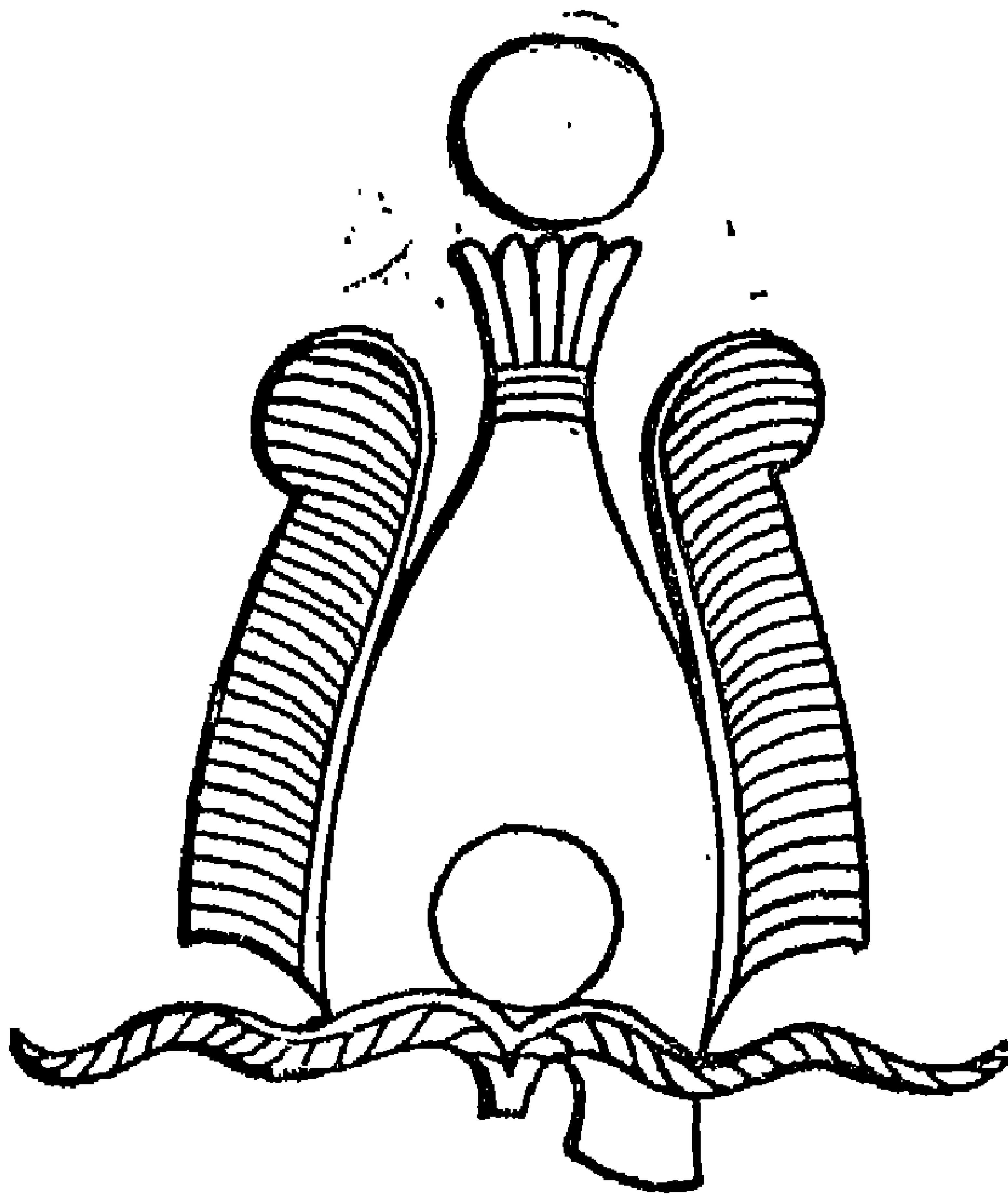
شكل (١٤ ب) « الدلالة الصوتية للأبجدية الهيروغليفية »

الشمال ، وانتهى الأمر بتوحيد القطرين حوالى ٣٢٠٠ ق. م. وبالنسبة للآلهة فى تلك المرحلة ، فقد كان مركز الإله حور Hor (الصقر) فى مدينة بهدت أو بحدت شمال الدلتا وهو إله السماء وكان يصور فى شكل صقر (شكل ١٥) أو



شكل (١٥) الإله حور

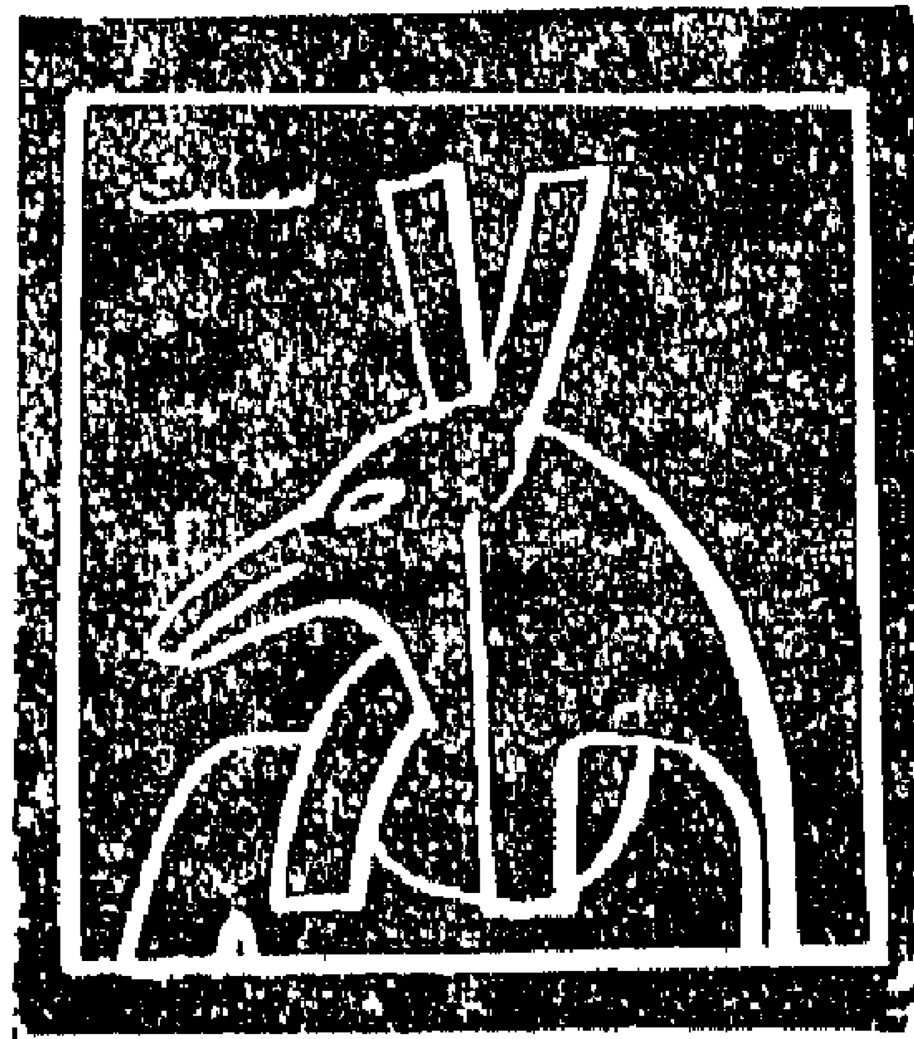
رجل يحمل فوق رأسه قرص الشمس . كما كان هناك إله آخر فى شرق الدلتا



شكل (١٦) تاج أتف

وهو الإله عنجتى Anjeti وهو الذى خلف الإله أوزير Osir فى منطقته الأولى فى شرق الدلتا فى أبى صير، وكان يمتاز بتاج يعرف باسم تاج أتف (شكل١٦) . وكان يتكون من عنصرين : التاج الأبيض فى الوسط (الرمز المقدس لملك مصر العليا) ، وريشتين فوق قرنى كبش على جانبى التاج الأبيض .

أما الإله ست Seth (شكل ١٧) فكان هو الإله الرسمى فى الصعيد وكانت



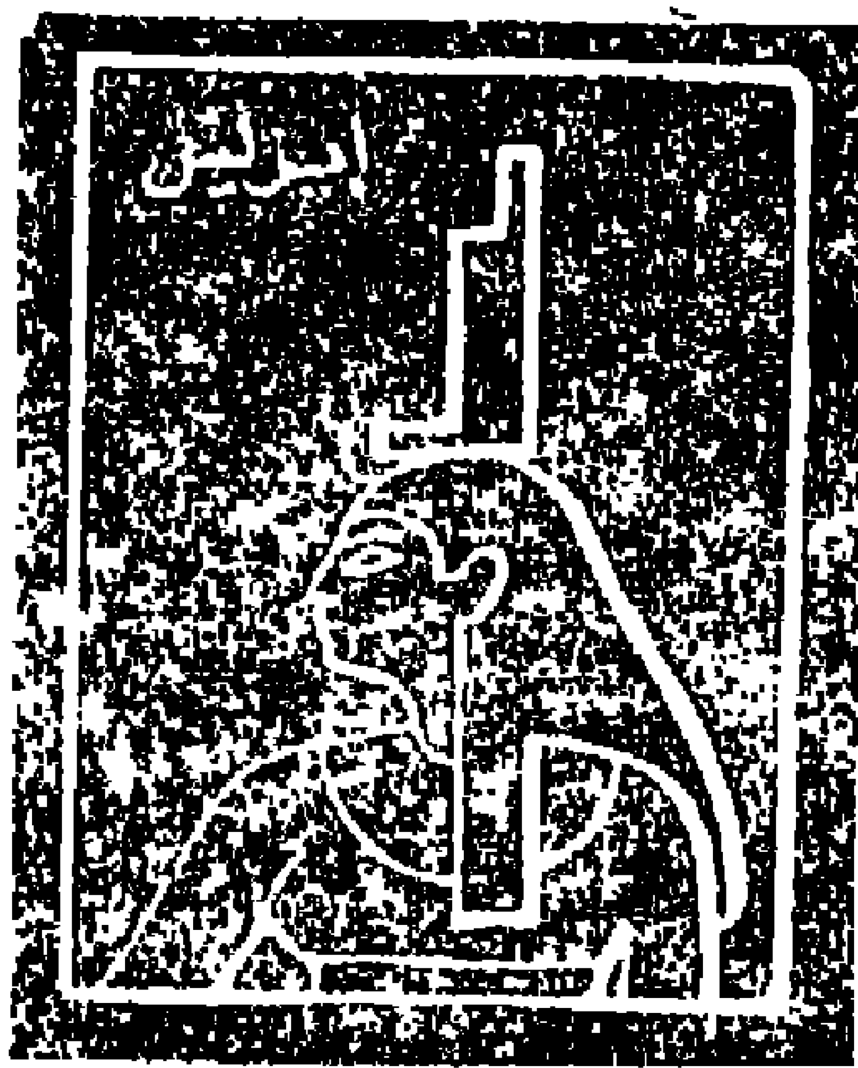
شكل ١٧ الإله ست

مركز عبادته فى مدينة نوبت Nubt أو (أومبوس) Ombos فى محافظة قنا عند بلدة طوخ الحالية شمالى نقادة . وكان يمثل القوة والعنفوان ويخافه الناس ، كما كان فى أول الأمر يمثل العواصف . وعندما دانت دولة أوزير(شكل١٨)



شكل (١٨) الإله أوزير

واختفت بعد المؤامرة الكبرى التى نفذها ست ضد أخيه أوزير، وأصبح أوزير ملكا على الموتى ، عندئذ أصبح إبنه حور من زوجته إيزيس Isis (شكل ١٩)



شكل (١٩) الإلهة إيزيس

هو صاحب الحق فى الجلوس على عرش أبيه . وتشير الأساطير إلى الكفاح الذى حدث بين حور وعمه ست . وساعدت إيزيس إبنها حور بينما وقف بعض الآلهة بجانب ست . وانتهت المعركة أمام مجمع الآلهة بأحقية حور فى الجلوس على عرش مصر . وعندما تمت الوحدة بين الشمال والجنوب ، أصبح حور بذلك الإله الرسمى لكلا القطرين .

تطور العقائد الدينية عند الانسان المصرى القديم

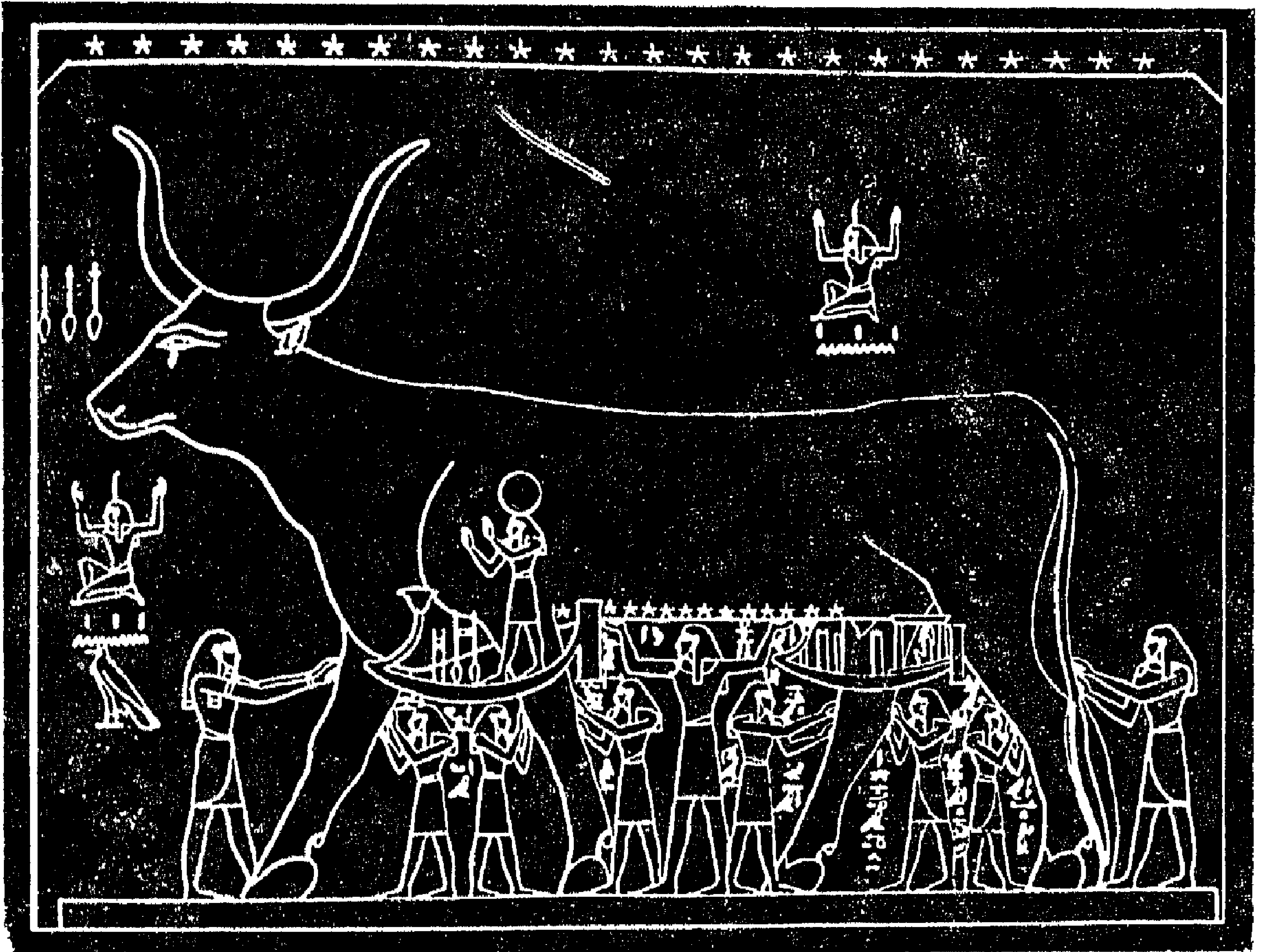
لا يستطيع الدارس للحضارة المصرية القديمة أن يتعرف على أسس الحضارة دون أن يلم إلماماً كافياً بالدين . فقد لعب الدين دوراً فعالا فى حياة الإنسان المصرى القديم . ولم يكن اعتقاد الإنسان المصرى القديم فى الفكر الدينى مجرد عاطفة روحانية فحسب ، بل هو فى الحقيقة ، كان نتيجة حاجة الإنسان إلى الشعور بالإطمئنان والاستقرار . وقبل أن يتوصل إنسان تلك المرحلة إلى الزراعة وإنشاء القرى والمجتمعات المستقرة ، كان عليه أن يواجه العديد من المشكلات التى تهدد كيانه ، مثل تغييرات الطبيعة . ولقد دفعه ذلك إلى البحث عن وسائل الأمان فى حياته ، حيث لجأ إلى الدين كقوة ، يسيطر أثرها على نشاط الإنسان . وعلى ذلك كانت الطبيعة هى المبشر الأول للدين ، إذ فسر الإنسان مظاهرها حين عجز عن فهمها ، بأن أرجعها إلى قوة خارجة عن نطاق تفكيره .

ولقد آمن الإنسان ابتداء من مرحلة العصر الحجرى الحديث بلزوم رضاء القوى المتحكمة فى الظواهر الطبيعية والمؤثرة على إنتاجه الزراعى ، وآمن بأن سعادته تعتمد على مدى مايحققه فى سبيل إرضاء تلك القوى . ومن مظاهر هذا الفكر الدينى إعطاء صفة مقدسة إلى تلك القوى الخفية . وقد ترك إنسان تلك المرحلة من الآثار مايدل على ذلك الجانب الدينى . وتتركز تلك الآثار فى الرسوم والنقوش التى تركها على جدران المنازل ، وعدد من التماثيل الصغيرة ذات الصفة الدينية ، والعديد من التمائم الحجرية والصدفية والطينية ،

التى آمن بفاعليتها لإبعاد القوى الخفية والشريرة . هذا بجانب المقابر التى عثر عليها والتى تثبت اعتقاده فى الحياة الأخرى بعد الموت .

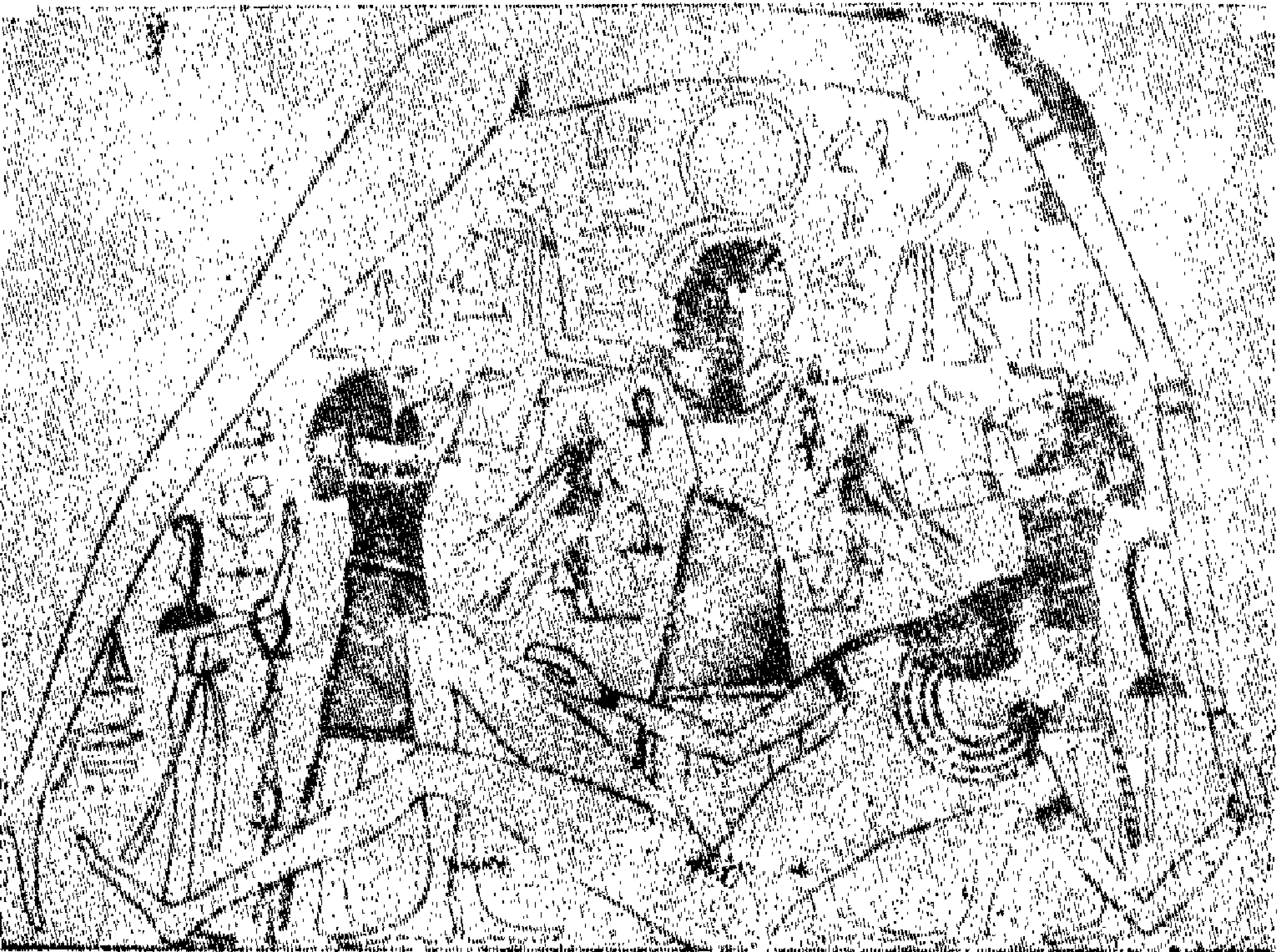
ثم أخذت المفاهيم الدينية فى الاستقرار فى عصر الحجر والنحاس ، وعصور ماقبل الأسرات . وينبغى الإشارة الى الآلهة المصرية على أساس أنواعها :

١ — آلهة الكون : وتتضمن نوت Nut إلهة السماء ، وكان يرمز إليها فى أشكال مختلفة مثل شكل بقرة كبيرة (شكل ٢٠) ، أوشكل سيدة تنحنى بجسمها فوق الأرض وتعتمد على ذراعيها وساقيها ويرفعا الإله شو Shu إله



شكل (٢٠) الإلهة نوت فى شكل بقرة كبيرة

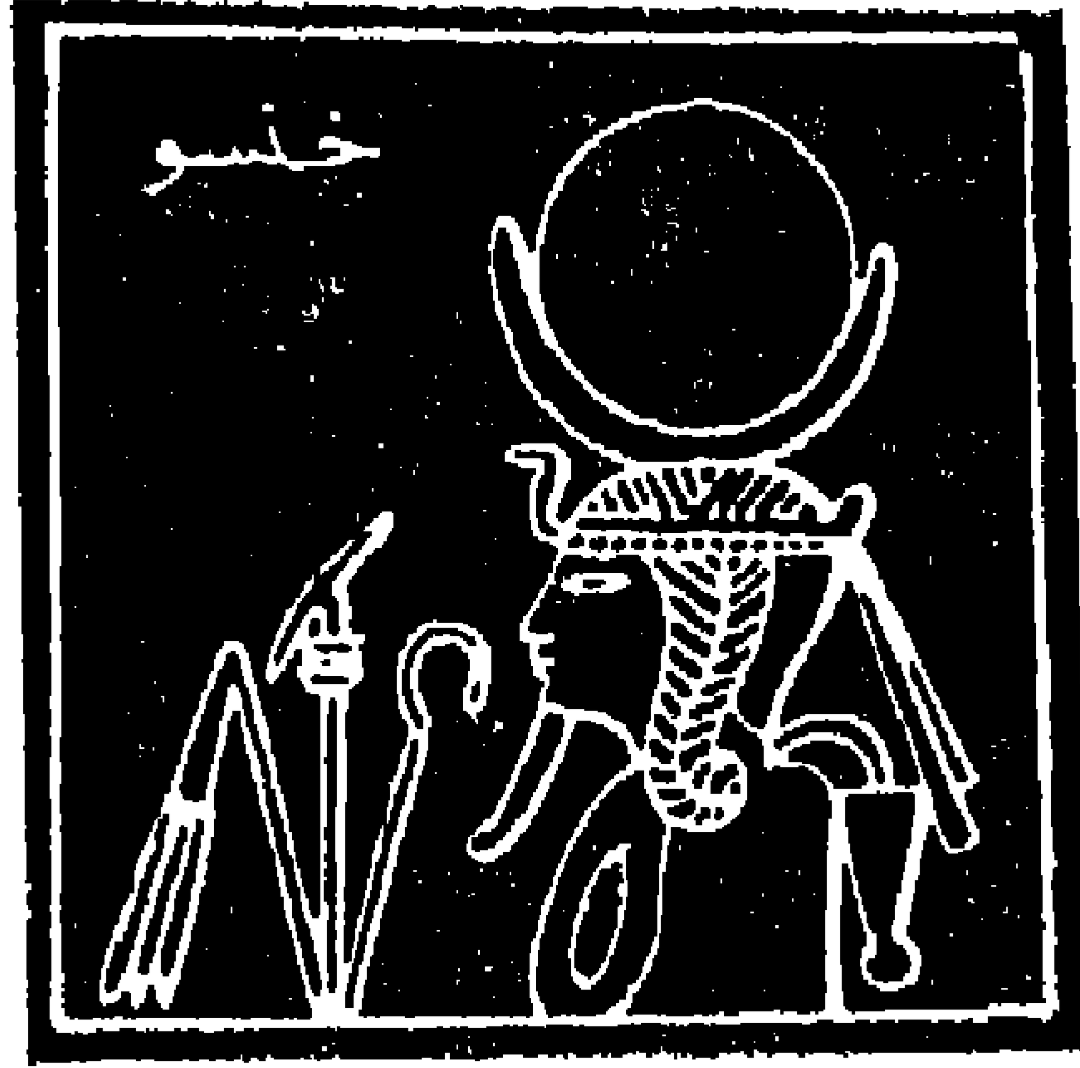
الهواء (شكل ٢١). ومن الآلهة الكونية أيضاً الإله رع Re إله الشمس وقد صور فى عدة أشكال مثل قرص الشمس الذى يعبر السماء فى قارب من الشرق إلى الغرب أو فى شكل جعل أو على هيئة قرص مجنح. ويعتبر الإله القمرى



شكل (٢١) الإلهة نوت فى شكل سيدة تنحنى فوق الأرض

تحوت Thoth من الآلهة الكونية كذلك، وكان يصور على شكل الطائر إبيس أو القرد . وقد صور الإله القمرى كذلك بالإله خنسو Khunsu (شكل ٢٢) ، كذلك تتضمن آلهة الكون ، الإله الأرضى جب Geb .

٢ — آلهة رسمية : عندما اتجهت المقاطعات المصرية إلى الوحدة السياسية حدث تنافس بين تلك المقاطعات من حيث رغبة كل مقاطعة فى رفع شأن معبودها على المعبودات الأخرى . وقد نتج عن ذلك التنافس بين معبودات الأقاليم، أن تميز من بينهم واحد اعترفوا به إلها أعظم ، وأصبح بذلك الإله



شكل (٢٢)

الرسمي للدولة . ومن آلهة الدولة الرسمية ، كان الإله حور هو المعبود الملكى منذ توحيد القطرين وخلال العصر الثينى والدولة القديمة (فى الأسرتين الثالثة والرابعة) ، ولو أن الإله ست احتل تلك المكانة فى عهد الملك برإيب سن (فى الأسرة الثانية) ، ثم انتقلت تلك المكانة بعد ذلك للإله رع عندما أصبح الإله الرسمى للدولة منذ الأسرة الخامسة ؛ ثم تتابعت بعد ذلك العقائد الأوزيرية (الإله أوزير) والطيبية (الإله أمون) والأتونية (ثورة أخناتون الدينية) .



شكل (٢٣)

٣ — آلهة محلية : اتخذت المقاطعات المصرية آلهة محلية لكل مقاطعة إلهها الخاص بها، حيث كان الإنسان المصرى القديم يعتقد فى تجسيم القوى الخفية التى تتحكم فى حياته فى معبود معين. فمثلا عبدوا الإله بتاح Ptah (شكل ٢٣) فى منف، والإله أتوم Atum (شكل ٢٤) فى هليوبوليس، والإله تحوت فى



شكل (٢٤)

الأشمونين ، والإله حور فى إدفو والإله أمون فى طيبة ، والإله أوزيرفى أبى صير ثم فى أبيدوس ، والإله ست فى أومبوس ، والإلهة حتحور Hathor



شكل (٢٥)

(شكل٢٥) فى دندرة ، والإلهه باستت Bastet (شكل ٢٦) فى تل بسطة ، والإلهة نيت Neith (شكل٢٧) فى سايس ، والإله خنوم Khnum (شكل ٢٨) إله الفنتين والإله سوبك رع Sobek-Re فى الفيوم .



شكل (٢٦)

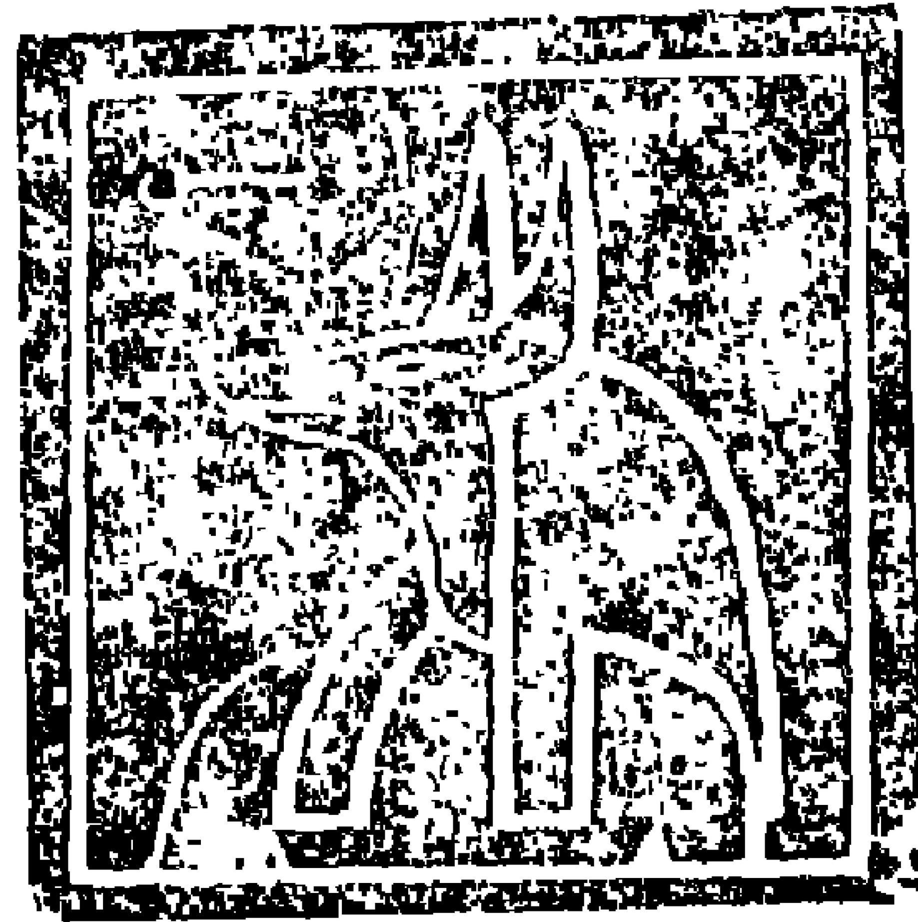


شكل (٢٧)



شكل (٢٨)

أما المعبودات الأخرى فنها ما كان أقل أهمية من الآلهة الرسمية مثل أنوبيس Anubis إله الجبانة وكان يصور فى شكل ذئب أو كلب ، وحتحور إلهة السماء



شكل (٢٩)

على شكل بقرة وكانت نيت إلهة مدينة سايس يرمز لها بدرع وسهام متقاطعة . أما الإله سد Sed فكان إلها الموتى وظهر على شكل ذئب ، والإلهة باستت إلهة المرح على هيئة قطة .

ونظراً للصراعات السياسية التى عاصرت التاريخ المصرى القديم ، لعب الدين دوراً أساسيا فى تلك المراحل . ونلمس محاولات الكهنة المتعددة لتعزيز مكانة أحد الآلهة دون الآخر بغرض اكتساب تأييد الشعب . وقد تخلفت عن مثل هذه المحاولات ما يسمى بالأساطير الخاصة ببعض الآلهة مثل الأسطورة الهليوبوليتانية ، والأسطورة الأوزيرية ، والأسطورة الهرموبوليتانية ، والأسطورة المنفية ، والأسطورة الطيبية .

أما الأسطورة الهليوبوليتانية ، فتدور حول أصل العالم وتكوينه . وتشير إلى مذهب عين شمس ، وهو من أقدم المذاهب الدينية التى عرفت فى مصر القديمة . فقد صور كهنة هذا المذهب تاريخ بدء الخليقة على أساس : عندما

تكون إله الشمس (الإله أتوم فى هليوبوليس) فى المياه الأبدية « نون » قبل أن تتكون السماء والأرض[1] وقف فوق تل مرتفع هرمى الشكل ولذلك اتخذ المصرى القديم الشكل الهرمى فى مقابره منذ الأسرة الثالثة ، على أساس أن هذا الشكل الهرمى أصبح رمزاً مقدساً عند المصريين لإله الشمس . وتشير الأسطورة إلى أنه قد جاء من نسل أتوم الإله شو ، والإلهة تفنوت Tefnut إلهة الرطوبة والندى ، اللذان انجبا بدورهما جب ونوت . ومن جب ونوت ، جاء أوزير إله العالم السفلى وإيزيس (أم حور واعتبرت زوجة لأوزير وربما كانت إلهة فى الدلتا) ، وست (إله العواصف) ونفتيس Nephthys سيدة المنزل وإلهة الكتابة) . وأطلقوا على هذه الآلهة التسعة تاسوع هليوبوليس العظيم . The Great Enead Heliopolis ولم يكن أتوم هو الصورة الوحيدة التى عبد فيها إله الشمس فى هليوبوليس . فهناك أشكال أخرى مثل حور اختى Horakhti (شكل ٣٠) وتعنى حور الذى فى الأفق ، وخبرى khepri (الذى على هيئة



شكل (٣٠)

جعل) . أما فى صور حور اختى ، فكانت الشمس تحمل فى الجو على أجنحة

(١) أ . لرمان ، ديانة مصر القديمة ، نشأتها وتطورها ونهايتها فى اربعة آلاف سنة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، ومحمد أنور شكرى ، ص ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

كالطائر . وكان هذا المفهوم متصلا بصفة خاصة بإله الشمس فى صورة هيئة صقر . وبالنسبة لظهور الشمس على شكل الجعل (الجعران)، فكان هذا التصور أن تكون القوة التى تدفع بالشمس وهو الإله رع فى السماء شبيهة بجعل هائل يدفع الشمس أمامه كل صباح ، كما يفعل الجعل فى دورة حياته . فقد لاحظ الإنسان المصرى القديم كافة الظواهر النباتية والحيوانية والطبيعية حتى الحشرية ، ولمس أن حشرة الجعل بالذات تكور كرات صغيرة من الروث وتدفعها بقدميها الاماميتين ، فاعتقد أن هذه الحركة تشبه فى تخيله الإله رع فى السماء الذى يدفع أمامه كل صباح الكرة الشمسية .

وفيما يتعلق بالأسطورة الاوزيرية ، فيلاحظ أنه قبل اتحاد القطرين ربما كان أوزير فى الأصل ملكا . ثم أصبح الإله المحلى للإقليم التاسع فى شرق الدلتا وعاصمته أبو صير . ثم قوى نفوذه بعد ذلك فصار الإله الرئيسى لمجموعة من الأقاليم فى مصر السفلى . ولما كان حور ينتشر نفوذه فى نفس الوقت فى غرب الدلتا ، فقد ارتبط بأوزير واعتبر الإلهان كوالد وولده . وبدأ نفوذهما ينتشر جنوبا حتى أصبح أوزير فى عصر الدولة القديمة يعبد مع سوكر إله الجبانة فى منف ، ومع أنوبيس فى أسيوط ، ومع خنتى أمنتيو khentiamentiu الذى كان يعبد فى أبيدوس . وقد أشارت النصوص المصرية القديمة إلى قصة إيزيس وأوزير التى كانت أساسا للعقيدة الاوزيرية . وقد تناول هذه الأسطورة المؤرخ بلوتارخ فى مؤلفه (إيزيس وأوزير) De Iside et Osiride الذى أشار إلى تفاصيل تلك الأسطورة (١) .

(١) Edwards, L.E.S., OP. Cit., p. 27.

ويستدل منها على أن ست قتل أخيه أوزير مدفوعا بعوامل الحسد . فقد أقام ست وليمة ، وجهز صندوقا يتناسب طوله مع جسم أوزير . ولما حاول أوزير تجربة الصندوق أغلقه عليه ست وقذف به فى النيل ، ثم قذفت به الأمواج ، ورسى عند جبيل ، على الساحل اللبنانى . وعند ما علمت إيزيس بأن أوزير قد اغتيل ، بدأت تبحث عن جثمانه ، حتى عثرت عليه فى النهاية ، وعادت به إلى مصر . ثم تبدأ قصة الصراع بين حور وست عندما صمم حور على الانتقام لوالده من غدر ست . ويتمكن من الانتصار عليه ويجلس على عرش أوزير ، بعد أن أصبح الأخير إله العالم السفلى .

الأسطورة الهرموبوليتانية أو ثامون الأشمونين : عند ظهور مدينة الأشمونين مقر عبادة الإله تحوت ، إتجه كهنتها للترويج لمذهب جديد ينافسون به المذهب الهليوبوليتانى . ويتلخص هـذا المذهب فى إنكار الدور الذى لعبه أتوم فى خلق الكون معتبرا أن أتوم لم يخلق نفسه ، بل خلقته مجموعة مكونة من ثمانية من الآلهة على هيئة الضفادع والثعابين . وعلى ذلك سميت المدينة مدينة الثمانية أى « شمون » . وقد عرف الكثير عن تعاليم مذهب الأشمونين من تأثيرها فى مدينة أخرى وهى مدينة طيبة التى استقرت فيها بعض معبودات الأشمونين ، وخاصة واحد من تلك الآلهة الثمانية وهو الإله أمون Amon الذى ارتفع شأنه فى طيبه . وتشير الأسطورة إلى أن الآلهة الثمانية عندما خلقت ، كانت الدنيا فى ظلام دامس ، فاندفع الآلهة الثمانية مع تيار المياه الأولى حتى وصلوا إلى مدينة الأشمونين ، وهناك خلقت الشمس ثم رجعت بعد ذلك إلى طيبة . ولما أتمت الآلهة الثمانية خلق العالم لحقت بعالم الموتى فى طيبة[١] . وهذا المذهب لا يقلل من مكانة أتوم ، ولكنه يخضعه لثامون الأشمونين .

---

(١) إرمان ، المرجع السابق ، ص ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وبالنسبة للأسطورة المنفية : ـ فقد اعتبر بتاح خالق نفسه ، ووالد أتوم وخالق الآلهة والكائنات ، وأن الآلهة الذين أسهموا فى خلق العالم لم يكونوا سوى صور أو مظاهر لبتاح . فقد اعتبر أتوم فكره ، وتحوت لسانه ، وحورقلبه . وقد هدف كهنة منف من وراء الترويج لمذهبهم هذا إلى الإبقاء على تاسوع هليوبوليس ووضع بتاح على رأسه . وقد ظلت عبادة بتاح قـــوية طوال العصر التاريخى ، وخاصة بين الطبقات المثقفة . ويذكر مانيتون أن أول ملوك الأسرة الأولى بنى معبدا لبتاح فى منف . كما تدل أحداث الأسرتين الاولى والثانية على حجر بالرمو إلى الاحتفال بعيد سوكر Sokaris Feast إله الجبانة المنفية ، وهو صورة من صور بتاح .

اما الاسطورة الطيبية : فتعطى الأولوية للإله أمون رع ، إله مدينة طيبة . وتتحدث تلك الأسطورة عن ظهور هـذا الإله فى طيبه كإله شمس . وقد قويت تلك الأسطورة عنـدما أصبحت طيبـة عاصمة للبلاد فى الدولة الوسطى ، ثم فى الدولة الحديثة عنـدما أصبح أمون هو إله الدولة الرسمى . ولم تقتصر النصوص المصرية على الأساطير فحسب ، بل تعدتها إلى غـــيرها من النصوص الدينية . ومن أهم تلك النصوص ، متون الأهرام المسجلة فى حجرات الدفن الخاصة بالملك أو ناس آخر مـلوك الأسرة الخـامسة ، وأيضاً ملوك الأسرة السادسة . ويليهـا نصوص التوابيت فى الدولة الوسطى ، والتى كانت مكتوبة داخل التوابيت وتطلق على حوالى مائة صيغة سحرية يستفيد منها الميت فى الحيـاة الأخرى . ثم كتاب الموتى فى الدولة الحديثة حيث كانت الصيغ السحرية تنقش على لفائف من أوراق البردى، وتوضع داخل التابوت بجانب الميت وكان من المفروض أن تعينه فى حياته

الأخروية(١) .

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، فقد عثر على العديد من النصوص المصرية في مجال الحكم والنصائح مثل نصائح بتاح حوتب ، وإيبو ور ، وخيتي ومري - كارع على أساس اعتبارها بمثابة دعوة إلى الخلق القويم ، وهو بلا شك أساس لأية عقيدة دينية .

أما فيما يتعلق باعتقاد الإنسان المصري القديم بعقيدة الخلود أو بمعنى آخر في استمرار الحياة في العالم الآخر ، فقد كان ذلك عنصرا رئيسيا في حياته . وكان على كل إنسان أن يجهز منزله الأبدي الذي ينعم فيه بالخلود حيث أن ذلك الإيمان لم يقتصر على الفراعنة فحسب بل شمل أفراد الشعب . وقد تطورت عمارة المقابر المصرية منذ عصور ما قبل الأسرات حيث بدأت بحفرة بسيطة توضع فيها جثة الميت وبجواره مستلزماته الشخصية ، ثم تطورت الحفرة إلى حجرة تحت مستوى سطح الأرض ، فكانت بمثابة بناء سفلي للمقبرة كما بني أيضاً بناء علوي فوقها . ثم تطورت المقبرة بعد ذلك وذلك بإلحاق حجرات بالمبنى السفلي كانت تستخدم كمخازن لتخزين لوازم الميت .

ومهما تنوعت العقائد المصرية القديمة فإن المصري القديم آمن بعقيدة الخلود ، ويرتبط ذلك بتكوين الإنسان الذي اعتقد المصري القديم أنه يتكون من أربعة عناصر رئيسية وهي : -

١ - الكا Ka : كان يصعب إيجاد ترجمة له ، ولعله القرين . وهو ذلك الجسم الأثيري أو الكائن الروحي ، الذي يسكن الجسم المادي ويشبهه في كل شيء ،

---

(١) Breasted. J.H., The Conquest of Civilization, 1926, 1938
ترجمه للعربية ، أ. فخري ، بعنوان ، «انتصار الحضارة» ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٣٥ .

ويخلقان سويا بواسطة الإله خنوم . ويكفل وجوده للإنسان، (الحماية ، والحياة، والبقاء ، والحظ ، والصحة ، والفرح) واعتقد المصرى القديم بأن لكل إنسان « كا » تكبر معه ولا تفارقه أبداً . وتؤكد متون الأهرام هذا الاعتقاد حيث تشير الفقرة ٧٨٩ [١] :

« .. أن « الكا » تجلس وتأكل الخبز مع الملك
بدون توقف خلال الحياة ... »

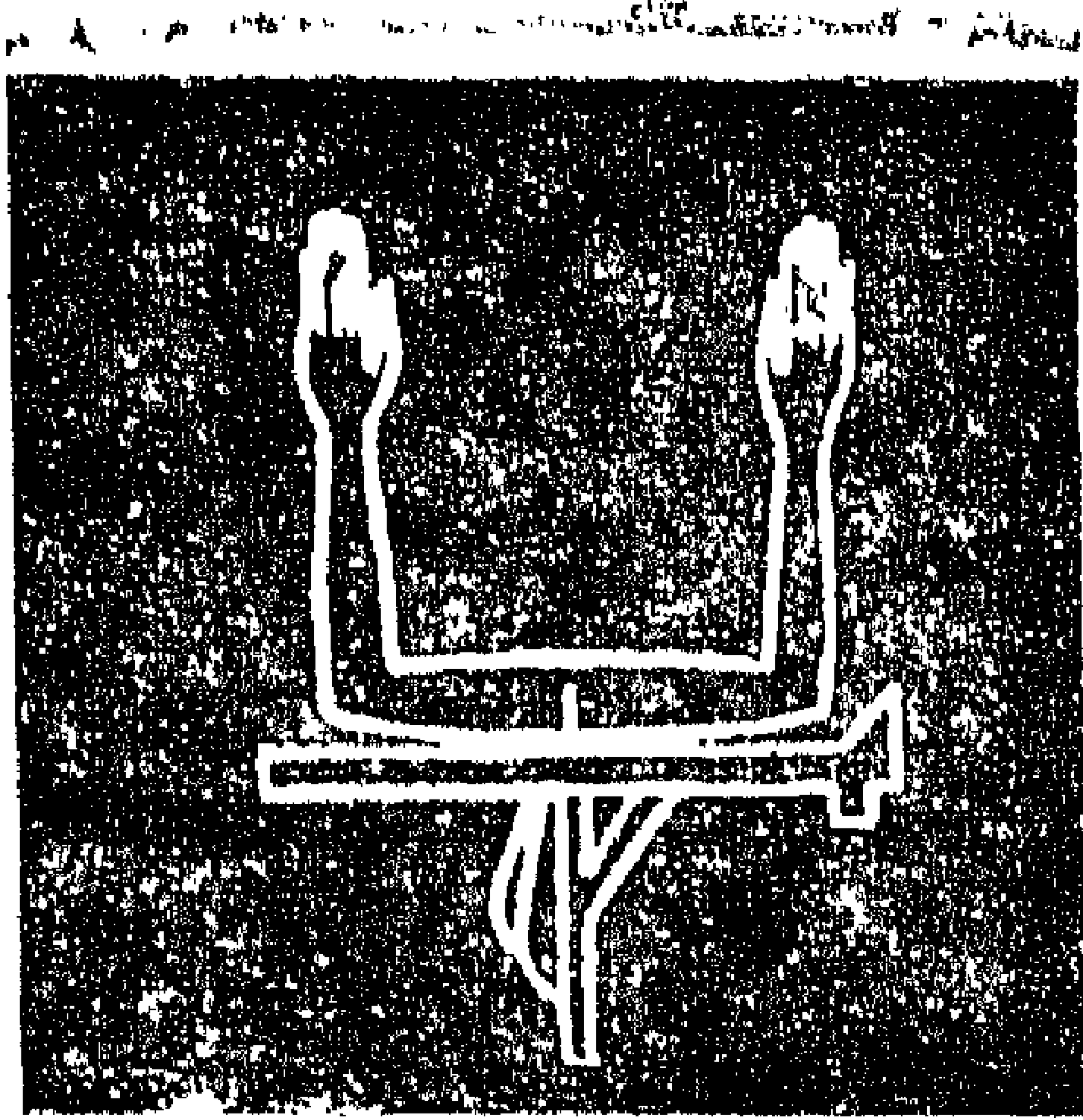
ويستدل من هذه الفقرة أن المصرى القديم اعتقد أن الكا تكرر أفعال الملك وتشاطره الغذاء .

وزيادة على ذلك فقد اعتقد الإنسان المصرى القديم أن القرين سيحيا فى المقبرة بعد الموت . ولكن هذه الحياة لا يمكن تحقيقها إلا إذا توفرت بعض الشروط منها تحنيط الجثة حتى تحتفظ بصورتها الدنيوية فتتعرف عليه الكا ، وتوفير الطعام والشراب فى حجرة الدفن ، وحفظ تمثال فى المقبرة حتى تتعرف الكا فيه على القسمات الشخصية للمتوفى التى تفقدها الجثة عادة . ويلاحظ أن كل ما تركه المصرى من روائع الفن ، وكل ما شيده من أهرامات ومقابر ، كان لخدمة الكا قبل كل شيء . وتجدر الإشارة إلى أن الكا كانت فى الأصل خاصة بالملوك فقط . ومع التطور التدريجى ، أصبح هذا الامتياز الملكى حقاً لعامة الشعب. [٢] وكان القرين يمثل بذراعين مرفوعتين (شكل ٣١) .

Frankfort, H , Kingship and the Gods, Chicago, 1969, p. 69. (١)

Breasted, J.H., The Dawn of Conscience, London, 1947. (٢)

ترجمه للعربية ، س. حسن ، وراجعه عمر الاسكندرى وعلى أدهم ، بعنوان «فجر الضمير» ، ص ٦٧ .



شكل (٣١) القرين (كا) على هيئة ذراعين مرفوعتين

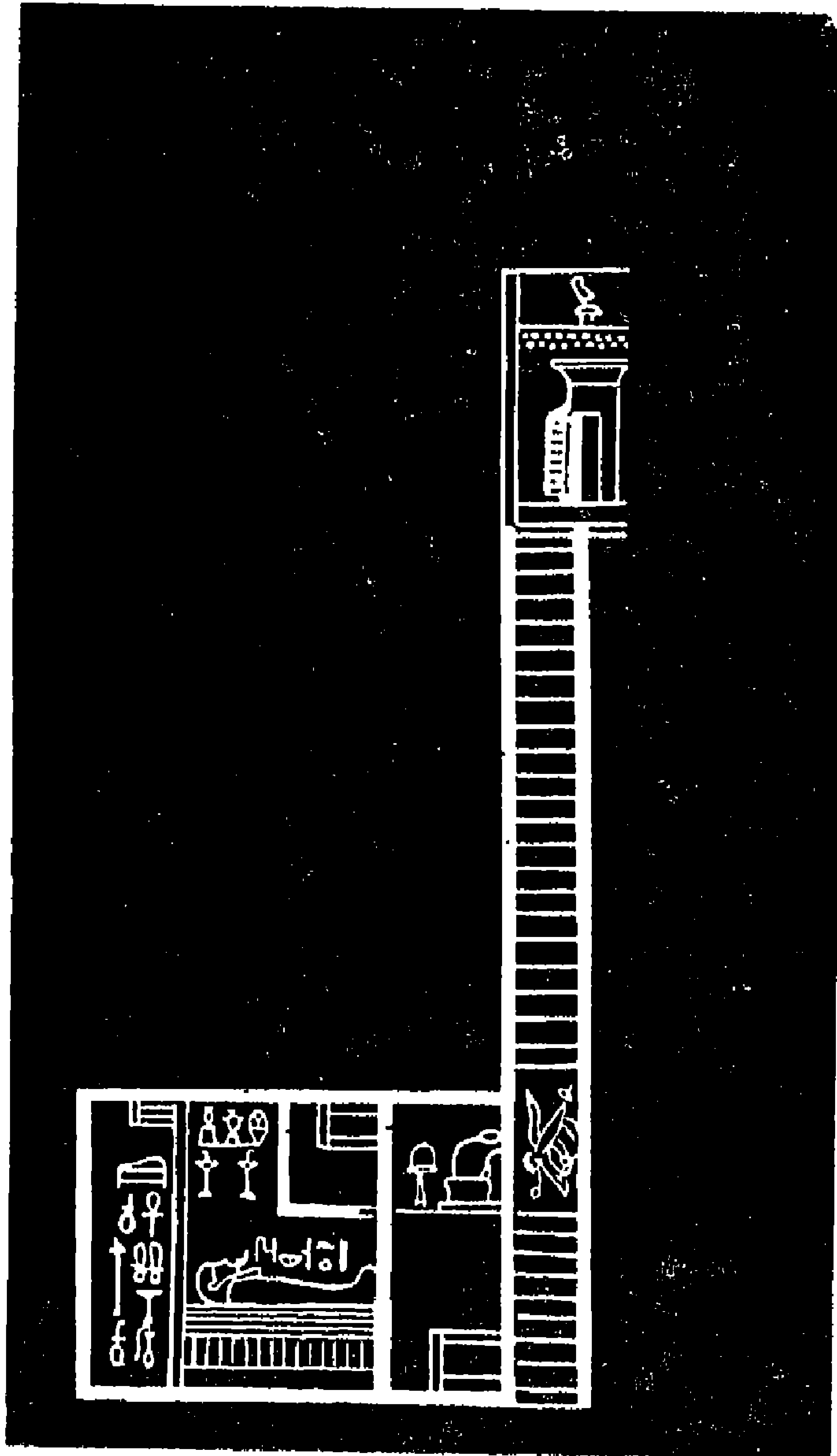
٢ - البا Ba : وهي عنصر الحياة ويطلق عليها الروح . وكانت تحلق كطير برأس بشر خلال فتحة المقبرة ، لتزور جسم المتوفى فى غرفة التابوت (شكل ٣٢) . ومن الأدلة النصية التى تدعم هذا المعتقد ، ما نقرأه فى أحد النصوص (ليت با المتوفى لا تنفصل عن جسده أبديا) .

٣ - الآخ Akh : عنصر إلهى يمثل شخصية صاحبه ، يذهب إلى السماء ويصبح نجما يتلألأ فى الليل .

٤ - القلب : سماه المصرى القديم « إيب » Ib وهو يشبه الضمير فهو يهدى الإنسان إلى الخير والشر .

وقد اعتبر المصريون القدماء أن الإنسان يبقى حياً بعد الموت . وكانوا يتصورونه يحيا فى العالم السفلى الذى يجتازه إله الشمس خلال الليل ، حيث يجول مع الموتى السابقين . وتخيلوا العالم السفلى يقع فى جهة تحت الأفق الغربى ، وأن أوزير كان حاكما عليها . وهذا المكان الذى عرف عند قدماء المصريين باسم حقول الغاب Fields of Reeds ، وعرف عند اليونانيين بحقول الفردوس

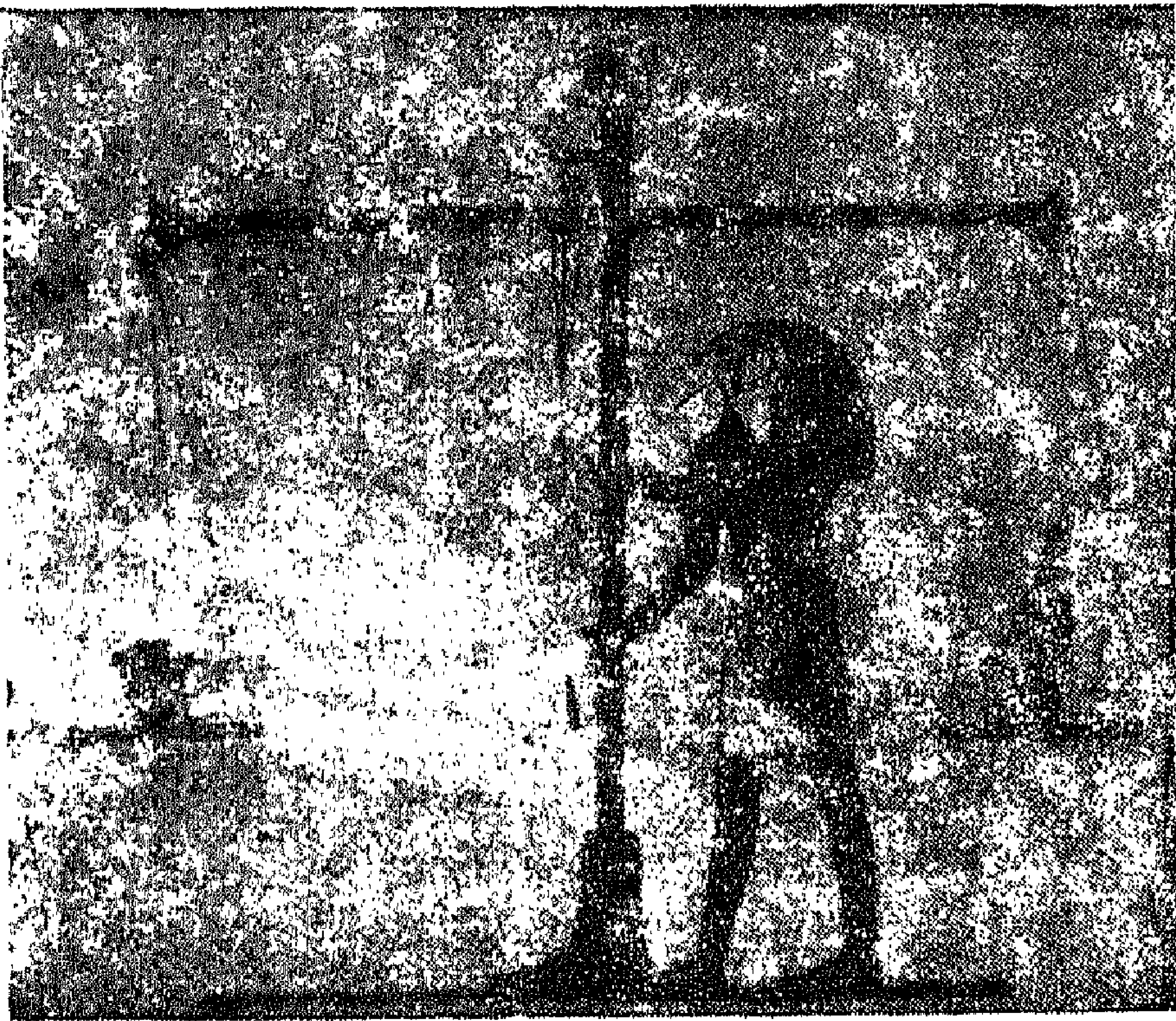
Elysian Fields ، مثلوه فيما بعد بمجموعة من الجزر Group of Isles يمكن الوصول إليها فى قارب سحرى حيث يستطيع أن يسكن فيها كل من رضى عنهم الإله (١) .



شكل (٣٢) الروح (با) تزور جسم المتوفى فى غرفة التابوت

(١) Edwards, op. cit., p. 30.

وتدل الآثار المصرية القديمة عن التفاصيل الخاصة بحياة المتوفى فى العالم الآخر مثل محاكمته فى محكمة خاصة بالإله أوزير إله الموتى والقاضى الأعظم بين هؤلاء الموتى . وكان من إجراءات المحاكمة أن يقف المتوفى بين يدى أوزير حيث يوضع قلبه فى أحد كفتى الميزان، بينما يوضع فى الكفة الأخرى رمز الحق والعدل ، الإلهة ماعت (١) (شكل ٣٣) وكان يتواجد فى هذه المحاكمة مجموعة من الآلهة الأخرى مثل تحوت إله الكتابة الذى كان يقوم بتسجيل الأحكام الصادرة بحق المتوفى وكذلك الإله أنوبيس إله الجبانة . فإذا أظهر



شكل (٣٣) محاكمة المتوفى فى العالم الآخر

الميزان أنه برىء ولم يرتكب أى خطيئة من الخطايا ، يسجل حكم المحكمة براءته ، وعندئذ يعتبر المتوفى كفرد جديد من أفراد رعية الإله أوزير .

(١) ج . . هـ . ، برستد ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

الفصل الثالث

عصر الاسرات المبكر

الاسرتين الاولى والثانية

من حوالى ٣٢٠٠ إلى ٢٧٠٠ ق.م.

الاسرة الاولى

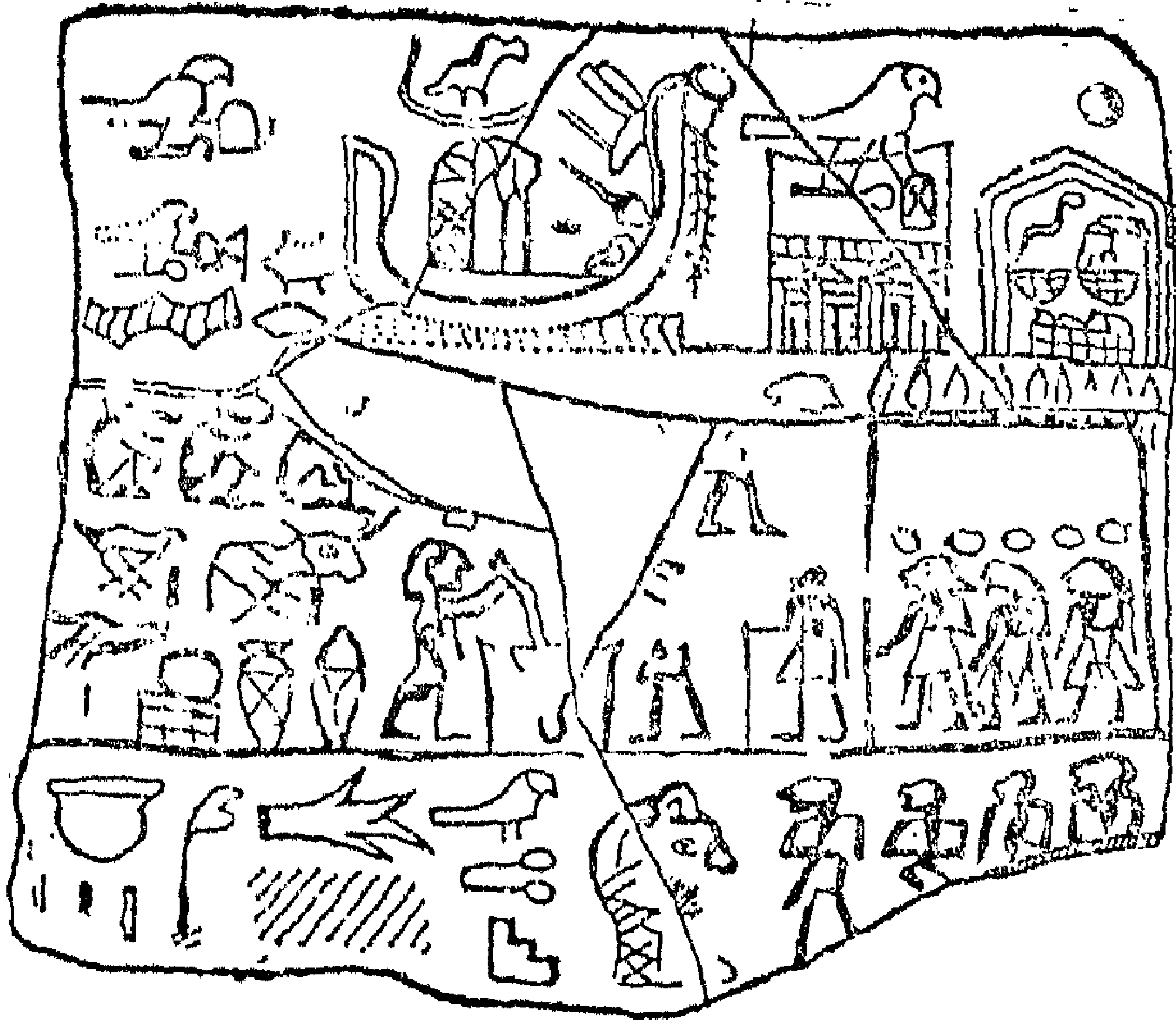
من حوالى ٣٢٠٠ إلى ٢٩٨٠ ق.م.

إختلف المؤرخون فى مؤسس الأسرة الأولى هل هو حور عحا Hor – Aha أم منى Meni أم نعرمر Narmer . ومن الأدلة الأثرية التى تشير إلى أن حور عحا هو مؤسس الأسرة الأولى ، تواجد مقبرة حور عحا الشمالية فى سقارة مع عدم تواجد أى آثار لنعرمر ، وكذلك اللوحة العاجية (شكل ٣٤) التى عثر عليها دى مورجان De Morgan عام ١٨٩٦ فى مقبرة نيت حتب بنقادة (ربما تكون نيت حتب زوجة نعرمر) ، ومسجل عليهـا الاسم الحورى للملك حور عحا [١] . وتمثل هذه اللوحة الاحتفال الخاص بالتوحيد السياسى فى عهد هـذا الملك .

وقد تعرف بورخارت Borchardt على الاسم النبتى المـلك منى على نفس اللوحة السابقة . ويستدل من هـذا المستند الأثرى ، على أن حور عحا ومنى شخصية واحدة ، [٢] وأن الملك حور عحا يمكن اعتباره على هذا الأساس أول

(١) Gauthier, M. H , Le Livre Des Rois D'Egypte, Le Caire, 1907, p. 29.

(٢) Emery, W.B., Hor Aha (Excavations at Saqqara), Cairo, 1939, pp. 4 – 7.



شكل (٣٤) اللوحة العاجية التى عثر عليها
فى مقبرة نيت حتب فى نقادة

ملوك الأسرة الأولى كما يقترح إمرى Emery [١]، ويؤيده فى ذلك دريوتون Drioton وفانديه Vandier ، على أساس أن اسم منى المسبوق بلقب نبتى والمجاور مباشرة لاسم سور عحا المسبوق باللقب الحورى يدل على أنهما اسمان لشخص واحد . ولو أن فيكنتيف [٢] Vikentief يخالف هذا الرأى ، ويعتقد أن العلامة التى تقع أسفل مجموعة نبتى ، ليست العلامة التى تنطق « منى » ولكنها تمثل المقاعد والسرادق المنصوب للاحتفال بعيد الحب سد Heb-Sed . ومن

---

(١) Emery, W.B.; Archaic Egypt, London, 1963, p. 49.

(٢) Vikentief, The Negadeh Tablet, Annales du Service des Antiquities de l'Egypte, Tome XXXIII.

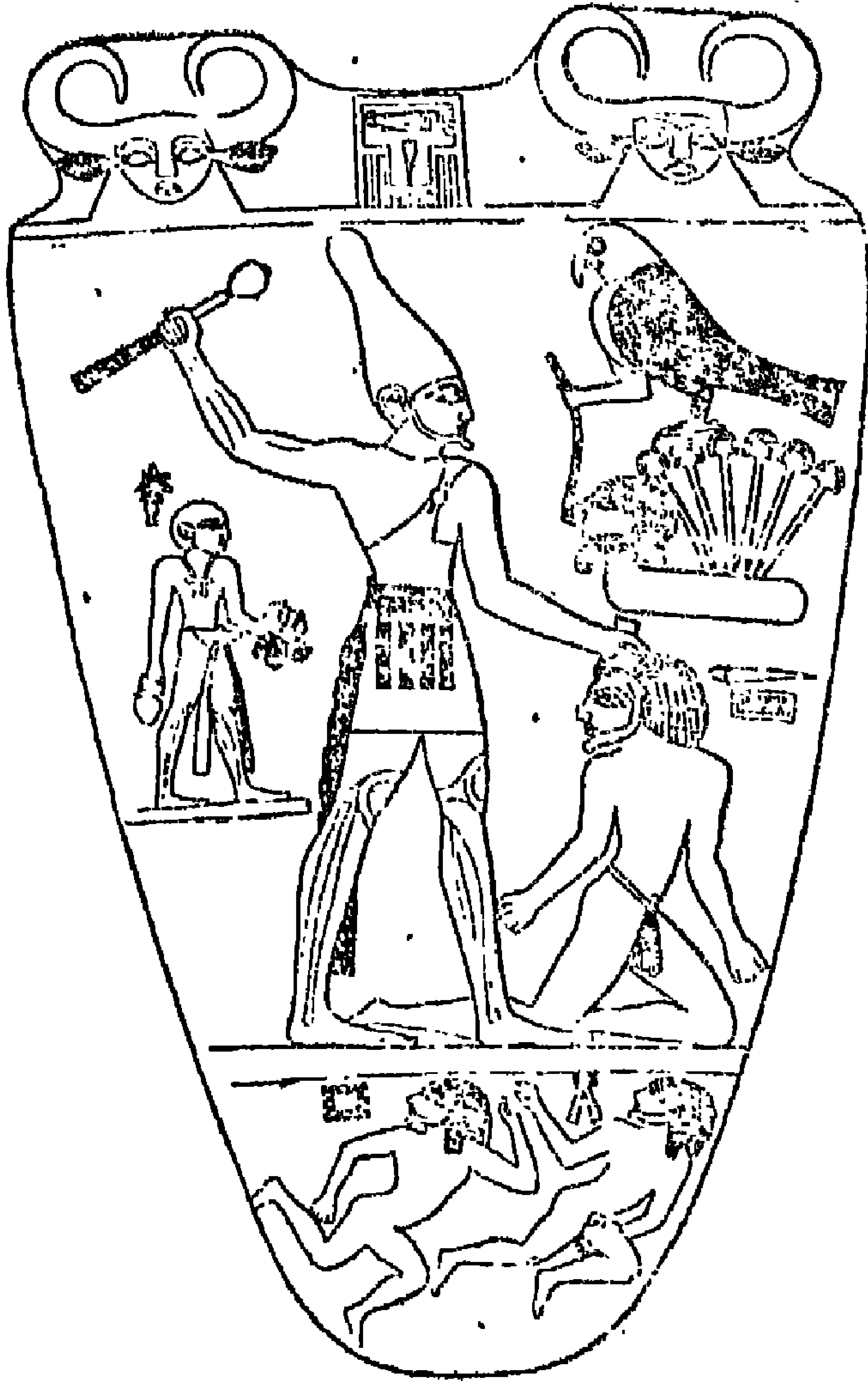
ناحية أخرى يعتقد زيته Sethe أن منى هو مؤسس الأسرة الأولى ويضع نعرمر خليفة له، بينما يخالفه فى هذا الترتيب بيكى Baikie فيضع منى خليفة لنعرمر ويطلق على منى « عحا منى » . وقد ورد ذكر اسم منى فى بردية تورين وفى لوحة أبيدوس ، وفى تاريخ مانيتون كما ذكره كل من هيرودوت وديودور الصقلى كمؤسس لمنف .

وأما الأدلة الأثرية التى تشير إلى اعتبار نعرمر أول ملوك الأسرة الأولى هى لوحته الشهيرة (لوحة نعرمر) Narmer Palette [1] (شكل ٣٥) حيث يوجد تمثيل للملك نعرمر فى انتصاره على الأعداء ثلاث مرات : مرة وهو يسحق رئيس الأعداء بصولجانه ، ومرة أخرى يبدو الإله حور وهو يقدم إلى الملك رأس بشرية يمر فى أنفها حبل وقد علتها علامات خمسة تفسر أحيانا أنها علامة (خا) أى ألف وفى هذه الحالة خمسة آلاف . وأحيانا أخرى علامة (محيث) أى الشمال ويقصد بها الدلتا . ويعتبر هذا التمثيل بمثابة تعبير رمزى بأن الإله حور قد ساعد نعرمر إما على أن يأسر خمسة آلاف أسير من الدلتا أو أن يهزم الدلتا . وفى مرة ثالثة يبدو الملك مصورا تصويرا رمزيا فى شكل ثور قوى يهدم بقرنية قلاع الشمال وقد هرب منها الأعداء ، والثور فى النقش يمثل الملك فى قوته على أنه ثور قوى . واستمر المصرى بعد ذلك يلقبه « كانحت » أى الثور القوى . وتفسير ظهور الملك على هيئة الثور القوى يعتبر نوعا من أنواع التمثيل الرمزى الدال على قوة هذا الملك . وفى الإمكان اعتبار لوحة نعرمر بمثابة نقطة البدء التى حددت الاتجاهات العامة لأسلوب

---

(١) عثر عليها كويبل فى نخن ، وهى موجودة حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٣٠٥٥ .

Quibell, J.E., Hierakonpolis I, London, 1900, pl. 1. and XXIX.



شكل (٣٥) ظهر لوحة الملك نعرمر

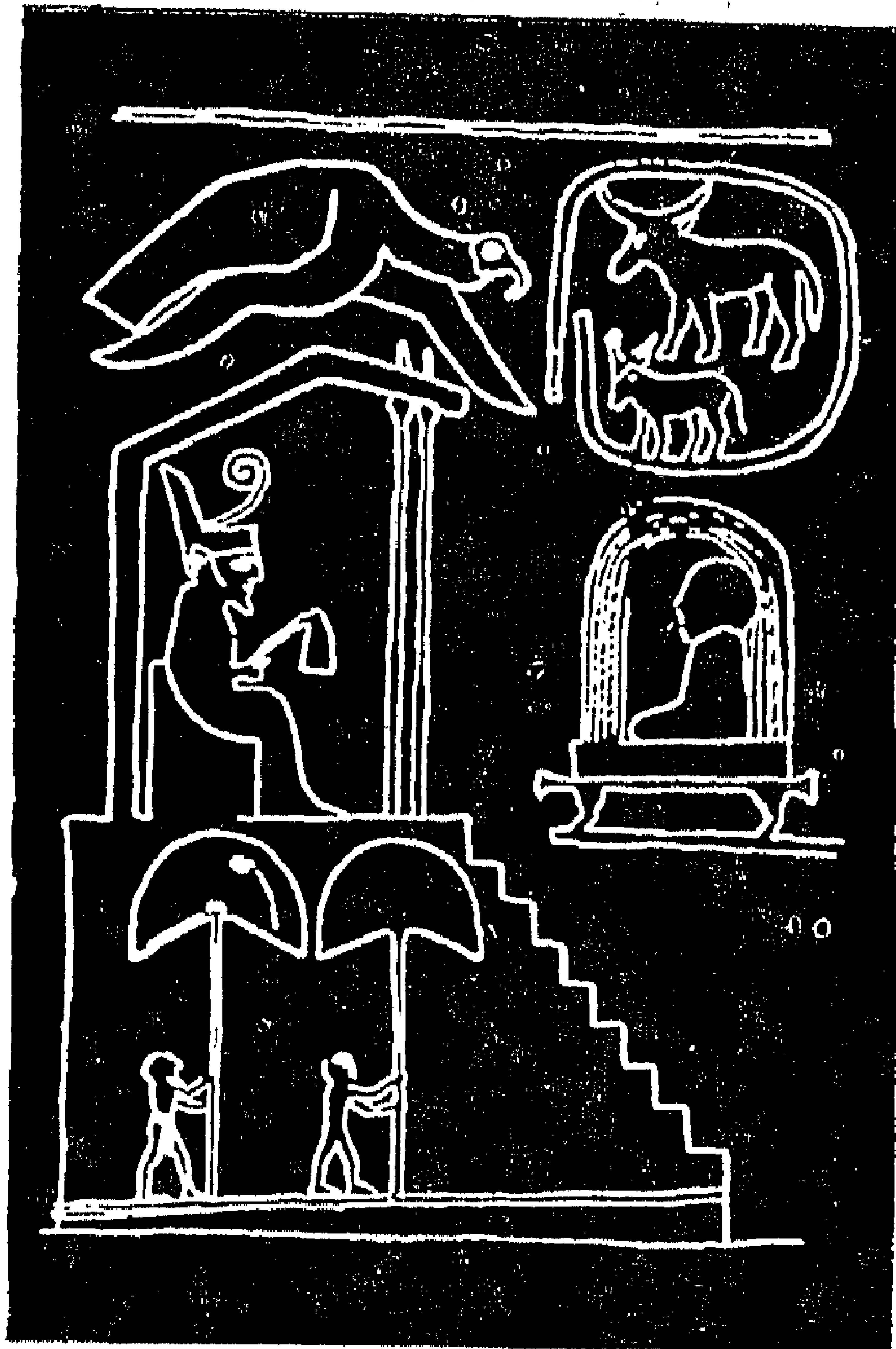
الفن المصرى القديم . بل فى الاستطاعة القول بأنه منذ لوحـــة نعرمر ، أصبح الفن هو الوسيلة الفعالة لتسجيل الدور الذى تلعبه شخصيـة الملك . ومن هنا جاء التزام الفنان القديم بأن يوضح فى نقوشه أهمية المشتركين فى الحدث وجاء تصويره كذلك لأهمية الملك بشكل يجعل الفارق بينه وبين أتباعه حقيقة ملموسة، ويبرزها أيضا باعتبار الملك الممثل الأرضى للإله حور الذى تتضاءل فى الصورة أحجام معارضيه وأعدائه .

كما عثر أيضاً على رأس دبوس للملك نعرمر (١) وتحمل نقوش هذا الأثر ارتباطاً وثيقاً بمناظر عيد الحب سد . فالملك يبدو فى النقش مرتدياً رداء الحب سد وفى يده المذبة وعلى رأسه التاج الأحمر وهو جالس فوق منصة عالية ، ومن فوق المنصة يوجد نقش للعقاب أو الإلهة نخبت ناشرة جناحيها رمزاً للحماية الإلهية للملك ، وعلى جانبى المنصة شخصان بحجم ضئيل يحملان المراوح الملكية . ويبدو أن الفنان مثلهما بجوار المنصة بغرض إظهار صورة الملك وإبرازها . شكل (٣٦) .

وعيد الحب سد هو عيد مصرى يفسر على أنه بمثابة اليوبيل الثلاثينى ، أو الاحتفال بمرور حوالى ثلاثين عاماً على تنصيب الملك على العرش حيث كانت الملكية المصرية القديمة أصلا لا تستمر أكثر من ثلاثين عاماً تنتهى بخلع الملك أو قتله لعدم صلاحيته . وكان مفهوم هذا الاحتفال ، يعنى تجديد شباب الملك فيستطيع بذلك إستعادة حيويته لفترة أخرى للحكم . ويقوم عيد الحب سد على تقاليد قديمة ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ ، عندما كان الحكام يمكثون فى الحكم فترة معينة قبل أن ينهوا حياتهم فى احتفال خاص . ويعتقد فخرى (٢) أن قتل الحاكم حسب هذه العادة التقليدية قد توقف قبل ظهور الأسرة الأولى . وفى الإمكان إرجاع أصل هذا العيد إلى فكرة تأخذ بها جميع المجموعات البشرية فى بداية حضارتها . وطبقاً لهذه العادة ، كان لايسمح للملك أو الحاكم أو الزعيم بأن تزيد مدة حكمه على ثلاثين عاما . فإذا ما انتهت فترة حكمه ، كانوا يقتلونه

(١) Quibell, J.E., Ibid., pl. XXVI A and B and Smith W.S., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom, Oxford, 1946, p. 115, Fig. 31.

(٢) أ . فخرى ، الأهرامات المصرية ، القاهرة — نيويورك ١٩٦٣ ، ص ٤٧ .



شكل (٣٦) رأس دبوس الملك نعرمر

لأنهم كانوا يعتقدون بوجود ارتباط كبير بين الحاكم والطبيعة . فإذا ما تقدمت به السن ، فسوف يؤثر هذا على مظاهر الطبيعة فيقل المطر ويقل المحصول وتضعف الماشية . وإذا ماتغير هذا الزعيم فان صفات الحاكم الجديد وهو عادة يكون كشاب ملىء بالنشاط والفاعلية ، فيعم الخير فى هذه الحالة . ونجد مثل هذا الارتباط فى كثير من القبائل البدائية سواء فى أواسط أفريقيا أو فى استراليا حيث كان الكاهن الساحر يقوم بنفس وظيفة الحاكم فى العصور القديمة . وفى بعض القبائل كان الحاكم يستطيع أن يجدد شبابه إذا ماقام بتأدية بعض المراسيم

كان يثبت قوته باصطياد أسد أو قتل عدو أو بتقديم بعض القرابين كاسترضاء الإله بتشييد معبد جديد له . ويبدى دريوتون (١) رأيه فى احتفال الحب سد بقوله ، أنه يعتبر وسطا بين بقية راسخة من تقليد همجى وبين فكرة إنسانية من أجيال أكثر تطورا . أما برستد Breasted (٢) فيتجه إلى القول بأن كلمة سد تعنى الذنب إشارة إلى مرور ثلاثين عاما على ارتداء الملك ثوب ذى الذنب. ولو أن مرى Murray (٣) قد أشارت إلى اسم الإله سد الذى ورد اسمه على حجر بالرمو . وربما يكون معنى الحب سد هو العيد الختامى .

ومنذ الأسرة الأولى ، ظل الملوك يحتفلون بعيد الحب سد وفق مراسيم خاصة كانت تقام فى بعض المبانى المعدة فى هذه المناسبة .

ومهما كان الأمر ، فإن مؤسس الأسرة الأولى قد جاء بعد ملك آخر يحكم مصر يدعى الملك عقرب وهو الذى تشير الأدلة الأثرية المنقوشة إلى وجوده ، ومنها رأس دبوس عثر عليه فى نخن (٤) - وتمثل نقوش هذا الدبوس صفا من الألوية ، علق عليها بعض الطيور الميتة ، وعلق بالبعض الآخر أقواس مما قد يرمز إلى انتصار الملك على بعض سكان مصر والقبائل المجاورة فى سبيل إرساء النظام

---

(١) Drioton, E., et Vandier, J., l'Egypte,
ترجمة للعربية عباس بيومى ، وراجعه محمد شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلى ، بعنوان « مصر » ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ١٦٢ .

(٢) Breasted, J.H., A History of Egypt From the Earliest Times to the Persian Conquest, London, 1935., p. 39.

(٣) Murray, A., Index of Names and Titles of the Old Kingdom, London, 1908, p. 30;

(٤) عثر عليه كويبل فى نخن ، وهو موجود حاليا بمتحف الأشموليات بأكسفورد .
Quibell, J.E., Op. Cit., pl. XXV & XXVC.

الملكى . وفى النقش ، يبدو الملك فى حجم كبير وهو يحتفل ببعض الأعمال الزراعية ، (شكل ٣٧) بعد أن أكد انتصاراته الحربية . كما يتمثل فى صورة الملك الطريقة الفنية المتبعة فى تلك المرحلة من حيث تمثيل الأشخاص تبعـــا لمركزهم الاجتماعى .



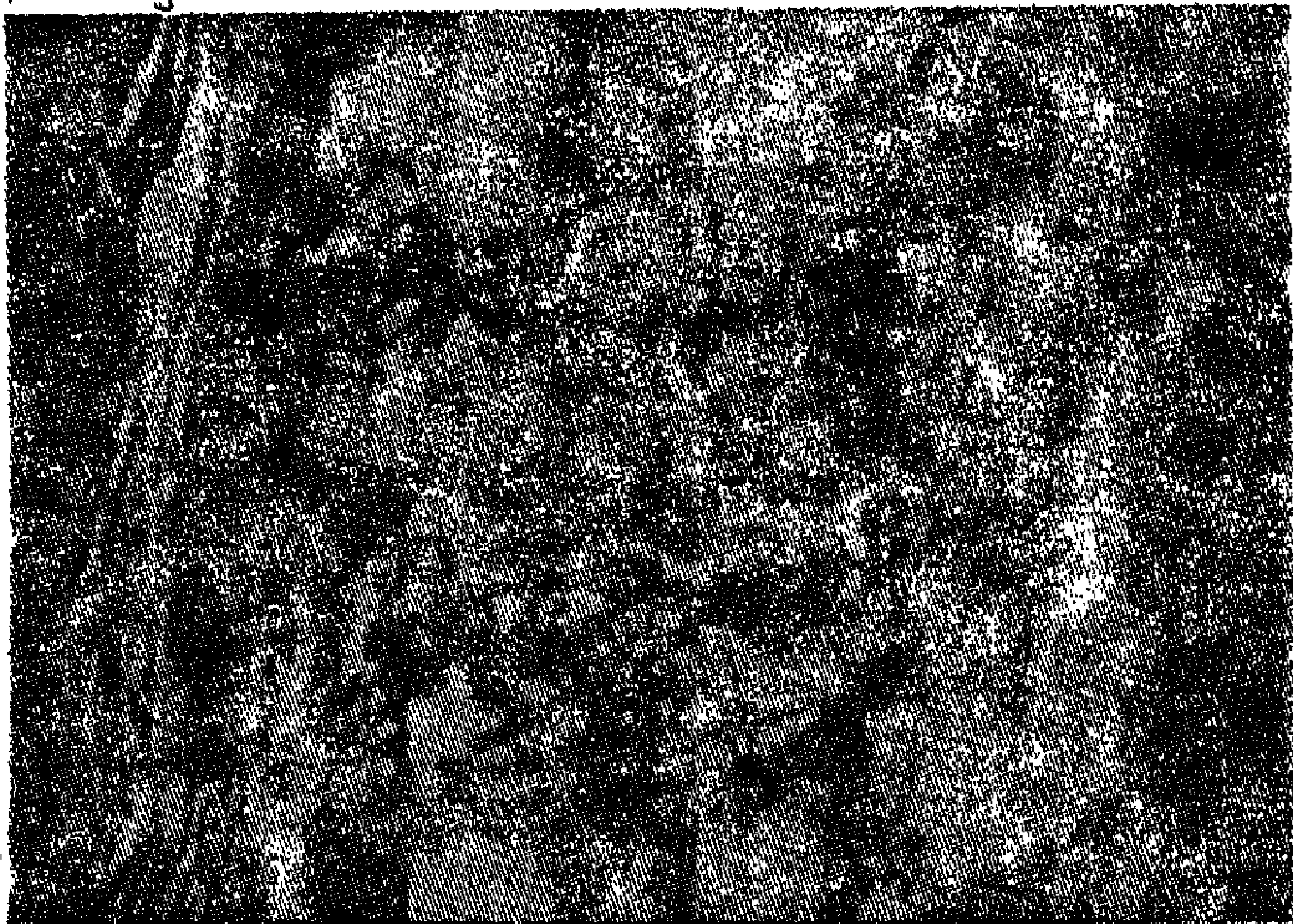
شكل (٣٧) رأس دبوس الملك عقرب

وهكذا نرى اختلاف المؤرخين فيما بينهم فى اسم مؤسس الوحدة الأولى وأن هناك أكثر من دليل مادى يستطيع كل مؤرخ أن يستند اليــه . ولايزال الامر يحتاج إلى تدعيم أقوى بالأدلة الاثرية .

ولقد كانت أولى العواصم المصرية تقع بالقرب من أبيدوس وتسمى ثنى . وربما تكون هى قرية الطينة الحالية أو قرية البربا أو تكون قريبة من مدينة

جرجا الحالية وكانت ثنى هى المقر الرسمى للملوك ، ولو أنهم كانوا يقيمون فى الشمال من وقت لآخر فى مدينة سميت القلعة البيضاء التى أقامها أول ملوك الأسرة الأولى . وهى التى أصبح إسمها « من نفر » منذ عصر الأسرة السادسة وأسماها اليونان ممفيس Memphis وحرفها العرب فى كتاباتهم إلى منف .

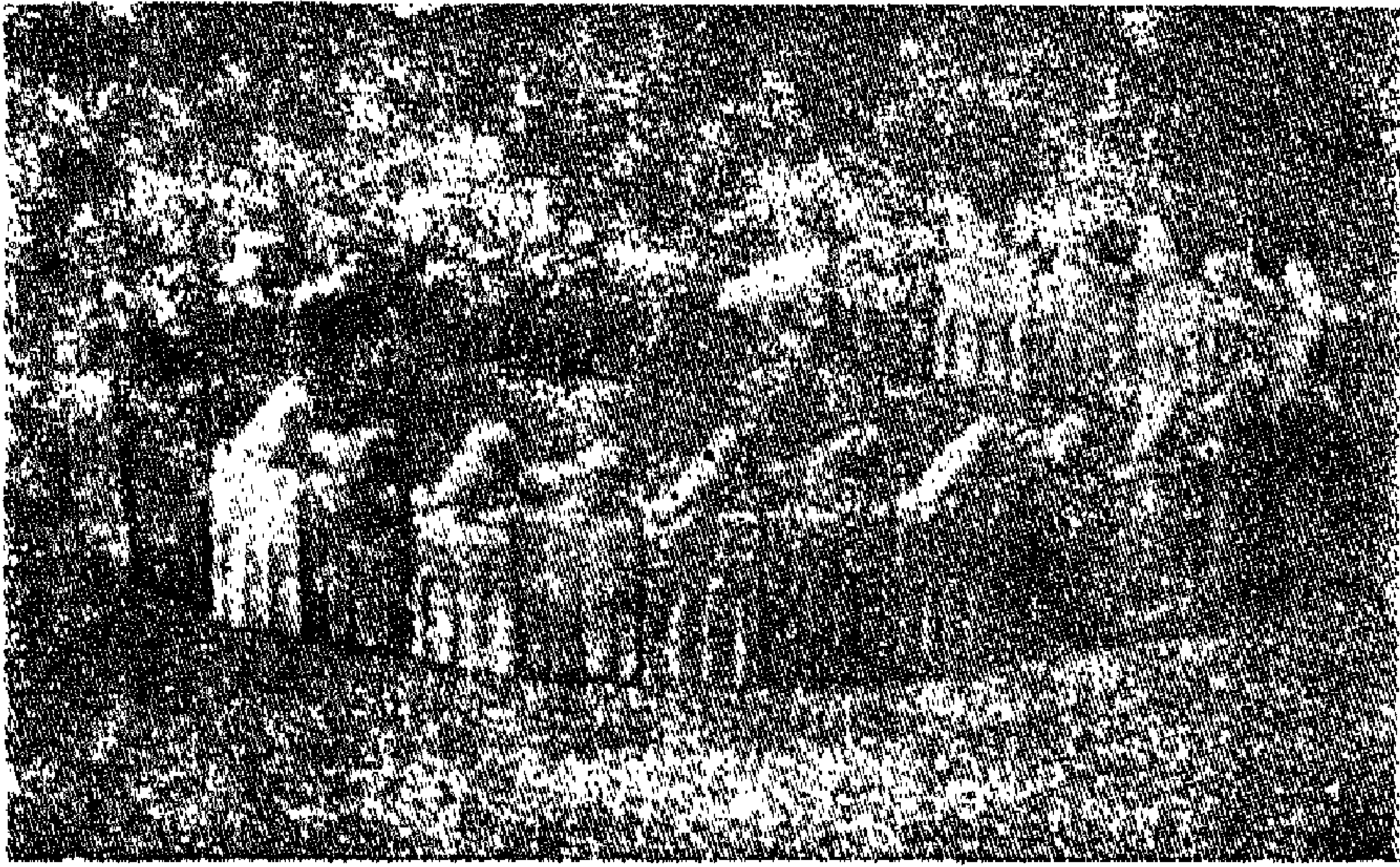
وقد خلف أول ملوك الأسرة الأولى ملك آخر هو الملك جر Djer (إتى الثانى) الذى روى مانيتون عنه أنه كان طبيبا . وتوجد بردية مشهورة وهى بردية إيبرس الطبية فيها إحدى الوصفات المنسوبة إليه . وتمتاز آثاره بكثير من التقدم الفنى . فقد عثر بترى فى مقبرة جر بأبيدوس على ذراع مفصولا عن جسدها حوله سوارات من الذهب والأحجار الكريمة لزوجة جر (١) (شكل ٣٨) .



شكل (٣٨) أساور زوجة الملك جر

(١) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, Part II, London, 1901, p. 17, pl. 1.

ويلاحظ فى تصميم الإسورة الأولى منها أنها اتخذت شكل إفريز واجهة قصر تعلوها مجموعة أشكال الإله حور متخذة هيئة صقور (شكل ٣٩). كما أن الخاتم الملكى الذى يخصه، فقد وجد منقوشا عليه صورته وهو جالس على العرش لابسا تاج الوجهين ويرى اسمه منقوشا داخل السرخ أو الخانة الملكية



شكل (٣٩) الإسورة الأولى من أساور زوجة الملك جر

(والسرخ عبارة عن مستطيل يمثل واجهة قصر ويهيمن عليه الصقر). ويشير حجر بالرمو إلى قيام الملك جر بحملة ضد الأسيويين كما قام بحملة ضد أهل النوبة. وهذا يدل على اهتمام الملوك فى ذلك الوقت بتأمين حدود مصر الجنوبية، وفتحهم المنطقة الواقعة جنوبى الشلال الأول (عند أسوان) وذلك للتجارة مع السودان. ويوجد نص منقوش على صخر بالقرب من وادى حلفا يشاهد فيه الملك جر وأمامه أسير ممسك بالقوس الذى يمثل بلاد النوبة وأسرى آخرون. كما يوجد نقش على لوحة عثر عليها فى سقارة تبين الملك منتصراً على الليبيين. وقد عثر على مقابر للحاشية حول مقبرته فى أبيدوس وكان معظمهم من النساء وقد سجلت أسماؤهم على لوحات حجرية. وربما كان هؤلاء الخدم قد ضحى بهم عند دفن الملك. وقد حكم جر أكثر من تسعة عشر عاما.

وفى عهد خلفة الملك جت Djet (الثعبان - إتى الثالث) فقد سجل حجر بالرمو عن عهده إهتمامه بالمعابد ووضع أساساتها وتخطيطها ، واهتمامه بالأعياد الدينية التى كانت تعتبر تأريخا ثابتا لتسمية السنة التى أقيمت فيها . وقد عثر على مشط عاجى(١) بمقبرة جت بأبيدوس منقوشا عليه منظر للإله حور وهو يعبر السماء فى قارب . وهذا التعبير يرمز إلى اعتقاد الإنسان المصرى القديم بأن حور كان الإله العظيم إله السماء وله جناحان ممدودتان وبين الجناحين السماء . وفى النقش ، يظهر الاسم الحورى الملكى منقوشا داخل السرخ يعلوه الإله حور .

وفى عهد الملك جت ، نرى سياسة التوسع التجارى واستغلال المناجم والمحاجر واستخدام الطرق الصحراوية ، إذ عثر على اسم هذا الملك منقوشا على صخور أحد الطرق من إدفو إلى البحر الأحمر .

وقد خلفه على العرش الملك دن Den (عاستى — وديمو) الذى عرف عنه الكثير وخاصة من حجر بالرمو . وقد اتخذ لنفسه لقبا جديدا باستخدام رمزى نبات السوت والنحلة (لقب النيسوت بيتى) أى ملك الوجه القبلى والبحرى . وقد عثر على عدة لوحات فى مقبرته بأبيدوس تمثله إحداها وهو يقتحم حصنا ويهزم الليبيين . وقد عرف بمهاجمته للبدو فى شرق مصر ، فقد عثر على لوحة عاجية من أبيدوس يبدو فيها دن وهو يضرب زعيم البدو ويقرأ فى النص « أول مرة لضرب الشرق » ، وربما كانت مهاجمته للبدو بغرض تأمين طرق التجارة لاستيراد المعادن من سيناء . ويوجد بالمتحف المصرى لوحة عاجية الملك عثر عليها

---

(١) موجود حاليا بالمتحف المصرى

Frankfort, H.; Op. cit., p. 38.

بابيدرس تمثله وهو يحتفل بعيد الحب سد . وفيها يبدو الملك لابسا تاج الوجهين وقد مثل وهو جالس على كرسي العرش ، ومثل مرة أخرى وهو يجرى بين سمع علامات موزعة ثلاثة ثلاثة في صفين عموديين ، مما يشير إلى الطواف الذى كان يقوم به الملك حول الجدار . ويقصد بالجدار الذى أقيم بالقرب من المكان الذى أسست عليه منف . وكان دوران الملك حول هذا الجدار يحيي ذكرى الظروف التي دفعت إلى إقامته، وهي انتصار الجنوب على الشمال واتحاد البلاد . كما كان الهدف من الجدار هو صد هجمات الشماليين والحماية من غارات الليبيين .

ومن أهم الآثار في عهد الملك دن كذلك ، نشير إلى مقبرة حماكا بسقارة . وكان حماكا وزيرا وحاملا لأختام الوجه البحرى ويحمل لقب المسيطر على قلب الملك . وقد احتوت مقبرته على العديد من الحجرات فوق سطح الأرض مما يشير إلى رفاهية أصحابها في ذلك العهد . ولو أن إمرى يميل إلى اعتبار تلك المقبرة هي مقبرة الملك دن الشمالية .

وقد خلف دن على العرش ابنه عدج إيب Adje-ib (مرى - با) الذى سجل حجر بالرمو احتفاله ببعض الأعياد الدينية ومنها عيد الحب سد ، وتأسيس مدن في عهده ، ثم قيامه بعمل إحصاء شامل في البلاد كان يتكرر كل عامين . ويعتبر أول ملك يرد اسمه في قائمة سقارة مما يدل على اعتراف الشمال به كأول حاكم شرعي من طينة . ويشير حجر بالرمو كذلك إلى قيامه في العام الثانى من عهده بحملة ضد الايرنتيو الذى يرجح بعض المؤرخين أنهم سكان مصر الأوائل الذين طوردوا منذ حكم أتباع حور . وقد قام عدج إيب بصد إحدى موجات هجومهم . ويشير مانيتون إلى استمرار حكمه ستة وعشرين عاما .

أما الملك سمرخت Semerkhet (سمحبس - إرى نتر) فقد ظهر على هيئة

كاهن فى جدول أبيدوس ، كما ظهر اسمه يعلوه الإله حور على لوحة حجرية عثر عليها فى مقبرته بأبيدوس . ولقبه يعنى « الضارب » حيث أن اسمه أول إسم يرد على صخور سيناء مخلدا بذلك انتصاره على البدو فى وادى مغارة ، ولو أنه يعتقد أن هذا الأثر يخص الملك سخم خت من الأسرة الثالثة . وتشير الأدلة الأثرية التى تخلفت عن عصره ، عن بدء المنازعات بين أفراد الأسرة المالكة . فقد محا اسم سلفه عدج إيب من الأوانى الحجرية ، كما أن قائمة سقارة الملكية تجاهلت ذكر سمرخت ، مما يحمل على الاعتقاد بأن حكمه لم يكن مستقراً . ويبدو من النقوش الموجودة على الأوانى الحجرية التى عثر عليها فى مقبرته بأبيدوس ، على منظر له وهو يحتفل بعيد الحب سد ، كما ظهر اسم « حنوكا » وهو موظف كبير فى عصر هذا الملك على بطاقة سمرخت العاجية بأبيدوس . وقد دام حكم سمرخت تسع سنوات .

وآخر ملوك الأسرة الأولى هو الملك قاعا Kaa (قاع سنى) ، وقد وجد اسمه مكتوبا على كثير من محتويات مقبرة كبيرة فى سقارة منقوش عليها بعض أسماء الموظفين ووظائفهم . كما ورد اسمه على آثار فى قبرأبيدوس . ولم يعثر حول مقبرته على مدافن للتضحية البشرية مما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه العادة قد توقفت فى عهده ، ولكن عثر على مقبرة جانبية تخص بعض النبلاء مثل « مركا وسابف » . كما توجد بعض النقوش التى تظهر الملك قاعا وهو يحتفل بعيد الحب سد .

الأسرة الثانية

من حوالى ٢٩٨٠ إلى ٢٧٠٠ ق. م.

لا يعرف على وجه التحديد الظروف التى أدت إلى تغيير الأسرة الأولى ودفعت إلى قيام الأسرة الثانية . وقد ذكر مانيتون أن الأسرة الثانية نشأت فى طينة، وأن الملوك الذين تولوا عرش هـذه الأسرة كان أولهم حتب سخموى Hotep – Sekhemui (حوتب) الذى حكم ٣٨ عاما . وقد ظهر اسمه مع أسماء رع نب ونى نثر على تمثال جرانيتى وجد فى منف . ولم يعثر على مقبرته بعد ، ولو أنه عثر على إسمه منقوشاً على أختام وجدت فى دهليز سفلى بسقارة . ويشير مانيتون إلى حدوث زلزال فى عهده فى الدلتا مما أدى إلى هلاك الكثير .

وقد خلفه على العرش الملك رع نب Re–Neb (نوب ـ نفر) الذى يستدل من نقوشه على ظهور اسم الإله رع لأول مرة فى أسماء الملوك . والنقش المذكور مدون على قطعة من آنية [1] حجرية نقش عليها اسم الملك داخل السرخ يعلوه رمز الإله حور . كما وجد اسمه كذلك على أختام طينية فى سقارة، وعلى مقربة من طريق يؤدى للواحات الخارجة . وقد أشار حجر بالرمو إلى استيلائه على بعض المدن بالدلتا . كما ورد ذكره لجباية الضرائب والاحتفال بعيد الإله حور حامى الملكية ، وعيد الإله سوكر إله منف .

وتولى العرش بعد ذلك الملك نى نثر Ninétèr (نثرى مو) الذى أشار حجر بالرمو إلى اهتمامه بالأعيـاد الدينية وإجراء الإحصاء . كما أنشأ مقرا يسمى « حور رن » . ويوجد إشارة إلى وجود حرب أهلية قام بها أهل الشمال عـا

---

(1) Petrie, W. M. F., Op. Cit., p. 26, pl. VIII, 12.

اضطر إلى إخضاعهم وتدمير مدينة شرع . ولم يعثر بعد على مقبرة فى ثنر ولو أنه وجدت بعض الأختام والأوانى بالقرب من الجيزة وقد نقش عليها اسمه .

وقد تلاه على العرش سخم إيب . وفى عهده ، كثرت المنازعات ووصلت الأمور إلى درجه محاولة تغيير نظام الدولة العام والثورة على عبادة حـور . ولقد سبقت الإشارة إلى أن ست كان المعبود الرئيسى فى الصعيد ، ولكن انتشار عبادة حور كادت تطغى على عبادة ست ، وخاصه عندما أصبح الملوك أنصاف الآلهة قبل بداية الأسرة الأولى يتجسدون حور ، مما يؤكد صلة الفرعون بالإله حور بحمله ورثاً له يحمل اسمه ويتجسد شخصيته ولكن حدث نوع من الثورة ضد الإله حور عندما أعلن الملك سخم إيب الحرب على الإله حور وعبد الإله ست ، وغير اسمه إلى برإيب سن Peribsen . ونرى فى آثار الملك برإيب سن هيمنة الإله ست فى عهده ، فقد عثر على لوحتين فى مقبرته بأبيدوس يعلوهما رمز الإله ست بدلا من الإله حور التقليدى . ولعل هذا الحدث يكون منفرداً فى تاريخ مصر ، حيث يستدل من هذه النقوش أن الإله ست اعترف به رسميا فى عهد الملك برإيب سن . ويبدو أن عبادة ست قد استمرت زمنـا طويلا بعد موت برإيب سن . ويدعم هذا الافتراض ، النقوش الموجودة على خاتم (١) أحد موظفى برإيب سن ، والتى توضح أن الإله ست قد أعطى حكم القطرين إلى ابنه برإيب سن أى أن الإله ست الذى حكم الوجه القبلى قبل أتباع حور هو الذى ولاه على البلاد وليس الإله حور . كما أن العامل الرئيسى فى تصرف الملك برإيب سن ربما كان سببه نوعا من أنواع الشعور بعدم القدرة على بسط سلطانه على الدلتا . فمع وجود السلطة فى يديه ومع تمتعه بالجلوس على عرش الدلتا مع

---

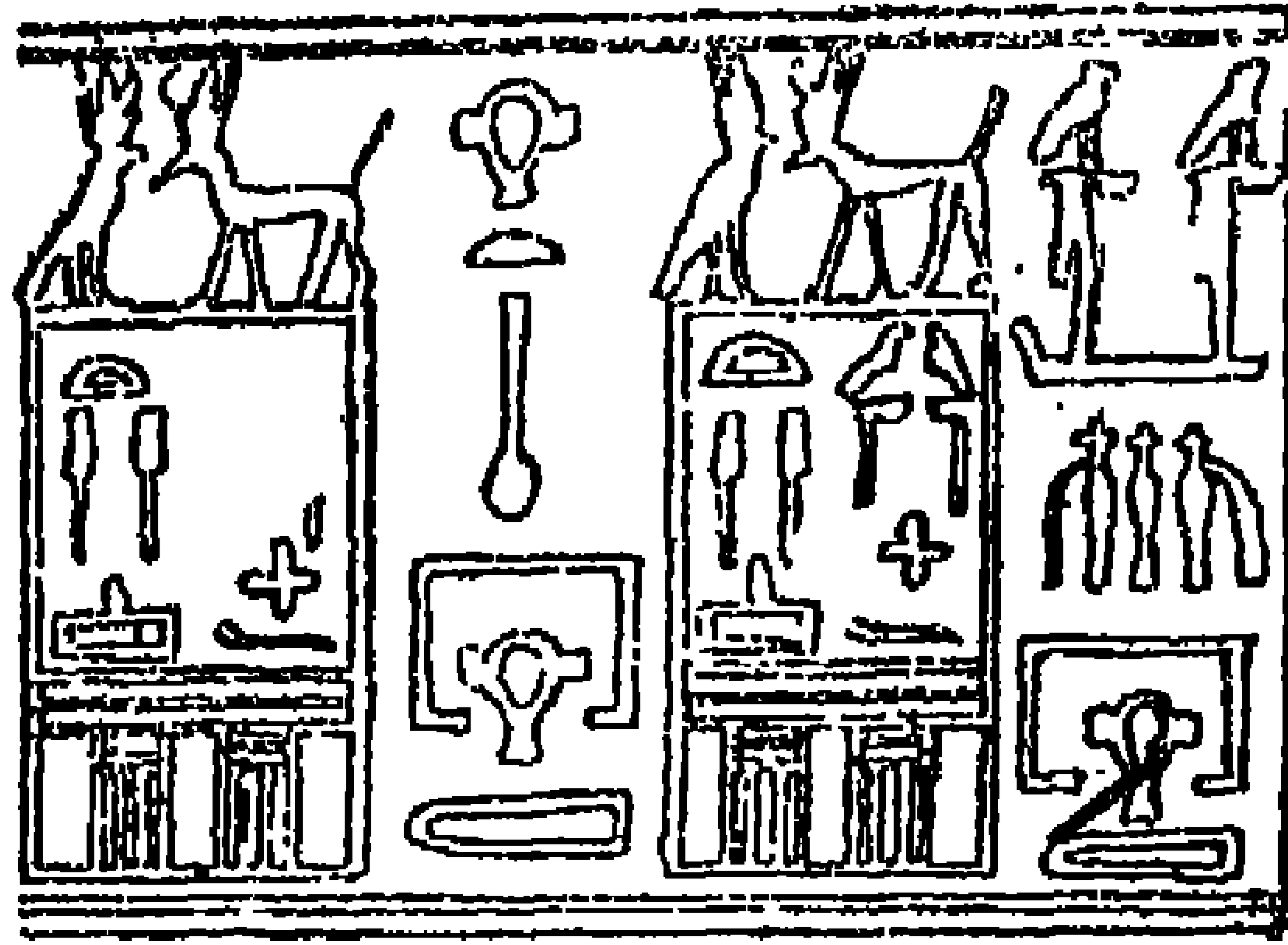
(١) Petrie, M. F., Ibid., pl. XXII, no. 178.

عرش الصعيد ، إلا أنه شعر بثقل التفوق الحضارى لأهل الدلتا فغضب ، وأراد أن يؤكد جنوبيته بشكل قاطع فأزال الرمز المقدس التقليدى وهو الصقر رمز الإله حور ، ووضع رمزاً يعتبر بحق هو الرمز الجنوبى الأوحد وهو الإله ست. ويرى بعض المؤرخين فى اسم السرخ الذى اختاره لنفسه وهو برايب سن ، أنه يعنى الذى يخرج قلوبهم ، أو بمعنى آخر الذى يبقر بطونهم . ولعل هذا الاسم بالذات يدل على مدى الغضب وحب الانتقام من أهل الشمال فى الوقت الذى كان هو الحاكم الرسمى لهم. ولم يقف برايب سن عند هذا الحد ، بل استقر فى الصعيد وشيد قبره فى أبيدوس وليس فى سقارة . وما من شك فى أن أهل الصعيد وكهنة ست بالذات رحبوا بهذا التغيير .

وقد خلف برايب سن على العرش على ما يبدو الملك سندجى الذى لا يوجد له سوى تمثال برونزى يحمل اسمه . وقد أشارت قائمة الملوك بتورين إلى الملك نثركا ، ولو أن قائمتى سقارة وأبيدوس تجاهلتا الاسم .

أما مانيتون فقد أشار إلى نفر شيريس خليفة لنثركا وذكر أنه حكم ٢٥ عاماً. وتشير أحد الأساطير من عهده إلى فيضان النيل عسلا . ثم تولى العرش بعد ذلك خع سخم Kha - Sekhem الذى عادت عبادة حور وتمجيده فى عهده . والذى لا نعرف حقيقة صلته بـ برايب سن هل هو ابنه ، أو زعيم من الزعماء اضطر لمواجهة ثورة الشمال ضد ما قام به برايب سن من الثورة الدينية . ولكن الشواهد الأثرية تشير إلى حملاته لإخماد ثورة الشمال. ويتضح ذلك من النقوش الموجودة على قاعدة تمثاليه فى المتحف المصرى، ومتحف الأشموليان بأكسفورد ، وعلى بعض الأوانى الحجرية التى كتب عليها « عام مقاتلة العدو الشمالى داخل مدينة نخن » . وتظهر الإلهة نخبت فوق علامتى بش (أى الثوار) وسما (أى رمز توحيد البلاد) أمام الحور خع سخم . وفى أسفل المنظر يبدو خع سخم مع نص والذى

يخضع البلاد الأجنبية » . ويتجه بعض المؤرخين إلى القول بأن خع سخم قد خلفه ملك آخر يدعى خع سخموى Kha – Sakhemui استطاع أن يرضى كلا من الشمال والجنوب فاتخذ شعار الإلهين حور وست (شكل ٤٠) .



شكل (٤٠) سرخ الملك خع سخموى

ويعتقد كلا من ميللر Müller ونافيل Naville بأن الملك خع سخم غير اسمه بعد انتصاره على أهل الدلتا فأصبح خع سخموى . ولكن زيته Sethe يعارض هذا الإدماج ، ويفضل اعتبار كل من الملكين شخصيتين مختلفتين، فيضع خع سخم فى رأيه فى الأسرة الثانية ويضع خع سخموى فى الأسرة الثالثة .

وفيما يتعلق بلقب خع سخموى ، فهو يعنى الذى توج بالتاجين مما يدعم الرأى القائل بقيام نزاع بين أتباع حور وست فى أواخر أيام الأسرة الثانية ، تسبب عنه قيام فوضى قضى عليها هذا الملك ، فاتخذ الشعار الحورى مع شعار الإله ست (١) كنوع من المصالحة الوطنية مما أدى إلى استقرار وحدة البلاد نهائيا فى عهده . وبعد أن كان اسمه خع سخموى ، زيد عليه لقب « الإلهان

(١) Petrie, W. M. F., A History of Egypt From the Earliest Kings to the XVI th Dynasty, London, 1924, p. 38.

فى سلام » . وقد شيد مقبرته بأبيدوس ، كما عثر له على مبانى أخرى فى هيراقونبوليس (نخن) ، من بينها باب جرانيتى نقش عليه اسمه بالكامل وصورته مع الإلهة سشات إلهة الكتابة فى احتفال دينى . وبموت هذا الملك ينتهى عصر الأسرات المبكر .

مظاهر الحضارة فى عصر الأسرات المبكر

أولا — نظام الحكم :

استقرت المفاهيم المصرية القديمة بوجه عام خلال الألف الثالث ق.م . على دعامتين أساسيتين هما : نظام الملكية الإلهية وعقيدة الخلود . ويدفع ذلك إلى ضرورة البحث والتنقيب عن أصول المفاهيم والأسس التى تنبنى عليهما . وتعود أصول عقيدة الملكية المصرية القديمة إلى عصور ما قبل التاريخ ابتداء من مجتمعات العصر الحجرى الحديث المستقرة وأثناء عصور ما قبل الأسرات . ولكن سرعان ما تبلورت مع بداية العصر التاريخى وبدأت تأخذ مكانها الفعال مع احتفاظها ببعض التقاليد المنتمية إلى عصور ما قبل الأسرات بشكل مباشر أو غير مباشر . وقد اختلف المؤرخون فى تفهمهم لكيفية نشأة الملكية المصرية القديمة . فبينما يميل ولسون [١] وفرانكفورت [٢] إلى الاعتقاد بوجود فكرة الملكية الإلهية فى عصر ما قبل الأسرات بطريقة غير منظمة ولكنها

---

(١) Wilson, J. the Burden of Egypt, Chicago; 1951.
ترجمه للعربية ، أ . فخرى ، بعنوان « الحضارة المصرية » القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٩٩ .

(٢) Frankfort, H , Op. Cit., pp. 15 — 23 .

وجدت قبولا لدى الإنسان المصرى القديم مع قيام الأسرة الأولى . يرى إرمان (١) أن الفرعون لم يصل إلى درجة التأليه ، وإنما أحاطته هالة من القداسة ، بمعنى أنه لم يكن إلها مثل بقية الآلهة تقام له المعابد وتقدم له القرابين وأن تسميته بحور أو باسم الإله الطيب لا يعدو أن يكون مجرد طريقة مهذبة للتعبير عن الخضوع التام للملك . وتنبغى الإشارة كذلك إلى أنه بالرغم من أن الملك كان يعتبر نصف إله يسمو على باقى الكائنات الحية ، إلا أنه بالرغم من طبيعته الإلهية كان شخصا عاديا له أملاكه الخاصة ، ومخازنه (٢) . ودراوينه ، ومحكمته الخاصة (٣).
ويرى أبو بكر أن أول ملك مؤله فى مصر كان هو الحور نترخت زوسر مؤسس الأسرة الثالثة . ويميل إلى الاعتقاد بأن بداية المفهوم المصرى لعقيدة الملكية الإلهية تدرج على أساس الاعتقاد فى بعض المظاهر التى اتصلت بذلك الزعيم الذى كان يتولى رئاسة مجموعة من البشر إما كرئيس الأسرة أو القبيلة ، على أساس أن مصر كانت تتكون من كيانات صغيرة متعددة فى تلك الفترة ، وأن تلك المقاطعات كان يحكمها حكام ترتبط زعامتهم بنوع من أنواع القدسية ، ولكنها فى رأيه لم تبلغ مطلقا مرتبة التألية . ويعتقد أبو بكر كذلك أن الملك المصرى فى تلك المرحلة لم يكن سوى بشرا عاديا هيأته انتصاراته وخبرته فى تسيير شئون البلاد . لأن الملك لو كان إلها منذ الأسرة الأولى ، لما احتاجت الوحدة إلى كل هذه الحروب الطويلة التى استغرقت إزاء ثلاثة قرون كاملة .

---

(١) أ. إرمان ، المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) Mariette, A., les Mastabas de l'ancien Empire, Paris, 1889, p. 100.

(٣) ———, Ibid., p. 70.

ولو أننا نرى أن البداية الحقيقية لتلك المفاهيم المتمثلة فى عقيدة الملكية الإلهية يمكن تتبع جذورها فى تلك المرحلة منذ العصر الحجرى الحديث .

ومهما كان الأمر ، فإن أولى معالم نظام الملكية المصرية ، هو أن مصر كان يحكمها أساسا إله يضمن للبلاد الأمن والاستقرار . ومن هنـــا جاءت شخصية الملك المصرى القديم مميزة عن كافة البشر فى جميع الظواهر .

الألقـاب الملـكية :

The Titulary and Other Designations of the king.

أصل كلمة ملك :

يعتقد جاردنر(١) أن اللفظة الشائعة المعبرة عن الملك فى مصر الفرعونية ، هى نسو (شعار مملكة مصر العليا) والأقل شيوعا هى حاكم (إتى) . ومن التعريفات الشائعة عن الملك كذلك نب (سيد) . وتوجد صفـات أخرى تعبر عن الملك مثل نثرنفر (الإله الطيب) . ومن الصفات الملكية كذلك نب تاوى (سيد الأرضين) ، ومن الصفات الملكية أيضا حرنب صح (حور إله القصر) . اما فيما يتعلق بكلمة فرعون ، فالأصل المصرى القديم لها هو برعا (البيت الكبير) ، ثم أصبح معناها يطلق على القصر وساكنه ، ثم حرف اللفظ إلى فرعو ، وأضافت اللغة العربية إليه « ن » فأصبح فرعون . وبالنسبة للألقاب الملكية ذات المدلول الدينى فتتكون من الألقاب العظيمة (رن ور) التى كانت تطلق على الفرعون يوم اعتلائه العرش . ومنها اللقب الحورى ، السيدتين ، حور الذهبى ، ملك

---

(١) Gardiner, A , Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs, London, 1969, p. 75.

مصر العليا ومصر السفلى ، ابن رع . وكانت هذه الأسماء الملكية تسبق عادة اسم الملك وكانت تلك الألقاب تدعم الصلة الإلهية وذلك بإظهار طبيعته المقدسة .
اللقب الحورى: The Horus Name (شكل ٤١) كان يشير إلى الملك كتجسيد للإله حور . وكان اللقب يكتب داخل السرخ ، وأسفله تصميم واجهة قصر وأعلى السرخ صقر رمز الإله حور وفوق رأسه التاج ، وبجانبيه قرص الشمس وعلامة الكوبرا (الإلهة واجت) . والتصميم يشير إلى أن حور يتقمص شخص الملك الذى يسكن القصر (١) . ويشير بعض المؤرخين إلى أن الملكة كانت تجسيداً للإلهة واجت (٢) .

وبالنسبة للقب النبتى : The Nebty Name (السيدتين) (شكل ٤٢) فيشير إلى علاقة الملك بالإلهتين الرئيسيتين نخبت وواجت فى الفترة التى سبقت الأسرة الأولى مباشرة عندما كانت مصر مقسمة إلى مملكتين. ويعنى اللقب النبتى أن هاتين الإلهتين قد اتحدتا فى شخص الملك ، أوربما كان يعنى أن الملك كانت تحفظه الإلهتان من ناحية ،وممثلا لمكانتهما الدينية القديمة من ناحية أخرى (٣) .

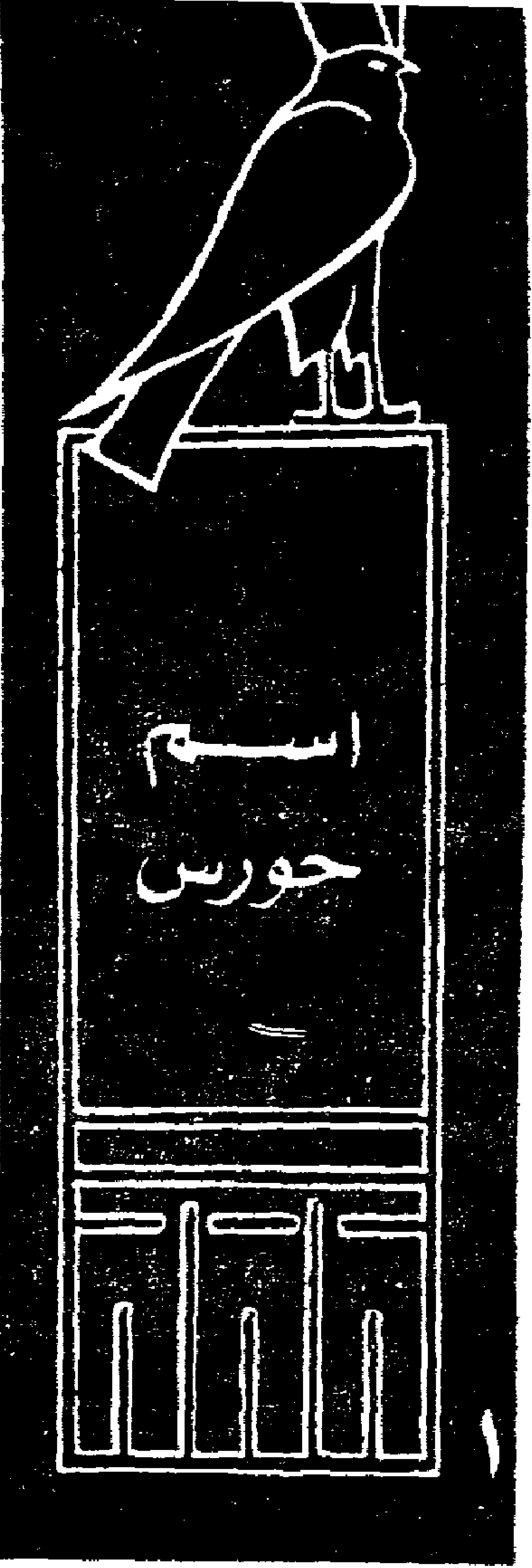
أما لقب حور الذهبى : The Golden Horus Name (شكل ٤٣) ، فقد اعتاد المصرى القديم إذا ما أراد أن يظهر انتصار الملك على أعدائه أن يصوره كصقر يقف فوق العلامة الهيروغليفية الخاصة بالذهب (حرونب) . ويعتبر لقب حور الذهبى أكثر الألقاب الملكية خلافا فى التفسير . ويتجه جاردنر إلى القول بأن التصميم الخاص بهذا اللقب ، إنما يشير الى انتصار حور على عدوه

---

(١) Gardiner, A., Ibid., p. 72.

(٢) ———, Ibid., p. 32.

(٣) ———, Ibid., p. 73.


اسم
حورس
١


اسم
نبتى
٢


اسم
حورس
الذهبى
٣


الاسم
الاول
للملك
٤


الاسم
الشمسى
٥

ست . ويشير فرانكفورت بأن استخدام علامة الذهب فى الألقاب الملكية لملوك الأسرات الثلاثة الأولى ، إنما يشير إلى تقديس الملك وذلك بتجسيده لحور الذى لا يفقد لمعانه مثل الذهب ، أو الذى يشع مثل الشمس . فالذهب هو لحم الآلهة ، وقال رع عند بداية كلماته « إن جلدى من الذهب الخالص »[1].

لقب ملك مصر العليا والسفلى (اللقب النيسوت بيتى) Nesut- Byt (شكل ٤٤) أى المنتسب إلى نبات سوت شعار مملكة مصر العليا والنحلة شعار مملكة مصر السفلى . فنبات سوت يفترض فيه أنه يشبه نبات الحلفا المصرى (شمع) وهو رمز شائع لمصر العليا ، أما علاقة النحلة بمصر السفلى فما زال غامضا .

ويمكن الاعتماد على بعض الشواهد التاريخية المستقرة فى استنباط امكانية كون الجذور الأولى لبعض الألقاب أن تحمل نفس الاتجاه ، ولكن فى صورة مبكرة . ومن تلك الشواهد استخدام لقب ابن رع The Son of Re (سا - رع) (شكل ٤٥) الذى يؤكد صلة الملك بالإله رع . وقد دخل هذا اللقب ، فى أسماء الملوك منذ عصر الأسرة الثانية مثل رع نب[2] وفى أسماء ملوك الأسرة الثالثة ما يشير إلى أن الملك زوسر قد اختار لنفسه لقباً جديداً وهو رع نوب ومعناها رع الذهبى . ثم استعمل اللقب بعض ملوك الأسرة الرابعة مثـــل خع اف رع ومنكاو رع ، ثم حمله بعد ذلك بعض ملوك الأسرة الخامسة . وكثيراً ما كان يجىء بعد هذا اللقب صفة أخرى أشار اليهـــا ولسون Wilson[3] وهى رب

---

(١) Frankfort, H., Op. Cit., p. 46. and Gardiner, A. H., "New Renderings of Egyptian Texts" the Temple of Wady Abbad (in) JEA, Vol. IV., London, 1917, p. 240.

(٢) Petrie, F., Op. Cit., p. 30.

(٣) Wilson, J., Op. Cit., p. 102.

التجليات أى الظهور الإلهى أو ربما رب التيجان . ويتلو ذلك خانة ملكية تحوى اسم الملك الذى عرف به منذ ولادته وهو يقابل اسم العائلة (١) .

وظيفة الملك :

كان على الملك أن يتولى تنظيم شئون البلاد وإنشاء الدواوين ، وكان بصفته إلها هو الدولة وهو النقطة المركزية التى تتجمع فيها كل الخيوط التى تهيمن على شئون الحكم فى البلاد . لقد كانت كلمته هى القانون الذى كان خاضعاً لرضائه الإلهى ووظيفته كإله ، ثم إنه تلك الفكرة التى عبروا عنها بكلمة ماعت(*)(شكل ٤٦) . ولما كان على الملك الكثير من الواجبات والأعباء فقد استعان بعدد من الموظفين كانت تتكون منهم الحكومة ويقومون على تنفيذ أوامر الملك ، وهو الذى يعينهم وهم مسئولون أمامه ، وبقاؤهم فى وظائفهم مرهون برضائه الإلهى . وكان القانون الذى تحكم به البــــلاد هو كلمة الملك ، كما كان القضاة يحكمون طبقاً للإرادة الملكية متخذين من التجـــارب والعادات المحلية أساساً لأحكامهم متمسكين بالعدل .

---

(١) ______ , Ibid., p. 102.

* كانت فكرة الماعت تشبه فكرة الملكية الإلهية على أساس كونها من عوامـــل استمرار الحكم الملكى فى تلك المرحلة لأنها كانت الحق والعدل والنظام . وهى ذلك الشىء الذى نبع من عالم الآلهة وأصبح بمثابة المنظم للظواهر التى تم خلقها على سطح الأرض . ولمـا كان واجب الملك الأساسى هو تمكين العـدالة على الأرض ، فإنه كان يعيد تثبيت المـاعت عند توليته العرش . ويستدل من نقوش المعابد على تمثيل الملك وهو يقدم للإله دمية تمثـل إلهة العدل ماعت كدليل على قيامه بوظيفته بالنيابة عنها .

وكان من الواجبات الملقاة على عاتق الملك ، العمل على بناء المعـــابد وهى منازل خاصة بسكنى الآلهة ، حتى يمكن أداء الواجبات الدينية الخاصة بالآلهة فيها بما يكفل رضاء الآلهة وحمايتهم للملك والمجتمع ، وذلك بتقديم القرابين وأداء الطقوس الدينية بواسطة الكهنة . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد سجل حجر بالرمو الكثير من هذه الأعياد التى كان يحتفل بها الملوك (١) .



شكل (٤٦)

فقرة ٩١ (٢) عام س + ١

عبادة حور

مولد أنوبيس

العام الرابع

---

(١) Drioton, E., Les Fetês Egyptiens (in) La Revue du Caire, Buletin de Littérature et de Critique; Tome, XIII, Le Caire, 1944.

(٢) Brearted, AR, I, P. 57, L., 2.

فقرة ٩٦ [١] عبادة حور

العام الخامس

فقرة ٩٧ [٢] تصميم المعبد — « قوة — الآلهة »

عيد سوكر

العام السابع

فقرة ٩٩ [٣] ظهور ملك مصر العليا

مولد مين

العام التاسع

فقرة ١٠١ [٤] أول حدوث لعيد جت(*)

ويستدل من دراسة هذه النصوص على اهتمام ملوك هذه المرحلة بالأعياد الدينية والتي كانت تعتبر تاريخاً ثابتاً لتسمية السنة التي أقيمت فيها . وأهم هذه الأعياد كان عيد تقديس حور [٥] ، وكان هذا العيد يقام كل سنتين في معبده في نخن وذلك نظراً لمكانة حور ، إذ أنه كان أكبر الآلهة مقاماً عند المصريين أيام الأسر الأولى بل وقبلها . وكان هذا الاحتفال يقتضي استعمال مراكب كبيرة [٦]

---

(١) ________ , Ibid., p. 58.

(٢) ________ , Ibid., p. 58.

(٣) ________ , Ibid., p. 58.

(٤) ________ , Ibid., p. 58.

* عيد ذكره حجر بالرمو عدة مرات ، وقد اختفى في العهد الثيني ولا يعرف عنه شيئاً .

س . حسن ، مصر القديمة في مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الإهناسي ، ص ٣

(٥) Breasted, J.H , A History of Egypt, London, 1935, p. 46.

(٦) س . حسن ، المرجع السابق ، ص ٣ .

يركب فيها الملك الإله لزيارة المعابد الهامة . ومن بين الأعياد الدينية التى كان يحتفل بها كذلك ، أعياد الآلهة العظيمة مثل عيد مولد سوكر إله منف ورب الجبانة ، وعيد الإله مين إله المسافرين وموطنه كل الصحراء الشرقية ومركز عبادته فى قفط .

كما اهتم ملوك تلك المرحلة بإنشاء المعابد للآلهة ـ فقد عثر فى معبد حور على لوحات حجرية وصولجانات وأوانى بارزة النقوش أهداها الملوك إلى المعابد . وأشهر هذه اللوحات لوحة نعرمر الشهيرة التى أهـــداها الملك نعرمر إلى معبد مدينة نخن .

كما يشير حجر بالرمو إلى هذا الاتجاه

فقرة ١١٩ [١] ظهور ملك مصر العليا

شد الحبل للمعبد ـ حور ـ رن (العظيم)

فقرة ١٤٣ [٢] ظهور ملك مصر العليا

ظهور ملك مصر السفلى

شد الحبل للمعبد / « مأوى ـ ال ـ آلهة »

وكانت حالة البلاد الداخلية فى عصر الأسرات المبكر تشير إلى حـــدوث بعض الاضطرابات الداخلية . وكان على الملك أن يكبح جماحها بإقرار الأمن والنظام فى البلاد حيث أن استقرار حالة البلاد كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصميم فلسفة النظام الملكى وذلك على أساس أن هذا الاستقرار يعتبر تعبيراً عن قدرة الملك فى السيطرة الكاملة على أمن البلاد وحمايتها داخلياً وخارجياً . وأن حدوث

---

(١) Breasted, AR, I, pp. 61 — 62.

(٢) ———— , Ibid., p. 65.

مثل هذا الاضطراب قد يزعزع من ثقة المصرى القديم فى مكانة الجالس على العرش . ومن أجل ذلك ، عمل ملوك تلك المرحلة على اتخاذ بعض الإجراءات العسكرية ويعزز هذا الاعتقاد النصوص المصرية المسجلة للعمليات الحربية التى قام بها ملوك تلك الفترة . ولقد وردت إشارة موجزة على حجر بالرمو من عهد الملك نى نثر عن استيلاء هـــذا الملك على مدينة شرع ومدينة بيت الشمال الموجودتين بالوجه البحرى [1] . وأما من عهد الملك برايب سن، فقد عثر على نقش مدون على بعض الأوانى التى وجدت فى مقبرته بأبيدوس [2] ، والنص يشير إلى : « ... ست ، برايب سن ، حملة آسيا ... [3] » .

ويشير نص مدون على حجر بالرمو إلى الاضطرابات التى حدثت بالبلاد أثناء حكم الملك خع سخم : سطر ٨١ « عام محاربة الأعداء الشماليين ... تقدم الإلهة نخبت فى مدينة نخن الثوار ، وتوحد مصر أمام حور خع سخم [4] ... » . هذا وقد حارب الملك خع سخم الوجه البحرى فى سنة أسمـــاها « عام حرب وقصاص الوجه البحرى ، حيث أسر حوالى ٤٧٫٢٠٩ أسيراً ، ودون ذلك فى

---

(1) Baikie; J.A., Op. Cit., p. 89.

(2) Petrie, W. M. F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, Part 11, London, 1901, PL. XXII.

(3) Wilson, J.A., "Brief Texts of the Old Kingdom" (in) ANET, p. 227.

يعتقد ولسون أن ترجمة آسيا فى هذا النص لاتعنى بالتحديد المكان الجغرافى لقـــارة آسيا ، وأنها كانت تطلق على المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من مصر ، وأن ذلك قـد يحمل على الاعتقاد بحـــدوث اضطرابات فى عهـد هذا الملك وأنه أرسل الحملات لإخمادهـــا فى الدلتا .

(4) Breasted, AR, I, p. 53 .

معبد حور بمدينة نخن، كما قدم إناءا مرمريا(١) نقش عليه الاسم الملكي واسم ذلك العام ، كما قدم تمثالين سجل عليهما عدد أسراه .

الوزير :

كان منصب الوزير أعلى المناصب وأسماها ، وقد اتفق المؤرخون على وجود هذا المنصب وإن اختلفوا فى الأسرة التى بدأ منها ، فالبعض يرى أن وظيفة الوزير قد عرفت منذ الأسرة الأولى . وكانت شخصية الوزير تلى الملك نفسه أو هى ممثلة له . وكان يطلق عليه الكثير من الالقاب مثل رئيس عظماء الوجهين القبلى والبحرى ، وكان الثانى بعد الملك فى ردهة القصر وكبير القضاة .

حكام الاقاليم :

كانت مصر مقسمة إلى ستة وثلاثين إقليما منها عشرون إقليما فى مصر العليا وستة عشر إقليما فى مصر السفلى . وكان كل إقليم يتكون من مدينة والأراضى التى تجاورها . ونظراً لبعد تلك الأقاليم عن العاصمة ، فإنها كانت تحتاج إلى رئيس يقيم فيها لتصريف الأمور . لذلك فإن الملك كان يعين على هذه الاقاليم حكاما من قبله . وترجع نشأة حاكم الإقليم إلى اعتماد المصريين على الزراعة وفيضان النيل مما استدعى وجود موظف يشرف على أعمال الرى مثل حفر الترع والقنوات وإقامة الجسور والتفتيش عليها ، وربما كان هذا أصل وظيفة حاكم المقاطعة . وكان على حاكم الإقليم أن يتولى الإشراف على القضاء إلى جانب الأعمال الكتابية، وجباية الضرائب المستحقة، والإشراف على شئون الزراعة ، وأن يحصل من الأرض على أحسن غلة ممكنة ، وأن يساهم فى الثراء العام

---

(١) Breasted, J.H., A History of Egypt, London, 1935, p. 47.

وخاصة فى ثراء الخزينة الملكية . وعلى حاكم المقاطعة يقع أعباء التعداد ، وهذا الإجراء مثبوت لأول مرة فى عهد عدج إيب . وابتداء من الأسرة الثانية كان يجرى بانتظام لكل عامين ويستخدم فى حساب سنى الحكم ، وكان يدون ارتفاع فيضان النيل كل عام ، وذلك يتنبأ برخاء البلد واتخاذ الاحتياطات الضرورية . كما كان حاكم الإقليم مسئولا عن الأمن وتنظيم جميع الأفراد لتجنيدهم وإرسالهم فى حملات لتأمين حدود البلاد . وكان أيضا يقوم بدور الوساطة بين الملك ورعاياه ، فكان يتلقى الأوامر الملكية وينقلها إلى سكان إقليمه .

أما من الناحية الدينية ، فقد جرت العادة على أن يكون حكام الأقاليم فى الوقت نفسه كبارا لكهنة الإله الرئيسى فيها . وكان لكل مدينة محكمة أو هيئة قضائية تسمى « جاجات » وتتكون من كبار الموظفين تسند إليها إدارة المدينة وإجراء الإحصاء ومراقبة الفيضان .

الفن المصرى القديم فى عصر الاسرات المبكر

ثانيا : الفن المصرى القديم

لم يقتصر الإنسان المصرى القديم على مجرد الإيمان بعقائده الدينية والسياسية ومنها نظام الملكية الإلهيـــة فحسب ، بل دعم ذلك باستخدام كافـة الوسائل التعبيرية سواء النصية أو المادية وذلك للتأكيد المادى المعبر عن اعتنـاقه لتلك المبادىء . وفى ذلك المجال ، لجأ الإنسان المصرى القديم إلى استخدام كافة الفنون ليعبر بها عما يجيش فى صدره من أحاسيس وأفكار وقيم . ومنذ تعرف المصرى القديم على الزراعة وأصبح له مجتمع تنظمه علاقات متقدمة ، وعنـدما اتحـدت بلاده فى ظل مملكة يحكمها ملك يجمع كل السلطات فى يديه ، منـذ ذلك الحـين ، أكسبت هذه الحياة المستقرة على المجتمع المصرى القديم مظاهر الإحساس بالأمن الكامل والتعاقب المستمر الرتيب وانبعاث الحياة المزدهرة ، والشعور بالخلود . وكان من نتيجة ذلك ، أن أثرت تلك المظـاهر على المفاهيم المصرية القديمـة ، وكان الفن هو الأداة التى عبرت عن ذلك كله . ولقـــد ترك المصريون آثارا كثيرة معبرة عن تلك المفاهيم سواء فى مجالات العمارة أو النحت أو النقش أو غيرهما من الفنون الصغرى والصناعات المختلفة .

ويلزم التعرض لبعض الحقائق التاريخية المتعلقة بنشأة الفن المصرى القديم فى تلك المرحلة . فثمة عاملان مهمان يؤثران فى تطور الفن ، أولهما يتعلق بمضمون هذا الفن وجوهره ، والآخر يرتبط بأسلوبه . أما بالنسبة لمضمون الفن ، فقـد كانت الصورة فى مختلف أنواع تشكيلها نحتا أو نقشا أو رسما تحوى عنصـــرا سحريا فيما تمثله ، فكان التمثال ينحت ليكون بديلا عن الجسم المادى . وكانت

الصورة تنقش لتقوم مقام ما تمثله ماديا . وكان المعبد يشيد فى الجبانة ليكون عنصرا تقوم فيه الـ «كا» بأداء نفس الأنشطة التى كان يؤديها الإنسان الحى فى معبد مدينة الأحياء . وعلى ذلك ، فقد كانت الصورة تمثـل عند الفنان المصرى القديم نوعا من الخلق ينم عن جوهر ما تمثله . وفيما يتعلق بالأسلوب الفنى ، فقد كان هناك قواعد تحكم عمل الفنان المصرى القديم من ناحية الشكل . فقد كان ظهور الملك فى الصورة أكبر حجما من الأفراد العاديين ، بمعنى أنه كان يتمثل دائما فى العمل الفنى على نحو ينم عن مكانته ، فى يده العصا الطويلة أو الصولجان بينما الجميع يقصرون عن حجمه وقامته . ومن الضرورى تلمس الأسباب التى دفعت الفنان المصرى القديم أن يراعى هذه النسبة فى أحجام الأفراد وفق أحجامهم فى المجتمع . وفى هذا المجال ، تنبغى الإشارة إلى أن النواة الأولى لهذا الفن ، جاءت فى الواقع أثناء تلك الفترة من التاريخ المصرى حين حاول الإنسان المصرى القديم أن يصل إلى وحدة سياسية تجمـع بين قطرى مصر .

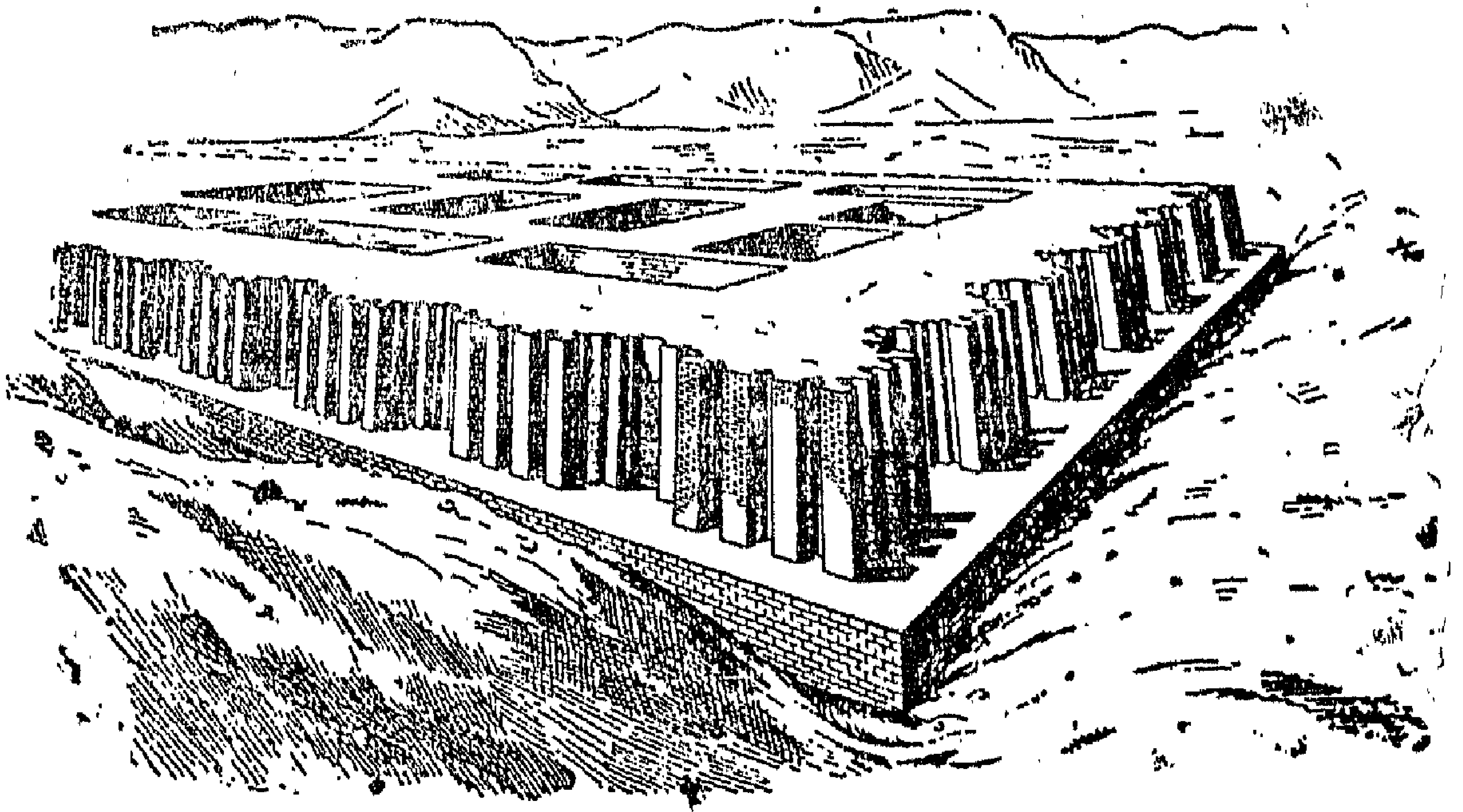
فبالنسبة للعمارة الدينية : يلاحظ أن الإنسان المصرى القديم ، بدأ يمارس الأداء الفعلى للمفاهيم والقيم المصرية ابتداء من العصر الحجرى الحديث ، حيث لوحظ على سبيل المثال فى جبانة حلوان العمرى (١) ، تواجـد مقـبرة أكبر حجما عن بقية العمائر الدينية ، مما يستدل منه على كونها خاصة بأحد الحكام .

---

(١) Al – Omari (Prés d'Helouan), "Exposè Sommaire Sur les Campagnes de Fouilles", 1943 – 44 et 1948, (in) Ann. Serv., Vol. XLVIII, 1948, p. 368.

قام بالحفر فيها De Bono سنة ١٩٤٣ .

وعثر كذلك على جثة المتوفى وبجوار يده عصا الرئاسة مما يدل على تمييز الحاكم عن باقى أفراد المجتمع ، كما يوضح وجود رئيس أو حاكم فى تلك الفترة المبكرة . وسرعان ما ينمو ذلك الاعتقاد ويصل إلى مداه فى نظام الملكية . ومن الممكن تلمس التطور التدريجى فى جبانات عصور ما قبل الأسرات وهى تلك المراحل الهامة التى مهدت إلى بداية العصر التاريخى . وعلى سبيل المثال ، مقابر الكوم الأحمر (نخن) وجبانة نقادة ومنها جبانة على شكل حرف « T » (1) وتعتبر مقبرة الملكة نيت حتب Neith - hotep فى نقادة من أعظم مقابر بداية الأسرات ويتضح فيها ظاهرة الفجوات المنتظمة (شكل ٤٧) . ومع بداية الأسرة الأولى ، [يلاحظ فى العمارة الدينية أن ملوك الأسرة الأولى ، قد درجوا على اتخاذ مقابر



(شكل ٤٧)

ظاهرة الفجوات المنتظمة فى مقبرة الملكة نيت حتب بنقادة

(1) Emery, W. B., Op. cit., P. 49.

لهم فى أبيدوس (العرابة المدفونة مركز جرجا) بنيت فى أشكال مختلفة ، وذلك بجانب الآثار الملكية الأخرى التى وجدت لهم فى سقارة ، وعلى سبيل المثال الملك حور عحا (فى أبيدوس وسقارة) . وتعتبر هذه الظاهرة من المشكلات التى تحير علماء الدراسات المصرية القديمة . فربما كان سبب تواجد مقبرتين للملك واحد أحدهما فى الجنوب وأخرى فى الشمال ، لإظهار هيمنته على الوجه البحرى والوجه القبلى ، وربما تكون مقبرة الجنوب بمثابة ضريح رمزى Cenotafe أوضع فيه جثة الملك المتوفى بعض الوقت ، ثم تنقل بعد ذلك إلى الجبانة الملكية فى الشمال وتبقى مقبرة الجنوب فارغة من الجثة ما عدا بعض الأوانى والأدوات الجنزية ، بينما تصبح مقبرة الشمال مقره الأبدى . وربما تكون المقبرة الجنوبية مخصصة لدفن الأوانى الكانوبية ، التى كانت تحتوى على الأحشاء الداخلية للملك المتوفى . ومن أهم المصاطب الملكية التى بنيت فى عصر الأسرة الأولى ، والتى تعبر بوضوح عن المراحل الأولى لتطوير المقابر الملكية ، ما عثر عليه فى شمال شرق جبانة سقارة على يد العالم الأثرى إمرى [١] . وأقدم المصاطب فى تلك المجموعة من ناحية التصميم هى مقبرة حور عحا . وتتكون هذه المقبرة من حفرة مستطيلة مسقفة بألواح خشبية ومقسمة إلى خمسة أقسام منفصلة خصصت الوسطى منها لدفن الملك ، بينما خصصت الحجرات المجاورة لتخزين احتياجات الملك فى العالم الآخر . وكان يعلو هذه الحجرات ، بناء علوى قسم داخله إلى سبع وعشرين حجرة صغيرة لحفظ بعض حاجيات الملك . وقد اتخذ هذا البناء العلوى شكل

---

(١) Emery, W. B., Hor Aha « Excavations at Saqqara », Cairo, 1939, pp. 4 — 7.

مصطبة لها واجهة ذات دخلات وخرجات وكانت المصطبة من هـــذا النوع صورة طبق الأصل من المنازل المعاصرة لها . ويشير ريزنر Reisner [1] إلى ارتباط هذه المصطبة من ناحية الشكل بتصميم القصـــور الملكية مما يؤكد الصفتين الدنيوية والأخروية لتلك العمائر . ويبدو هذا الاتجاه الفنى فى عمارة سقارة بوجه عام حيث لوحـــظ وجود طراز واجهة القصر فى مخلفات العمارة الدينية فى الشمال ، بينما لا يوجد مثل هذا الطراز فى مخلفـــات عمارة الأسرة الأولى فى أبيدوس . وفى أثناء العصر الثينى ، أصبح الجزء العلوى من المصطبة يتكون من كتلة صلبة من الرديم عليه كساء من اللبن وهو الذى تطور بعد ذلك إلى الشكل الهرمى المدرج .

وكانت حجرة القربان تبنى فى الجهة الشرقية من البناء العلوى للمصطبة . أما الباب الوهمى ، فكان يبنى فى الحائط الغربى لحجرة القربان ويتخذ شكل الباب لتستعمله روح الميت ، وفى بعض الأحيان كان يثبت فى واجهة المصطبة . وكان يعتبر بمثابة الاتصال بين الجزء العلوى من المقبرة الذى تقدم فيه القرابين وتجرى الطقوس الجنزية ، وبين غرفة الدفن التى ترقد فيها جثة الميت . كما كان المصرى القديم يعتقد أن هذا الباب يرشد الروح وهى فى طريقها لزيارة جثمان صاحبها . وكان ينقش عليه ألقاب الميت واسمه ، ومن فوقها لوحة عليها صورة الميت مع أسرته أمام مائدة القربان . وكان البـــاب الوهمى يصنع من الحجر الجيرى فى أغلب الأحيان ، ولو أن بعضها كان يصنع من حجر الجرانيت . أما لوحة القربان التى كانت تثبت فى أعلى الباب ، فكانت إما من الحجر الجيرى أو من

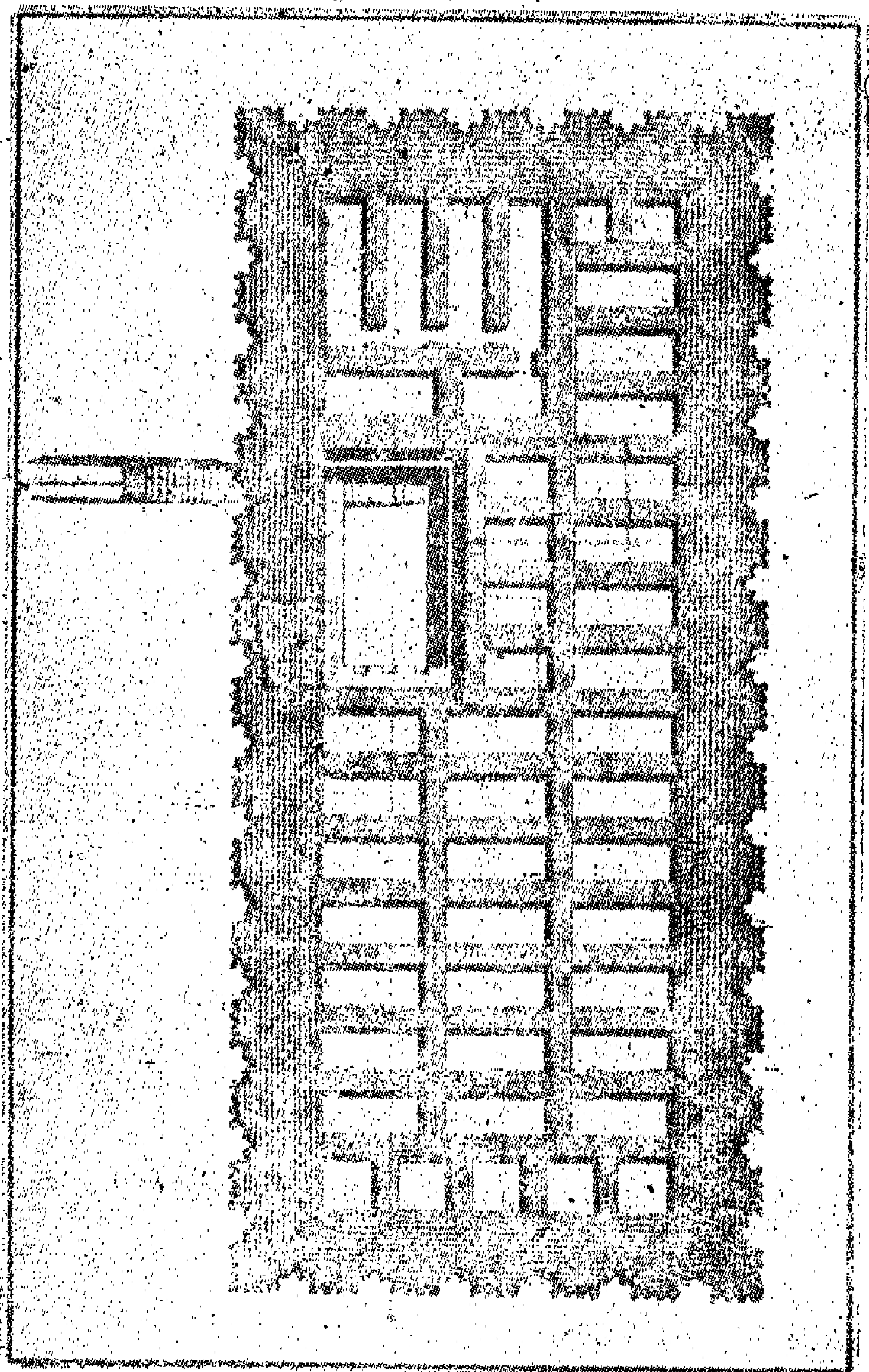
---

(١) Reisner, G. A., The Development of the Egyptian Tombs Down to the Accession of Cheops, London, 1936, pp. 5 — 6.

الخشب . وفى بعض مصاطب الأسرة الثانية ، لوحظ الاستعاضة عن تقـــديم الطعام والشراب الخاص بروح المتوفى ببعض المناظر التى تتناول بعض جوانب من حياة المتوفى ، والتى تمده بما يحتاجه فى المقبرة . وقد حلت اللوحة الجنزية محل القرابين الفعلية التى كانت تقدم للمتوفى فى المقبرة على مائدة القرابين أمام الباب الوهمى . وتحتوى اللوحة الجنزية على صيغ سحرية تشير إلى تسلم القرابين إلى المتوفى مع بعض المناظر لصاحب المقبرة جالسا إلى مائدة فوقها القرابين . أما تمثال الميت، فكان يوضع فى مكان بالمقبرة يعرف بالسرداب Serdab بجوار غرفة القربان . والسرداب كلمة عربية ، معناها مبنى تحت سطح الأرض، وسمى سرداب لأنه ليس به أبواب أو نوافذ أو أى فتحـــة سوى ثقب ضيق فى أحد جدرانه .

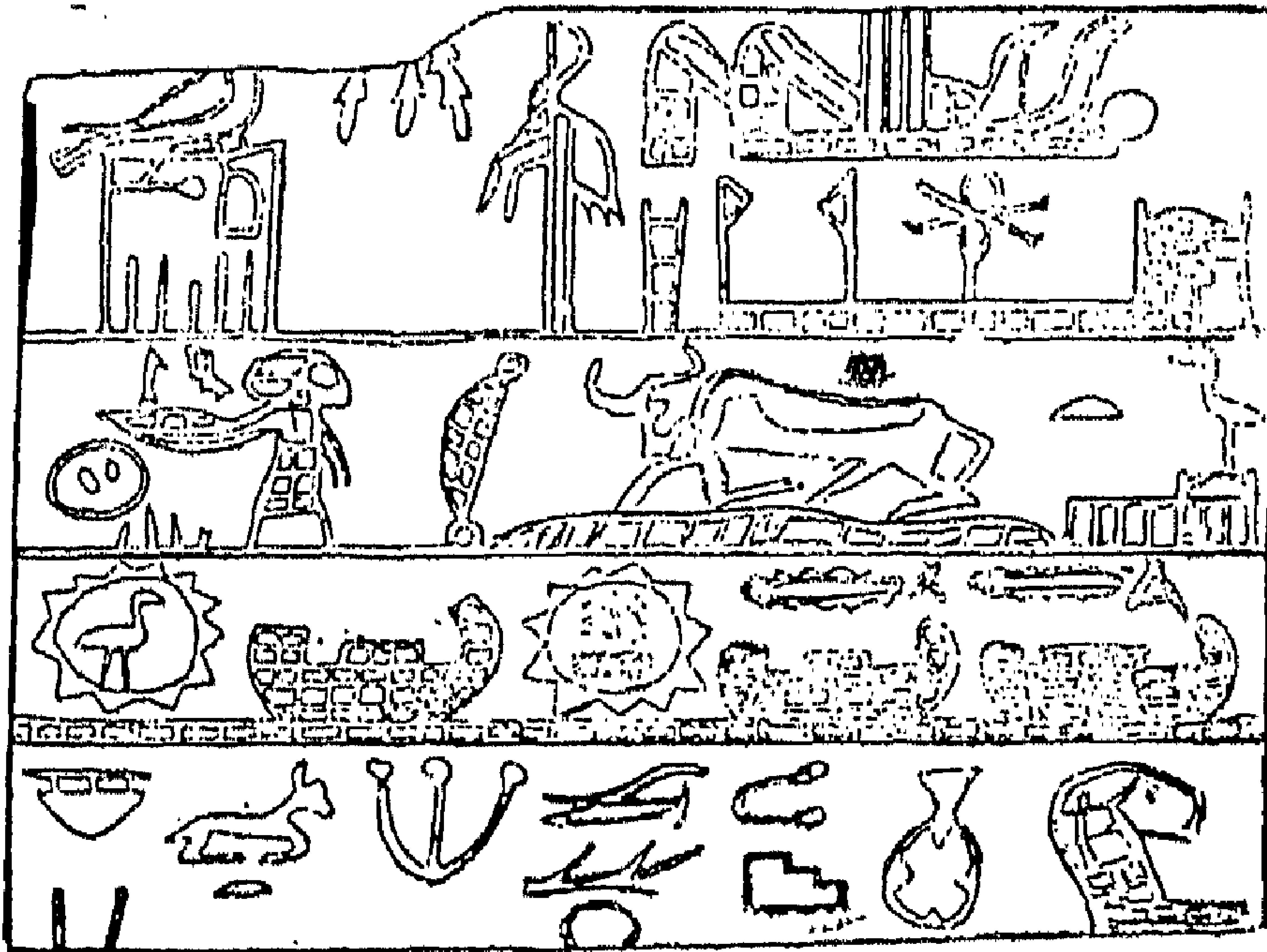
هذا ولم يستخدم الحجر فى بناء المقابر إلا بعد فترة ، إذ كان المصريون بطيئين فى استخدامه . وكان أول ظهوره ملحقا بأبنية من الطوب ، فقد حاول الملك دن أن يجعل أرضية حجرة الدفن فى قبره من بلاطات من حجر الجرانيت لتوضع كل منها إلى جانب الأخرى ليجعـــل أرضية الحجرة الوسطى فى قبره أكثر احتمالا . وفى الأسرة الثانية أقام الملك خع سخموى حجرة فى مقبرته بأبيدوس كلها من الحجر الجيرى . ويوجد من الأدلة ما يشير إلى تشييده معبدا من الحجر . ولقد عثر فى سقارة عام ١٩٣٦ على طراز مقبرة أكثر تطورا، وهى تخص كبير وزراء الملك دن المدعو «حما كا» . وتتكون هذه المقبرة من جزء مبنى فوق سطح الأرض ، أعد بداخله اثنتان وأربعون غرفة مخصصة لوضع الأغذية والأسلحة والأشياء المختلفة التى يحتاجها الميت . والجدران مبنية على هيئة واجهات القصور الملكية ذات الدخلات والخرجات (شكل ٤٨) .

أما فيما يتعلق بآثار التركة المنقوشة المنتمية إلى تلك المرحلة ، فقد سبقت



(شكل ٤٨)
مقبرة حماكا (مسقط أفقي)

الإشارة إلى بعض النماذج من عصر الملك عقرب ومنها رأس دبوس. ومن آثار الملك نعرمر لوحته ودبوس قتاله . ومن عهد حور عحا ، عثر بترى(١) على لوحة خشبية (شكل ٤٩) للملك بأبيدوس . ويتضح فى نقوش هذه اللوحة ، أنها قسمت إلى أربعة أقسام : القسم العلوى منها يحتوى فى طرفه الأيسر على الاسم الحورى للملك حور عحا داخل السرخ ويهيمن عليه الإله حور ، وفى طرفه الأيمن يوجد رسم لمعبد أقيم فى فنائه رمزا للإلهة نيت (*). وتوجد أمام



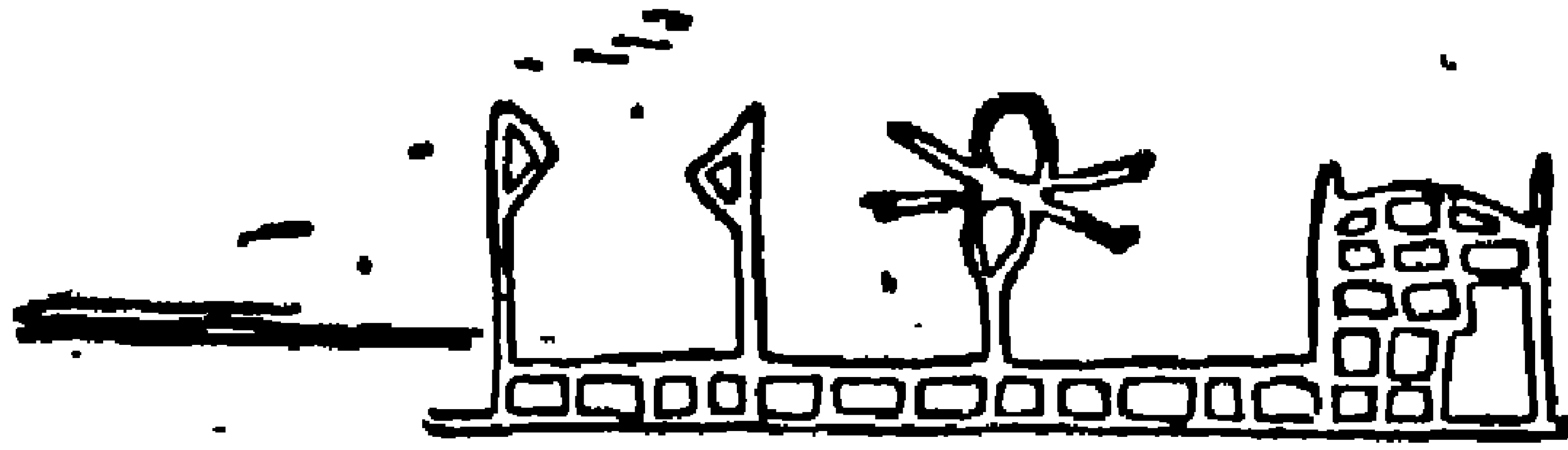
(شكل ٤٩)

لوحة خشبية للملك حور عحا من أبيدوس

(١) Petrie, W.M.F., A History of Egypt from the Earliest Kings to the XVIth Dynasty, London, 1924, pp. 13-14, Fig. 8.

(*) حامية الدلتا ومعبودة سايس ورمزها درع وسهمان متقاطعان مما يشير إلى خصائصها كربة صيد وحرب

فناء المعبد ساريتان (شكل ٥٠) يعتقد برستد (١) Breasted أنهما أصل المسلات التى شهدت فى الأزمنة التالية أمام المعابد، ولو أنه يعتقد أن الساريتين تعبران عن علامة نثر (إله) . أما القسم الثانى من هذه اللوحة، فيشاهد الملك فى طرفها الأيسر وهو قابض على وعاء مميز باسم مزيج الذهب أو الألكترم مقدما القرابين أربع مرات . ويرى فى القسم الثالث نقش لسفن تسير فى نهر . أما القسم الرابع من اللوحة ، فيحوى علامات هيروغليفية غير واضحة المعالم .



(شكل ٥٠)

مقصورة الإلهة نيت

كما عثر أيضا فى الكوم الأحمر على واجهة باب (٢) نقش عليها مناظر لاحتفالات إقامة المعابد والمنظر متآكل وناقص إلا أنه بالرغم من ذلك ، يستدل من نقوشه على انقسام المنظر إلى قسمين . ففى الجهة اليسرى ، يرى الملك حورعحا ممسكا بعصا وصولجان ويقف أمامه اثنا عشر رجلا يبدون أصغر منه حجما وموزعون على ثلاثة صفوف ، وربما كانوا يمثلون الحاشية . وفى الجهة اليمنى من النقش ، تشاهد الإلهة سشات Seshat إلهة الكتابة والملك وجها لوجه ، وهما يدقان بمطرقة وتدا فى الأرض . ومن عصر الملك جر ، فقد عثر على لوحة عاجية فى أبيدوس تسجل زيارة الملك لبلدتى بوتو وسايس (صا — الحجر

---

(١) Breasted, J.H., op. cit., p. 46.

(٢) إ . دريوتون ، ج فانديه ، المرجع السابق : ص ١٦٣ .

بغرب الدلتا) كما عثر على لوحة خشبية فى سقارة تسجل احتفالا دينيا يتصل بظاهرة التضحية البشرية (*) Human Sacrifice . كما يستدل من نقوش لوحة الملك جت (١) (شكل ٥١) التى عثر عليها فى مقبرته بأبيدوس والموجودة حاليا بمتحف اللوفر (٢) بباريس، على اسم الملك مكتوبا بعلامة الثعبان داخل السرخ ويعلوه الصقر . ويشغل الصقر مايقرب من نصف المساحة المنقوشة مما يزيد فى إبراز صورته ليبدو أقوى مايكون حتى تتفق مع ما كان للإله حور من مكانة فى عقيدة المصريين فى تلك المرحلة .

أما من عهد الملك خع سخم، فقد عثر فى ناحية الكوم الأحمر على ثلاثة أوانى حجرية مصنوعة من الجرانيت والمرمر ومدون عليها نقوش (٣). وتظهر الإلهة نخبت تهيمن على العصاة (Besh) ، الذين أخضعهم الملك خع سخم (٤) عند

(*) عثر على مقابر خاصة بالخدم وبعض أفراد الحاشية الملكية الذين دفنوا حول مقبرة الملك المصرى القديم ابتداء من الأسرة الأولى . ويعتقد بعض المؤرخين أن أفراد الحاشية كانوا يقتلون أنفسهم يوم موت الفرعون أو بعد ذلك . ويغلب أن ظاهرة التضحية البشرية فى مصر القديمة كمظهر من مظاهر الولاء نحو الفرعون قد مورست خلال الأسرة الأولى ، كما يتضح فى المقابر الملكية فى أبيدوس وبصفة خاصة فى مقبرة الملك جر ولكن هذا التقليد قد توقف بعد ذلك .

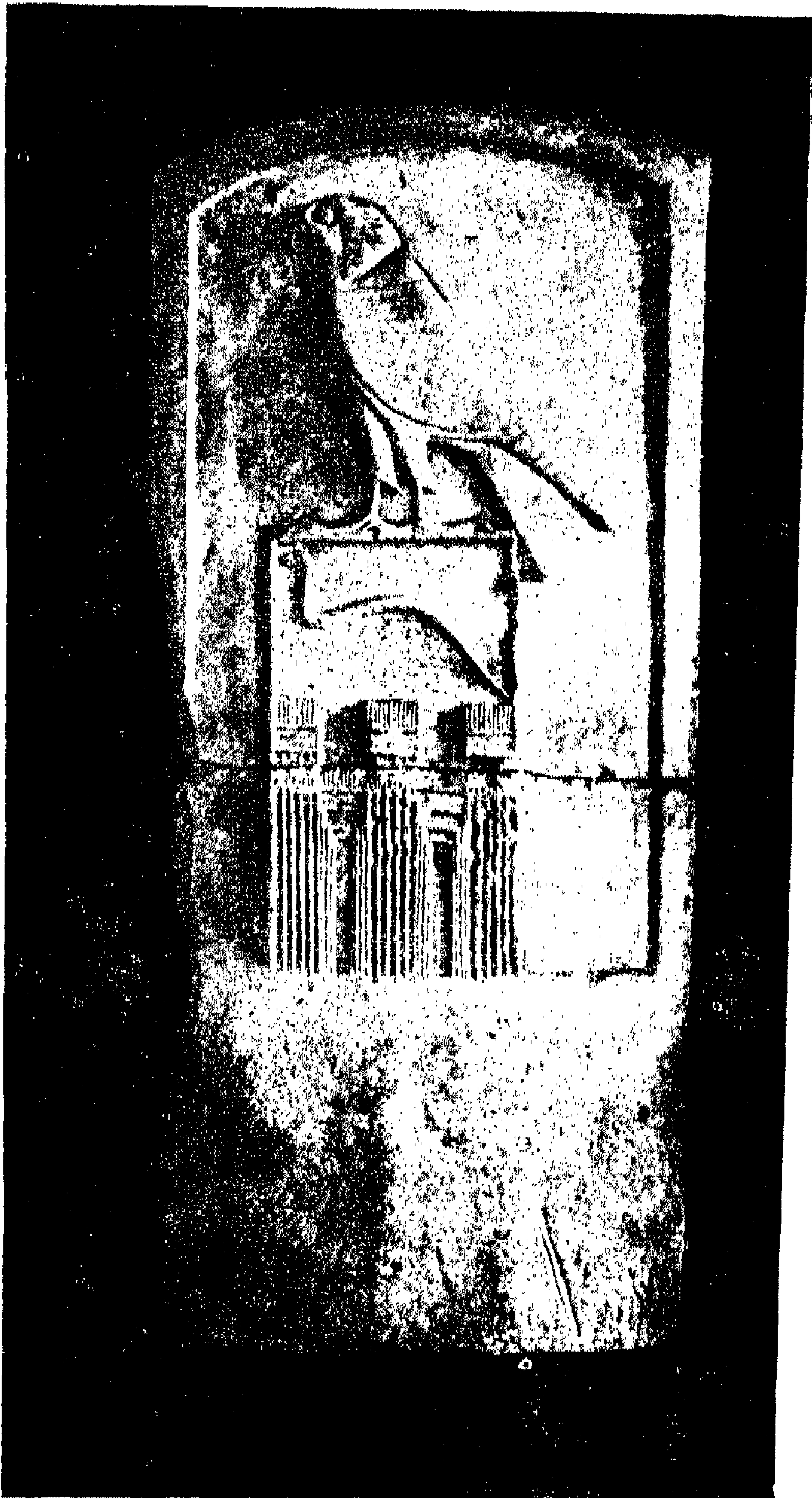
Reisner, G.A., Excavations at Kerma, I-III, Cambridge, 1924, pp. 141 ff.

(١) Petrie, F., op. cit., p. 17.

(٢) Boreux, Antiquités Egyptiennes, Catalogue Guido, I, Paris, 1932, pp. 227-228 et Pl. XXIX.

(٣) Quibell, J.H., op. cit., p. 11, Pl. XXXVIII, Fig. 2.

(٤) Petrie, F., op. cit., pp. 17, 35-36, Fig. 27.



(شكل ٥١)

لوحة الملك جت

استرداده للدلتا . ويظهر فى النقش مجموعة « سما » ، رمز التوحيد ، تأكيداً لهذا الغرض .

أما آثار الحركة المنحوتة التى تخلفت فى عصر الأسرتين الأولى والثانية ، فقد تقدمت صناعة التماثيل العاجية تقدما ملموسا . ومن النماذج المعبرة عن هذا اللون من النتاج الفنى ، تجدر الإشارة إلى تمثال عاجى للملك يحمل تاج الوجه القبلى ويرتدى رداءا مطرزاً . وقد عثر على هذا التمثال فى معبد أوزير فى أبيدوس (١) ، وهو موجود حاليا بالمتحف البريطانى بلندن . ويلاحظ نحت ملامح وجه هذا التمثال بدقة ، كما أن الرأس تميل إلى الأمام قليلا ، إلى درجة يخيل للرائى أنه يمثل ملكا مسنا . ولكنه ثبت بعد تنظيف هذا التمثال أنه ربما يمثل صاحبه وهو يعدو ، مؤديا بعض الطقوس الدينية. هذا وقد ظهرت براعة الفنان المصرى فى عدد من النماذج المنحوتة فى تلك المرحلة . ومن ذلك نشير إلى أقدم تمثالين (٢) ملكيين مصريين يعبران بالنحت عن صفة الملكية : والتمثالان يخصان الملك خع سخم ، وأحدهما محفوظ بالمتحف المصرى بينما يوجد الآخر بمتحف الأشموليان بأكسفورد . وكلا التمثالين يبدو فيهما الملك وهو يحمل التاج الأبيض ، ويرتدى الرداء الطويل ، مما قد يكون له صلة باحتفال الحب سد (٣) : وعلى الرغم من تاريخ هذين التمثالين وحالتهما السيئة ، إلا أنهما يشهدان بقوة التعبير فى إبراز قسمات الوجه ، كما يعتبران أولى التماثيل الملكية التى اتخذت الشكل التقليدى المعروف الذى صورت به تماثيل الملوك فيما بعد .

(١) Smith, W.S., op. cit., p. 5, Pl. 1 a.

(٢) Smith, W.S., Ibid., p. 13.

(٣) Petrie, F., op. cit., p. 35.

هذا ولم تقتصر الانعكاسات الفنية على مجالات العمارة والنحت ، بل تعدته الى مجال الفنون الصغرى . وفى هذا المجال ، يلاحظ اهتمام المصريين القدماء بالزينة، واستخدامهم العديد من المواد فى محيط بيئتهم منذ عصور ما قبل التاريخ ، مما ساعد على ازدهار هذا الجانب من حياتهم . وقد ساعد المصريين القدماء على الإبداع فى صناعة الحلى عوامل كثيرة كتوافر المعادن والأحجار شبه الكريمة[١] (اللازورد والعقيق الاحمر والفيروز وغيره). ولم يقتصر استخدام الحلى على النساء بل أيضا استخدمها الرجال لما لها من وظائف فكرية بالاضافة إلى كونها حلى للزينة . ومن ناحية اخرى ، صنع الفنان المصرى القديم حليا لها وظيفة دينية خاصة هادفة إلى ارضاء الآلهة ، أطلقت عليها اسم الحلى الجنزية ، تدفن مع الموتى فى منازلهم الأبدية لتحقق غرضا دينيا بحتا[٢] . وترجع نشأة اتخاذ الحلى إلى عوامل تتفق مع طبيعة الإنسان ، اذ أن ولع الإنسان بالتزين أمر طبيعى . لذا نراه قد دأب على حب التزين حتى فى المجتمعات البدائية عندما كان يتزين بالحشائش وأوراق الأشجار والأصباغ يلون بها بعض أجزاء بشرته ، وبالأحجار الملونة يصنع منها حليا مختلفة الاشكال والألوان . والواقع أن الفكرة الأساسية لاتخاذ الحلى فكرة دينية وهى دفع أذى الأرواح الشريرة . وقد اتجه الإنسان أول الأمر إلى تزيين جسمه بالوشم ، ثم تبع ذلك مستخدما أدوات من الطبيعة يتزين بها كالاصداف أو البذور أو الأسنان ثم تلى ذلك بصناعة الحلى ليضعها حول المعصم أو الرقبة إما للتحلى او الزينة ، وإما على

---

(١) Hayes, W. C., The Scepter of Egypt, New York, 1953, p. 228.

(٢) Winlock, H. E., The Treasure of El-Lahun, New York, 1934, p. 23.

هيئة التمائم . وهكذا يمكن القول بأن فكرة الزينة عند المرأة والرجل في مصر القديمة ، كانت ذات شقين :

الشق الاول : كان أساسه نوعا من أنواع المشاعر الدينية لوقاية الإنسان أمام قوى خفية شعر بتأثيرها وربما كانت السحر[١] أو ربما كانت بدافع ديني فالتمائم في نظر المصري القديم تضمن بقاء الصيغ السحرية بدفنهما مع الموتى فتعطيه بذلك نوعا من الوقاية . وكانت هذه التمائم على هيئة حلي صغيرة مما كان يصنع من الحجر أو المعادن . وقد عثر عليها مع الجثث المحنطة وأمثال هذه التمائم لم يكن يتخذها الموتى فحسب ، بل أن الأحياء أيضا كانوا يعلقونها بخيوط حول رقابهم ، وكانت مختلفة الأشكال[٢] .

اما الشق الثاني : فقد كان للتجميل في الحياة الدنيوية . وقد أشار إرمان إلى الأهمية الكبرى التي يعلقها المصريون القدماء على أدوات الزخارف والزينة التي استعملها الرجال والنساء على السواء منذ أقدم العصور . ولعل أقدم حلية عرفها الإنسان هي عقد تختلف حباته بين دلايات من العظم وحلقات من الأصداف .

ويلاحظ أن النتاج الفني الذي تخلف عن تلك المرحلة المبكرة ، جاء معبرا عن بداية تطور نظام الملكية . والدليل على ذلك ، اختلاف الانعكاسات الفنية بعد الوحدة السياسية وتحت حكم الملك عنها في عصر ما قبل الأسرات . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الملك كان هو المحور الرئيسي الذي تركزت حوله الإحساسات

---

(١) Mace, A. C., and winlock, H. E., The Tomb of Senebtisi at Lisht, New York, 1916, p. 58.

(٢) أ. إرمان، هـ . رانكه ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٨٧ .

الفنية بدليل إظهار صورته بطريقة ملموسة فى النتاج الفنى فى الوقت الذى ظهر غيره من الأفراد العاديين فى صورة مختلفة اختلافا كبيرا كما هو الحال فى لوحة نعرمر[١]. ولقد دفع ذلك فنانى تلك المرحلة باتجاههم نحو التقيد بالقيم وافتقادهم نسبيا لحرية التعبير بصورة تلقائية - ولكن الواقع أن الفنان كان متحررا فى مجالات كثيرة وخاصة بالنسبة للأفراد ، أما بالنسبة للملوك فقد تمسك الفنان المصرى القديم بنمط معين نظرا لنفوذ الملكية المطلقة آنذاك ، مما تطلب تعبيرا فنيا محافظا . ويلمس الدارس لتطور فن العمارة وفنون النقش والنحت تلك القفزة السريعة فى تقدم تلك الفنون فى هـــذه المرحلة البكرة . وقد دعا ذلك بعض المؤرخين إلى التساؤل عن امكانية تواجد تأثيرات خارجية للحضارة المصرية . ولقد ساعد وجود بعض دلائل التأثيرات الأجنبية إلى هـذا الاعتقاد . ومن ذلك ما هو فلسطينى الأصل مثل الفخـــار ذى الأيدى المموجة الذى سبقت الإشارة إليه ، وما هو سومرى الأصل مثل يد سكين عاجية عثر عليها فى جبل العرق . وكذلك وجود ظاهرة الفجوات المنتظمة فى مقبرة نيت حتب التى عثر عليها فى نقادة ، والتى ترجع إلى عصر حضارة العبيد فى العراق القديم . وربما كانت تلك التأثيرات الأجنبية بسبب اتساع نطاق الصلات التجارية بين كل من العراق ومصر عن طريق وادى الحمامات[٢] ، أو عن طريق وادى الطميلات[٣] وكذلك بين فلسطين ومصر عن طريق شرق الدلتا .

---

(١) Frankfort, H., Op. cit., p. 42.

(٢) بين القصير على ساحل البحر الأحمر وقفط على نهر النيل .

(٣) بين جنوب شرق الدلتا والبحر الأحمر .

الفصل الرابع

عصر الدولة القديمة

الأسرات الثالثة إلى السادسة

من حوالى ٢٧٠٠ الى ٢٢٠٠ ق . م .

الأسرة الثالثة

من حوالى ٢٧٠٠ الى ٢٦٨٠ ق . م .

يرجح بعض المؤرخين أن الملك زوسر الأول (نثرخت زوسر Netjer-er-khet Djoser)«ونثرخت ربما تعنى ذو الجسد المؤله» ، هو المؤسس الحقيق للأسرة الثالثة وأنه قد فاز بالعرش عن طريق امه « نى ماعت حب» ، التى ورد اسمها مكتوبا على بعض الأختام التى عثر عليها فى بيت خلاف جنوبى جرجا وذلك على أساس أن هذه السيدة كانت أولا زوجة لملك مصر السفلى ، وأنها أنجبت من هذا الملك ابنها زوسر ، وأن زوجها قد لقى مصرعه خلال معاركه مع خع سخموى ملك الجنوب الذى تزوجها بعد انتصاراته على زوجها المقتول ، ونتيجة لهذا ، أصبحت نى ماعت حب ملكة مصر العليا والسفلى ، واستطاعت أن تورث ابنها زوسر الأول الحق الشرعى ليجلس على عرش الجنوب ، وأن يؤسس أسرة ملكية جديدة وبذلك أصبح زوسر لأول مرة يحوى فى شخصه الصفة الإلهية عن طريق بنوته للملك الشمال وبنوته للأم الملكية ، واستطاع زوسر هذا أن يحكم مصر بعد الارتفاع بنفسه الى مصاف لآلهة وقد جاءت النصوص المصرية القديمة تعبر عن ذلك الاتجاه ، فقد

أشارت إلى ألقابه « الحور نثرخت ، ملك مصر العليا ومصر السفلى ، نثرخت ، الربتين ، نثرخت حور الذهبى زوسر ... (١) » .

تطورت العمارة الدينية فى عصر الدولة القديمة وتجسم ذلك بصورة واضحة فى عهد الملك زوسر. وكانت مصر تبنى مقابر ملوكها فى عصر الأسرتين الأولى والثانية على شكل مصاطب مستطيلة الشكل ، حتى جاء إيمحوتب Imhotep وبنى الهرم المدرج (٢) من الحجر الجيرى ضمن مجموعة الملك زوسر الجنزية فى سقارة . وقد ارتبط اسم إيمحوتب باسم الملك زوسر سواء أثناء حياته أو بعد مماته ، وكان يتولى العديد من الوظائف كالإشراف على الأعمال الإنشائية للملك ، وإدارة القصر ، ورئيس المثالين. وكان من أهم ألقابه ، الرجل الأول بعد الملك كما كان كبيراً لكهنة الشمس فى مدينة هليوبوليس ، وربما تولى بعد ذلك وظيفة الوزير حيث أصبحت اللقب الرئيسى له فى العصور التالية . وقد ألهه المصريون بعد وفاته وعبدوه وشيدوا له المعابد وبخاصة فى العصر الفارسى وفى أيام البطالمة ، ولقب بابن الإله بتاح . والحقيقة أن إيمحوتب كان المحرك الأول للنهضة التى شملت البلاد، وكان صاحب الفكرة فى تشييد العمائر الدينية فى تلك المرحلة .

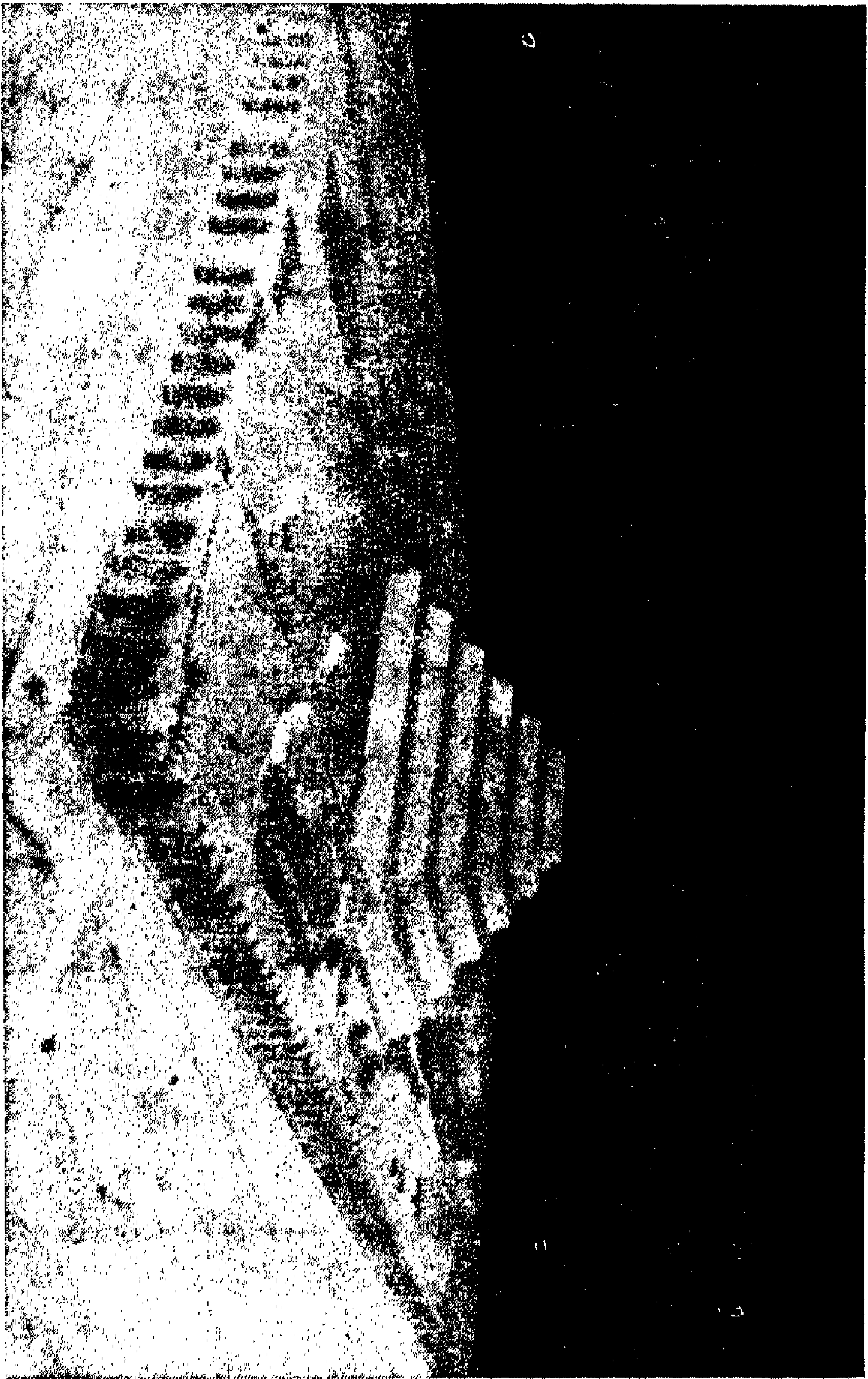
وتتألف المجموعة الجنزية (شكل ٥٢) من العديد من العمائر ذات الوظيفة

---

(١) Wilson, J.A., « The Tradition of Seven Lean Years in Egypt », (in) ANET, p. 31.

(٢) يستدل من فحص جزء من مومياء عثر عليها داخل الهرم المدرج أن الطريقة التى اتبعت فى لفها والمحافظة عليها ترجع انتمائها إلى الدولة القديمة ، واحتمال كونها جزءاً من مومياء الملك زوسر نفسه

Derry, D.E., et Lauer, J.P., « Découverte à Saqqarah d'une partie de la momie du Roi Zoser », (in) Ann. Serv. XXXV, Le Caire, 1935, pp. 25-27.



(شكل ١٠٢)
نموذج مجموعة الملك زوسر الجنزية

الدينية المرتبطة بنظام الملكية ، وأيضا ذات الوظيفة السياسية التى تتصل اتصالا وثيقا بذلك النظام . وقد شملت تلك المبانى مجموعة كبيرة من العمائر خاصة بمظهر من أهم مظاهر الملكية وهو تجديد حياة الملك بشكل يؤكد بصورة فيزيقية أمام الشعب خلال الاحتفالات الدينية ، والطقوس المختلفة التى تقام فى تلك المجموعة ، قدرة الملك على القيام بوظيفته الإلهية بنجاح ، وذلك خلال احتفـــالات عيد الحب سد . ويرجع الفضل إلى كل من فيرث Firth وكويبل Quibell ولوير Lauer فى إيضاح الصورة التى كانت عليها تلك المجموعة الجنزية (١) وقت إقامتها . وفى هذه الصورة ، يبدو الهرم المدرج مصمما من ست درجات بصورة تدريجية فوق بعضها ويقع مدخل المجموعة من الناحية الشرقية ، ويؤدى ذلك المدخل إلى ممر به أعمدة حجرية مستندة على حوائط وتمثل الأعمدة سيقان البردى المحزومة من الناحيتين ، مما يؤكد أن نحتها بالحجر يعتبر تطورا فى بنـــاء هذه الأعمدة ، وأن الفنان المصرى القديم قد حافظ على كثير من تقاليد العمارة النباتية الطابع . وبجانب الهرم المدرج ، يدخل فى نطاق المجموعة الجنزية ، المعبد الجنزى الذى يقع فى شمال الهرم . وكان يستخدم فى الطقوس العامة مثل تقدمة القرابين والتراتيل . وبجانب معبد زوسر الجنزى ، تتضمن المجموعة السرداب ، ومبنى الحب سد ، والمقبرة الجنوبية . وتتكون مجموعة الحب سد من ثلاثة أجـــزاء مختلفة تماما ، وهى : ـ الفناء الرئيسى (فناء الحب سد) ، ويحيط به معـــابد صغيرة ، كما تقع فى نهايته منصة من الحجر ذات سلم مزدوج . ولقد كان وجود هذه المنصة هو الذى أوحى للعالم الأثرى فيرث عند اكتشافه الفكرة بأنها قاعدة أو أساس لعرش ملكى مزدوج للاحتفال بعيد الحب سد . ويفترض

---

(١) Edwards, L. E. S., Op. cit., p. 37.

لوير(١) بوجود عدد من المقاصير (المعابد) التى تتعلق بمقاطعات مصر العليا ومصر السفلى ، وأنها صفت حول هذا الفناء للاحتفال بتتويج الملك بالتتالى كملك الجنوب ، ثم كملك للشمال ، وذلك على المنصة التى تقوم عليها مظلة مزدوجة . ويبدو أن الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على الملك فى الحكم كان بمثابة الفترة التى تستلزم بعد مرورها قيام الملك بتأكيد مقدرته أمام بعض الآلهة على استطاعته الاستمرار فى الحكم . ويبدو أيضا أن هذه الآلهة لم تكن سوى الآلهة المحلية سواء فى الشمال أو فى الجنوب التى ساهمت بنصيب وافر فى تمكين الملك لكى يهيمن على القطرين ، وينفذ الوحدة السياسية ، ويجلس على عرش واحد كملك يمتد سلطانه على كل من الشمال والجنوب . والدليل على ذلك أن الملك كان يقوم برقصة أمام إحدى المقاصير الممتدة على الجانب الغربى الذى يمثل مقاصير آلهة مصر السفلى أو على الجانب الشرقى الذى يمثل مقاصير آلهة مصر العليا . وبعد الانتهاء من كل رقصة ، يسارع الملك إلى المنصة ليجلس على عرش مصر السفلى إذا كانت الآلهة تهيمن على جزء منه أو على عرش مصر العليا إذا كانت الآلهة تهيمن على جزء منه . وكانت هذه الرقصة تعتبر أهم جزء فى الاحتفال(٢) على أساس أنها كانت تعبر عن قدرة الملك على السيطرة على البلاد . وقد كان على الملك أن يؤدى هذه الرقصة مرة كحاكم لمصر السفلى وهو يرتدى التاج الأحمر ، ثم مرة أخرى كحاكم لمصر العليا وهو يضع التاج الأبيض . وكان شعار الإله

---

(١) Lauer, J. P., Histoire Monumentable Des Pyramides d' Egypte, Tome,I, Les Pyramides à Degrès (III e Dynastie), Le Caire 1962, p. 145.

(٢) Frankfort, H., Op. cit., p. 85.

أوبوات (*) يلازم الملك عند تأديته لخطوات هذه الرقصة وعمله كاهن أرواح نخن (١). وكان يلى ذلك خطوة أخرى فى الاحتفال يمسك الملك فيها بوصية تبين أحقيته فى العرش كوريث شرعى لأسلافه ، ثم يقرر الملك أنه قد تسلم الوصية أمام الإله جب. وقد كانت ألوهية الملك تتأكد مرة أخرى فى الاحتفالات الختامية لهذا العيد؛ وذلك عندما يقوم الملك بتأدية رقصة الحب سد مرتين ، مرة كملك لمصر العليا ومرة كملك لمصر السفلى . وعند نزول الملك من منصة العرش كان يعلن عن تجديد الملكية إلى أركان السماء الأربعة؛ فكان الملك يرفع على محفة ثم يتجه موكبه إلى معبدى الإلهين حور وست حيث يتناول كاهن من كلا المعبدين القوس والسهم إلى كاهن سم وهو أعلى ألقاب الكهنوتية ، الذى يناولها بدوره إلى الملك حيث يقوم بتصويب سهم إلى كل من الأركان الأربعة للسماء وذلك ليظهر عودة قوته إليه وليؤكد استمرار الرفاهية للبلاد .

أما الجزء الثانى من مجموعة الحب سد، فيتمثل فى القصر المعروف باسم قصر « ت » والذى يشبه فى تصميمه حرف « T » الأفرنجى . ويبدو أنه المكان الذى كان يلجأ إليه الملك بعد كل رقصة لكى يغير بعض رموزه التى كان يقبض عليها فى يده ، أو التاجين اللذين كانا يتزين بأحدهما فى كل رقصة وذلك حسب الإله الذى كان يرقص أمام مقصورته . ومن هنا فقد عرف باسم قصر تغيير ملابس الملك أو معبد « ت » .

وفيما يتعلق بالجزء الثالث من مجموعة الحب سد . فيقع إلى الشمال من بهو

(*) فاتح الطرق وإله حرب ثم أصبح إله الموتى ، فاقترن بأنوبيس ووصف كاهن آوى يقف فوق لواء المقاطعة .

(١) Frankfort, H., Ibid., p. 85.

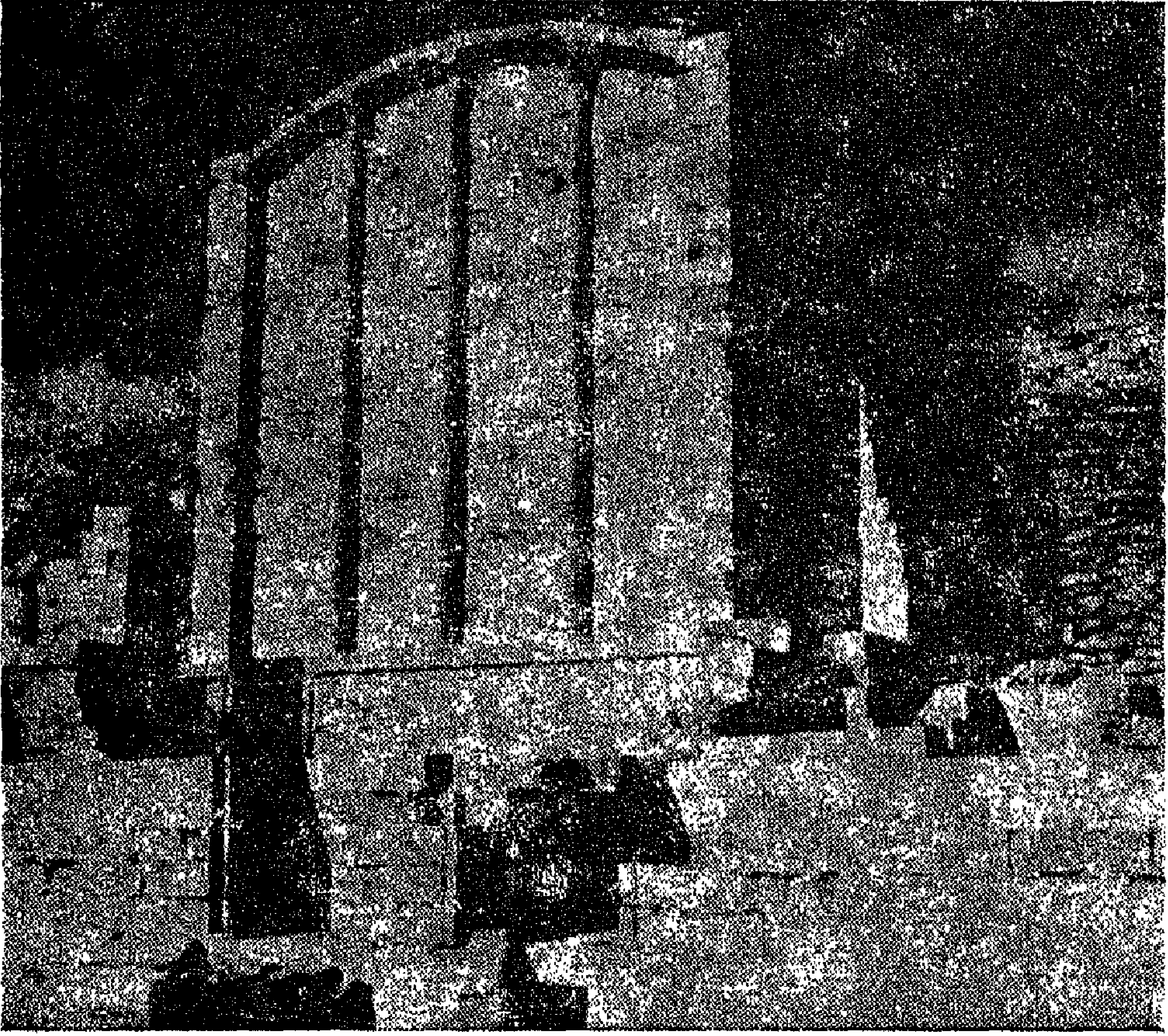
الأعياد حيث يوجد مبنى يعرف باسم بيت الجنوب (شكل ٥٣). ويلاحظ فيه تزيين واجهته بأعمدة أربعة متصلة بالواجهة : ويدخل أيضا ضمن المجموعة مبنى آخر يسمى بيت الشمال (١) (شكل ٥٤)، وبه أعمدة ذات تيجان من الطراز المعروف بطراز البردى . ومن المحتمل أنه إذا كانت تلك المنشآت تتصل بالحب سد ، فإن المنشآت التى اتخذت شكل حرف *B* بالفناء الأكبر جنوبى الهرم المدرج ، أنها تتعلق هى الأخرى برقصة الملك فى احتفالات الحب سد (٢).



(شكل ٥٣)
رسم تخيلى لواجهة بيت الجنوب

(١) يشير جاردنر Gardiner, A.H., « Horus the Behdetite as the God of Lower Egypt », (in) JEA, XXX, London, 1944, p. 30.
إلى الاستعدادات التى كانت تقام عند إقامة احتفالات الحب سد ، ومن ذلك إنشاء مزارات مؤقتة لاستقبال الآلهة ، وأنه كان يطلق على هذه المزارات بيوت الحب سد .

(٢) Lauer J.P., op. cit., p. 154.



(شكل ٥٤)
واجهة بيت الشمال لمجموعة زوسر الجنزية

ويذكر لوير أن إقامة مبنى عيد الحب سد ضمن مجموعة زوسر الجنزية ، لم تكن تهدف إلى الاحتفال بعيد الحب سد أثناء الحياة الدنيوية للملك ، وإنما هو تمثيل رمزى لاحتفال ال «كا» الملكية بعيد الحب سد بصفة دورية أثناء حياة الملك فى العالم الآخر بغرض تأكيد سلطاته فى الحياة الأخرى . وقد احتفل زوسر بأحد أعياد الحب سد بالرغم من أن فترة حكمه لم تزد عن تسعة عشر عاما . ويذكر فخرى (١) أنه كان يصعب على المؤرخ معرفة الأسس التى كان

(١) أ . فخرى ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

يقرر على ضوئها متى كانت تتجدد قواه ، بينما يرى نافيل أن فترة الثلاثين كانت هى الفترة الطبيعية التى تفصل بين اعتلاء الملك للعرش و بين إقامة حتفال الحب سد . و يرى دريوتون (١) أنه ما دامت للملك صفته الإلهية ، فإن الحب سد كانت له صفته الدينية كذلك بغرض تدعيم قدسية الملك . أما إنكفورت (٢) Frankfort فيميل إلى الاعتقاد بأن عيد الحب سد كان مناسبة ظهار الارتباط الوثيق بين الملك وآلهة البلاد من ناحية ، وبين الملك وممثلى من ناحية أخرى . ويرى أن مثل هذا الارتباط كان من شأنه أن يضفى الملك الصفة الإلهية ، وأن يدعم أواصر الرابطة بين المجتمع الإنسانى والقوى . ولا يوافق أبو بكر على هذه الآراء السابقة ، على أساس أن إقامة مثل

من المرجح أن عدد سنوات الحكم الملكى لم يكن هو العامل الحاسم فى إقامة هذا الاحتفال . بالتالى فيصعب معرفة الأسس التى كان الملك يقرر على ضوئها متى كانت تتجدد قواه Frankfort, H., op. cit., p. 79 فبينما يقرر هول

Hall, H. R., « The Lists of Kings, Dynasty I (in) the Cambridge Ancient History, Vol. I, Cambridge, 1928, p. 268.

بعض الملوك احتفلوا بعيد الحب سد بالرغم من أنهم لم يحكموا مدة الثلاثين عاما ، يرى نافيل Frankfort, H., op. cit., p. 82. بأن فترة الثلاثين عاما كانت هى الفترة الطبيعية تفصل بين اعتلاء الملك للعرش وبين إقامة احتفال الحب سد . ومهما كان الأمر فقد ظل هذا عيد محتفظا ببعض المظاهر السياسية والدينية التى ارتبطت منذ البداية بغرض مساعدة الملك على تعادة سلطاته الإلهية الملكية .

(١) دريوتون ، ج . فانديه ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٢) Frankfort, H., op. cit., p. 79.

هذا الاحتفال يتنافى مع كون الملك إلها ينتمى إلى عالم الآلهة ، يعيش أبديا وحياته لا تقدر بسنوات . ومعنى ذلك أن فكرة الاحتفال بعيد الحب سد تعنى أن الملك بشر وليس إله . ويستند فى ذلك على أنه لما استقرت الفكرة فى تقديس ملوك مصر ، لا يجد المؤرخ أى ذكر لاحتفالات الحب سد ولم يعد الحب سد على نفس النهج الذى قام به زوسر إلى ما كان عليه من الأهمية إلا بعد أن اهتز العرش من تحت الجالس عليه ، ابتداء من الأسرة الخامسة والسادسة وما تلاهما .

وبالإضافة إلى مجموعة الحب سد ، كانت توجد مقبرة ثانية ضمن مجموعة زوسر الجنزية . وتدل النقوش الموجودة على هذه المقبرة ، على أن زوسر كان ينوى استخدامها لنفسه ، إلا أن غرفة الدفن فيها كانت لا تسع جثمان الشخص العادى إلا فى وضع مقرفص . ولما كانت هذه الطريقة فى الدفن تتنافى مع عادات دفن الملوك فى الأسرة الثالثة[١] ، فيحتمل أن تكون هذه المقبره رمزية ، وأنها كانت تستخدم فى التضحية الرمزية للملك أثناء الاحتفالات بالعيد الثلاثينى ، أو أنها كانت مخصصة لدفن الأوانى الكانوبية لحفظ أحشاء الملك الداخلية ، أو مدافن لل « كا » الملكية ويرى بعض المؤرخين [٢] أن هذه المقبرة الجنوبية قد تطورت فى العصور التى تلت عصر زوسر لتصبح هرما جنوبيا . وبالإضافة إلى مجموعة زوسر الجنزية فى سقارة بما تحتويه من الهرم المدرج والمقبرة الجنوبية ، فقد شيد زوسر لنفسه مقبرة أخرى على شكل مصطبة فى بيت خلاف[٣] ، وكذلك المقصورة الملكية بعين الشمس .

---

(١) Edwards, L.E.S., Op. cit., PP. 70-72.

(٢) أ . فخرى ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣) Pétrie, F., Op. cit. P. 42.

ومن الأدلة النصية المعبرة عن تطور النظام الملكي في هذه المرحلة ، تنبغي الإشارة إلى نصوص لوحة المجاعة التي عثر عليها منقوشة على صخرة في جزيرة سهيل جنوبي أسوان في عصر البطالمة ، وقد نشر هذا النص بروجش Brugsch[1] وفانديبه[2] ، كما عني بدراسته ولسون[3] . فقد كان الإنسان المصري القديم يعتمد على ضمان توفير مياه الري من أجل استقرار المجتمع الزراعي الذي نعما فيه ، لذلك أدرك إنسان تلك المرحلة ضرورة انتظام فيضان النيل وذلك حتى يطمئن على حياته . فإذا ما قصر النيل في فيضانه ، أدى ذلك بالتالي إلى عدم اطمئنانه وانتظاره لاحتمال توقع حدوث المجاعة وما يتبع ذلك من كوارث . وتنبغي الإشارة إلى اعتقاد المصري القديم في ارتباط مصيره بالقوى الإلهية المسيطرة على مقدرات حياته ، وبدور الملك كوسيط بين المجتمع الإنساني وبين تلك الآلهة ، وذلك حتى يطمئن إلى استمرار رضاء الآلهة ، وبالتالي يضمن استمرار الخير .

ومن النماذج المعبرة عن ذلك الاتجاه ، ارتباط اسم الملك زوسر ودوره كوسيط بين الآلهة والشعب بنص لوحة المجاعة . يقول النص « ... لقد أصيب العرش بهزة ، وكل من في القصر تأثرت قلوبهم من حدث عظيم ، عدم ارتفاع النيل في مدى لمدة سبع سنوات . لقد شح القمح ، وجفت الفواكه ، ونقص محصول الغذاء . لقد سرق كل رجل جاره . إنهم يتحركون بدون تقدم . إن

(١) Brugsch, H.k., Die Biblirchen Sieben Jahre der Hungersnoth, Leipzig, 1891.

(٢) Vandier, J., La Famine dans l, Egypte Ancienne, Cairo 1936, pp. 132 – 139.

(٣) Wilson, J.A., Op. cit., p. 31.

الطفل يعوى والشباب كانوا ينتظرون : إن قلوب الرجال المسنين كانت تعيش فى أسف وأرجلهم منحنية ، يفترشون الأرض ، وسواعدهم مضمومة . رجال البلاط أعوزتهم الحاجة ، وأغلقت المعابد ، ولم يبق بالمزارات (شئ سوى) الهواء . وكل شئ وجد خاويا . . . » « . . . الكاهن الأعلى لى — م(حو) تب ابن بتاح جنوبى جداره : أين يولد النيل ؟ من يكون . . . الإله هناك ؟ من هو الإله (١) . . . » وعندئذ أشار الحاكم بأن الإله خنوم هو الذى يأتى بالنيل الطيب والنيل الردئ « . . خنوم هناك هو الإله . . . » وقد ذكر الحاكم بأن هذه المجاعة لا يمكن وقفها إلا بعد الحصول على رضى الإله خنوم إله منطقة الشلال .

ويستمر النص قائلا إن الإله خنوم يظهر للملك زوسر فى الرؤيا ويخاطبه بقوله « . . . أنا خنوم صانعك . . . أنا أدرى بالنيل عندما يأتى للأراضى ، الذى يجلب الحياة إلى كل أنف كما يجلب للحقول . . . سوف يفيض النيل من أجلك ، بدون توقف وبدون أن نحرم منه (من مياهه) أى أرض . ستنمو المحاصيل ، . . . وستنتهى سنة المجاعة . . . » وعندما استيقظ الملك من نومه أصدر أمره « . . . عطاء يقدمه الملك إلى خنوم ، إله منطقة الشلال ، والذى يشرف على بلاد النوبة ، مقابل وعوده الخيرة من أجلى . . . » (٢)

ويستنتج من ذلك بإصابة العرش بهزة نتيجة عدم ارتفاع النيل لمدة سبع سنوات ، وعندها شح القمح ونقص المحصول إلى أن أشار حاكم منطقة أسوان بأن هذه المجاعة لا يمكن وقفها إلا بعد الحصول على رضى الإله خنوم . ولقد قدس المصريون النيل وعبدوه تحت اسم حعبى (شكل ٥٥) أى واهب الحياة ،

(١) Ibid., p. 31.

(٢) Ibid., p. 32.

وتصوروه إلها يقطن عند الشلال الأول ، ورمزوا له بالإله خنوم . وعندما ظهر الإله خنوم للملك زوسر فى الرؤيا ، وعده بالخير إذا أوقف لمعبده إيراد



شكل (٥٥)

بعض الأراضى التى على شاطئ النيل فيما بين جزيرة الفنتين (عند أسوان) وتاكومبسو (١) Takompso (جزيرة فى النيل) . وذهب زوسر وأغدق العطايا على معبد خنوم ، ولم يمض إلا قليلا حتى ارتفعت مياه النيل ونجت مصر من المجاعة .

هذا وقد اختلف العلماء فى شأن هذه القصة ، فيرى فخرى (٢) أن كهنة الإله خنوم هم الذين ابتدعوا هذه القصة عندما وجدوا منافسة قوية من كهنة الإلهة إيزيس . وعلى ذلك ، فإنه يرى اعتبارها قصة مختلقه لا يقصد منها سوى الدعاية . أما فانديه (٣) ، فيرجح أن بعض محتويات هذه القصة مطابق للحقيقة

---

(١) يقدر برستد هذه المسافة بأنها تتراوح بين خمسة وسبعين وثمانين ميلا
Breasted, J., op. cit., p. 112.

(٢) أ . فخرى المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣) Vandier, J., op. cit., pp. 39 f et 132 f.

التاريخية ، ويحتمل أن يكون لها متن قديم مكتوب تعرض للتلف ، وأن أحد الملوك البطالمة وهو فيما يعتقد زيته بطليموس العاشر قد استجاب لقصة الكهان فأمر بنقشها من جديد وتجديد معبد خنوم فى جزيرة سهيل . ولا يزال هذا التفسير مقبولا حتى الآن . وفى بحث نشرة بورجيه Borguet [١] من هذا النص ، دال على أن الملك الذى حدثت فى أيامه المجاعة هو بطليموس الخامس الذى حكم بعد زوسر بأكثر من ٢٥٠٠ سنة .

خلفاء زوسر:

كانت فترة حكم زوسر عصر ازدهار لمصر ، فلم يخلفه على العرش من يمكن مقارنته به من الملوك . ويمكن الإشارة الى اسم الملك سخم خت Sekhemkhet وقد عثر على مصطبته غير كاملة ، يحيط بها سور لم ينتهى العمل بها ، وهى شبيهة بهرم زوسر المدرج وقد قام بالكشف عنها الأثرى زكريا غنيم فى عام ١٩٥١ بمنطقة سقارة . وقد عثر على العديد من المقابر تحيط بهذه المصطبة مما قد يشير إلى تقديس الملك سخم خت ، ونعرف من اسماء الملوك الذين حكموا فى الأسرة الثالثة ، اسم سانخت Sa-Nekhet (زوسر الثانى) الذى بنى لنفسه مقبرة فى بيت خلاف . ولقب سانخت يعنى سيد الأرضين ، ويرجح أن عدم إتمامه لبناء مقبرته هو قصر مدة حكمه . وخلفه خع با Khaa-Ba الذى كشف بارزانتى Barsanti عام ١٩٠٠ عن هرم له بين أهرام الجيزة وأبى صير . وآخر ملوك الأسرة هو الملك حونى Huni (حو) ويرتبط اسمه بهرم ميدوم الذى أتمه خلفه

(١) Borguet, P., La Stela de la Famine à Sahel, Le Caire, 1954.

الملك سنفرو[1] مؤسس الأسرة الرابعة والهرم يقع بالقرب من مدخل الفيوم، على بعد بضعة أميال من جنوب سقارة وقد سقطت أحجاره الخارجية، أما جوانبه فتبدو مائلة ويوجد للهرم معبد وادى لم يكتمل الكشف عنه بعد.

وبجانب تشييد أهرامات ميدوم ودهشور كان يشيد دائما هرما صغيرا جانبيا، أو ربما أكثر من هرم واحد، وذلك فى الجهة الجنوبية من الهرم الأصلى. ويقارن بعض العلماء بين وظيفة هذه الاهرامات الجانبية وبين المقبرة الجنوبية بالمجموعة الجنزية لزوسر. وذلك على أساس استخدامهما كمدافن للأوانى التى تحتوى على أحشاء الملك وأنها كانت مدافن لل كا الملكية. ويميل فخرى[2] إلى القول بعدم وجود ما يثبت إحدى هاتين النظرتين حتى الآن. علما بأنه لم يكن هناك أوانى كانوبية حتى عهد الأسرة الخامسة بل كانت الاحشاء توضع فى صندوق مربع مقسم إلى أربعة أقسام مثل صندوق أحشاء الملكة حتب حرس.

ومن الشخصيات الهامة التى عاصرت أيام الأسرة الثالثة وأوائل الأسرة الرابعة أحد حكام الأقاليم ويدعى « متن » ويمكن الاستدلال من نقوش مقبرته الموجودة حاليا بمتحف برلين عن الكثير عن التنظيم الإدارى للبلاد فى ذلك الوقت وأيضا وظائفه، والأقاليم التى كانت تحت سيطرته.

---

(1) Badawy. A., Architecture in Ancient Egypt and the Near East, The Mitt Press, Cambridge, 1966, P. 51.

(٢) أ. فخرى، المرجع السابق ص ١٢٨.

الأسرة الرابعة

من حوالى ٢٦٨٠ إلى ٢٥٠٠ ق. م.

سنفرو Snefru : يعتبر مؤسس الأسرة الرابعة، ولا يعرف على وجه الدقة الظروف التى انتقلت خلالها شرعية الجلوس على العرش ، والحق المقدس للسلطة من آخر ملوك الأسرة الثالثة إلى هذا الملك فربما اكتسب الملك سنفرو مركزه الشرعى لاعتلاء العرش بزواجه من الأميرة حتب حرس Hetep heres [١] التى كان لها حق وراثة العـــرش ، وكانت تلقب بابنـــة الإله ، وهى ابنة الملك حونى .

ومن التقاليد الملكية التى كانت متبعة فى البلاط الملكى فى تلك الآونة ، ما ورد فى بردية بطرسبرج والتى عثر عليها جولينيشف Golénischeff [٢] ، وقد قام بدراستها جاردنر[٣] وإرمان [٤] . والبردية موجودة حاليا بمتحف لننجراد فى روسيا . وتحتوى على نبوءات الكاهن المرتل نفرتى Neferti ، وهو يدعى أنها ألقيت أمام الملك سنفرو . وتتضمن أن الملك عندما استدعى مستشاره ، طلب منه « ... اذهب واحضر إلى أعضـــاء المجلس الرسمى لقصر المدينة الذين خرجوا ليقدموا تحياتهم فى هذا اليوم ، فدخلوا عليه فى الحال وعندئذ كانوا على

---

(١) أ. فخرى ، نفس المرجع ، ص ١٠٩ .

(٢) Golénischeff, W , Les Papyrus Hiératiques no. 1115, 1116 A, et 1116 B de l'Ermitage impérial à St Pétersbourg (St. Petersburg, 1913).

(٣) Gardiner, A. H., "New Literary Works from Ancient Egypt", PAP , Petersburg 1116 B, Recto. (in) JEA, 1, 1914, pp. 100 — 106.

(٤) Erman, A., LAE, pp. 110 — 115.

لونهم أمام جلالته مرة أخرى[١] .. » .

وأما بالنسبة لأولاد الملك فقد كان « ... يشاهد الملك فى قاعة قصره وهو جالس على عرشه العجيب وصولجانه فى قبضته ، ثم يرفع يده نحـــو أولاده فيقفوا أمام هذا الملك ، ثم ينزل يده مشيرا نحوهم فيجلسون ثانيا[٢] ... » .

وتشير نقوش سيناء « ... أنه أصبح الإله القوى لهذه المنطقة[٣] ... » .

كما توجد نقوش أخرى تحتوى على ألقابه منها « ... ملك مصر العليا والسفلى ، محبوب الإلهتين : سيد الصدق ، حور الذهبى ، سنفرو الإله العظيم ، مانح القناعة ، الاستقرار ، الحياة ، الصحة ، كل البهجة إلى الأبد . حور : سيد الصدق[٤] ... » . وقد ورد ذكر اسمه فى الدعوات والتوسلات التى كان يتلوها العمال فى سيناء مع أسماء الآلهة المحلية الأخرى مثل حتحور وسوبد (*) ، كما ورد اسم سنفرو على نقوش أمنمحات الثالث على صخور وادى مغارة فى سيناء مع أسمـــاء الآلهة[٥] . وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، تنبغى الإشارة إلى أن ملوك الأسرة

---

(١) Wilson, J.A., "The Prophecy of Neferti", (in) ANET, p. 444. and Gunn, B., "Notes on Two Egyptian Kings Concerning King Snefru", (in) JEA, Vol. XII, London, 1926, pp. 250 ff.

(٢) Breasted, J H., The Dawn of Conscience, New York, 1933; ترجمه للعربية سليم حسن ، وراجعه عمر الاسكندرى وعلى أدهم بعنوان « فجر الضمـــير » ، ص ٨٥ .

(٣) Breasted, A R, 1, p. 75.

(٤) Breasted, Ibid., pp. 75 — 76.

(*) إله يعبد فى شرق الدلتا .

(٥) Breasted, G. A., A History of Egypt, London, 1935, p. 49.

الثانية عشرة ألهوه بعد وفاته بحوالى سبعة قرون ، بل وكانوا يعبدونه جنبا إلى جنب مع الآلهة الاخرى مثل أوزير وسوكر وغيرهم من الآلهة (١) ، كما أن بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة اختاروا منطقة دهشور بالذات لتشييد أهرامهم فيها حتى يكونوا على مقربة منه .

وقد ازدهرت الثروة المعدنية فى عهده ، بالإضافة إلى تفوق التجارة المصرية فى شرق البحر الأبيض ، فقد أرسل سنفرو أسطولا بحريا لإحضار كتل من خشب الأرز من جبال لبنان . ولقد بقى حتى الآن الكثير من تلك الأخشاب داخل هرمه المنحنى فى دهشور (جنوب سقارة) وما زالت هذه الأخشاب فى حالة جيدة وقد تم العثور على اطلال معبد مصرى قديم وسط مدينة جبيل ، الأمر الذى يؤكد ازدهار الصلات الاقتصادية والحضارية المصرية الفينيقية (٢) . ويشتهر سنفرو أيضا بحملته التى أرسلها إلى حدود مصر الجنوبية لإعادة الأمن ، وقد عاد جيشه بسبعة آلاف من الأسرى ، ومائتى ألف رأس من الثيران والأغنام ، كما أقام التحصينات وأرسل الحملات لتأمين حدود مصر الشرقية . ولقد جاءت سياسة سنفرو فى التوسع التجارى مع حملاته فى جنوب البلاد وشرقها وتنظيم البلاد فى الداخل بنتيجة طيبة انعكست بالتقدم فى فن العمارة ، فقد ازدهرت فى عهده التشييدات المعمارية ، وأقام هرمين بدهشور أولهما الهرم الجنوبى (٣) أو المنحنى ، وثانيهما الهرم الشمالى أو الحقيق ، ويعتبر سنفرو هو

(١) Petrie, F., Op. Cit., p. 49.

(٢) El Nadoury, R. S., The Date of the Egyptian Shrine at Byblos", Bulletin of the Faculty of Art, Vol. XXII, Alexandria, 1968, pp. 1 ff.

(٣) Fakhry, A., "The Southern Pyramid of Snefru" (in) Ann. Serv., 11, Fasc 11, Le Caire, 1951, pp. 509 — 522.

أول من بنى الهرم الحقيقى الذى تطلب مجهوداً أشق ووقتاً أطول .

ويذكر برستد [1] أن الفكرة وراء بناء الهرم الحقيقى كانت تعود إلى ارتباط ذلك برمز الشمس . وفى متون الأهرام ما يشير إلى صعود الملك إلى السماء راكبا أشعة الشمس كما جاء فى الفقرات ٥٠٨ ، ٥٢٣ . ولكن يبدو أن الهرم هو التمثيل الضخم لقمة المسلة ، وهذه القمة بالذات اعتبرت الوسيط بين إله الشمس وبين الناس ومعنى ذلك أن الشمس ترسل بأشعتها إلى قمة المسلة وتنعكس وتنزل على الأرض وما عليها من مخلوقات متعددة ، وذلك يتعارض مع الرأى القائل بأن الملك كان يتسلق أشعة الشمس التى تهبط على الهرم .

ويشير إدواردز [2] Edwards إلى أن اختلاف تصميم الهرم من الشكل المدرج إلى الشكل الحقيقى لا يبدو أن يكون بسبب الشكوك التى أحس بها الملك فى فاعلية السلم للوصول إلى السماء ، إذ أن تلك النقلة كان يصحبها اختلاف فى التصميم ، وإقامته معبداً من الناحية الشرقية لتواجه الشمس وليس على الناحية الشمالية واختيار الناحية الشرقية ، يبدو طبيعيا فى عبادة الشمس ، بينما اختيار الناحية الشمالية لا يوجد ما يفسره . ولاشك فى أن هذا كله يحمل دليلا قاطعا على أن العقيدة المصرية القديمة لم تتكون بصورة تلقائية ، بل تطلبت العديد من السنوات حتى تتجمع التجارب المختلفة وتتكامل مع المتطلبات الإنسانية ، وأن ذلك قد أدى فى النهاية إلى تكوين عقيدة كاملة تتمشى مع الظواهر البيئية وقد حكم سنفرو أربعة وعشرين عاما ، وتولى أبناؤه المناصب الرئيسية فى البلاط .

---

(١) Breasted, J.H., The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, New York, 1912, p. 72.

(٢) Edwards, I.E.S, Op. Cit, pp. 293 – 294.

وتوجد محتويات مقبرة زوجته حتب حرس بالمتحف المصرى ، وتتكون من حلى وسرير مصفح بالذهب ومحفة وبعض أدوات الزينة الذهبية . وقد اكتشفت محتويات هذه المقبرة شرقى الهرم الأكبر فى الجيزة بواسطة بعثة هارفارد بوسطون الأمريكية عام ١٩٢٦ ، على الرغم من أنها كانت مدفونة فى دهشور على مقربة من هرم سنفرو مما يحمل على الاعتقاد بنقل محتويات المقبرة إلى الجيزة. ويعتبر تابوت الملكة حتب حرس من أهم توابيت الملكات وهو مصنوع من المرمر المصرى ، وصندوق أحشائها من المرمر كذلك ويتخذ طراز تابوتها .

خوفو (خنوم خوفو Khnum - khufu — كيوبس) كان خوفو أحد أبناء سنفرو من زوجته الأولى الملكة حتب حرس . ولقد استمرت سلطة الملك المركزية فى عهده بل وصلت إلى أوج عظمتها . وفى الاستطاعة تقديم بعض الأدلة الأثرية والنصية التى تدعم ذلك الاتجاه . وتشير نقوش سيناء إلى ألقاب الملك خوفو . يقول النص « ... خنوم خوفو ، الإله العظيم ، ... له كل الحماية والحياة [١] ... » هذا ويتضح فى اسم خوفو الحماية الإلهية للملك حيث يعنى اسمه (خنوم يحميه) [٢] .

ولقد استمرت السياسة الإنشائية التى وضع سنفرو أساسها فى عهد خوفو . وكان السبب الرئيسى فى تخليد اسمه فى التاريخ هو الهرم الأكبر بالجيزة الذى يعتبر أضخم مبنى هرمى من ناحية الحجم ومن ناحية المهارة الفنية ، حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٦ متر وطول ضلع قاعدته ٢٣٠ متر . وقد ذكر هيرودوت أن بناء الأجزاء السفلى والممرات الصاعدة قد استغرق عشر سنوات . أما الهرم نفسه ، فقد استغرق بناؤه عشرين عاما ، كما ذكر أن عدد العمال قارب مائة

(١) Breasted AR, 1, p. 83.

(٢) Breasted, A History of Egypt, p. 116.

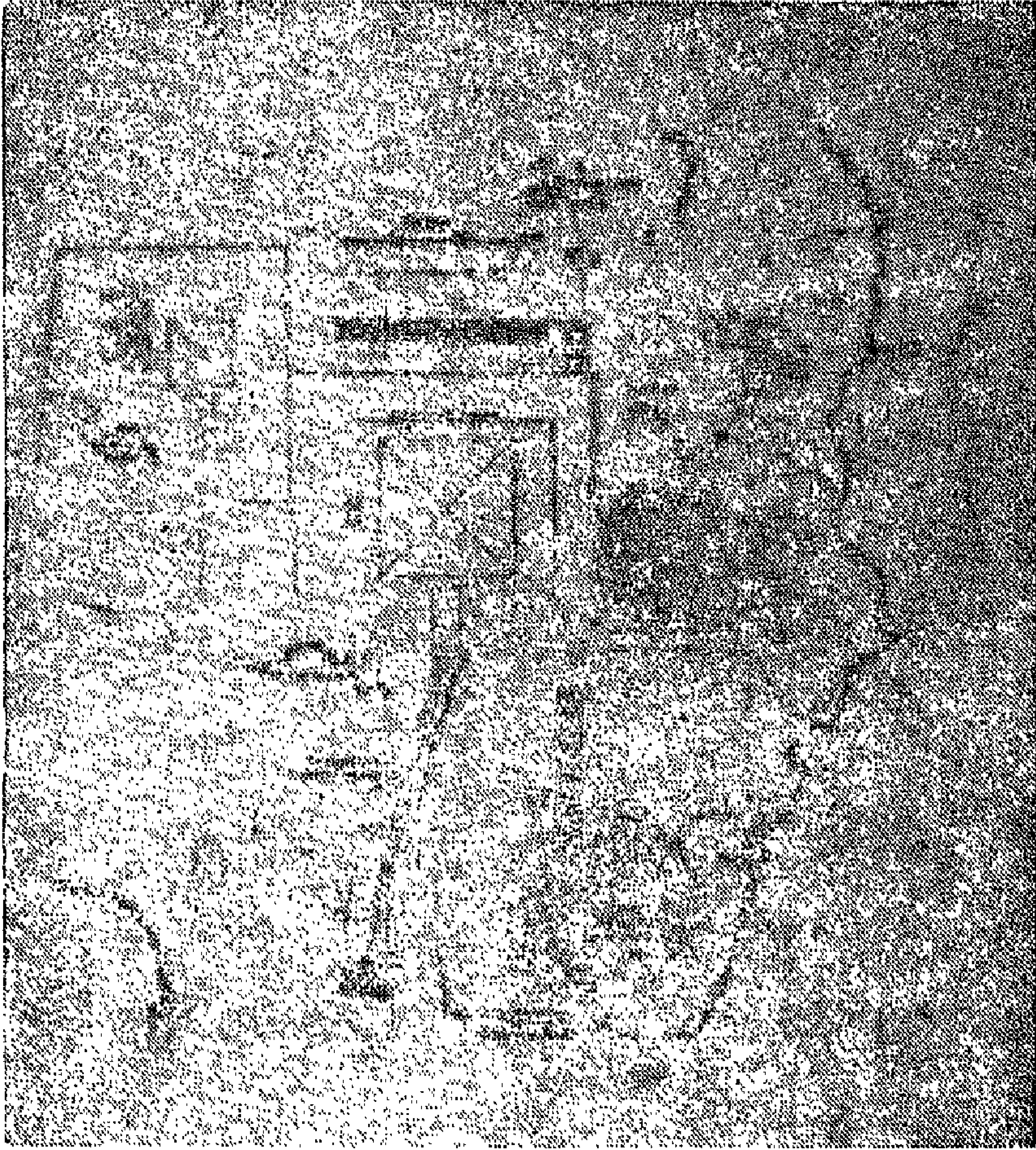
الف ، وكانوا يعملون ثلاثة أشهر كل عام ، وأن شكل الهرم وطريقة بنائه والمجهودات الضخمة التي بذلت في تشييده ، تعكس تصميما قويا على أن خدمة الملك كانت أهم واجب يؤديه الإنسان المصري القديم في تلك المرحلة . فقد كان الملك هو المحور الذي يدور حوله كل شيء في نظام الدولة . وعلى ذلك ، فلم يكن هناك ما يستدعي استعداد الشعب أكثر من تشييد الهرم ليضمن حياة خالدة للملك ومن الأدلة الأثرية المعبرة عن الارتباط الوثيق بين الملك وأفراد الشعب ، اتجاه المصري القديم إلى إقامة مقابره حول مقبرة الملك ، ويتمثل ذلك بصورة واضحة في الجبانات الغربية والشرقية والجنوبية حول هرم الملك خوفو في الجيزة[١] (شكل ٥٦) فقد كان يبني حول هرم الملك مقابر لكبار رجال البلاط والأمراء ، وكان الدفن في هذه المقابر يعتبر تفضلا خاصا من الملك . فكثيرا ما كان الملك يساعد بعض الجديرين من رجال البلاط في تجهيز مقابرهم والإنفاق عليها[٢] . وفي الإمكان الاستدلال على بقاء الفرق الشاسع بين الملك وبين رعاياه بصورة واضحة في تلك المرحلة على أساس الفارق بين حجم هرم الملك الضخم ومصاطب الأفراد البسيطة المقامة بجواره . وتنبغي الإشارة إلى رأي إنجلباخ Engelbach[٣] الذي يؤكد أن بناء الأهرام كان نوعا من الإحسان الاستبدادي قام به ملوك تلك المرحلة نحو رعاياهم بغرض توسع الملك في إقامة المنشآت العامة ، وأهمها بطبيعة الحال تشييد هرمه . وبذلك فإنه

---

(١) Reisner, G. A., A History of the Giza Necropolis, Vol. I, London, 1942, p. 21.

(٢) أ . أرمان ، ديانة مصر القديمة ، ص ٢٨٨ .

(٣) Engelbach, «An Essay on the Advent of the Dynastic Race in Egypt and its conquest», (in) Ann. Serv, Tomb XLII, Le Caire, 1943, pp. 193 ff.



شكل (٥٦)

جبانه الجيزة ويلاحظ تواجد مقابر الأفراد حول الأهرام .

يهيء عملا للأيدى العاملة ، ويقضى على مشكلة البطالة . ويعلل هذا الاتجاه بسبب رخاء مصر تحت حكم هذا الملك بالإضافه إلى تدعيم وحدة البلاد مما نتج عنه الأمن والاستقرار وازدياد عدد السكان زيادة مفاجئه أكثر مما تتحمله موارد البلاد الاقتصادية آنذاك ، فتسبب عنه نوعا من البطاله . وبالرغم من أن هذا العمل قد يكون الدافع إليه هو الرغبة فى القضاء على مشكلة البطاله ، إلا أن ذلك التبرير قد لايكون هو الدافع لبناء الأهرام ، إذ أن المعقول أن يكون التمسك بخدمة الملك هو السبب الرئيسى فى تحمس الإنسان المصرى القديم طمعا فى الجزاء الأبدى .

وقد يؤخذ على خوفو أنه حرم على الأفراد إقامة الأبواب الوهمية والتماثيل و نقش غرف القربان ، إلا أن الدافع لذلك ، قد يكون الرغبة فى اقتصار إقامة التماثيل وتقديم القرابين على الملوك ، وأن ذلك قد يعطى لنظام الملكية المصرية القديمة مركزها القوى عندما يظل الفرق شاسعا بين الملوك والأفراد . أما ما أثير من اغلاق خوفو لمعابد الآلهة فى عهده ، فلم يقم عليه دليل . وعلى النقيض من ذلك، فانه قد جاء فى رواية من عهد البطالمة أن خوفو شيد معبدا لحتحور بمدينه دندره (١) *

خلفاء خوفو : ظهر الصراع بين أفراد الأسرة المالكة من أبناء خوفو حيث تزوج هذا الملك أكثر من زوجة، وكان له أبناء من كل منها . ونشب النزاع المرير بين الأبناء تؤيدهم الأمهات وبعض رجال البلاط كل منهم يطالب بأحقيته فى العرش . فالملكة مرسعنخ الثانية Meresankh II التى ربما كانت من أصل ليبى وأمها الأميرة حتب حرس الثانية كانت زوجة لولى العهد كاوعب الذى تآمر أخوه جدف رع Djedef-Re عليه لقتله ليتولى العرش ، وكان ابنا لزوجة ثانوية. وقد نجح فى مؤامرته وتولى العرش وتزوج من حتب حرس الثانيه زوجة كاوعب . وقد تخلفت بعض التماثيل من عهد الملك جدف رع ومنها تمثاله الموجود بالمتحف المصرى ، وكذلك تمثاله الموجود بمتحف اللوفر والذى تدل قسماته على القوة بما يوحى بصورة ملك قوى . وقد عثر كذلك فى المعبد الجنزى للملك جدف رع على تمثالين لاثنين من أبنائه وهما على هيئة الكاتب . وكانت وظيفة الكاتب فى الدولة القديمة من الوظائف الهامة بدليل

(١) Breasted, G. A., op. cit., p. 119.

(*) على الشاطىء الغربى للنيل فى الإقليم السادس من أقاليم الوجه القبلى .

الاعتقاد بأن الملك نفسه سيكون كاتب للإله رع بعد موته . ولما كان الملك إلها فى حياته الآخروية ، فقد كان له الحق فى أن يكون له هو الآخر كتبه فى حياته الآخروية (١). وقد بنى جد ف رع هرما فى أبى رواش (شمال أهرام الجيزة) ، ويظن أن هذا الهرم لم يكتمل بناؤه فى عهده ، وربما بسبب عدم قدرة الملك على إتمام بنائه . وذلك لانشغاله فى إحدى المنازعات الفردية على العرش ، والتى بدأت تأخذ طريقها بعد انتهاء عهد الملك خوفو ، إذ استمرت المؤامرات حول جد ف رع . وبعد ثمانى سنوات يختفى جد ف رع ويخلفه على العرش خع اف رع Khaa - ef - Re (خفرن) الذى تزوج من ابنة كاو عب وحتب حرس الثانية وهى مرسعنخ الثالثة . واستمر ازدهار التشييدات المعمارية فى عهد الملك خع اف رع . ويتضح ذلك فى مجموعة الهرم الثانى بالجيزة ، والتى تعتبر من أكمل المجموعات الهرمية التى عثر عليها إذ ان عناصرها بقيت مكتملة على مدى السنين . وبالرغم من أن حجم هذا الهرم أقل قليلا من هرم خوفو ، إلا أنه احتفظ بكسوته الخارجية ، وخاصة فى الجزء العلوى حتى الآن . ومن أهم الآثار الملحقة بهرم الملك خع اف رع يوجد المعبد الجنزى شرقى الهرم ثم الطريق الجنزى المؤدى إلى معبد الوادى .

وقد كشفت حفائر مصلحة الآثار عامى ١٩٢٦ ، ١٩٣٦ على أن تمثال « أبو الهول » كان يحمل ملامح وجه الملك خع اف رع ولكنه كان تمثالا الإله حامى الجبانة . وقد اعتبر المصريون أبو الهول بالنسبة لهم إلها أطلقوا عليه حور ام اخت أو حور فى الأفق وفى اليونانية حرماخيس Harmakhis . ولقد

---

(١) م . أ . شكرى ، الفن المصرى القديم منذ اقدم عصوره وحتى الدولة القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٠١ .

زاد الاهتمام بأبو الهول فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى حيث كانت تقام له الأعياد فى العصر الرومانى . وتوجد لوحة أمام أبو الهول تخص الملك تحوتمس الرابع تعرف باسم لوحة الحلم . وكان يشار إلى أبو الهول كإله معبود يدعى « برحول » ، وربما كان هذا اللقب هو أصل اسمه الحالى . وفى الدولة الحديثة كانت توجد معسكرات أسرى الحروب الأسيوية التى كانت تقدم له اللوحات والقرابين .

وبعد وفاة خع اف رع ، استمر النزاع بين أفراد العائلة المالكة . وتشير الوثائق التاريخية إلى ذلك الصراع ، قبل أن يتمكن منكاو رع من استعادة عرش أبيه . وقد عثر على بعض أسماء ملوك الأسرة الرابعة منقوشا على أحد الصخور فى وادى الحمامات بالترتيب التالى : خوفو ، ر ع د د ف ، خع ا ف ر ع ، حور ددف ، با اف — رع . ويتضح من هذا النقش ، أنه فى الفترة بعد موت خع ا ف رع تولى العرش حور ددف الذى عثر له على مقبرة فى الجيزة ، ثم با - ا ف - رع الذى لم يعثر له على مقبرة . ومهما كان الأمر فإنه يصعب البت فيما إذا كان قد حكم بين خع ا ف رع ومنكاورع ملك واحد من أخوة خع ا ف رع أو حكم ملكان . ويمكن القول أن الأمور قد استقرت فى عهد الملك منكاورع Menkaure حيث عادت البلاد إلى حالتها الطبيعية . وقد شيد هذا الملك الهرم الثالث وهو آخر مجموعة من أهرامات الجيزة . وهو يصغر كثيرا فى الحجم عن الهرمين الآخرين ، ولكن تصميم معبده الجنزى كان يهدف إلى جعله ضخما ، إلا أن منكاورع مات قبل الانتهاء من وضع كساء الهرم . وقد قام خليفته شبسسكاف بإتمام مجموعته الهرمية بصورة سريعة إذ أتمها بالطوب النى . وإذا اعتبرنا حجم الهرم مناسبا مع قوة صاحبه جاز لنا أن نستنتج أن قوة منكاورع قد ضعفت بالمقارنة بقوة خع ا ف رع . وقد انعكس ذلك على باقى النتاج الفنى

المتمثل فى النحت حيث نلمس فى ملامح الوجه لتماثيل منكاورع بأنها لا توحى به تماثيل خع ا ف رع من العظمة والقوة . وعلى الرغم من هذا التغير فى النتاج الفنى ، إلا أن ألقاب الملك استمرت تعبر عن الارتباط الوثيق بعقيدة الملكية الإلهية فى عهد منكاورع ، ويستدل على ذلك من النص الذى وجد على تابوته . يقول النص « ... أوزير ملك مصر العليا ومصر السفلى ... منكاورع له الحياة إلى الأبد ، المولود من السماء ، ابن « نوت » ووريث « جب » المحبوب منه . تمد أمك « نوت » جناحيها فوقك باسمها « سر السماء » لقد جعلتك معبودا باسمك « الاله » يا ملك مصر العليا ومصر السفلى « منكاورع » لك الحياة إلى الأبد[١] ...

ومن الأدلة الأثرية الهامة التى تخلفت من عهد الملك منكاورع ، نشير إلى النقوش التى وجدت على عتبة مقبرة رمنوكا بالجيزة . وكان رمنوكا كبيرا لكهنة الملك منكاورع وكبيرا لكهنة هرمه . السطر الأعلى « ... إن الذى يحب الملك والإله أنوبيس الذى على قمة جبل ، لا يأتى بأذى لمحتويات هذا القبر ، من القوم الذين سيصعدون إلى الغرب ، أما من جهة هذا القبر الأبدى .

السطر الأوسط : فانى قد أقمته لأنى كنت مقربا لدى الناس والملك ولم يحدث قط أنى اغتصبت أى شىء من أى إنسان لهذا القبر لأنى أذكر يوم الحساب فى الغرب . وقد أقمته .

السطر الأسفل : هذا القبر مقابل أجور من الخبز والجعة التى أعطيتها للعمال الذين أقاموه تأمل !! لا نزاع فى أنى أعطيتهم أجورا من الكتان الذين كانوا يطلبونه ، وقد دعوا الله لى من أجل ذلك ... »[٢]

(١) أ . فخرى ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٢) Hassan, S., With the Collaboration of Abdel Salam A. S., Excavations at Giza (1930 — 1931), Cairo, 1936, p. 173.

ويستدل من تحليل هذا النص، على أن رمنوكا كاهن الملك منكاورع لم يسخر العمال فى بناء مقبرته بل أعطاهم أجرهم كما تدل النقوش على بداية الخوف من يوم الحساب فى الآخرة مما يدل على وجود دافع دينى يدعو إلى حسن معاملة الأتباع . ومن ناحية أخرى فقد انعكس ثراء كبار الأفراد وإزدياد مكانتهم السياسية والاجتماعية على آثارهم من حيث السعة والفخامة وتعدد النقوش .

كما نقش على مقبرة دبحنى فى الجيزة ، نص يقص فيه هذا الموظف الكبير عن زيارة الملك منكاورع لمواقع العمل فى مقابر العائلة المالكة ، وأن جلالته أصدر أمرا بأن يخصص خمسون عاملا لبناء مقبرة لدبحنى خادمه الأمين . كما أصدر الملك أمره لبعض العمال الذين كانوا يحضرون الحجر الجيرى لأحد المعابد ، بأن يحضروا الأبواب الوهمية الضرورية لمقبرة دبحنى وذلك ... من حجر طره .

يقول النص : « ... كان ملك مصر العليا والسفلى ، منكاورع له « الحياة الأبدية » ، عندما كان جلالته على الطريق بجانب الهرم حر (هرم منكاورع) لكى يتفقد العمـــل فى الهرم ... وهنا حضر قائد الـ « بحرية » واثنان من كبار كهنة منف ورجال « العمل » واقفين ليتفقدوا العمل فى (الهرم « المقـــدس » ...) .. رجلا قد خصصوا للعمل فيها كل يوم [1] ... » وتنبغى الإشارة كذلك إلى أنه جاء فى نقوش دبحنى أن الملك أمر بإحضار بابين وهميين من الحجر وكذلك واجهة المقبرة وتمثال بالحجم الطبيعى لتقام فى مقبرته » ... أنه لابد من إحضار حجر طرة ... بالإضافة إلى بابين وهميين ، وواجهة لهذه المقبرة ... وعلى كبير

(١) Breasted, AR, I, pp. 94, 95.

وبانى الملك الذى حضر — أنه قد « أحضر » لأجلى تمثالا أضخم بكثير من حجمى الطبيعى [١] ... » هذا وقد عثر على العطايا التى أمر بها الملك فى مقبرة دبحنى عند الكشف عليها فى عام ١٩٣٤ بالجيزة . ويستدل من هذه النصوص أن كبار الموظفين بدءوا فى الإحساس بأن لهم هم الآخرين فرصة فى حياة أبدية بدافع من أنفسهم ، وليس عن طريق تعلقهم بالملك. وعلى هذا الأساس، فقد بنوا منازلهم الأبدية على بعد مئات الأميال من مقبرة الملك بالرغم من استمرارهم فى تأكيد الطاعة العامة للملك. وهذا بطبيعة الحال يعتبر تناقضا لما كان عليه العرف من التصاق مقابر النبلاء وكبار الموظفين حول هرم الملك عندما كانت سلطة الملك فى أوج عظمتها .

وتشير بعض النصوص المصرية القديمة إلى مظاهر التغير فى علاقة الملك بأفراد رعيته . ومن ذلك السماح لأبناء المقربين من كبار موظفى الفرعون بتلقى تعليمهم مع أطفال الملك فى القصر وفى القاعات الخاصة وفى الحريم الملكى ، مما يدل على نوع من التقريب الفجوة بين هؤلاء الأطفال وبين أبناء الملك . يقول النص « ... فى عهد منكاورع الذى تعلم مع أطفال الملك فى القصر الملكى ، فى الجناح الخاص فى داخل الحريم الملكى وكان مقربا لدى الملك أكثر من أى طفل، بتاح شبسس [٢] ... » . ثم استمر هذا الاتجاه فى عهد خليفته شبسسكاف Shepseskaf الذى تابع سياسة التقرب إلى رعاياه فقد خطا خطوة تعتبر الأولى من نوعها فى التاريخ الفرعونى حيث زوج ابنته « معات خع » من بتاح شبسس . يقول النص « ... فى عهد الملك شبسسكاف ، الذى تعلم بين أطفال الملك فى القصر الملكى فى

---

(١) Breasted, Ibid., p. 95.

(٢) ——— Ibid., p. 117, L. 1

الجناح الخاص ، فى داخل الحريم الملكى ، وكان مقربا لدى الملك أكثر من أى شاب . أعطاه جلالته كبرى بناته مءات شع كزوجة له ، لأن جلالته أراد أن يكون بصحبته من أى أحد [١] ... » . ونستنتج من النص أن هذا الزواج خروج على التقاليد التى كانت تؤمن بها تلك الأسرة الملكية . وزيادة على ذلك ، فإنه يمكن تصور خطورة مثل هذا الزواج على العرش نفسه فقد كان العرش ينتقل عن طريق المرأة . فالمرأة ملكة بحق المولد والملك ملك بحق الزواج . إن المصاهرات التى بدأت تأخذ طريقها بين الملوك وبين بعض كبار موظفيهم ، تعبر عن بداية الضعف الذى أخذ طريقه فى نظام الملكية .

وقد ورد اسم شبسسكاف على حجر بالرمو ومعه من الألقاب ما يدل على اهتمامه بعبادة الآلهة . يقول النص :

الملك شبسسكاف

السنة الأولى

...

ظهور ملك « مصر العليا »

ظهور ملك « مصر السفلى »

اتحاد القطرين

طواف الحائط

عيد سدات

مولد أوبوات

الملك يعبد الآلهة التى وحدت الأرضين. [٢]

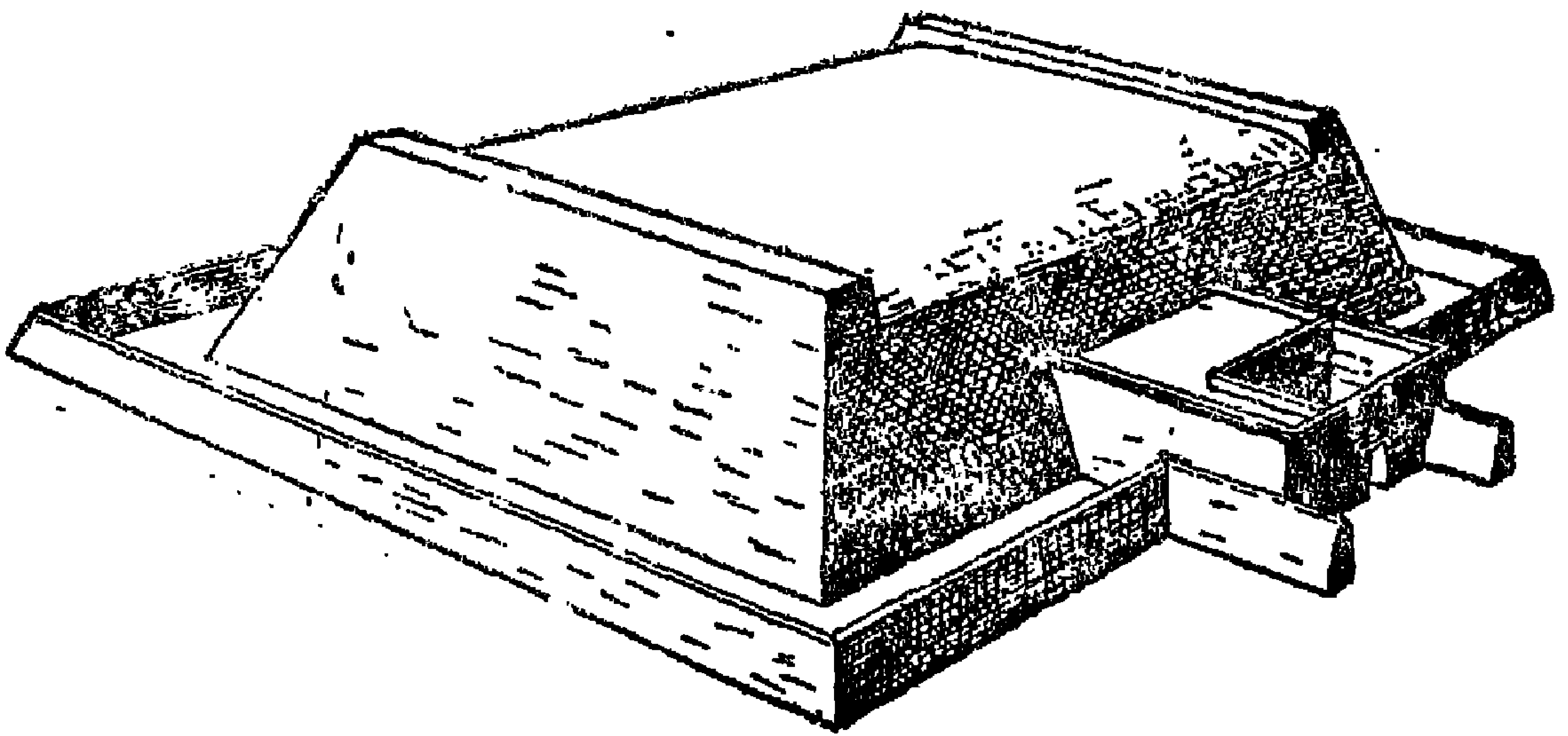
---

(١) ——— Ibid., pp. 116, 117.

(٢) ——— Ibid., p. 67.

ويستدل من دراسة هذا النص على احتفال الملك بعيد التتويج وعلى اهتمامه بأعياد الآلهة المختلفة وأن ذلك يدعم كسب رضى هذه الآلهة مما يضفى الصفة الإلهية على حكمه ، كما يؤكد استمرار دور الملك فى رعايته لمعابد تلك الآلهة .

ولقد قام الملك شبسسكاف بإتمام المجموعة الهرمية للملك منكاو رع ، ولكنه شيد لنفسه مقبرة ملكية لم تتخذ الشكل الهرمى مثل من سبقوه من ملوك الأسرة الرابعة ، فقد بنى مصطبة ضخمة على شكل تابوت (شكل ٥٧) ، وذلك فى منطقة سقارة القبلية فى منتصف المسافة بين الهرم المدرج فى سقارة وأهرام سنفرو فى دهشور . وقد جعل شبسسكاف لهذه المقبرة كل الملحقات التى تتبع الهرم . وقد قام جيكييه[1] Jéquier بتنظيف هذه المصطبة ، وأثبت أنها شيدت لتكون



(شكل ٥٧)
رسم تخيلى لمصطبة فرعون

Jéquier, G., Le Mastabet Faraoun, Cairo, 1928 . (١)

قبرا للملك شبسسكاف . وربما يستدل من اتجاه شبسسكاف إلى العدول عن الشكل الهرمى فى بناء مقبرته وابتداع شكل المصطبة ، إلى محاولة تخلى هذا الملك عن عقيدة الشمس ، ربما لاقتناعه بفكرة أقل روحانية أظهرها فى بناء قبره . وهى أن يخلد فى القبر نفسه بدلا من السماء ، باتخاذ القبر شكل تابوت . ويتجه سليم حسن (١) إلى القول بأن هذه الحركة كانت موجهة ضد كهنة عين شمس الذين أخذ سلطانهم يزداد حتى على سلطان الملك . وربما كان شبسسكاف بوضعه لهذه الفكرة ، يحصن نفسه ضد هؤلاء الكهنة أو ربما يوجد احتمال آخر لعدم قدرة خزانة الدولة على تمويل مشروع بناء الهرم . ومهما كان الدافع ، فإنه لا يمكن الجزم بأن حركة شبسسكاف تحمل دلالة نحو مناهضة عبادة رع بدليل أنه أتم بناء هرم والده منكاورع . وأن من تبعه من الملوك أقاموا معابد الشمس الإله رع ، كما استمروا فى بناء قبورهم متخذين شكل الهرم .

وفى الإمكان ملاحظة التدرج فى أحجام مقابر ملوك الأسرة الرابعة وأن ذلك يرتبط ببداية تقلص نفوذ الملك حيث يمكن ملاحظة الفرق الهائل فى الضخامة والروعة ما بين هرم خوفو الذى يمثل أوج الأسرة الرابعة ، ومقبرة شبسسكاف الذى يمثل آخر ملوك هذه الأسرة . ولعل السبب الأساسى لهذا التطور ، هو أن موارد البلاد لم تكن تستطيع أن تقدم كل ما تتطلبه هذه الإنشاءات وخاصة إذا ما أراد كل ملك أن يفوق من سبقه فى ضخامة حجم هرمه . وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن محاولة موظفى الأقاليم التنصل من التزاماتهم بإرسال العمال لبناء هرم الملك ، يساعد على الوصول إلى التباين الواضح فى العمارة الدينية فى هذه المرحلة .

---

(١) س . حسن ، المرجع السابق ، ص ص ٣١٤ — ٣١٥ .

ومع اقتراب نهاية عصر الأسرة الرابعة ، بدأ نظام الملكية المصرية القديمة يواجه بعض الحرج مما أدى إلى مرور هذا النظام بمرحلة تطورية جديدة . ويمكن إرجاع أسباب بداية التحلل من مفهوم هذا النظام إلى عدة عوامل دينية واقتصادية وسياسية .

ففى المجال الدينى ، كان الملك يحكم مصر ليس بحقه الإلهى فحسب ، بل بحق مولده الإلهى . فالملك فى نظر المصرى القديم كان إلها يرضى أن تكون الأرض موطنا له إلى حين . ومن أجل هذا ، كان الكهنة فى مصر دعامة العرش . ثم ظهر نوع من التنافس بين الكهنة حول محاولتهم التقرب من الملك والحصول على المنح والإعفاءات . وكان هذا التنافس على أشده فى هذا المجال بين كهنة الإله رع فى هليوبوليس ، وكهنة الإله بتاح فى منف . وقد تمكن كهنة الإله رع من الفوز فى تلك المعركة حيث كانوا يحاولون الانفراد بالسيادة الدينية بل وفرض سلطانهم على المجال السياسى كذلك . ويؤكد ذلك بعض الظواهر التى نلمسها فى عصر الأسرة الرابعة . ومن ذلك إدخال ملوك تلك الأسرة اسم الإله رع ضمن أسمائهم فمن المعروف أن لقب ابن الشمس ، قد ظهر بين ألقاب الملك جدف رع وخع اف رع ومنكاو رع . وقد سبق ذكر اسم رع فى قوائم الملوك قبل ذلك مثل رع نب ولقب الملك زوسر رع نرب هكذا كان موقف الكهنة من الملك فى مصر . ومع مضى الوقت ، نشأت طبقة أصبحت بفضل تقوى الشعب وكرم الملوك السياسى ، أعظم ثراءا وأقوى سلطانا من أمراء الإقطاع بل ومن الأسرة المالكة نفسها ومن الملك ذاته وكان لهم من المكانة والسلطان ما يفوق سائر الطبقات .

اما المجال الاقتصادى، فقد اتجه ملوك تلك المرحلة إلى الإسراف فى إخضاع الثروة القومية بالبلاد للتشييدات المعمارية الضخمة التى نفذوها . وكان كل ملك يحاول

شييد هرم أو أهرامات له . كما كان من المفروض فى تلك الأهرامات أن تخلد
إلى الدهر . ونتج من تشييد هذه المبانى الضخمة تهديد الاقتصاد القوى للبلاد .
أدت هذه الأعباء الاقتصادية الضخمة فى النهاية ، إلى تحرج نظام الملكية .

وبالنسبة للنزعة الفردية ، فإن الخلافات بين أفراد البيت المالك سواء فى عهد
خوفو وما بعد عهده ، كانت سببا فى حدوث الصراع السياسى مثل ذلك الصراع
الذى حدث بين جدف رع وخع اف رع من أبناء خوفو . ويحتمل امتداد
هذا الصراع إلى صفوف الكهنة وإلى الشعب كذلك . وبعد موت خع اف رع ،
استمر الخلاف مرة ثانية بين فرعى الأسرة بدليل أن الفترة بين حكم خع اف رع
ومنكاو رع حكم فيها ملكان فى مدى خمس سنوات ، كما ورد فى بردية تورين .
ويشير ريزنر[1] إلى إمكان تنازلهما عن الحكم ، كما يشير إلى دفنهما عند موتهما
فى مصاطب عادية فى جبانة الجيزة .

وبعد موت شبسسكاف ، عاد النزاع إلى البيت المالك حيث استولى جدف - بتاح
إلى العرش وحكم سنتين . وفى هذه المرحلة الدقيقة من عصر الأسرة الرابعة ، ظهرت
سيدة من الأسرة المالكة تدعى خنتكاواس Khent-kau-es التى يرجح أن
تكون ابنة منكاو رع وزوجة شبسسكاف ، أو ربما تكون قد تزوجت من
وسركاف الذى أسس الأسرة الخامسة وأصبحت بذلك أما لساحو رع ونفر
إر كا رع ، لأن اسمها وجد فى هرم نفراير كارع بأبى صير (بالضفة الشرقية

---

١) حاول ريزنر تحديد هذين الملكين ومعرفة اسميهما باللغة المصرية من الكتابة اليونانية
Reisner, G. A., Mycerinus, the Temples of the Third Pyramid Giza, Cambridge Mass, 1931, p. 240.

جنوب سقارة) ويعتقد بأن خنتكاواس لم تجلس على العرش ، وأنها لم تدفن فى هرم وإنما دفنت فى قبر على هيئة التابوت . ومهما كان الأمر فقد جاءت ثورة شبسسكاف على كهنة رع ، كعامل هام فى إنهاء عهد الأسرة الرابعة .

الأسرة الخامسة

من حوالى ٢٥٠٠ الى ٢٣٥٠ ق.م.

ابتداء من الأسرة الخامسة ، أصبحت العادة المتبعة أن يقرن اسم الملك بالإله رع ، مما يؤكد ازدياد نفوذ الإله الشمسى فى تلك الفترة التى أصبحت عبادة الشمس فيها الديانة الرسمية للبلاد . وقد خرجت الأسرة الخامسة على الشعب بأسطورة عثر عليها مكتوبة على بردية تعرف باسم وستكار(١) ، وهى موجودة حاليا بمتحف برلين ، لتقنع الإنسان المصرى القديم فى أصلها المقدس . ويرجح إرمان أنها كتبت فى عهد الهكسوس ، وتنسب الى الإله رع إنجاب أبناء يتنبأ لهم باعتلاء العرش ، وهم الملوك الثلاثة الأول للأسرة الخامسة . وتتلخص هذه البردية فى إخبار أحد السحرة ويدعى ددى(*) للملك خوفو بأن زوجة الكاهن

(١) Erman, A., Die Maerchen Des Papyrus Westcar, 2 Vols., Berlin, 1890 & Erman, A., L A E.

(*) يعيش فى ددسنفرو وهى مدينة بالقرب من ميدوم الحالية مركز الواسطى بمحافظة بنى سويف .

وسر » أحد كهنة رع والدهى ورد ـ ددت » سوف تنجب ثلاثة أبناء للإله ، وأن الإله أخبرها أنهم سيمارسون الملكية فى البلاد « ... هى زوجة أحد كهنة الإله رع فى ساخبو (على الضفة الغربية من النيل تجاه مدينة هليوبوليس) ـ هى تنجب ثلاثة أولاد وأنه (رع) قال عنهم أنهم سيملؤن هــذه الوظيفة الخيرة (الملك) فى هذه البلاد بأسـرها وأن أكبرهم سنا سيصبح كبيرا لكهنة هليوبوليس[1] ... » وفى أحد الأيام .. دعا الإله رع الإلهات إيزيس ونفتيس ومسخنت وحقت وخنوم قائلا : ... اذهبوا وخلصوا رد ـ ددت من الأطفال الثلاثة ... والذين سيمارسون هذه الوظيفة الممتازة (الملكية) فى هذه الأرض كلها ... فذهب هؤلاء الآلهة وذهبن فى صورة بشرية على هيئة راقصات ... وذهبوا إلى بيت رع وسر ... وطلبوا منه أن يروا زوجته ... فأدخلهم منزله وهناك دخلوا على رد ـ ددت ... وأخرجن إلى الدنيا ثلاثة أطفال طول كل واحد منهم ذراع ، وكل واحد منهم ذو عظام قوية ، وأعطت إيزيس لكل واحد منهم اسمه ، بينما انبأت مسخنت لكل واحد منهم بأنه سيكون ملك البلاد بأسرها ، وكان خنوم يمنح الصحة لجسد الطفل ، وهؤلاء الأطفال الثلاثة هم وسررف (أوسركاف) ، ساحرع (ساحورع) ، كوكو (نفر إيركارع) وفقا لنطق إيزيس لأسمائهم ... وعندما تركت الإلهات الدار وأنبأن الكاهن رع وسر بالأبناء الثلاثة ، شكرهن وأعطاهن مكيالا من الشعير يحمله خنوم ... وبعد أن ساروا فى طريقهم من حيث أتوا قالت إيزيس للآلهة الأخرى : ... كيف نأتى الى رد ـ ددت دون أن نضع لهؤلاء الأطفال معجزة نعلنها إلى أبيهم الذى بعثنا (؟) ولذلك فقد صاغوا ثلاثة تيجان ملكية وضعوها فى الشعير ، ثم

Wilson, J. A., The Burden of Egypt, Chicago, 1951, p. 88. (1)

أثاروا عاصفة شديدة ، ورجعوا إلى رد - ددت وطلبوا أن يضعوا الشعير في حجرة مقفلة حتى يعودوا ليأخذوه ، وبعد أربعة عشر يوما ، أمرت رد - ددت خادمتها بأن تجلب بعض الشعير مما تركه الأجانب (الإلهات) غير أن الخادمة عادت مندهشة لأنها ما كادت تفتح الحجرة التي كان فيها الشعير حتى سمعت فيها أصوات غناء وموسيقى ورقص وصياح(؟) وعلى الجملة كل ما يصنع للملك[١]...»

ويستدل من تحليل موضوع بردية وستكار أنها أوردت بعض تفاصيل عن المولد الإلهي للملوك . فقد جاء في إحدى الفقرات أن الأطفال الثلاثة أو سركاف وساحورع ونفر إيركارع هم أبناء الإله رع ، وفي فقرة أخرى أن رع هو أبوهم. وعلى أن الإلهات المساعدات في عمليات الولادة [٢] من الإلهات « حقت » التي عجلت عملية الوضع ، « وإيزيس» التي كانت تنطق باسم كل مولود بعد ولادته ، « ومسخنت » التي كانت تعلن عارسته الملكية لحظة ولادته ، « وخنوم » الذي كان يمنح جسده الصحة .

ويمكن اعتبار قصة المولد الإلهي لأبناء الإله رع الثلاثة لها مغزاها التاريخي، فهي محاولة نسجها الفكر الديني الهليوبوليتاني حول كهنة الإله رع لتجعل منهم أبناءا لهـــذا الإله ليكتسبوا بذلك شرعية وحقا إلهيا في الحكم . وربما يكون أو سركاف قد استطاع بمعـــاونة كهنة الشمس ، أن يصـل إلى العرش ويتزوج خنت كاوس ليصبح جلوسه على العرش شرعيـــا في نظر الشعب ويكاد يتفق

---

(١) Erman, A., LAE, p. 46.

(٢) Blackman, A. M. "Notices of Recent Publications", (In) JEA, Vol. X, London, 1924, p. 146.

المؤرخون[1] على أن خنت كاوإس كانت أما للملكين هما ساحورع ونفرإيركارع ، وبذلك لا يكون ملوك الأسرة الخامسة مغتصبين للعرش بل ملوكا شرعيين . ومن ناحية أخرى ، يدل موضوع هذه البردية على بداية تقلص سلطة الملك المطلقة ، وازدياد نفوذ كهنة الإله رع فى هليوبوليس مع قيام الأسرة الخامسة بهذه الطريقة . ويعتقد إرمان [2] أن هذه الأسطورة تعكس المرحلة التى تم فيها انتقال القوة من الملك ذى السلطة المطلقة إلى الملك ذى الاتصال التعاونى مع كهنة هليوبوليس . ويعتقد بعض المؤرخين بأن قيام الأسرة الخامسة بهذه الطريقة كان ضربة لسلطة الملكية ، إذ بدأت تفقد الشىء الكثير بانتساب ملوكها للإله رع . ولو أنه من ناحية أخرى ، يمكن القول بأن هذه الخطوة لا تعتبر ضربة بل تعتبر تأكيدا لسلطة الفرعون ، على أساس الاعتقاد بأن انحدار الملوك الثلاثة الأول لهذه الأسرة من صلب الإله نفسه يعتبر تأكيدا لأحقيتهم فى العرش . والواقع أن نفوذ هؤلاء الملوك كان من المتوقع أن يزيد ، ولكن حدث غير ذلك ويعود السبب فى هذا إلى أن هذه الأسرة قامت بدافع من كهنة عين شمس ، مما يحمل على الاعتقاد بأن ملوك هذه الأسرة كانوا يدينون بالولاء للإله رع ، ثم لكهنته الذين ساندوهم مما كان له أثر فى إضعاف نفوذ الملك . وبذلك يكون الإله رع قد نجح فى تحدى السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها الملك . ومن الأدلة الأثرية التى تدعم هذا الاتجاه ، أن عمارة الأسرة الخامسة فى أبى صير ، تضمنت إقامة المسلات والمعابد المكشوفة التى كان ارتفاعها

---

(١) Borchardt, L., "Hnt – K. W. S , Die Stammutter der 5 ten Dynastie" (mit einen abbildung Sblat) (in) Ann. Serv. XXXVIII, Le Caire, 1938, pp. 209 – 215.

(٢) Erman, A., LAE, pp. 36 ff.

يفوق مستوى الهرم . ويتجه ولسون[١] إلى القول بأن سلطان الملك فى الأسرة الرابعة كان فوق سلطان رع ، بينما كان الإله رع صاحب الأمر والسلطان فى الأسرة الخامسة عندما ضعف مركز الفرعون . وهذا يجعلنا أن نتساءل عما إذا كان فى الإمكان القول بأن رع أصبح منافسا لفرعون فى أن صار سيدا للبلاد ؟ أم أن المسألة كانت إحلال رع كإله للدولة على أن يكون هو سيد الآلهة ولا منازع له ، فى حين بقى سلطان الملك هو هو بعينه . ومما يدعم هذا الرأى ، أن النصوص المصرية استمرت تعبر عن نفوذ الملك وخلوده حتى فى تلك المرحلة ، دون اعتبار للتغييرات التى حدثت نتيجة تفكك عرى المركزية . وتؤكد متون الأهرام ذلك ، وعلى سبيل المثال الفقرات التالية :

١٤٦٦ «جـ» « ... لقد ولد الملك حين كانت السماء لم تخلق بعد وحين كانت الأرض لم تخلق بعد ... » (٢)

١٤٦٦ «د» « .. وقبل أن يخلق الناس وقبل أن توجد الآلهة ، وقبل أن يكون هناك موت ... » . (٣)

١٤٦٨ «ب» « ... والملك سوف لا يقتل من أجل أعدائه ... » (٤)

١٤٦٨ «جـ» « ... الذين سوف لا يموتون بسبب الملك ، والملك هذا سوف لا يموت من أجل ملك ... » (٥) .

---

(١) Wilson, J., Op. Cit, pp. 87 – 88.

(٢) Sethe, K., Die Altaegyptischen Pyramidentexte, Leipzig, 1910, p 302, no. 1466 c.

(٣) ———, Ibid, p. 303, no 1466 d.

(٤) ———, Ibid, p. 303, no. 1468 b.

(٥) ———, Ibid, p. 303, no. 1468 c.

١٤٦٨ «د» « ... وأولئك سوف لايموتون من أجل ميت ، والملك سوف لايموت من أجل ميت ... » (١)

١٤٦٩ «أ» « ... الملك نجم لايخبو ... » . (٢)

وأول ملوك الأسرة الخامسة هو أوسركاف Userkaf الذى يعتبر أول من بنى معبدا للشمس فى أبى صير ، أما هرمه فيقع فى الناحية الشمالية الشرقية لمجموعة زوسر الجنزية . وقد أشار حجر بالرمو إلى اهتمام أوسركاف بتشييد معبد للإلهة حتحور فى مدينة بوتو فى الدلتا ، وأنه أوقف بعض الاراضى لمعبد الإله رع . وقد نصب أوسركاف أحد زعماء طهنـا الجبل بمحافظة المنيا ويدعى نى كاعنخ كاهنا للإلهة حتحور ، وأوكل إليه حق الإشراف على أوقاف شخص يدعى خنوكا . وقد أوصى نى كاعنخ قبل وفاته بتقسيم المنحة الملكية على أولاده.

وتشير نقوش بتاح شبسس إلى نفوذه فى عهد الملك أوسركاف حيث يقول النص « ... المقرب إلى أوسركاف كبير كهنة منف ، المقرب إلى الملك أكثر من أى خادم ، هو ينزل فى كل سفينة للبلاط ، هو دخل بطرق القصر الجنوبى فى كل أعياد التتويج ، بتاح شبسس (٣) ... » ويستدل من دراسة هذا النص على السماح لبتاح شبسس بدخول القصر الملكى ، ومشاركته فى الأعياد الملكية مما يعبر عن التقارب بين الملك وبين أفراد الرعية .

أما ساحو رع Sahu Re فقد خلف أوسركاف على العرش ، وحكم أربعة عشر عاما ، وبنى هرما فى منطقة أبى صير . وبالرغم من أنه لم يعتن بالتشييد

(١) ________ , Ibid., p. 303, no. 1468. d.

(٢) ________ , Ibid., p 303, no. 1469 a.

(٣) Breasted, AR, I, p. 118, L. 5.

هرمه ، إلا أنه اهتم بتجديد معبده الجزى ، وعنى بتزيين قاعاته . وتدل النقوش التى عثر عليها على جدران معابده ، أن مصر تعرضت فى أيامه إلى غـزو من الليبيين ، ولـكن ساحو رع هزمهم كما أرسل حملة نحو الجنوب ، وقـد ترك رئيس الحملة اسم ساحو رع منقوشا على أحد الصخور عند توماس فى بـلاد النوبة ، ويشير حجر بالرمو إلى إرساله حملة إلى بلاد بونت (*) . وقد عادت هذه الرحلة محملة بالذهب والبخور والخشب والأبنوس . وفى عهده أنشأت مصر صلات تجارية مع جيرانها فى الشرق والجنوب فقد دلت الرسوم الموجودة فى أحد مقابر دشاشة (مركز ببا بمحافظة أسيوط) على مهاجمة أحد حصون جنوبى فلسطين .

وتشير نقوش بتاح شبسس إلى استمرار الارتباط الوثيق بين الملك وبعض الأفراد يقول النص « ... المقرب لساحورع ، المبجل عند الملك من أى خادم كأمين سر لـكل عمل التى يرغب جـلالته فى إنجـازها ، الذى أسعـد قلب سيده كل يوم ، بتاح شبسس ... »(١) . وتدل دراسة هذا النص على استمرار التقرب إلى الرعية فى عهد ساحورع إلى الحد الذى سمح فيه هذا الملك لبتاح شبسس أن يكون سميره يسلى قلبه كل يوم . ونلمس مثل هذا الاتجاه فى النصوص المدونة على اللوحة الجنزية لـ « نى عنخ سخمت » كبير أطباء الملك ساحورع . فقد عثر على هذه اللوحة فى مقبرة نى عنخ سخمت بسقارة (**) . يقول النص « ... رئيس الأطباء نى عنخ سخمت تحدث فى حضرة جلالته : ليت شخصك ، المحبوب من رع ، يأمر بأن أمنح بابا وهميا من الحجر لقبرى هذا فى الجبانة ... »(٢) .

(*) أى الصومال واريتريا فى ناحية وجنوب بلاد العرب فى الناحية الأخرى .

(١) ———— , Ibid., p. 118, L. 5.

(**) بالرغم من بساطة هذه المقبرة إلا أنها كانت مزينة بباب وهمى من حجر طرة الأبيض .

(٢) ———— , Ibid., p. 108.

أمر جلالته بأن يؤتى له ببابين وهميين من حجر طرة ، وأن يوضعا فى قاعة مجلس البيت « ساحورع - يضىء - ب - التيجـــان » وأن على كاهنى منف العظيمين وصناع ال ... يبين لهم بأن العمل الواجب عليهم يجب أن يؤدى فى حضور الملك نفسه . وقد استمر العمل فى المحجر كل يوم ، وكان يفحص ما أنجز يوميا فى البلاط . وقد قام جلالته لون ... وضع عليهما ، وقد طلاهما باللون الأزرق[1] .

وقال جلالته لرئيس الأطباء نى عنخ سخمت : « ما دامت أنفى سـليمة ، وطالما الآلهة تحبنى ، فإنى أتمنى لك أن تذهب إلى الجبانة بعد عمر طويل مكرما . وقد دعوت الملك كثيرا وصليت لكل إله من أجل ساحورع ... »[2] .

ويتبين من دراسة هذا النص أن رئيس الأطباء دونه على باب وهمى أهداه إليه الفرعون بالرغم من أن المحاجر الموجودة فى طرة كانت قاصرة على الملوك ، ولم تكن فى مقدرة الأفراد أن يتطاولوا على مجرد الرجاء فى الحصول على القطع اللازمة منها لإقامة مقابرهم إلا كهبة من الملك لمن شاء من رجال الحاشية . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن قيام الملك بالإشراف شخصيا على إعداد مقبرة نى عنخ سخمت وفحصه المنجزات اليومية وتلوينه وصقله للمقبرة ، يعتبر دليلا على تحول جديد فى سلوك الملوك نحو الأفراد بصورة لم نألفها فى المرحلة السابقة ، عندما كانت التقاليد الملكية لا تسمح بمثل هذا التقارب بين الملك والرعية ، ولا بهذا العطف الزائد الذى يتخذه المظهر الإنسانى .

وقد خلف ساحورع على العرش أخيـه نفر إيركارع Neferir-ka-Re

---

(١) ________ , Ibid., p. 109.

(٢) ________ , Ibid., p. 109.

ويشير حجر بالرمو عن حبه للكهنة والمعابد ، وعن تقديمه منح الأوقاف للآلهة ، كما أصدر مرسوما ملكيا بإعفاء فلاحى المعابد ورجال الدين من القيام بأى عمل آخر . وهذا يدل على بدء ظهور سلطة الكهنة فى عهده . وتشير نقوش بتاح شبسس إلى مركزه فى عهد الملك نفر إيركا رع ، حيث يقول النص « ... التابع للملك نفر إيركارع ، الأكثر قربا إلى الملك عن أى خادم ، وعندما أثنى عليه جلالته لأمر ما سمح جلالته له بأن يقبل قدمه ، ولم يسمح جلالته له بأن يقبل الأرض ، بتاح شبسس ... »[1] .

ويستدل من ذلك أن أكثر شرف ناله بتاح شبسس كان بلا شك سماح الفرعون له بأن يقبل القدم الملكى بعد أن كان يتعذر عليه تقبيل الأرض بين قدمى ملكه[2] . وتدل نقوش واش بتاح على نفس الاتجاه . وكان واش بتاح من وظائفه القاضى والوزير المعمارى ، ومقبرته بأبى صير بناها ابنه ولكن معظم نقوشها بلى ، وإن كان ما بقى منها يبين أن الابن يذكر ما حدث لأبيه فى عهد نفر إير كارع . والكتل المنقوشة موجودة حاليا بالمتحف المصرى تحت أرقام ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٦٧٣ ، ١٧٠٢ . يقول النص « ... نفر إير كارع جاء ليشاهد جمال البناء ... أعجبوا كثيرا جدا أكثر من « كل شىء » حينئذ أثنى عليه جلالته من أجل هذا . ولاحظ جلالته ... أنه لم يصغ ... وعندما سمع أولاد الملك والأصدقاء الذين كانوا من رجال الحاشية ... ، استولى على قلوبهم الهلع ... وقد حمل إلى البلاط ، واستدعى جلالته أولاد الملك والأصدقاء ، والكهنة المرتلين ورئيس الأطباء ... جلالته قد أحضروا له صندوق مخطوطات ...

(١) ________ , Ibid., p. 118.

(٢) Breasted, J. H., A History of Egypt, p. 76.

ذكروا أمام جلالته أنه مات ... وكان قلب جلالته حزينا ، أكثر من أى شيء ، وقال جلالته أنه سيفعل كل شيء حسب رغبة قلبه ، وعاد إلى حجرته الخاصة ... صلى للإله رع ... أمر بالكتابة على مقبرته ... وأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع لم يصنع لواحد مثله من قبل ... أمر جلالته أن يحنط أمامه ... »[1] .

ويستدل من هذا النص على أن الملك نفر إيركا رع ذهب مع عائلته يوما للتفتيش على بناء كان يقوم واش بتاح بعمارته ، وأعجب الجميع بالبناء . والتفت الملك ليمدح وزيره الأمين ، ولكنه لاحظ أن الوزير لم يصغ ، فنبه الحاشية إلى ذلك . وحمل الوزير المريض فورا إلى البلاط ، واستدعى الأطباء والكهنة . ولكن الوزير مات فاستولى الهلع على قلوب الجميع ، وحزن جلالته عليه حزنا كبيرا واعتكف فى حجرته يدعو الإله رع . وعملت الاستعدادات لدفن واش بتاح ، وأمر الملك بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع لم يصنع لواحد مثله من قبل ، وأن يعطر جسده فى حضرة جلالته . وأمر الابن ببناء قبر أبيه منحة من الملك وتسجيل الحادث على جدران المقبرة .

أما عن رع ور ، فقد كشفت حفريات جامعة القاهرة عن مقبرته فى عام ١٩٢٩ بالقرب من أبو الهول من الجهة القبلية . وكان رع ور يحمل أكثر من ثلاثين لقبا منها لقب كاهن سم (أعلى درجات الكهنوتية) وكان له خدم وموظفون بنوا مقابرهم داخل مقبرته أو حولها ، وأهمهم مرسو عنخ الذى كان مديرا لماليته . ولم تكن مقبرة رع ور تقل عن مقابر الملوك إذ كان بها مالا يقل

(١) Breasted, AR, I, pp. 112 — 1.3.

من ١٢٠ تمثالا ، ٥٠ حجرة وقد وجدت قصة رع ور منقوشة على الحجر الجيرى الصلب الذى نصب فى واجهة جدار أحمد سرادييه . (12 . a) » والتى كان يوضع فيها تماثيله بمقبرته . والنص مدون على سطر أفقى وعشرة أعمدة رأسية . يقول النص :

« ... ملك مصر العليا ومصر السفلى نفر إيركا رع ، يظهر كملك مصر السفلى فى يوم احتفال عيد خاص بجر السفينة المقدسة »

وكان رع ور فى ملابسه الرسمية يتبع خطوات جلالته

وكان كاهن سم ... عصا الفرعون التى كانت فى يد جلالته لطمت ساق الكاهن سم رع ور . فقال جلالته

« هل أنت بخير هكذا نطق جلالته . ثم قال جلالته»

« إنه أحب رجل عندى ... »

وأنه بخير ، إنه لم يصب بأية ضربة . إنه أخص الناس بعطف جلالته بفضله عن أى رجل آخر . أمر جلالته بتدوين الحادث على مقبرته بالجبانة كما طلب جلالته بأنه لا بد من تدوين تسجيل لذلك . سجل الحادث فى حضور الملك شخصيا (١) . والنص يشير إلى أن الملك كان يقوم بافتتاح عيد خاص بجر سفينة الوجه البحرى ، وكان رع ور بملابسه الرسمية . وتصادف أن كان بجوار مولاه ، فضربت عصا الفرعون ساق رع ور دون قصد . وعندما لاحظ الملك ذلك استاء استياءا شديدا واعتذر عما بدر منه

---

(١) Hassan, S., With the Collaboration of Boghdady, F., Excavations at Giza, Oxford; 1952; pp. 18 — 19.

نحو رع ور . وقال له أنت أحب رجل عندي وأخص الناس بعطفي . ولم يكتف الملك بذلك ، بل أمر بأن ينقش هذا الحادث مصحوبا باعتذار الملك على لوحة حجرية أقيمت فى مقبرة رع ور بالجيزة . ان روح العطف هذه الصادرة من الملك الإله تعتبر نوعا من الضعف ، وهذا ولاشك يتعارض مع سلطة الحكم الملكى المطلق . وربما تكشف هذه القصص فى نفس الوقت عن ناحية أخرى لها خطورتها ، وهى رغبة الملوك فى اشتراء الولاء من الرعية ، مما دعاهم إلى الحرص على مجاملتهم لاكتساب قلوبهم . كما أن كثرة التماثيل والسراديب فى مقبرة رع ور إنما تدل على الحرية الشخصية فى تلك الفترة ، مما يعتبر خروجا على التقاليد المرعية ، فقد كانت التقاليد الملكية تحتم على رجال الحاشية أن يتبعوا نظاما معينا فى بناء مقابرهم ، فاذا ما خرجوا على هذا التقليد فإن ذلك يعتبر تعبيرا غير مباشر عن الضعف الملكى الذى ظهرت بوادره فى تلك الآونة . ولم يكن قبر رع ور هذا هو الذى نلمح فيه ثراء كبار الكهنة والموظفين ، بل توجد نماذج مماثلة فى مقابر كل من سقارة والجيزة وأبى صير مما يعبر عن فخامة تلك المقابر .

وقد حكم بعد نفر إير كا رع،شبسس كا رع ، رع نوفراف ولكنهما لم يتركا آثاراً هامة. ثم جاء للعرش نى أو سر رع Niuser - Re الذى جلس على العرش ما يزيد عن اثنين وثلاثين عاما ، وبنى هرما فى أبى صير ، ومعبدا للشمس بأبى جراب* وفى الإمكان ملاحظة نقوش جدران هذا المعبد التى تعبر عن مراسم العيد الثلاثينى . كما تدل نقوش المعبد كذلك على الحروب التى قام بها ضد سوريا وليبيا ، ولو أن بعض المؤرخين يتجهون إلى إنكار تلك الحروب وأن نقشها قد جاء تقليداً لمناظر معبد ساحو رع .

---

* بجوار أبى صير بالضفة الغربية جنوب سقارة .

وتنبغى الإشارة إلى أن الهبات والعطايا الكثيرة التى كانت تقدم لبعض الموظفين كانت سببا فى ظهور الإقطاعيين . وأكبر مثل على ذلك مقبرة الموظف « تى » التى احتوت على سرداب جميل وبهوان بالأعمدة ، كما أن نقوشها كانت تمثل الحياة اليومية بطريقة تختلف تماما مع الأفكار التى كانت سائدة من قبل، والتى لا تنسب إليهم أى تفكير إلا عن الموت أو التحنيط .

وقد خلف نى أوسر رع من كاوحور Menkauhor الذى أرسل حملة إلى سيناء ، وبنى لنفسه هرما ربما كان فى منطقة سقارة إلى الشرق من هرم تى . ثم حكم بعده جد كا رع Djed – Ke – Re (إزيزى — ددخمو) الذى اهتم باستغلال المناجم والمحاجر ، كما قام بإرسال الحملات إلى بلاد النوبة ووادى الحمامات ووادى مغارة فى سيناء حيث اكتشفت أربعة نقوش باسمه : وفى أحد النقوش يقول النص « ... العام الذى يلى المرة الرابعة لتعداد كل الحيوان الكبير والصغير ، عندما جعل الإله ، الحجر الثمين (ربما يكون حجر بالرمو) يوجد فى المنجم السرى « لوحة » بخط الملك نفسه ، حور : ددخمو ، ملك الوجه القبلى والبحرى ، محبوب الإلهتين . ددخمو ، حور الذهبى ، جد كا رع (إزيزى) يعيش أبديا . بعثة ملكية قام بها قائد السفينة « نى عنسخ — ختتى خت » إلى المرتفع الذى كان اسمه « مالاخيت[1] » . ويستدل من دراسة هذا النص على أن القائد نى عنخ ختتى خت يعتبر أول قائد حملة معروف نقش اسمه بجوار اسم الملك ولعل فى تصرف هذا القائد ما يعتبر نوعا من تحدى السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها الملك .

كما يوجد نص آخر يعبر عن نفس الاتجاه ، والنص عبارة عن أمر من الملك « جد كا رع إلى كبير القضاة والوزير والمشرف على الديوان الملكى شبسس رع

Breasted, AR, I, pp. 120 — 121. (1)

يقول النص « ... لقد أطلع جلالتى على هذا الخطاب الفائق الجمال الذى أرسلته إلى البلاط فى هذا اليوم الجميل الذى أفرحت فيه حقا قلب إزيزى بما يحبه . لقد سر جلالته سرورا كبيرا بهذا الكتاب الوارد منك لأنك تفهم كيف تقول ما يروق لجلالتى . وأن كل ما تقوله ليطيب لى إلى أقصى حد ، وأن جلالتى ليعلم أيضا أنك تحب أن تقول كل ما يستطيعه جلالتى . أيا شبسس رع ، إنى أقول لك قولا أردده إلى ما لانهاية . انت يا محبوب سيده ، يا من يكافئه سيده ، يا حبيب سيده ، يا مستشار سيده ، حقا إن رع يغمر الحب لى لأنه قد أعطانى إياك بحق حياة إزيزى الأبدية لأن أبديت آية رغبة لجلالتى بكتاب اليوم لقضى لك جلالتى حاجتك فى الحال ... »(١)

ويستدل من هذه الرسالة التى كتبها الملك جد كا رع إلى وزيره شبسس رع، ردا على رسالة من الأخير أرسلها إليه فى أحد أعياده ، على مدى التطور فى القيم الجديدة التى تظهر فى الأسرة الخامسة . فهذه الرسالة من فرعون مصر إلى وزيره الذى ينتمى إلى صفوف الشعب انها تدل على أن الملك نزل من عليائه، وأخذ يظهر مشاعره الإنسانية نحو مرءوس له استحق الثناء . وقد كتب الملك الرسالة بألفاظ مهذبة وأحاسيس مرهفة تبعده بما لا يدع مجالا للشك عن السلطة المطلقة . ويعبر أيضا عن نفس الاتجاه تلك النصوص المنقوشة على مقبرة سنزم إيب ، والتى عثر عليها بالقرب من هرم خوفو . وكان سنزم إيب يشغل منصب الوزير وكبير المعماريين وكبير القضاة فى عهد الملك جد كا رع . ويتضح من دراسة النص على مكانة سنزم إيب عند الملك فقد كتب جد كا رع بخط يده

Sethe, k., Urkunden des Alten Reichs, I, Leipzig, 1932, (1) pp. 60 — 62. and Quibell, J. E., Excavations at Saqqara, Le Caire, 1907 — 1908, pp. 79 f.

إلى سنزم إيب خطابين يظهر فيهما ارتياحه وإعجابه به . « يقـول النص ... جلالته بنفسه كتب بأصابعه ليثنى على لأنى أنجزت كل عمل أمر جلالته بعمله بغاية الإتقان والكمال كما يريد قلب جلالته نحوه ... » [1]

« ... جلالتى قد اطلع على خطابك ، الذى أرسلته لتخبرنى ... على خطة المشروع ... لأجل قصر إزيزى نهبت (اسم القصر) ... » [2] وقد دون ابن سنزم إيب على مقبرة والده ما يشير الى أن الملك قد خصص له أوقافا أبدية كما أنه أمر بإحضار تابوت له فى مقبرته . وأن ذلك لم يكن معهودا ولا معمولا به فى العصور التى كان الملك فيها مطلق السلطة لا يجرؤ أى بشر حتى على مجرد الاقتراب منه . ونتيجة لذلك التغيير أخذت الهوة التى كانت تفصل بين الملك وكبار موظفيه فى المراحل السابقة تضعف شيئا فشيئا .

وآخر ملوك الأسرة الخامسة هو الملك أوناس unas (و ن - إ س) ، ولو أن بعض المؤرخين يميلون الى اعتباره أول ملوك الأسرة السادسة وترجع شهرته إلى بداية كتابة متون الأهرام منذ عهده داخل أهرام الملوك بل وبعض الملكات مما أمد المؤرخون بالكثير من المعلومات عن عقائد المصريين القـدماء . ومتون الأهرام تطلق على مجموعة من الصيغ الجنائزية التى تضمن للملك مكانا ممتازا فى فى العالم الآخر . ويعتبر هرم أوناس بسقارة أول هرم نقشت به من الداخل نصوص دينية ، ثم جاء بعده ملوك الأسرة السادسة . هذا ، وقد عثر ماسبرو Maspero على هذه النقوش عام ١٨٨٠ . والنصوص بها كثير من الصيغ السحرية التى يمكن عند تلاوتها أن تحافظ على روح الملك وتحميه وبها ما يدل على خلود

---

(1) Breasted, J. H., AR, I, p. 122.

(2) Ibid., p. 123.

الملك وعلى اتحاده بإله الشمس رع . وقد كانت هــذه النصوص فى الأصل امتيازا جوهريا للملك ، ولكنه سرعان ما امتد إلى الملكة والأسرة المالكة . ولعل هذا التطور يوضح أن الإيمان بألوهية المتوفى قد امتد إلى الطبقة العليا من المجتمع بعد أن كان قاصرا على الملك وحده . وهــذا التطور كان نتيجة حتمية لضعف الفرعون .

ويتبين لنا من دراسة تاريخ الأسرة الخامسة ، أنهـــا شهدت تطورا كبيرا فى العقيدة ، كما شهدت تطورا أكبر فى مركز الملكية . فبالنسبة للعقيدة ، فإنه على الرغم من أن عبادة الشمس بقيت كما هى الديانة الرسمية للبلاد ، فقـــد بدأ الإقبال يتزايد بين الشعب بالعقيـــدة الأوزيرية ، وكان الملوك يسبغون على أنفسهم لقب أوزير .

وفيما يتعلق بمركز الملكية ، فقـــد لوحظ أنه مع بداية الأسرة الخامسة ، تكونت فى مصر مجموعة من أصحاب الكفايات الممتازة أخذت تتطلع إلى تدعيم موقفها بالنسبة للحاكم ، واكتشف هؤلاء ما كانوا عليه من قوة ، كما شعروا بنوع من الاعتداد بالنفس أخذ ينمو تدريجيا حتى بدأ يشكل خطرا على الجالس على العرش . ومن ناحية أخـــرى ، كان للهزة التى أصابت العرش كنتيجة طبيعية لإخضاع الثروة القومية للتشييدات المعمارية من جهة ، ونظرا لقيام هـــذه التشييدات الضخمة على أكتاف المتخصصين من المصريين من جهة أخرى ، أن اضطر الملك ليقابل خطر الإفلاس وخطر المشاعر القومية عند بعض المصريين إلى أن يغير فى الاتجاه العام لسياسة الدولة ، فسمح لتلك الكفاءات بأن تصل إلى المناصب التى كانت وقفا على أعضاء البيت المالك .

الأسرة السادسة

من حوالى ٢٣٥٠ إلى ٢٢٠٠ ق.م.

أشار مانيتون Manetho إلى اهتمام الملك تتى Teti أول ملوك الأسرة السادسة بالإعلاء من شأن الإله بتاح إله مدينة منف ، والابتعاد فى نفس الوقت عن كهنة الشمس . وربما يرجع تقربه إلى كهنة منف إلى اعتماده عليهم فى الوصول إلى العرش ومما يدعم هذا الاتجاه ، نقش على أحد تماثيله يحمل لقب المحبوب من بتاح إله منف . وكان مقر حكم هذه الأسرة كمن سبقها من الأسرات منذ الأسرة الثالثة على الأقل فى العاصمة منف . وقد بنى تتى هرمه بالقرب من هرم أوناس . ويذكر مانيتون أنه لم يمت ميتة طبيعية ، بل قتله حراسه . ولا نستبعد هذا الاحتمال على ضوء النزاع بين قوتى كهنة منف وكهنة أون . وقــد حكم تتى إثنى عشر عاما وخلفه على العرش الملك أوسر كا رع user - ka - Re الذى لم يحكم سوى أربع سنوات ، ثم أعقبه بعد ذلك ببى الأول PepiI (بى مرى رع) الذى حاول التوفيق بين الإلهين « بتاح » و « رع » فحاول ترضية كهنة أون ، فأضاف اسم رع إلى ألقابه ، وأصبح يسمى بى مرى رع وقد دام حكمه خمسة وعشرين عاما استعادت خلالها الفنون المصرية القديمة رقيها ، كما أعادت مصر صلتها بالأمم المجــاورة . وقد بنى هرمه فى سقــارة على مقربة من مصطبة شبسسكاف . وقد تزوج من الملكة إمتس ، كما تزوج ابنتى أمير منطقة أبيدوس ونجع حمادى ومن أشهر أعماله ، حملاته ضد فلسطين .

ومن الشخصيات الهامة التى عاشت فى عصر ببى الأول ، أونى Uni وتوجد بالمتحف المصرى لوحة من الحجر الجيرى نقش عليها تاريخ حياة أونى ، وهذه

الكتلة تحمل رقم ١٤٣٥ ، وقد عثر عليهــا فى أبيدوس . وقد نشرها كل من بورخارت وبرستد[1] وتعتبر أهم وثيقة تاريخية خلفتها الأسرة السادسة ، ويظهر فيها تاريخ حياة أونى وأعماله المختلفة . فقد بدأ حياته فى عهــد الملك تتى ، ثم رقى حتى أصبح مديرا لمكتب الزراعة ومديرا لأراضى الملك . ثم انتقل بعد ذلك إلى عهد الملك بيبى الأول الذى عاصر حكمه ويشير النص إلى سيرته فى عهد الملك الأخير « ... جلالته رقانى إلى رتبة رفيق وكاهن أصغر لمدينة ـ هرمه » وبينما كان مركزى هو ... نصبنى جلالته قاضيا لنخن وأحبنى أكثر من أى من خدامه . وقد « حققت » لوحــدى مع كبير القضاة والوزير ، فى كل مسألة خاصة باسم الملك ، وتخص الحريم الملكى وكذلك ، المحاكم القضائية الستة ، وذلك لأن الملك أحبنى أكثر من كل مسئول عنده ، ومن أى خادم لديه .

وحينئذ ... رجوت الجلالة الملكية أن تأمر بإحضار تابوت لى من الحجر الجيرى من طره . وسمح الملك بأن يقلع حامل خاتم ملكى ومعه فصيلة من البحارة تحت امرته لكى يحضروا لى هذا التابوت من طره . وقد وصل معه فى سفينة كبيرة تخص البلاط ومعه غطاؤه ، الباب الوهمى ... ولوحة قربان . لم يفعــل قط لخادم آخر ، لأنى كنت فى منزلة فائقة فى قلب جلالته ، لأنى كنت محببا لقلب جلالته[2] ... وبينما كنت قاضيا تابعا لنخن ، عينى جلالته كسمير وحيــد ، ومدير الأوقاف الملكية .. محل المديرين الأربعة الذين كانوا هناك . ولقـد

---

(1) Borchardt, L., Denkmaler Des Alten Reiches (Catalogue general du Musee du Caire, Berlin, 1937), 1, 115 ff, Pls 29 — 30.

(2) Breasted, AR, I, p. 141.

عملت هذا حتى أن جلالته أثنى على (١) وعندما أقيمت دعوى قضائية سرية فى الحريم الملكى ضد الملكة إمتس ، سمح جلالته لى بالدخول لكى أحقق وحدى . لم يكن هناك رئيس قضاة أو وزير بالمرة ولا نبيل بالمرة ... ولكن كنت وحدى لأنى كنت عظيما ، ... ولأن جلالته أحبنى . وقد كنت وحـــدى الذى يقوم بالكتابة ، ومعى قاضى واحد تابع لنخن ، على حين أن وظيفتى كانت رئيس أوقاف الفرعون . ولم يحدث قط من قبل أن فردا مثلى حقق أسرار الحريم الملكى إلا أن الملك أعطاها اياى لتحقيقها لأنى كنت ذا مكانة عظيمة فى قلب جلالته عن أى مسئول عنده ، عن أى نبيل عنده ، عن أى خادم عنده (٢) ... وقد أرسلنى جلالته على رأس الجيش على حين فيه الأمراء وحيث حاملى الخاتم الملكى والمرافقين الوحيدين للقصر وأصحاب القلاع العظيمة ، ورؤساء القلاع المنتمين إلى الوجه القبلى والوجه البحرى ، ومديرى القوافل ومدير الكهنة للوجه القبلى والوجـــه البحرى ... ولقد كنت الذى وضعت لهم الخطة ، بينما كانت وظيفتى هى الرئيس الأعلى للأوقاف الملكية فى ... وقد تم من ناحيـــة جزيرة الشمال ... واستعرضت أعداد هـذه القوات ، ولم يحـــدث بالمرة لأى خادم أن استكشفها ... (٣)

ويستدل من ذلك أن بيبى الأول قـد عين أونى فى وظيفـــة قاضى نخن ، ورئيسا لمجلس الستة . ووصلت ثقة الملك به إلى بأن سمح له بان يحقق فى قضية زوجته الملكة إمتس ، ثم أسند اله تجنيد جيش بلغ عدده عشرات الآلاف من

---

(١) ———— , Ibid , p. 141.

(٢) ———— , Ibid., p. 142.

(٣) ———— , Ibid., p. 143.

جميع بلاد الوجه القبلى ، من الفنتين فى الجنوب إلى أقصى مقاطعة فى شمال الصعيد ، ومن القبائل النوبية مثل مدجا (١) وواوات (٢) وإيام (٣) ومن أرض التمحو (٤) . وأنه سار على رأس هذا الجيش لإخماد ثورة قامت ربما فى فلسطين ، كما أخمد ثورة أخرى فى تلك البلاد مستخدما جيشين أحدهما جيش برى والآخر بحرى كان على رأسه حيث نجح فى قمع تلك الثورة .

كما تشير نقوش أونى كذلك فى عهد بيبى الأول إلى التأهب لمحاربة البدو « ... أعلن جلالته الحرب على الآسيويين الذين فوق الرمال ، وجهز جلالته جيشا من عشرة آلاف : من كل الوجه القبلى ، من الفنتين جنوبا إلى أفروديتوبوليس (٥) شمالا ، ومن أراضى الشمال على الجانبين بأكمها (٦) ... »

وتظهر من نقوش يرجع عهدها إلى عصر بيبى الأول وجدت بوادى مغارة ، اسم شخص يدعى نخبو وهو أحد الأفراد الذى اكتسب أهميته فى ذلك الوقت .

كما تشير نقوش زاو التى دونت على لوحة بأبيدوس على زواج الملك بيبى الأول من شقيقتى زاو . وكان زاو هذا ينتمى إلى عائلة من الصعيد . فأبوه هو خوى وأمه نبت . يقول النص :

---

(١) فى منتصف الطريق عند وادى حلفا قرب الشلال الثانى .

(٢) تمتد جنوبا من الشلال الأول إلى مسافة كبيرة .

(٣) منطقة بالنوبة .

(٤) وهم الليبيين

(٥) الإقليم ٢٢ من أقاليم مصر العليا .

(٦) ———— , Ibid., p. 142.

الملكة الأولى : « ... زوجة ـ الملك ، المحــرم : » مرى رع ـ يظل جميلا ، « المحبوبة جدا ، عظيمة الممتلكات ، رفيقة حــــور ، ... أم الملك ، المحرم » : مرن رع ـ يضىء ـ و ـ يكون ـ جميل ، مرى رع ـ عنخس ... » (١)

الملكة الثانية : « ... زوجة ـ الملك ، المحرم ، » مرى رع ـ يظل ـ جميلا ، « المحبوبة جدا ، المحظوظة جــــدا ، ابنة الإله ، عظيمة الممتلكات ، رفيقة حور ، ... أم الملك ، المحــرم : نفر كارع ـ يظــل حيــا ، « مرى رع ـ عنخس ... » (٢) .

وقد كان مرن رع ابنا للملكة مرى رع عنخس الأولى ، أما بيبى الثانى فكان ابن الملكة الثانية مرى رع عنخس (٣) . ويتضح من دراسة النص على استمرار المصاهرة بين ملوك تلك المرحلة وبين بعض العائلات المصرية التى لم تكن تنتمى إلى الدم الملكى ، كما فعــل بيبى الأول عندما تزوج ابنة « خوى » ثم تزوج أختها .

مرن رع الأول Meri - en - Rei (عنتى إم سا إف) تولى الحكم بعــد موت أبيه بيبى الأول . وتشير نقوش أونى إلى سيرته فى عهد الملك مرن رع : يقــول النص « ... سيدى ، الذى له الحيــاة الأبدية ، عينى ، وحاكما على الجنوب ... » (٤) .

---

(١) ———— , Ibid., p. 158.

(٢) ———— , Ibid., p. 158.

(٣) Sethe, K ; Urk., I; pp. 117 — 118.

(٤) Breasted, AR, I, P. 147, L., 32.

ويستدل من ذلك أن الملك عينه حاكما على الجنوب ، وكان أيضا يكلفه
بإحضار الجرانيت اللازم لهرمه ومعابده من منطقة أسوان ، والمرمر من محاجر
الجنوب بمحافظة أسيوط . وتولى الإشراف على تسهيل الاتصال بين مصر والبلاد
الواقعة إلى الجنوب منها حيث شق بعض القنوات فى صخــور الشلال الأول
لتسهيل سير السفن . وقــد كرمه الملك مرن رع ، حيث حضر بنفسه نهاية
هذا العمل ، وقدم القرابين للإله خنوم إله منطقة الشلال ، وقدم له زعماء أسوان
وقبائل النوبة ولاءهم .

وتنبغى الإشارة كذلك إلى سيرة نخبو المهندس المعمارى فى عهد مرن رع .
يقول النص : « ... وجد فى جلالته بناء اعاديا ، ثم رقانى جلالته كبناء متنقل ،
ثم إلى وظيفة بناء ممتاز ، ثم رئيس فرقة ، وبعد ذلك رفعنى جلالته إلى وظيفة
مصمم ، وبناء ملكى ، ثم إلى وظيفة ملحق ملكى ، ثم مصمم معمارى ملكى ...
وقد فعل جلالته هذا لأنه كان يعطف على كثيرا ... » (١)

وهذا يدعم الرأى بأن عصر الأسرة السادسة كان مجالا لظهور نشاط الأفراد
بما أتاح الفرصة للبعض أن يتطلع للحصول على مركز أعلى . بل كان فى استطاعة أى
شخص لديه خبرة أن يصل إلى أعلى المراتب وليحصل على سلطة مستقلة رغم ولائه
الكامل للملك . ولقد زاد الاهتمام فى تلك المرحلة بجنوب البلاد ، حيث بدأت الحملات
تتجه نحو الحدود المصرية الجنوبية . وعندما كان أونى حاكما على الوجه القبلى ، وجه
مرخوف أحد حكام الفنتين على رأس ثلاث حملات ورد ذكرها فى تاريخ حياة

---

(١) Dunham, D., "The Biographical Inscriptions of Nekhebu in Boston and Cairo" (in) JEA, Vol. XXIV, London, 1938, pp. 1ff

حرخوف المنقوشة على واجهة قبره فى أسوان فى عهد الملك مرن رع . يقول النص « ... أرسلنى جـلالته الآن مرة ثالثة إلى بلاد إيام ، فخرجت ... إلى طريق الواحات ، ووجدت حاكم إيام ذاهبا إلى أرض التمحو وهدأته ، حتى شكر جميع الآلهة لأجل الملك ... »(١)

وكانت أولى الحملات فى صحبة أبيه إرى إلى بلاد إيام . أما الحملة الثانية ، فيذكر فيها أنه خرج من الفنتين إلى المناطق التى لم يسبقه إلى اختراقها أحد من قبله ، كما يصف البلاد التى مر بها وفى حملته الثالثة ، يذكر أنه سار على درب الاربعين وهو الذى يربط بين وادى النيل وغرب السودان، واتصل فيها بالتمحو حيث أصلح بين زعيم قبيلة إيام وقبيلة التمحو الذين كانوا فى نزاع مستمر .

وبعد وفاة مرن رع تولى العرش أخوه ببى الثانى (نفر كا رع ـ Noferkare) ، وقد جلس على العرش وعمره ست سنوات ، وكان خاله زاو وزيرا له ، وصاحب النفوذ الأول فى البلاد وأهم ما تم من أعمال فى السنوات الأولى من عهد هذا الملك ، هى الحملات التى كان يرسلها إلى جنوب البلاد ، وتذكر نقوش ببى نخت (*) المدونة على لوحة فى قبره عن حملته التى كلفه بها الملك ببى الثانى لتأديب بلاد إرثت فى النوبة ، ثم حملته الثانية إلى تلك البلاد لتهدئة الحالة فيها . ويشير ببى نخت إلى حملته التـأديبية ضد الاسيويين وهم بدو الصحراء الشرقية الذين كانوا قد ذبحوا مدير القافلة « عن عنخت » الذى كان يقوم ببناء سفينة إلى بلاد

---

(١) Breasted, AR, I, p. 153 .

(*) مقبرته تجاه أسوان ، والنقش مدون على واجهة باب وعلى سبعة أعمدة على كل من جانبى المقبرة .

بونت . وقد قام بيبي نخت بقتل عدد كبير من البدو ، ويقدم ذلك ، النص التـــالي :

« .. والآن أرسلني سيدي إلى بلاد الآسيويين لكي أحضر له السمير الوحيد « قائد البحارة مدير القافلة عن عنخت الذي كان يقوم ببناء سفينة إلى بلاد بونت ، وقد داهمه الآسيويون... فذبحوه هو وفصيلة الجنود الذين كانوا معه »[1] بعد ذلك ، تجد النقش مهشم . وكل ما يفهم منه أنه قام بإنجاز المهمة التي أرسل من أجلها . فيقول : لقد ذبحت خلقا منهم أنا وجنود الجيش الذين كانوا معي .

وقد لوحظ في عهد بيبي الثاني استمرار محاولة كسب تأييد الكهنة الأقوياء ، ليسندوا العرش الذي كان على وشك الانهيار . ولكي يشتري ولاء الكهنة ، بدأ في تخصيص هبات دائمة للصرف على معابدهم وذلك بإصدار عددمن براءات الاعفاءات ، وأصدر مراسيم خاصة لإعفاء بعض المعابد . وتوجد ألواح من الحجر الجيرى تذكر أوقافا تتعلق بالإله مين . والأرقام من ١٠٠ — ١٠٢ منحها الملك بيبي الأول . أما رقمي ١٠٣ ، ١٠٤ فتتعلق بالأوقاف التي منحها الملك بيبي الثاني لصالح الإله مين في قفط . وفي هذه البراءة يقول النص « ... وكيل كهنة الإله مين في قفط ... وجميع عبيد الأرض العاملين في بيت الإله مين وسدنة المعبد وأتباع وحراس مين وعماله ، ومهندسا المعبداللذان يقيمان هناك ، لا يسمح لجلالته أن يطلب منهم أي شيء للملك وكذلك قطعان الماشية ... أنهم معفون من أجل مين سيد قفط ابتداء من اليوم وهو أمر جديد صدر بأمر من ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بيبي الثاني) إلى أبد الآبدين . أما فيما يتعلق بأي

(1) ________ , Ibid., p. 163.

حاكم الوجه القبلى يجرؤ على استدعائهم إلى مكتب إدارة الملفات الملكية أو إلى مكتب رئيس المراجعة أو إلى أى مكتب ختم (رسمى) ليفرض عليهم عملا للقصر فإنه شخص حلت عليه اللعنة وتحق عليه كلمة الخيانة ... »(١)

وبالإضافة إلى التقرب من الكهنة ومحاولة شراء ولاءهم ، استمر التقرب إلى كبار رجال الدولة فى محاولة لكسب تأييدهم . ولقد استطاع هؤلاء الحكام العمل على الاستقلال بأقاليمهم وعلى سلخ بعض السلطات السياسية والدينية من الفراعين . كما أن هؤلاء الحكام قد اعتمدوا على حماية الآلهة المحلية تشبها بالملوك فكانوا يسندون إلى أنفسهم رئاسة الكهانة ، كما اتخذوا صفات الملوك فى كثير من نواحى حياتهم .

ومن ناحية أخرى ، يلاحظ بداية التغيير فى ظاهرة دفن رجال البلاط بجوار قبر الملك . فقد بدأ يتحول تدريجيا عندما بدأ حكام الأقاليم فى بناء مقابرهم بأقاليمهم ، وأصبح هؤلاء الحكام على ثقة من أن لهم هم الآخرين فرصة فى حياة أبدية بدافع من أنفسهم ، وليس عن طريق تعلقهم بالملك والتصاقهم به . وفى نقوش زاو(*) من عهد بيبى الثانى ما يشير إلى أنه طلب من الملك أن يدفن فى إقليمه وليس بجوار قبر الملك . يقول النص « ... أنشأت هذا القبر فى أبيدوس فى إقليم ثينيس (ثنى) لأنى أحب المنطقة التى ولدت فيها ... »(٢)

---

(١) ع . زايد ، مصر الخالدة ، مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

Hayes, W. C., "Royal Decreas From the Temple of Min at Coptus >, (in) JEA, Vol. 32, London, 1946, pp. 3 ff,

(*) فى جبل المرج فى مقابر دير الجبراوى شرق النيل ، شمال أسيوط .

(٢) ج . واسون ، الحضارة المصرية ؛ ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٧٤ .

ويضيف زاو إلى ذلك بقوله « ... والآن أوصيت أن يكون دفنى فى نفس القبر مع والدى حتى أكون فى صحبته فى مكان واحد . ولم يكن ذلك عن عجز منى لبناء مقبرة ثانية ، ولكنى فعلت ذلك رغبة منى فى رؤيته كل يوم لأنى أريد أن أكون معه فى مكان واحد . »[١] .

ولقد نتج عن ذلك الاتجاه الجديد ، أن حصل النبلاء على ما كان للملك من امتيازات فى الحياة الأخروية .

ولعل من أبرز التطورات الدينية التى صاحبت انهيار سلطة الفرعون انتشار العقيدة الأوزيرية التى وإن كانت معروفة منذ أيام الأسرة الأولى ، إلا أن ازدياد نفوذها وتعلق جميع المصريين بها لم يحدث إلا فى أواخر الأسرة الخامسة . فقد كان أوزير يمثل الحاكم العادل وهو ملك الدنيا الثانية الذى لا يعترف إلا بالحق والعدل ، ولم يكن يفرق بين الغنى والفقير . ولعل هذا التطور الدينى يختلف تماما مع ما كان سائدا فى العصور السابقة حين كان الملك يرقد فى هرمه الضخم يحيط به كل ما قام على خدمته فى الدنيا الأولى من رجال البلاط ، بينما لم يتمتع العامة والفقراء بمثل هذا الحق . ومن هنا ما كادت عقيدة أوزير تظهر ، حتى أقبل عليها الناس من عامة الشعب الذين كانوا فى أشد الحاجة إلى دين يأخذ بمكافأة الطيب دون النظر إلى مركزه الاجتماعى ، ولقد أدى ذلك فى النهاية إلى تعميم الحقوق الدينية بجانب الحقوق المدنية لكافة أفراد الشعب ، وانعكس ذلك فى نصوص الأهرام التى لم تعد قاصرة على الملوك ، بل تمكن النبلاء وأفراد الشعب من استخدامها فى مقابرهم الخاصة . كما تكرر ذكر الإلهة ماعت فى فى النصوص المعبرة عن العدالة الاجتماعية والرغبة الجماعية فى تطبيقها .

---

(١) Breasted, AR, I, p. 172, 383.

خلفاء بيبى الثانى ، يبدو أن الأسرة السادسة قد انتهت بمجمـــوعة من الملوك الضعاف . ويتجه مانيتون إلى اعتبار الملكة نيتوكريس آخر ملوك تلك الأسرة ، ولو أن بردية تورين تعتبرها الفرعون الثانى أو الثالث بعد بيبى الثانى . وعلى ذلك فلا يوجد شك فى مكانتها تاريخيا . ولكن من المستبعد أن تكون هى الملكة نيت Neith التى كشف جيكييه عن هرمها فى سقارة لأن هـذه الملكة كانت كبرى بنات بيبى الأول ، وكان من الممكن أن تكون إحدى زوجات بيبى الثانى منذ بداية حكمه الطويل . ومهما كان الأمر ، فإن بردية تورين قد اعتبرت عدد خلفاء بيبى الثانى ثمانية ملوك .

ومن الواضح أن الملوك منذ أواخر الأسرة السادسة وخاصة منذ عهـد بيبى الثانى قد فقدوا تماما كل ما كان لديهم من سلطة مطلقة ، ولعل أهم دليـــل على ذلك ، ما ورد فى نص ايبوور Ipu - wer من اتهامات علنية ضـد الملك الذى يظن أنه بيبى الثانى . ويعتبر إيبوور أحد المفكرين الاجتماعيين الذين عاصروا تلك الفترة وأظهروا مشاعرهم تجاه الحاجة الماسة إلى وجود حاكم عادل . فألف مجموعة من المقالات الاجتماعية والخلقية ضمنها بعض النصائح التى ترمى إلى إيجاد تغيير فى ذلك العهد الإقطاعى ، وإلى التحذير من الإهمال فى الأخذ بالإصلاح . وأعقب ذلك ردا من الملك ، ثم تلاه تعقيب من إيبوور على رد الملك . والنص موجود بمتحف ليدن بهولنده ، ويعرف بورقة ليدن الأولى تحت رقم ٣٤٤ . وقد ضاع أولها وهشم آخرها وبها فجوات كثيرة . وبقيت كذلك إلى أن طالع لنجة Lange [1] الدانمركى بمقال كشف عن مضمونهـا عام ١٩٠٣ وقال إنها تنبؤات حكيم مصرى . وهى تصور لنا عهدا كانت البـــلاد فى حالة فوضى

---

(١) Lange, H. O., Prophezeiungen Eines "Agyptischen Weisen, SPAW, 1903, pp. 601 — 610.

وأرتباك وقد قام جاردنر [١] بدراستها دراسة وافية . كما ترجمها إرمان [٢] وتناولها بالشرح برستد [٣] .

يبدأ النص فى تصوير حالة البلاد السيئة بالقول « ... يقـــول (حراس) الباب « دعنا نذهب لننهب » . الغسال يرفض حمل حمله ... [وصائدوا] الطير قد جهزوا أنفسهم للمعركة ... [ورجال من] الدلتا يسيرون حاملين الدروع .. الرجل ينظر لابنه نظرته إلى عدوه ... والرجل الفاضل يذهب وهو حزين بسبب ما حاق بالأرض ... وأصبح الأجانب مصريين فى كل مكان ... [٤] » ثم يمضى إيبوور قائلا : « انظر ، إن الذى دفنوه كصقر فوق نعش . وما أخفته الأهرام أصبح فارغا .

انظر الآن ، لقد وصل الأمر إلى الحد الذى جعـــل قلة ممن لا يتحملون المسئولية يحرمون البلاد من الملكية [٥] ... » ثم يتهم إيبوور الملك بأن حكمه كان نموذجا للفناء : « ... السلطة والمعرفة ، والعدل تتجمع فيك ، إنه من الخير أنك لا تنشر فى البلاد غير الفوضى وضوضـــاء المنازعات . أنظر ، كل شخص يطعن الآخر . الناس يمتثلون لما تأمر به . إذ سار ثلاثة أشخاص فى

---

(١) Gardiner, A. H., The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

(٢) Erman, LAE, pp. 92 — 108.

(٣) Breasted, J.H., The Dawn of Conscience, New York, 1933, pp' 193 — 200.

(٤) Wilson, J.A., "The Admonitions of I Pu – Wer", (in) ANET, p. 441.

(٥) ————, Ibid., p. 442.

طريقهم ، فلا يبقى منهم غير اثنين : فالعدد الأكبر هو الذى يقتل من هم أقل عددا . فهل أصبح الراعى يحب الموت ؟ ... إن هذا يعنى فى الحقيقة أنك سعيت حتى يحدث ذلك ... وأنك كنت كاذبا فى قولك .. ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك ... » . (١)

ويستدل من تحليل هذا النص ، على أن إيبوور اتهم الفرعون الجالس على العرش فى تلك الفترة ، بأنه المسئول الأول عن الاضطرابات والفوضى التى سادت البلاد . كما تمنى للفرعون أن ينال جزءا من البلاء « ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك » . وكان من المتوقع أن ينزل الغضب الإلهى على إيبوور جزاء تعديه على الملك ومحاسبته له . ولكن الملك رد على الاتهام بأنه حاول حماية شعبه من الأجانب . وعندئذ اتهمه إيبوور بعدم الكفاية والجهل فيقول إيبوور « إذا كنت تجهل ذلك فإنه لأمر يسر القلب . لقد فعلت ما هو صالح إلى قلوبهم جعلت الشعب يعيش بينهم . يسترون وجوههم خوفا من الغد ... (٢) » . وهكذا فقد سمحت روح الديموقراطية فى ذلك العصر بأن يتقدم رجل من العامة بمثل تلك النصيحة للملك . ونستطيع أن نستنتج من هذا على أن مكانة الفرعون لم تعد كما كانت .

سبقت الإشارة إلى بعض العوامل الحاسمة التى أدت إلى انهيار نظام الملكية فى تلك المرحلة . وبالاضافة إلى ما سبق ، يمكن القول بأن تواجد بعض الأخطار الخارجية على حدود مصر الشرقية متمثلة فى التسللات السامية الوافدة إلى شرق الدلتا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، قد أضاف إلى مواجهة نظام

(١) Ibid., p. 443. ________

(٢) Ibid., p. 444. ________

الملكية بأزمة كبيرة ، على أساس أن مفهوم ذلك النظام كان يكفل الأمن والاطمئنان لأفراد الشعب وأن عدم تحقيقه لذلك ، يؤدى بالتالى إلى انهياره . كما انبغى الإشارة إلى ظهور بعض الأختام على هيئة زر (١) ، مما يحمل على الاعتقاد بدخول عناصر أسيوية الأصل إلى مصر فى تلك المرحلة . وقد يدعم ذلك ما تحدثت عنه النصوص المصرية مثل نص إيبوور عن وجود الأجانب داخل البلاد . وربما يدعو ذلك إلى التساؤل عن تأثير ذلك فى انهيار نظام الملكية المطلقة ، وهل كان ذلك بسبب داخلى بحت كالأسباب التى سبقت الإشارة إليها ، أم كان بسبب خارجى نتيجة غزو أجنبى للبلاد . وفى هذا المجال ، يذكر واسون (٢) بأن موضوع الغزو الأجنبى للبلاد يعتبر فى واقع الأمر خلطا بين السبب والنتيجة على أساس أن انهيار نظام الملكية المطلقة قد أدى بدوره إلى انهيار البلاد داخليا ، فتركت الحدود مفتوحة لا يدافع عنها أحد مما سمح للأسيويين المهاجرين بالتدفق إلى الدلتا . ولكن ولسون لا يحبذ الرأى بعبور أى جيش محارب لصحراء سيناء لغزو مصر فى تلك المرحلة .

مظاهر الحضارة فى عصر الدولة القديمة

اولا : النشاط الادارى

من الواضح أن التشييدات المعمارية الضخمة فى الدولة القديمة لم تكن تتم لولا وجود إدارة قوية منظمة تنظيما دقيقا . ولقد رأينا كيف أن الملك كان على

---

(١) Frankfort, H., Egypt and Syria in the first Intermediate Period, Problem and Method (in) JEA, Vol. XII, London, 1926, pp. 80 ff.

(٢) ج . ولسون ، الحضارة المصرية ، ص ١٩٠ .

رأس الدولة ، ورأينا نظــام المركزية المطلقة يستمر على ما كان عليه في عصر الأسرات المبكر ، ورأينا أن لقب سارع يظهر بصفة منتظمة منذ عهد نفر إيز كارع ثالث ملوك الأسرة الخامسة ، مما يدعم ارتباط العرش بالكهانة نتيجة لازدياد نفوذ الكهنة مما أدى في النهاية إلى ضعف نفوذ الملوك . وكان البلاط الملكي يزخر بالعديد من الشخصيات التي تقوم بالخدمة في القصر، وكان يطلق لقب شنيت (المحيطون بالفرعون) على رجال البلاط . ومن بين هؤلاء « سمرو » وهم السمراء والأصدقاء . وكان كاهن الملك الأكبر يلقب « إير يخ نزو » (المعروف من الملك) ، بينما كان الكاهن المرتل يلقب خرى حبت . ولا نستطيع التحقق من الوسيلة التي كان يباشر بها الملك إدارة الحكم حيث ان بعض النصوص تشير إلى رغبات الملك .

وكان يلي الملك في السلطان شخصية تعتبر الممثلة له وهي الوزير (تاتي) ، وكانت هذه الوظيفة الكبرى تسند في أول الأمر إلى أحد أبناء الملك . ولكن نتيجة لبعض الهزات الاجتماعية التي أصابت الملكية في النصف الثاني من الدولة القديمة ، سمح الملوك لكبار أفراد الطبقات العليا بتولي منصب الوزارة . وكان الوزير رئيسا لعظماء الوجهين البحري والقبلي ، وكبيرا للقضاة ، ومشرفا على إدارتي بيتي الخزينة ومخزني الغلال ، وعلى السجلات الملكية التي كانت تحفظ فيها الأوراق الهامة كالمراسيم والعقود والوصايا ، كما كان يشرف على جميع أشغال الملك . ويتضح من النصوص المصرية القديمة أهمية وظيفة الوزير التي لم يكن بين وظائف الدولة في جميع عصور التاريخ المصري ما هو أعز عند الشعب منها . فلقد اعتقد المصري القديم أن الوزير يجب أن يتساوى في الحكمة مع الإله تحوت رب الحكمة ، ولذا اعتبر الوزير كاهنا له . ومن أجل هذا ، تناقل الناس الكثير من الحكم التي اعتقدوا أنها وردت على ألسنة الوزراء . وأشهر هؤلاء بتاح

حوتب وزير أوناس وكاجنى أحد وزراء الأسرة السادسة . على أنه فى الوقت الذى كان الوزير فيه هو رئيس كل شىء يبدو أن طريقة الإدارة فى القطرين المتحدين لم تكن متشابهة . فبينما كان يحكم الصعيد عظماء عشرة الوجه القبلى ، فإننا لم نجد شيئاً مماثلا كعظماء الوجه البحرى ، فالقطران احتفظا بنظامهما التقليدى حتى بعد الاتحاد .

أما بالنسبة للنظام الإدارى فى الأقاليم ، فقد كان الملك يعين حاكما من قبله يحمل لقب « عدج مر » أو لقب « سشم » يضاف إليه لقب رئيس المأموريات . كما يلقب كذلك « حقا حت عا » (حاكم القصر الكبير) ولقب « ساب » (قاضى) ، وبذلك كانت تتمثل فى الحاكم السلطتين التنفيذية والقضائية ، كما كان يطلق عليه كذلك لقب « كاهن ماعت » . وكانت توجد طبقة أخرى من الحكام يطلق عليهم لقب « حاتى عا » ، حيث كانوا من كبار رجال الدولة ، ولم يكونوا من طبقة الموظفين ، وكان الملك يمنحهم المقاطعة كهبة .

ونجد حكام الأقاليم فى النصف الأول من الدولة القديمة يخضعون لرغبة الملك القوى ، ويؤدون واجبهم فى إدارة شئون إقليمهم ويرسلون إلى بيت المال نصيبه ، كما كان بعض هؤلاء الحكام ينقلون من إقليم إلى آخر . وكان لكل إقليم من أقاليم البلاد محاكمه الخاصة ، ومخازن غلاله الخاصة ، وجيشه الخاص . وكان يربط بين هذه الأقسام ' الخزينة العامة التى كان لها أملاك فى جميع أقاليم البلاد ، ويشرف عليها مندوب الخزينة وهو حاكم الوجه القبلى ، وكان يلقب « أمير شمعو » . وإلى جانب خزائن الأقاليم المختلفة كانت توجد فى العاصمة إدارة مالية مركزية ، وكانت هذه الخزينة تستخدم موظفين مختلفين مثل المشرف وكتبة الخزينة مع رئيسهم الأعلى . كما وجدت إدارات أخرى مركزية مشابهة

مثل مخازن الغلال وإدارة الإشراف على الأراضى الزراعية والإدارة العليا للقضاء التى كان يرأسها كبير القضاة ، وهى وظيفة انحصرت دائما فى أيدى الوزراء فى الدولة القديمة . كما كان كبار القضاة أيضا يسيطرون دائما على إدارة الخزينة . ويلاحظ فى نظام الدولة القديمة أنه كلما كان سلطان الملك قويا ، كان حكام الأقاليم مجرد موظفين إداريين . ومع مرور الزمن ، ظهر ضعف واضح فى فى نفوذ الملوك فى النصف الثانى من الدولة القديمة وتنازل الملوك عن ممارسة حقهم فى نقل حكام الأقاليم أو عزلهم ، بل سمحوا لأبناء هؤلاء الحكام بأن يعينوا فى مراكز آبائهم ، مما أدى إلى تمتع هؤلاء الحكام بسلطات واسعة ، وزاد فى تقوية الروابط بينهم وبين مقاطعاتهم وضعف صلتهم بالبلاط الملكى تدريجيا . وقد انتهز حكام الأقاليم الفرصة ، وتصرفوا بوحى من أنفسهم ، واعتبروا أقاليمهم بمثابة دولة صغيرة للحاكم فيها ما للفرعون من سلطان وحقوق . وهكذا نشأت أسرات أمراء الإقطاع فى الأقاليم ، وأصبح لأكثرهم سلطة واسعة مثل حاكم الفنتين الذى كان له بلاط خاص به .

وهكذا أخذت تتكون بمرور الزمن فئة ارستقراطية من حكام الأقاليم الذين عملوا على الاستقلال بأقاليمهم . ولقد ظهرت هذه اللامركزية بوضوح فى عهد الملك ببى الثانى . وقد أدى ذلك بجانب عوامل أخرى إلى إضعاف سلطة الملوك ثم انهيار الدولة القديمة نفسها ، وقيام الثورة الاجتماعية (عصر الفترة الأولى) وإزاء هذا ، رأى الملوك أن يحاولوا تقوية نفوذ الحكومة المركزية فى أقاليم الوجه البحرى والقبلى عن طريق تعيين حاكم عام يلقب بحاكم الصعيد حتى يمكنه الإشراف على تنفيذ الالتزامات المفروضة على الأقاليم كتأدية الضرائب ، ويكون بمثابة نائب الملك فى هذا الجزء البعيد من المملكة ويلاحظ قرب نهاية الدولة القديمة أن الكثير من الحكام المحليين كانوا يتمتعون بلقب حاكم الصعيد ،

على أساس أنهم يحكمون رقعة أوسع من إقليمهم الصغير . ويرجع هذا إلى تغيير نظام منح ألقاب الوظائف ، إذ أصبحت ألقاب شرف بعد أن كانت ألقـــاب حقيقية يؤدى أصحابها أعمالهم . كما يعتبر من أسباب هـــذا الإكثار فى منح الالقاب ظهور اللامركزية ، وادعاء الحكام المحليين بأنهم أصحاب السلطة ، أو ربما يرجـــع إلى التوسع فى الحكومة وما يترتب على ذلك من ازدياد عدد الموظفين . وبذلك أصبح لقب حاكم الصعيد ليس له أهمية ، حتى أدى الأمر إلى إلغاء هذه الوظيفة . وبذلك فشل ملوك تلك المرحلة فى استعادة حكمهم المركزى على الدولة . وعلى ذلك فيمكن القول بأنه اعتبارا من النصف الثانى من الدولة القديمـة ، انتقلت الإدارة من حكومة مركزية بهـا موظفون خاضعون للإدارة المركزية ، إلى حكومة اقطاعية حاول كل أمير إقليم أن يستقل بإمارته .

أما فيما يتعلق بالسلطة القضائية فى البلاد ، فكان الوزير بحكم مركزه هو الرئيس الأعلى للقضاء أو القاضى الملكى ، بينما كان حكام المقاطعات يقومون بتمثيل سلطاته فى الأقاليم . وكانت إدارة العدل الرئيسية فى العاصمة هى التى تدير محاكم البلاد ، وبها إدارات مختلفة فى العاصمة . وكان من بين موظفى هـــذه الإدارات من يحمل لقب « سحدج » (قاضى ممتاز) « وساب سش (كـــاتب قضاء) « وساب إيمى رسش » (مدير الإدارة القضائية) . ومنــــذ الأسرة الخامسة ، أصبح رجال المحكمة العليا الستة يحملون لقب « مدو رخيت » (قاضى المدنيين) وكانو يعملون تحت إشراف الوزير ويختارون من بين أعضاء مجلس العشرة وأهمهم القاضى « فم نخن » وكان يلقب رئيس الأسرار الذى يتعلق بأحكام محكمة الستة . وبجانب هـــؤلاء كان هناك مستشارون ، وحرى سشتا (القائمون على الأسرار) وبالاضافة إلى الموظفين القائمين بالأعمـال الإدارية ، كان هناك غيرهم ممن يقومون بأداء الخدمات فى معابد الآلهة ، أو معابد الملوك

الجنزية أو مقابر الأفراد . وفى الاستطاعة القول ، بأن نظام الإدارة فى الدولة القديمة ، يعتبر امتدادا لعصر الأسرات المبكر مع بعض التعديلات التى استلزمها التطور الطبيعى ، مما نجم عنه ازدياد عدد الموظفين .

ثانيا : الانعكاسات الفنية

وصل النتاج الفنى فى أوائل عصر الدولة القديمة إلى أوج عظمته ، ويتضح هذا سواء فى التركة الهرمية الضخمة أو فى النقش أو فى النحت .

ففى مجال العمارة ، ومع بداية هذا العصر حدث تطور هام فى تصميم المقابر الملكية ، فقد أعقب الهرم المدرج اتخاذ الشكل الهرمى الناقص ثم الشكل الهرمى الكامل فى عهود كل من سنفرو وخوفو وخع اف رع ومنكاورع . وقد روعى فى بناء الهرم الأسس الهندسية العملية ، فقــــد كان على المشرف على بناء الهرم استكمال العناصر الأساسية التالية كإعداد الموقع وتخزين المواد المطلوبة للبناء على مقربة من الموقع ، ورفع الأحجار إلى الارتفاع المطلوب ، وأخيرا وضع الاحجار فى أماكنها ليكون هيكل الهرم متماسكا . وبطبيعة الحال كان يختار الموقع قريبا من العاصمة والنيل ، وذلك حتى يتسنى سهــــولة إشراف الملك بنفسه على البناء من ناحية ، ومن ناحية أخرى يسهل نقل الأحجار إليه .

ومن الأشياء التى تستلفت النظر فى تشييد الأهرام عدم استخدام أى نوع من الآلات التى نراها لتحريك الكتل الكبيرة من الأحجار . فالعجلات لم توجد فى ذلك الوقت لتستخدم فى العربات اللازمة لنقل الأحجار أو فى الآلة الرافعة (الونش) . وكان المصرى القديم يستخدم طرقا صاعدة تبنى من التراب والطوب ثم تزال فيما بعد لأجل تحريك الأحجــــار ، كما استعملوا المونة المكونة من الجبس والرمــــل لتساعد فى انزلاق الأحجار بوضعها على السطوح الملساء ،

فتستقر الكتل فى أماكنها . وكانوا يحسبون تفصيلات كل عملية ، فيحسبون هدم وإعادة بناء الطرق اللازمة لجر الأحجار ، كما راعوا الدقة المتناهية فى قياس وقطع الأحجار اللازمة .

هذا وقد عثر على المآوى الخمسة لمراكب الملك خوفو[1] ، حفرت ثلاث منهـا فى الأرض إلى الشرق من الهرم الأكبر ، بينما نقرت الحفرتان الرابعة والخامسة إلى الجنوب منه . وكانت هـذه المراكب جزءاً من الأثاث الجنزى الذى كانت تزود به المقابر الملكية لاستخدامه فى العالم الآخر . وكانت هـذه المراكب تستخدم فى الأغراض الآتية :

مركب تقام عليها طقوس التتريج أثناء تولية العرش فى حياة الملك . كما توجد مركب أخرى يستعملها الملك لزيارة مدينة بوتو (وتتميز هذه المدينة بقدسيتها طوال التاريخ الفرعونى) . ومركب ثالثة تستعمل لزيارة الملك إلى مدينة سايس ومعبودتها الإلهة نيت . أما المركب الرابعة فكان يستعملها الملك لزيارة مدينة هليوبوليس (التى كانت عاصمة مصر المتحدة أيام الوحدة الاولى ، كما كانت مركز لمدرسة لاهوتية أثرت فى العقائد المصرية وإلهها رع) . وبالنسبة للمركب الخامسة ، فكانت تستخدم لنقل الجثة بعد تحنيطها ، ولإجراء المراسيم وذلك من العاصمة منف إلى المقبرة الملكية فى الجيزة .

وكثيرا ما توصف هذه المراكب على أنها مراكب شمس ، والحقيقة أن هذه التسمية ليست صحيحة . لأن مراكب الشمس كان لها شكل خاص ، فهى ترتفع

---

(١) كانت هذه السفن موضـع دراسة مستفيضة نشرها سليم حسن فى عام ١٩٤٦ عند نشر نتائج حفائر موسمه السادس فى منطقة أهرام الجيزة (موسم ١٩٣٤ — ١٩٣٥) .
Hassan, S., Excavations at Giza, Vol. VI, Part 1.

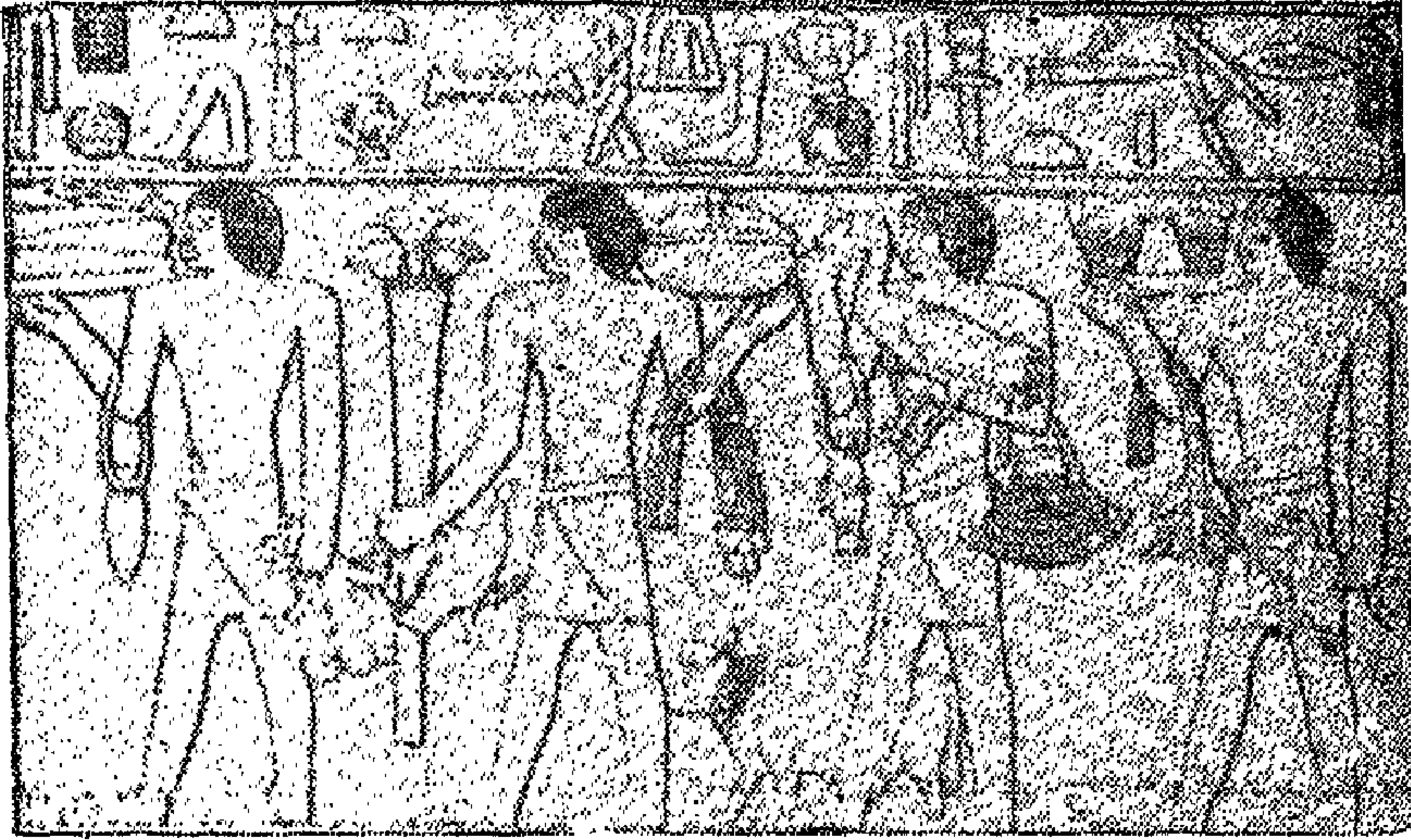
إلى أعلى وتنتهى بمنصة مربعة يتدلى منها ستارة تلمس سطح الماء، ومؤخرة القارب بها بروز . كما كانت مراكب الشمس تحتوى على رموز دينية خاصة مقامة فيها . وذلك كله لم يتوفر فى مراكب الملك خوفو ، مما يدعم الاعتقاد بأن تلك المراكب تمثل فى الواقع نوعا من أنواع المراكب التى كانت تستخدم فى الحياة اليومية .

هذا وقد عثر كذلك على مراكب خمسة للملك خع اف رع وعلى مركب واحدة للملك جد ف رع وكذلك على مركب واحدة للملكة خنت كاواس منقوشة فى الصخر فى الجنوب الغربى من مصطبتها فى منطقة الجيزة (١) .

أما بالنسبة لمقابر الأفراد، فقد انعكست على تصميمها تلك التغيرات التى حدثت فى النصف الثانى من الدولة القديمة . فبينما كان الاتجاه هو اقتراب مقابر الأفراد ورجال البلاط من هرم الملك فى النصف الأول من الدولة القديمة ، إلا أنه يلاحظ محاولة استقلال كبار الشخصيات والحكام فى الأقاليم بمقابرهم بعيداً عن مقبرة الملك . كما يلاحظ كذلك انعكاس ثراء كبار القوم وازدياد مكانتهم السياسية والاجتماعية على آثارهم من حيث السعة والفخامة وتعدد النقوش . ومن النماذج المعبرة عن ذلك الاتجاه من مخلفات الأسرة السادسة تنبغى الإشارة إلى مقبرة مرروكا بسقارة ، والتى تميزت بكثرة القاعات فاحتوت على اثنتين وثلاثين غرفة ، وبهو أعمدة به تمثال لمرروكا ، وأمامه مائدة قرابين ، كما امتلأت جدران هذه المقبرة بالمناظر المنقوشة (شكل ٥٨) .

---

(١) Reisner, G.A., A History of the Giza Necropolis, the Tomb of Hetep-Heres, the Mother of Cheops, Vol. II, Cambridge, Massachusetts, 1955, Fig. 2.



شكل (٥٨)

نقش من مقبرة مرروكا يبين حملة القرابين

أما بالنسبة لفن النقش ، فقد بلغ درجة كبيرة من الإتقان والاهتمام بالتفاصيل. ومن النماذج المعبرة عن نقوش الملك زوسر ، تم جلست لوحات (١) متشابهة ومنقوشة فى ظهر سته أبواب وهمية فى المقبرة الجنوبية بسقارة. والنقش على اللوحة يمثل الملك وهو يخطو فى حركة رشيقة ومن خلفه علامتا الحياة والفلاح (عنخ) ، لكل منهما ذراعان تقبضان على مظلة. ويعلو رأس الملك صقر يقدم له رمز الحياة. وتتميز هذه الاوحات بالدقة المتناهية حيث حاول الفنان ابراز الملامح الحقيقية للملك وهو يؤدى إحدى الطقوس الدينية التى ربما تكون مرتبطة بعيد الحب سد (شكل ٥٩). كما توجد على جدران المقصورة الملكية التى أقامها الملك زوسر بعين شمس — والتى تبقى منها أجزاء محطمة محفوظة الآن فى متحف تورين (٢) بايطاليا — نقش ، يمثل المعبود جب إله الأرض ، مما يستدل

---

(١) Smith, W. S., op. cit., pl. 31 a.

(٢) Ibid., p. 134, Figs. 48-53.

منه على الاهتمام بالآلهة وعبادتها فى المرحلة التى اتجه فيها النظام الملكى نحو الاستقرار. ويتضح فى نقوش تلك المرحلة بوجه عام الطابع الفنى المصرى الذى استكمل خصائصه ، وخاصة فى الإنتاج الفنى الذى كان فى خدمة الملك ، وليس فى ذلك الإنتاج الذى كان يتصل بالأفراد . ومن الأدلة على ذلك أن نقوش اللوحات التى كانت تتوسط الأبواب الوهمية لبعض الأفراد



شكل (٥٩)

الملك زوسر وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية

كانت رديئة الصنع ، ولم يعن فيها بتمثيل أجزاء الجسم ، كما أنها كانت مزدحمة من غير تنسيق. ومن أمثلة الأبواب التى تتوسط الأبواب الوهمية، لوح الأميرة سحفنر الموجود بالمتحف المصرى . ولوأن هناك أيضا اللوحات الخشبية لحزى رع والتى تنتمى إلى نفس الفترة ، ولكنها تدل على دقة وجمال الأسلوب الفنى للنقش(١) .

وقد عثر فى معبد سنفرو بدهشور على نقش يمثل الإلهة سخمت (إلهة المعارك الحربية) وهى تنفث (٢) الحياة فى أنف الملك (شكل٦٠) .



(شكل ٦٠)
الإلهة سخمت تنفث الحياة فى أنف الملك سنفرو

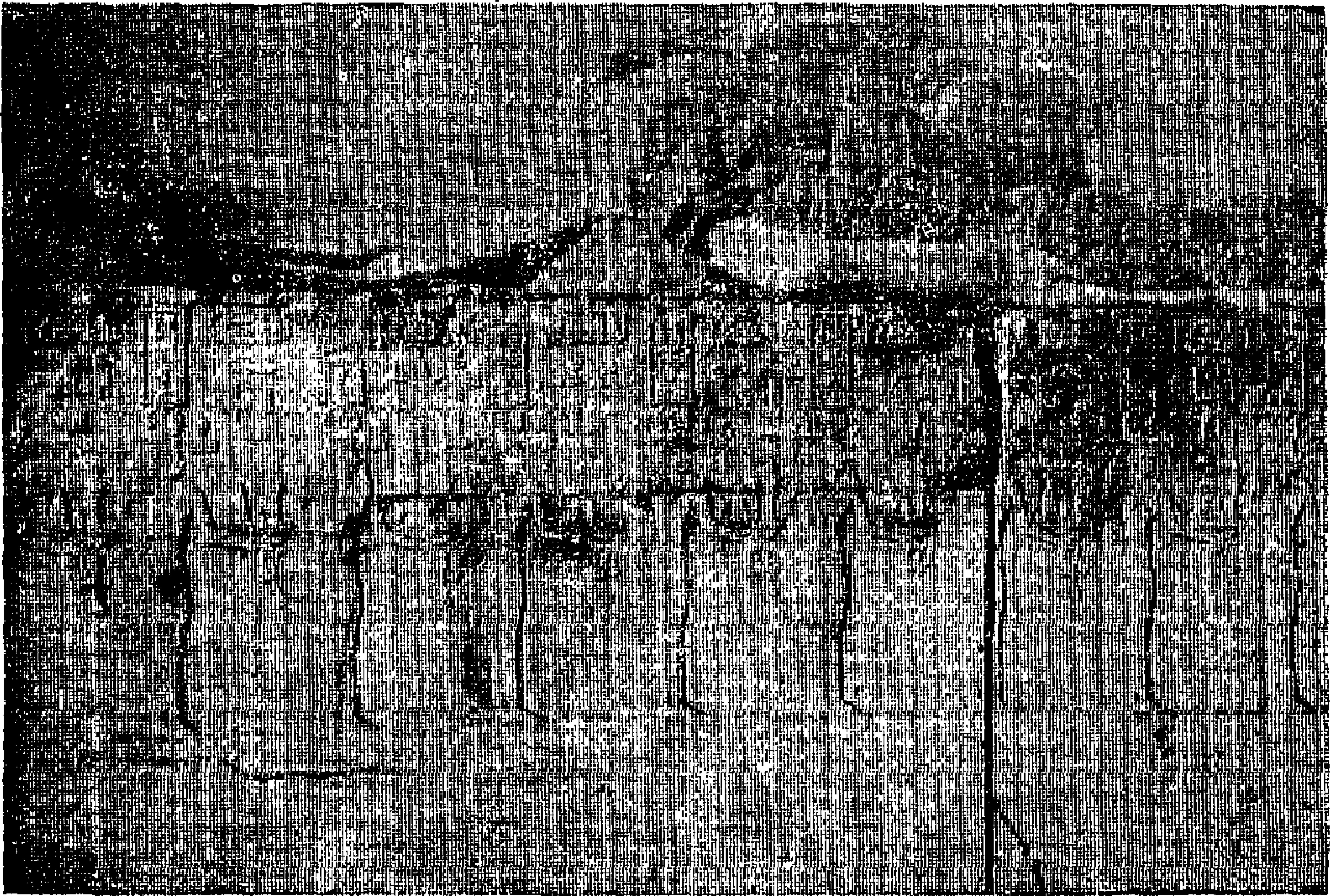
---

(١) Ibid., p. 142, Pl. 32 a.

(٢) م . أ . شكرى ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

كما توجدنقوش يظهر فيها نساء تحمل كل منهن مائدة قربان على إحدى يديها بينما تحمل علامة الحياة (شكل ٦١) فى اليد الأخرى ، وهن يمثلن الأوقاف الملكية التى كرست فى أداء الطقوس الجنزية . وكذلك نقش لسنفرو فى صحبة الآلهة المختلفة على جوانب الأعمدة القائمة فى مؤخرة المعبد السابق الإشارة إليه .

كما يلاحظ بالنسبة لنقوش خوفو أنها تتميز بالدقة وبداية النقش الغائر على الأحجار الصلبة مثل الجرانيت ويتضح ذلك فى نقش لهذا الملك يبدو فيه لابسا تاج الوجهين ، ويحميه الإله تحوت فى صورة طائر . وتظهر كذلك ألقاب الملك خنوم(١)خوفو فى النقش الذى يمثل الملك مرتديا التاج الأحمر ،



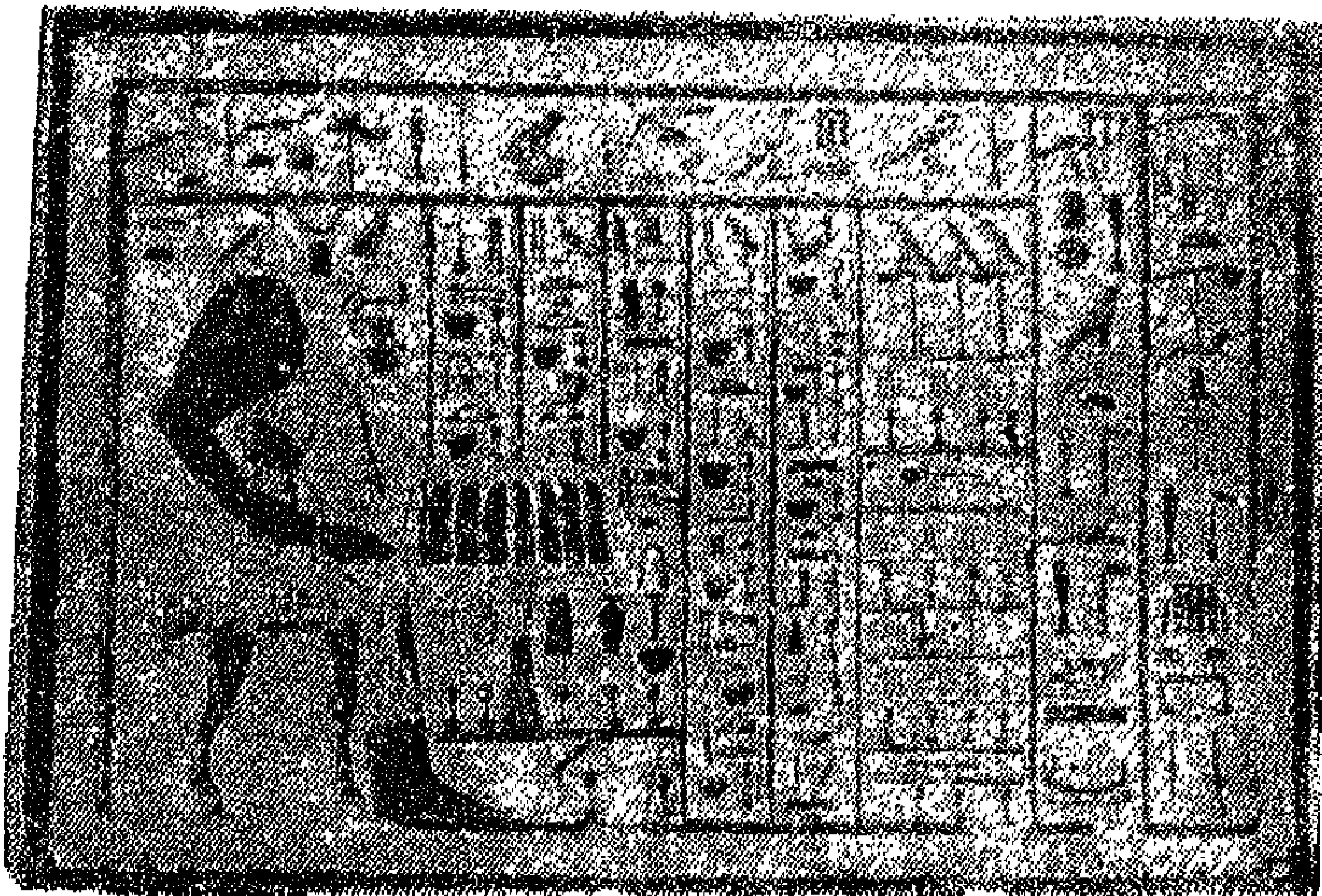
(شكل ٦١)

نقوش من معبد الوادى لهرم سنفرو بدهشور تمثل حاملات القرابين

(١) Petrie, F., op. cit., p. 62, Fig. 41.

جالسا على العرش وممسكا بالعصا والصولجان ، وتحت العرش رسم نباتى الوجهين تربطهما علامة « سما » رمزالتوحيد (١) .

أما النقوش التى تمثل مناظر الحياة اليومية ، فقد اختفت فى عهد خوفو الذى أمر بالاقتصار على اللوحات التى كانت تتوسط الأبواب الوهمية فى مقابر الأفراد وكبار الموظفين عوضا عن نقش غرف القربان مثل لوحات حم أيونو (٢) بهلد سهايم بألمانيا ، و بمنفرت (٣) (شكل ٦٢) الموجوده بكاليفورنيا ، و هى تمثل الميت وكأنما يتناول طعامه وشرابه . وفيما يتعلق بنقوش الملك منكاورع ،



(شكل ٦٢)

لوح قربان ر بمنفرت

(١) Smith, W. S., op. cit., p. 145, f. 54.

(٢) Junker, H., Grabungen, Auf. Dem Friedhof Des Alten Reiches, Band I, Die Mastabas Der IV Dynastie Auf. Dem West Friedhof, Leipzig, 1929, p. 175, Taf. XXVII.

(٣) Smith, W. S., op. cit., pl. 32 B.

فتكاد تقتصر على ألقابه ، واسمه منقوشا نقشا غائرا ، إما على حجر الجرانيت أو على جانبي وظهر مقعد لتمثال مهشم . ويوجد صقران ينشران أجنحتهما فوق اسمين للملك . وفى أسفل النقش الأخير إلها النيل يعقدان نباتى الشمال والجنوب من علامة التوحيد .

اما عن فن النحت فى النصف الأول من الدولة القديمة : فقد كان للملك زوسر عدة تماثيل يعتبر أهم ما حفظ منها تمثاله الذى عثر عليه فى السراديب ضمن مجموعته الجنزية . وتنبغى الإشارة إلى أن زوسر يعتبر أول من أقام تمثالا بالقرب من مدخل معبده الجنزى . ويمثل تمثال الملك زوسر تطورا فى فن النحت حيث يتميز عن تمثال الملك خع سخم الذى سبقت الإشارة إليه — من ناحية تعبيرات الوجه والزى وطريقة نحت الجسم ، مما يعتبر تعبيرا فنيا عن صفة الملكية فى هذا التمثال . وفى صناعته ما يشير إلى الدقه والإتقان ، وإن كانت تقاليد الماضى وقيود عصره تظهره بلون من العنف والوقار وحشمة الملوك . والتمثال موجود حاليا بالمتحف المصرى .

وقد عثر على تمثال عاجى (١) للملك خوفو بأبيدوس يمثله وهو جالس ، وهو حاليا بالمتحف المصرى (٢) . كما عثر على تمثالين ل جدف رع حجمهما أقل من الحجم الطبيعى ، وذلك فى معبد الملك بأبى رواش (شمال الجيزة) ، أحدهما بالمتحف المصرى والآخر بمتحف اللوفر ويبدو فى تلك التماثيل قدرة الفنان على التعبير . وتنبغى الإشارة كذلك إلى تمثال خع اف رع (٣) الموجود حاليـــا بالمتحف المصرى والمصنوع

(١) ———— Ibid., p. 20.

(٢) ———— Ibid., p. 32.

(٣) Michalowski, K., L'art de l'Ancienne Egypte, Paris, 1968, p. 361, Fig. 195.



شكل (٦٣) تمثال الملك خفرع

من حجر الديوريت والذى عثر عليه فى بئر بمعبد الوادى بجوار أبو الهول ، وتبدو فى ملامحه الكبرياء والشعور بعظمة الملك . ويمكن ملاحظة أن نحت الصقر خلف رأس الملك (شكل ٦٣) يؤكد السلطة المطلقة للملك من ناحية ، ويشير إلى الحماية الإلهية له من ناحية أخرى . وتجدر الإشارة أنه لاشىء فى تاريخ النحت فى العالم كله يعادل هذا التمثال .

وفى عهد منكاورع ، بدىء فى صنع عدد كبير من التماثيل(١) التى يقف فيها الملك بين الإلهة حتحور من ناحية وإلهة إقليم ابن آوى (أسيوط) من ناحية أخرى (شكل ٦٤) وقد عثر ريزنر على بعضها ، إلا أن معظمها وجد مهشما ماعدا أربعة تماثيل توجد حاليا بالمتحف المصرى .

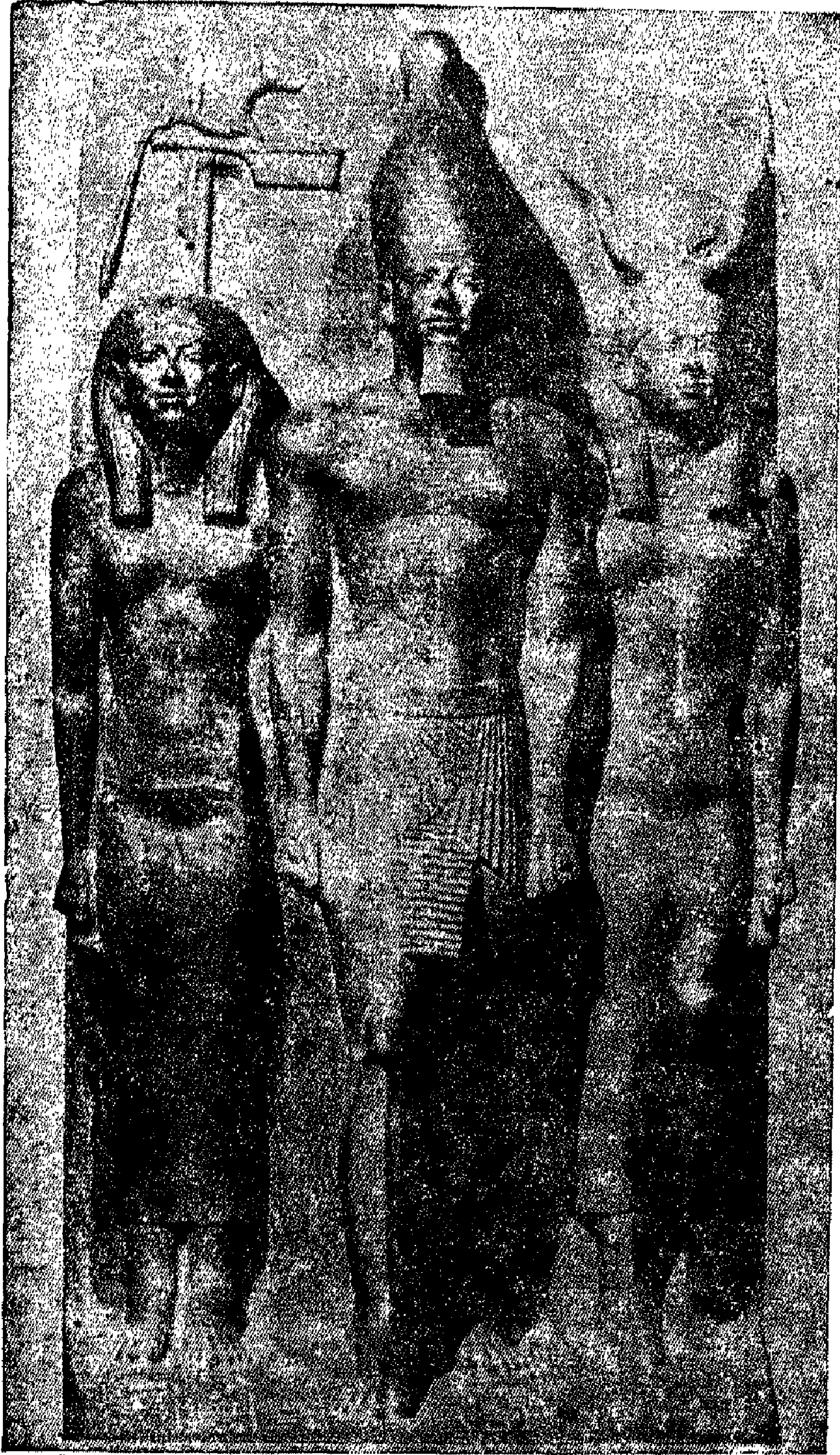
أما مجموعات الشست ، فتتكون كل منها من ثلاثة تماثيل . ويحتمل أن يكون هناك أربعون مجموعة منها بقدر عدد المقاطعات ، ولكن ريزنر لم يجد منها سوى أربعة : ثلاثة منها بالمتحف المصرى ، أما المجموعة الرابعة فهى موجودة حاليا بمتحف بوسطن . وتمثل الأخيرة حتحور فى الوسط وإلى اليسار يقف الملك منكاورع حاملا دبوس وإلى يمين حتحور توجد إلهة تمثل مقاطعة هرموبوليس (*). ويظهر فى هذه المجموعات قدرة الفنان المصرى القديم على التعبير عن شخصيات تلك المجموعات وكذلك فى إظهاره للعناصر التشريحية لجسم الإنسان بنسب بلغت حد الكمال .

أما تماثيل الأفراد من الأسرة الرابعة فكانت قليلة ، ولعل أشهرها وأجملها

---

(١) Ibid., p. 35.

(*) الإقليم الخامس عشر فى الصعيد



(شكل ٦٤) منكاو رع بين الإلهة حتحور
والهة إقليم ابن آوى

التمثال المزدوج المشهور للأمير رع حتب (يرجح أنه ابن سنفرو) وزوجته نفرت [1] (شكلا ٦٥ ، ٦٦) والتمثالان مصنوعان من الحجر الجيرى الملون .
وكذلك التمثال المعروف بشيخ البلد وهو من الخشب .

أما بالنسبة لتماثيل المجموعات للأفـــراد ، فقد ظهرت تماثيل الزوجة مع زوجها وحدهما ، أو مع أطفالهما فى أوضاع مختلفة ، الكبار جلوس أو وقوف، وقد يجلس الأب وتقف الأم . ومع ذلك ، فمن المؤكد أنه كان هناك الكثير من المحاولات التجريبية فى نطاق القوانين المتبعة فى القواعد المرعية فى هذا الفن. ويحس الإنسان بأن هؤلاء الفنانين لم يشعروا بأنهم مغلولوا الأيدى أمام مايمليه عليه هذا الفن ، ومن هنا عبرت تماثيل ونقوش أوائل الدولة القديمة عن الغرض المطلوب ، عبرت عن عزة النفس والسلطان والحياة الخالدة بنجاح . ويلاحظ أن ما أخرجه الفنان المصرى فى هذا العصر كان أكثر مصرية وأكثر نجاحا وأكثر رونقا .

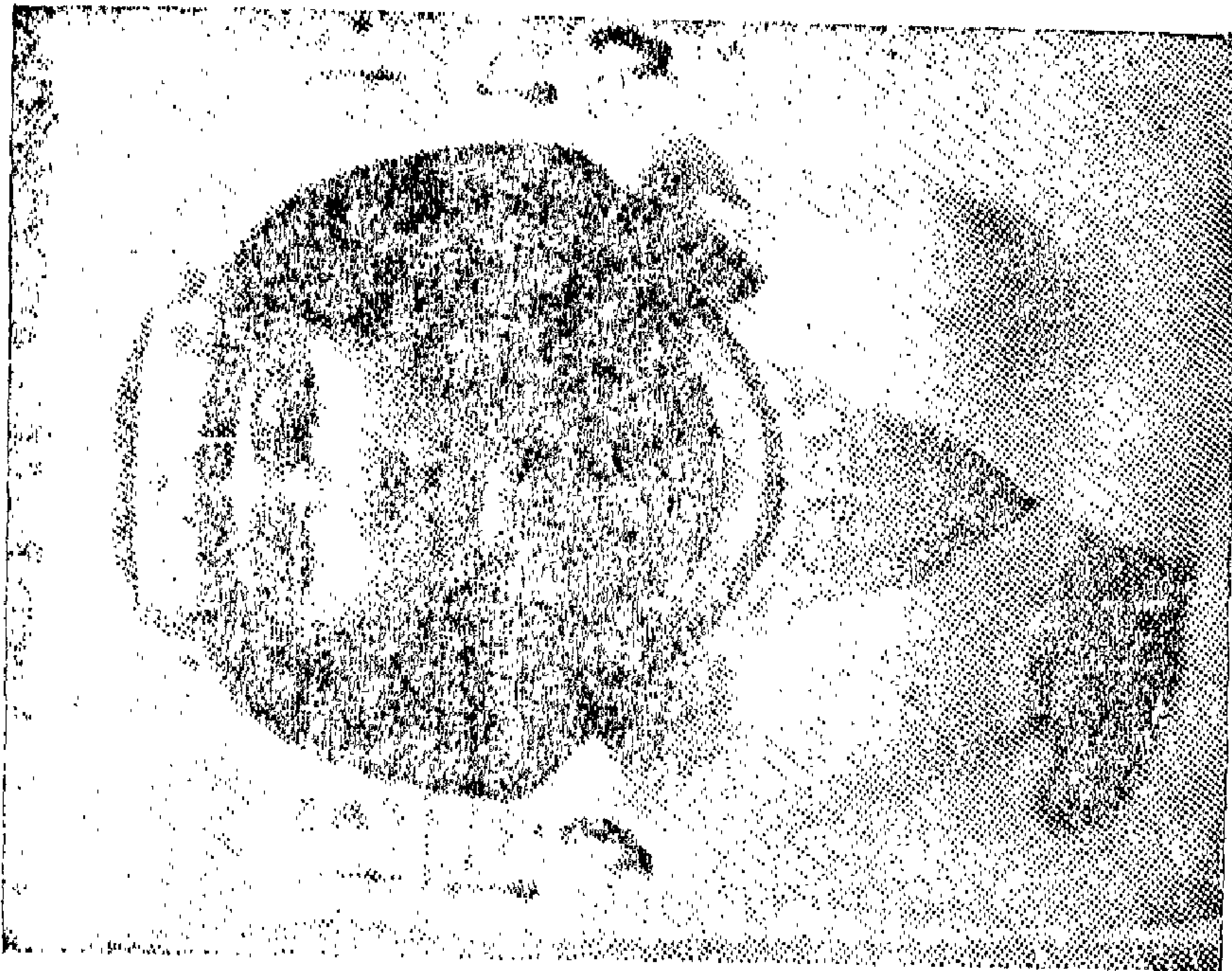
وبالنسبة للنقش فى الأسرة الخامسة ، فقد استمر الاحتفاظ بدقة الخطوط والقدرة الفنية ولاسيما فى نقوش كل من نى أوسر رع(٢) وأوناس مثل نقش معبد الشمس للملك نى أوسر رع بأبى جراب . كما يوجد تمثيل الملك فى احتفالات عيد الحب سد ، والنقوش مدونة على كتل من الحجر الجيرى (٣)

---

(١) ———— ; Ibid., p. 362, Fig. 197, 198.

(٢) **Borchardt, L., Das Grabdenkmal Des Königs Ne – User Ré, Leipzig. 1907.**

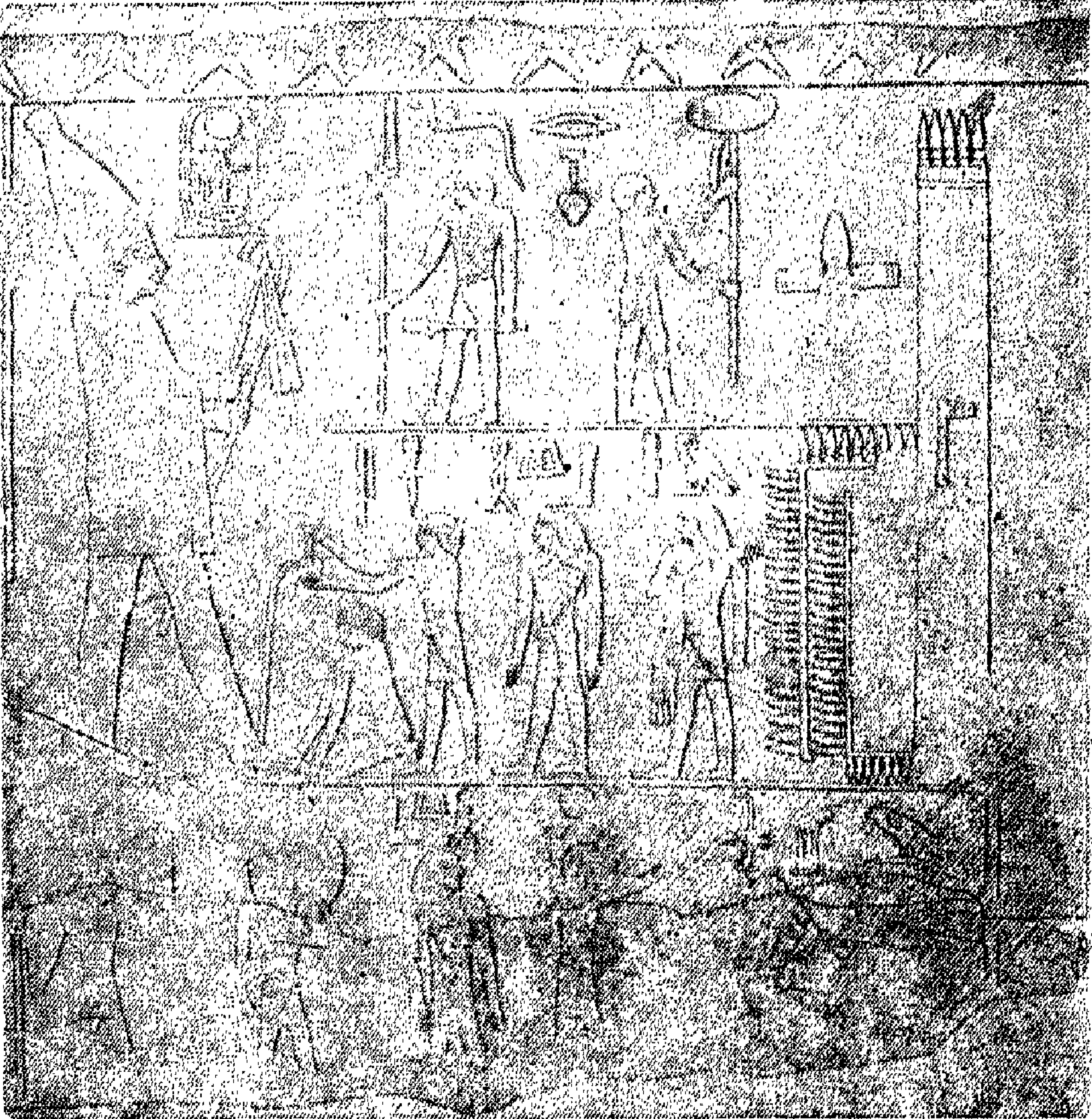
(٣) **Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago 1949 pp. 24 — 26.**





شكل ٦٥ و ٦٦

وتمثل الملك وهو ملتف بعباءته وفى يده رموز الإله أوزير . ويلاحظ التفاف الكهنة حول الملك حيث يقومون بتطهيره (شكل ٦٧) وتمثل بعض النقوش



(شكل ٦٧)

الملك نى أوسر رع أثناء قيام الكهنه بتطهيره فى احتفال الحب سد

المحفورة أشكالا تمثل الولايات وهى تحضر القرابين . ويمثل نقش آخر زحافة تجر وقد كدست فوقها القرابين . ويوجد نقش آخر على لوح بمتحف برلين يمثل الملك نى أوسر رع جالسا على العرش وخلفه تقف الإلهة واجت .

وفيما يتعلق بالنقوش الملكية من عصر الأسرة السادسة ، فإنه لم يعثر على نقوش لكثير من ملوك هذه الأسرة نظرا لأن أغلب نقوش معبد تتى فى سقارة قد تلف ، كما أنه لم يتم الكشف بعد عن معابد كل من ببى الأول ومرن رع . وتدل بعض النقوش الملكية الموجودة على معبد تتى بسقارة على أنها قد استمرت على تقاليد نقوش الأسرة الخامسة دون اختلاف جوهرى . ومن تلك النقوش ، يوجد نقش للملك تتى جالسا فى رداء عيد الحب سد(١) .

أما أواخر الأسرة السادسة ، فأهمها نقوش المعبد الجنزى للملك ببى الثانى فى سقارة . ولقد تبقى منها ما يدل على إيفاد بعض الحملات الحربية نظراً لوجود صور للأسرى وتسجيل للغنائم . ومهما كان الأمر ، فإن نقوش الأسرة السادسة فى مجموعها تعتبر أقل دقة وصدق تمثيل عن مثيلاتها فى العصور السابقة ، ولكنها تتميز بتنوع الموضوعات وبالتحرى فى كثير من القيود التى كان يلتزمها الفنان من قبل ، حيث يشاهد فيها ازدياد الحركة وقلة الجمود الفنى فى الأوضاع .

وبالنسبة للنقش فى الأقاليم ، فيلاحظ ضعف القدرة الفنية والاتجاه إلى الاختصار فى نقش الأشكال . ويتضح ذلك فى نقوش المقابر بأسيوط كما فى

---

(١)

دشاسة(١) والشيخ سعيد(٢) وبعض المقابر في ميرو ودير الجبراوى(٣) .

أما بالنسبة لفن النحت فى عصر الأسرة الخامسة : فقد قلت تماثيل الملوك من حيث عددها وإتقانها ، وزادت تماثيل الأفراد. وقد عثر كويبل فى معبد أوسر كاف فى الناحية الشمالية الشرقية لمجموعة زوسر الجنزية ، على تمثال لرأس الملك أوسر كاف(٤) وهو مصنوع من حجر الجرانيت الأحمر ، ويتميز ببساطة مسطحات ملامح الوجه . أما باقى التماثيل الملكية من عصر هذه الأسرة ، فهى صغيرة الحجم وليست لها أهمية فنية كبيرة .

وبالنسبة لفن النحت فى عصر الأسرة السادسة : فيبدو فيه الجفاء فى الوجه ، وعدم دقة الأداء الفنى بوجه عام كما يتضح فى تمثال الملك تى(٥)، الذى عثر عليه كويبل فى سقارة فى بئر رقم ٢٧٦ شرقى المعبد الجنزى لهرمه. وهو مصنوع من حجر الجرانيت الوردى ، والتمثال يمثل الملك واقفا مرتديا تاج الصعيد. وقد اتجه الفنان إلى استغلال كافة المواد المتوفرة فى بيئته للتعبير عن مفاهيمه . ولم يقتصر على الحجر بمختلف أنواعه فى صناعة التماثيل، بل استخدم البرونز . وقد عثر فى الكوم الأحمر على تمثالين(٦) للملك ببى الأول وابنه

(١) Petrie, W.M.F., Deshasheh, London, 1898, Tomb 2.

(٢) Davies, N. de G., The Rock Tombs of Sheikh Said, London, 1901, Tombs 3, 6, 15, 18, 20, 22.

(٣) ———, The Rock Tombs of Deir El Gebrawi, London, 1902, Tombs 8 and 12.

(٤) Smith, W. S., op. cit., p. 46, pl. 17 A.

(٥) Ibid., p. 82.

(٦) Quibell, J. E., Hierakonpolis, II, London, 1902, pl. L.

مصنوعان من البرونز ، وهما موجودان حاليا بالمتحف المصرى . كما يوجد تمثال للملك بيبي الأول مصنوع من المرمر ، ويظهر فيه الملك جالسا ولابسا رداء الحب سد ، وعلى ظهر الكرسى صقر يعلو الملك (١) (شكل ٦٨) . وهذا التمثال موجود بمتحف بروكلن . ويلاحظ الاختلاف الواضح فى تصميم التمثال وفى وضع الصقر إذا قورن بتمثال خع اف رع (الذى يبدو فيه كبر حجم الصقر بطريقة ملحوظة) . كما عثر لبيبي الثانى على تمثال



(شكل ٦٨)
تمثال الملك بيبي الأول

= يعتقد بيكى Baikie, J., op. cit., p. 161. أن التمثال الخاص بالإبن ربما كان يخص مرن رع أونفر كارع . ولوأن بترى يعتقد أن التمثالين يخصان الملك بيبى الأول .

(١) Michalowski, K., op. cit., p. 370, Fig. 257.

صغير (١) من المرمر على هيئة طفل يجلس القرفصاء واصبعه فى فمه ، ولا يستره سوى عصابة حول رأسه ، والتمثال موجود حاليا بالمتحف المصرى .

أما بالنسبة للفنون الصغرى فى الدولة القديمة ، فيلمس الدارس لتطور فن صياغة الحلى فى تلك المرحلة تقدم الإبداع الفنى ، والتحكم الدقيق فى الزخرفة والتنويع بين الذهب والأحجار شبه الكريمة التى يستخدمها الصانع المصرى القديم فى صناعتها . ويؤكد ذلك ما أشار إليه ريزنر (٢) ، من أن صندوق الأساور المذهب الخاص بالملكة حتب حرس قد احتوى على حلقات منقوش عليهـا اسم حتب حرس أم ملك مصر العليـا والسفلى . وقد صنعت هذه الأساور من الفضة والذهب والنحاس ، ورصعت بالأحجار شبه الكريمة كالفيروز الأزرق واللازورد والعقيق الأحمر . ومما يجدر الإشارة به فى هذا الصدد أن ريزنر اتجه إلى الاعتقاد بأن هذه الحلقات ماهى إلا خلاخيل ، ولو أن الأثريين يميلون اليوم إلى اعتبارها أساور لا خلاخيل ويستدل من حجم هذه الأساور أن عادات الدولة القديمة قد جرت بلبسها فى السواعد (شكل ٦٩) . وبجانب تلك الأساور والخلاخيل ، عثر فى مقبرة حتب حرس على قطع من الأثاث على جانب كبير من إتقان الصناعة ، ومن النماذج التى عثر عليها أسرة مطعمة بالذهب ، وكذلك مسند للرأس مغطاة بالذهب والفضة والالكتروم (شكل ٧٠) .

---

(١) Smith, W. S., op. cit., p. 82.

(٢) Reisner, G. A., op. cit., p. 43.



(شكل ٦٩) أساور وخلاخيل من الفضة مرصعة بحجارة ملونة من مقبرة الملكة حتب حرس



(شكل ٧٠)
مسند رأس حتب حرس

الفصل الخامس

عصر الفترة الأولى أو الثورة الاجتماعية

الأسرات السابعة إلى العاشرة

من حوالى ۲۲۰۰ إلى ۲۰۵۰ ق . م .

بوصول الحالة فى البلاد على النحو الذى شرحه إيبوور ، انتقلت مصر إلى عصر الفترة الأولى ، ويتضمن الأسرات السابعة والثامنة فى منف ، والتاسعة والعاشرة فى أهناسيا (١) ، وذلك قرب نهاية الألف الثالث ق . م. ولقد عادت اللامركزية إلى التواجد فى هذا العصر كنتيجة لتفكك نظام الملكية المركزية ، كما وصل التدهور السياسى إلى درجة أن مجموع ملوك الأسرة السابعة بلغ سبعون ملكا حكم كل منهم يوما واحدا فى رأى مانيتون . ثم تلتها فى منف أسرة حاكمة جديدة بلغ عدد ملوكها خمسة عشر ملكا . وكانوا يعتمدون على تأييد حكام الأقاليم عن طريق مصاهرتهم ومنحهم بعض الامتيازات. ثم قام نزاع بين أمراء أهناسيا وآخر ملوك الأسرة الثامنة ، انتهى بتأسيس الأسرة التاسعة على يد أختوى الأول (مرى - إب - رع) الذى اتخذ عاصمة ملكه فى أهناسيا ، ولكن حالة الفوضى استمرت فى البلاد أثناء عصر هذه الأسرة .

وقد تلت الأسرة التاسعة أسرة أخرى حاولت القيام ببعض النشاط. ومنذ ذلك الوقت الذى تأسست فيه الأسرة العاشرة ، ظهر فى طيبة أمراء أقوياء وحاولوا انتزاع الملك من ملوك أهناسيا ولكن لم تكن الأمور أمامهم سهلة نظرا

---

(١) أوهيرا قليوبوليس جنوب شرق الفيوم .

لوقوف أمراء أسيوط رأرمنت إلى جانب ملوك أهناسيا . ومن ملوك الأسرة العاشرة ، قام الملك خيتى Khety (أختوى الرابع) بمحاولة تطهير الدلتا والتخلص من أمراء طيبة ، فحدثت حرب بينه وبين أمراء طيبة وحلفائهم فى إقليم ثينيس انتهت بانتصار أهناسيا فى أول الامر ، ولكن الطيبيين استعادوا حصن ثينيس ثم استولوا على مدينة كرم أشقاو (فى حدود إقليم أسيوط) وفى عهد الملك الأهناسى مرى كا رع Meri – Ka – Re ابن خيتى، استأنف حاكم طيبة ويدعى منتوحوتب الثانى الحرب حيث استولى على أسيوط والأشمونين ، ثم يموت مرى كا رع ويخلفه نب كاو رع خيتى الثالث Neb – Kaure Khety III (أختوى الخامس) الذى لم يبق طويلا فى الحكم نظرا لأن طيبة عاودت هجومها وقضت على أسرة أهناسيا . وبذلك بدأت الأسرة الحادية عشرة والتى تبدأ بها الدولة الوسطى .

والواقع أن عصر الفترة الأولى يمثل أقصى مظاهر الصراع بين نظام الملكية والمركزية المطلقة من ناحية ، والنزعة الانفرادية والإقطاعية واللامركزية من ناحية أخرى . وقد اضطرت الملكية المركزية إلى تعديل قيمها وتدعيمها ببعض جوانب العدالة الاجتماعية والديمقراطية . وهكذا انهار مركز الفرعون وضعفت هالة التقديس التى كان يحاط بها الفرعون أو يحيط بها نفسه ، فى الوقت الذى حلت فيه اللامركزية بدلا من المركزية المطلقة ، ولم يعد الفرعون هو ذلك الإله المترفع ، وإنما أصبح يتحدث عن ضعفه وعن خطاياه كما يتحدث بقية الناس من رعاياه . ولقد تأثرت مظاهر الإنتاج المادى وذلك بسبب استمرار الضعف الواضح فى نظام الملكية ، وفى مثل هذه الظروف لا يتوقع من أولئك الملوك أن يبنوا أهرامات لأنفسهم .

ويرى بعض العلماء (١) أن بعض ملوك الأسرة الثامنة قد نجحوا فى بنـــاء أهرامات وقد عثر على اثنين منها فى جبانة منف ، منهـا هرم إيبى المتواضع فى سقارة الجنوبية ، وهرم خوى فى دارا بمصر الوسطى . ويرجح أن الأخير كان مشيدا ككتلة واحدة من أحجار صغيرة واستخدام طمى النيل فى بنـــائه ، ولا يوجد به دهليز أو ممر أو ردهة . ويشير دريوتون (٢) إلى أن مقابر ذلك العصر فى منطقة منف لم تستطع مقاومة الزمن ، وذلك بسبب رداءة البناء . ولكنه على الرغم من هذا التدهور الفنى فى العمائر الدينية فى تلك المرحلة ، إلا أنه يستدل من الأبواب الوهمية التى عثر عليها على استمرار استخدام المصطبة فى ذلك العصر على الأقل فى منف . أما فى بقية البلاد ، فكان القبر المنحوت فى الصخر هو الطراز السائد . وأما بالنسبة للأسرتين التاسعة والعاشرة اللتين ظهرتا فى أهناسيا، فيشير فخرى (٣) إلى أنه قد عثر على جبانات هذه الأسر ، ولكنه لم يعثر على مقابر للملوك حتى الآن . ولم يعرف على وجه الدقة عما إذا كان ملوك تلك الأسرتين يدفنون فى أهرامات أم أنهم كانوا يكتفون بالدفن فى المقابر العادية .

أما فيما يختص بالنتاج الأدبى ، فتعتبر بردية لينينجراد (٤) من أهم الوثائق القديمة التى تبين حالة البلاد فى أواخر أيام الأسرة العاشرة . وهذه البردية تحتوى على وصية خيتى ملك أهناسيا لابنه مرى كارع حيث يتحدث بلغة تتميز بالتواضع غير المألوف عند الملوك ويبدأ النص بعد المقدمة بتحذير من الملك

---

(١) أ. فخرى ، المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) أ. دريوتون ، ج . فانديه ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) أ . فخرى ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٤) موجودة حاليا بمتحف لينينجراد بروسيا تحت رقم ١١١٦ أ وقد قام بنشرها جوليشف عام ١٩١٣

لابنه مرى كا رع من أى تابع له يسبب الشقاق بين الناس « ... اطرده ، اقتله، امح ذكراه وأتباعه الذين يحبونه ... » . ثم ينصح ابنه باستخدام اللباقة فى حديثه مع الآخرين « ... لأن اللسان كالسيف للرجل، ... » (١) . ثم يتحدث عن الشباب ، فيطالب ابنه بالتقرب منهم ، وأن يكافئهم بالماشية . ولكنه فى نفس الوقت يحذره من التفرقة بين ابن الغنى وابن الفقير ، وحيث أن كل إنسان يكافأ بعمله . وقد حاول أن يبرر موقفه فى حديثه عن الحرب بين طيبة وأهناسيا على الأراضى المقدسة فى أبيدوس ، ذاكرا أن انتهاك حرمة المقابر المقدسة لم يكن بعلمه، وأنه لم يعط علما بها إلا بعد وقوعها ، ومع ذلك فقد استحق العقاب من الآلهة . وفى تلك الوصية بدأت تعليمات ملك مصر العليا وملك مصر السفلى لابنه مرى كارع يقول النص : « ... مصر تحارب فى الجبانة بتكسيرها للقبور ، بواسطة ... إنى فعلت ذلك ، وحدث نفس الشيء الذى يحدث لمن يخالف أوامر الإله ... أنظر لقد حدثت كارثة فى عهدى ... غزيت الأقاليم الثينية . لقد حدث هذا فى الواقع بسبب ما فعلت ،

Golénischeff, W., Les Papyrus Hiératiques no. 1115, 1116 A, et 1116 B de l'Ermitage Impérial à st, Pétersbourg (St. Petersburg, 1913), Pls. IX — XIV.

كما عنى شارف بدراستها دراسة وافية عام ١٩٣٦

Scharff, A., Der Historische Abschnitt der Lehre für König Merikarê (SBAW, 1936, Heft 8).]

وقد ظهرت لهذه البردية ترجمات كثيرة فى اللغات المختلفة نظرا لما تمتاز به من متانة الأسلوب وجمال المعانى .

(١) Wilson, J.A., "The Instruction For king Meri — Ka — Re. (in) ANET, p. 415.

ولقد عرفت ذلك بعد حدوثه . أنظر ، إن جزائى كان بسبب ما فعلت ... فالضربة تداوى بضربة مثلها ... » وفى نفس الوصية يعترف الفرعون أن سعادة أى إنسان لا تتوقف على رضاء الفرعون عليه وإنما على ما قدمه من خير فى الدنيا . ويرى الملك خيتى أن الحياة الطيبة فى الدنيا هى العماد الأساسى الذى ترتكز عليه الحياة فى الآخرة فيقول : « ... وكذلك تذهب الروح إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى سيرها عن طريق أمسها ... » (١)

ويستدل من دراسة هذا النص على ظهور قيم جديدة ، فهذه الوصايا جاءت على لسان الملك نفسه . ومن هنا نلمس مدى ما وصل إليه تأثير الثورة الاجتماعية فى تدعيم القيم الإنسانية وتحقيق العدالة الاجتماعية وتعميق الأنماط الفكرية فى حياة الملك آنذاك . وينفرد عصر الانتقال الأول بأنه العصر الوحيد فى تاريخ مصر الفرعونية الذى صور فيه الفرعون كأى إنسان آخر ، فهو غير معصوم وهو يخطىء . ولقد أدى ذلك فى نهاية الأمر إلى إحلال الملكية العادلة بدلا من الملكية المطلقة ، واتجهت النصوص إلى تأكيد هذا التحول الذى انعكس على القيم المصرية المختلفة سواء السياسية أو الدينية ، والتى ترتب عليه تطبيق العدالة الاجتماعية بين كافة أفراد الشعب المصرى القديم . ومن تلك النصوص تنبغى الإشارة إلى قصة القروى الفصيح (٢) the Eloquent Peasant ، التى وقعت

---

(١) ________, Ibid., p. 415.

(٢) عثر على أربع نسخ من هذه القصة ، ثلاثة منها موجودة بمتحف برلين تحت أرقام ١٠٤٩٩ «ر» ، ٣٠٢٣ «ب١» ، ٣٠٢٥ «ب٢» وقد نشرها فوجلزانج .

Vogelsang, F., Kommentar zu den Klagen des Bauern (Sethe Untersuch., VI), Leipzig, 1913.

كما نشرها أيضا سيس

حوادثها فى أواخر الاسرة العاشرة فى أهناسيا وربما تكون أحداث هذه القصة قد وقعت فى عهد الملك لب كا و - رع خيتى الثالث والقصة تتناول شكوى فلاح يدعى خو إن أنوب Khun - Anub من سلب أحد المتصلين برجال البلاط المسمى تحوت نخت Thut - Nakht لسلعه . وتمثل القصة نوعا من الأدب الراقى ، وتتناول صورة ما حدث له فى تسع شكاوى تقدم بها إلى رئيس حجاب الملك « رنسى بن مرو » Meruu' Son Rensi . ولما لم تجدى شكواه ، بدأ يهاجم رئيس الحجاب ويتهمه باتهامات خطيرة . وفى بداية شكواه ، يقول النص : « ليتك عندما تسافر فوق بحيرة العدل ، يسيرك النسيم العليل ، ولا تقطع عاصفة قلوعك ، ولا يتلكأ قاربك ... حتى السمك (الحيساب ؟) يأتى إليك وتصطاد أسمن الطيور لأنك أب لليتيم ، وزوج للأرملة ، وأخ للمطلقة ، ومئزر لمن لا أم له .. زعيم خلا (قلبه) من الجشع ، وعظيم لا يرتكب الإثم ، رجل يحطم الباطل ويضع الحق فى نصابه ويلبى نداء من يستغيث ، فليتك تسمع عندما أتحدث ... » (١) ويزيد الفلاح قائلا « ... إن الذى يوزع الحق يجب أن يكون منصفا ، ومدققا ومضبوطا مثل كفتى الميزان أو مثل الكيل ، أو مثل تحوت ... إن تحقيق العدالة هو مثل استنشاق هواء الأنف . عاقب من يستحق العقاب ، فلا يقارن بك أحد فى ذمتك هل تخطىء كفتا الميزان ؟ هل يتساهل تحوت ؟ فتفعل أنت السوء . فإذا جعلت من نفسك قرينا

= *Suys*, E., Étude sur le Conte du fellah Plaideur (Rome, 1933).

كما قام بترجمتها كل من جاردنر وارمان

Gardiner, A. H., "The Eloquent Peasant", (in) JEA, Vol. IX, London, 1923, pp. 5 – 25. & Erman, LAE, pp. 116 – 131.

(١) Wilson, J.A., "The Protests of the Eloquent Peasant", (in) ANET, p. 408.

لهؤلاء الثلاثة ، إذا تساهل هؤلاء الثلاثة كنت أنت (أيضا) متساهلا ... »
وترى الفلاح يضع دستورا للأخلاق عندما يذكر « إذا مشى الباطل ، يضل
الطريق ، إنه لايعدى فى قارب التعدية ، إنه لايتقدم ... إن الذى يغنى بالباطل ،
لا أولاد له ، وما من أحد من ورثته يبق على الأرض ... والآن فالعدالة باقية
إلى الأبد ، وتصحب من يفعلها إلى الجبانة . وعندما يموت ويدفن ، لن يمحى
اسمه من الأرض ، بل ستبقى ذكراه خالدة بأعماله الطيبة ، هذا هو المبدأ الذى
أمر به الله .. » وعندما يئس الفلاح تقدم بشكواه التاسعة قائلا « ... أنظر !
إنى أشكو إليك (ولكنك) لم تسمع فهل تريد منى أن أذهب وأشكوك إلى
(إله الجبانة) أنوبيس ... » ثم استطرد الفلاح قائلا : « .. إنى تواق إلى الموت
كما يتوق الظمآن عندما يقترب من الماء وكما يشتاق الرضيع إلى ابن أمه ... »
ولكن « رنسى » رئيس الحجاب عندما رآه بادره بالقول : « لا تخف أيها
القروى . أنظر ! إنك ستقيم معى » وعندئذ أقسم القروى « سوف آكل خبزك
وأشرب من جعتك ما حييت » . وكافأه رنسى بأن انتقم له من تحوتى نخت
وعوضه عن كل ما فقده « فأعطيت ممتلكات تحوت نخت إلى هذا الفلاح » .(١)

ويتضح من أحداث هذه القصة بأنه كان هناك إيمان بالعدالة الاجتماعية لكل
من عاصر تلك المرحلة ، حتى أفقر الناس كان من حقه أن يطالب ذوى النفوذ
من الحكام بإنصافه ، وأن يؤكد فى شكواه أن الموظفين الذين ينتمون إلى ذوى
النفوذ لم يكن من حقهم أن يظلموا الضعفاء دون أن تنالهم يد العدالة . وما من
شك فى أن الحافز لانتعاش آداب تلك المرحلة ، إنما يعود فى الواقع إلى نوع من
الوعى الاجتماعى بعد الثورة التى قامت فى نهاية الأسرة السادسة . وقد أتى هذا

---

(١) Ibid., p. 410.

النوع من الأدب إقبا لا كبيرا فى أيام الدولة الوسطى ، حيث وجدت بعض النصوص التى تدل على أن كل إنسان كان صاحب حق فى عطايا الآلهة ، لأن الإله الخالق ذكر « ... خلقت الأربع رياح التى يستطيع كل إنسان أن يستنشقها كزميله الذى يعيش فى عصره . هذا هو العمل (الأول) ... وخلقت الفيضان الكبير حتى أن للرجل الفقير حقوقه مثل الرجل العظيم . وهذا هو عمل (آخر) ... وخلقت كل إنسان مثل زميله ... (١) »

ويظهر بوضوح فى تلك النصوص على أن آثار الثورة التى امتدت إلى النواحى الاجتماعية ، والقيم الدينية سواء فى الحياة الدنيوية ، أو الأخروية ، قد امتدت أيضا إلى النواحى الإنسانية والأخلاقية .

(١) Wilson; J.A., "All Men Created Equal in Opportunity", (in) ANET, pp. 7 — 8.

وجدت هذه النقوش منقوشة على أربعة توابيت خشبية فى البرشا (على الجانب الشرقى لنهر النيل شمال أسيوط) .

الفصل السادس

الدولة الوسطى

الأسرات الحادية عشرة الى الثانية عشرة

الأسرة الحادية عشرة

من حوالى ٢١٣٥ إلى ٢٠٥٠ ثم من ٢٠٥٠ إلى ١٩٩٠ ق.م *

نشأة حكام طيبة وتاسيس الأسرة : عندما ضعفت الحكومة المركزية فى منف وبدأت سلطة حكام الاقاليم تقوى ، نشأت فى طيبة سلطة حاكمة . وعند قيام الأسرة العاشرة فى أهناسيا ، أعلن حكام طيبة عصيانهم لأهناسيا وبدأوا يتطلعون إلى السيطرة لحكم البلاد بأسرها . ومؤسس الأسرة الحادية عشرة ، هو إنيوتف الأول Inyotef I (سهرتاوى) . وقد ورد ذكره فى لوحة الأجداد بالكرنك التى أقامها تحوتمس الثالث على أنه الحاكم والأمير . ولم يكتب اسمه فى الخانة الملكية سوى فى أواخر أيام حكمه عندما عرف باسم إنيوتف الأول . وله لوحة موجودة الآن بمتحف القاهرة تصفه بأنه السيد العظيم لإقليم طيبة الذى حاز على رضاء الملك والحاكم ، وله هرم فى جهة الطارف بجبانة طيبة . وقد خلفه فى الحكم إنيوتف الثانى (واح عنخ Uah – Ankh) الذى حكم على الأقاليم الخمسة الجنوبية فى الصعيد ، وبدأ فى التوسع شمالا حيث

---

* تتعاصر المرحلة الأولى من هذا التأريخ مع حكم الاهناسية فى طيبة ، بينما تبدأ المرحلة الثانية من التأريخ مع اكتمال الوحدة السياسية .

هاجم الإقليم السادس وضمه إليه ، وبذلك أصبح تحت حكم إنيوتف الثانى ستة أقاليم فى الصعيد .

وقد أحسن إنيوتف الثانى إدارة تلك الأقاليم التى كانت تحت أمرته كما بنى لنفسه قبرا يعلوه هرم وأمامه لوحة ذكرها فى بردية أبوت ، التى تشير إلى سرقات مقابر الملوك فى الأسرة العشرين . وقد اهتم إنيوتف الثانى بتشييد معابد الآلهة . وقد تلاه على العرش ابنه إنيوتف الثالث (نخت نب تبى نفر Nakht – neb – tepi – nofer) ولم يبق شىء يذكر من عهده سوى لوحة أحد موظفيه وهى موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان بنيويورك . وتعتبر هذه اللوحة من أهم آثار ذلك العصر حيث يظهر فيها أول اسم فى ذلك العصر يدخل فيه اسم الإله آمون فى تركيب أسماء الأفراد . وقد حكم إنيوتف الثالث ثلاث سنوات .

وما أن اعتلى العرش منتو حوتب الأول Montou hotpe I (سعنخ - إب - تاوى) إلا وأراد ملوك أهناسيا استرداد إقليم ثى ، وكان ذلك فى عهد ملكهم ختيى حيث نجحوا فى ذلك . وقد حكم منتو حوتب الأول ثمانية عشرة عاما ومات قبل أن يتم قبره وخلفه فى الحكم منتو حوتب الثانى (نب - حبت - رع Neb – Hapt – Re) الذى يعتبر أهم وأقوى ملوك الأسرة الحادية عشرة حيث استعاد إقليم ثى ، وسقطت أهناسيا بأكملها فى عهده . وبذلك يكون هو أول ملك من ملوك طيبة ، دانت له مصر بالسيادة كلها . وقد غير اسمه من « حورس نترى حدزت » إلى اللقب « سماتاوى » أى « موحد الارضين » . أما اسمه الذى تركه على آثاره فهو لقب « نب - حبت - رع » وقد وجد هذا الاسم فى معبد الرمسيوم بين اسمى منى مؤسس الأسرة الأولى وأحمس مؤسس الأسرة الثامنة

عشرة إشارة إلى أهميتهم التاريخية . ومرت طيبة في عهد منتوحوتب الثاني بمرحلة ازدهار ، فأعاد للفن بعض مظاهر النهضة بعد أن كان قد أصابه الضعف ، كما بدأت نهضة معمارية في عهده . وكان من بين أعماله إرسال بعثة إلى وادي الحمامات من ثلاثة آلاف شخص ، وصلت إلى شاطىء البحر ، وجمعت أخشابا من شمال النوبة ، حيث صنعت سفنا وذهبت بها إلى بونت . وأثناء عودتها سلكت نفس الطريق وأحضرت بعض الأحجار القيمة لصناعة التماثيل . ولا يقتصر أمر العناصر النوبية التي جاءت إلى مصر على الجنوب فحسب ، وإنما يلاحظ أن بعض الأميرات من البيت الملكي الطيبي من أصل سوداني . ويوجد لمنتوحوتب الثاني مقبرة ومعبد جنزي في منطقة الدير البحري . وفي العام الثلاثين من حكمه ، احتفل بعيد الحب سد ، وأجرى بعض التعديلات في معبده الجنزي ، وأقام بعض التماثيل التي تمثله في صورة المعبود أوزير .

وقد خلف منتوحوتب الثاني ابنه منتوحوتب الثالث (نب - خرو - رع Neb – Kherou – Re) الذي استمر على شاكلة أبيه في التشييدات المعمارية والاهتمام بإرسال الحملات لجلب الأحجار اللازمة له بآثرهم . ولا شك في أن استطاعة البعثات المصرية من الذهاب إلى تلك الجهات يعني بكل تأكيد أن العناصر الجنوبية التي كانت في أول أمرها شديدة على المصريين أخذت تهادن هذه البعثات ، وأصبحت في حالة لا تمكنها من مقاومة النفوذ المصري . وربما كانت نتيجة اختلاط المصريين والنوبيين أن جمعتهم جميعا ميول وأهداف مشتركة كما أدى هذا إلى شيء كبير من التفاهم بينهم .

وبعد انتهاء حكم منتوحوتب الثالث ، أعقب حكمه ملوك آخرون لم يكن لهم أعمال تذكر يحتمل أن يكون منهم قا كا رع - إنيوتف ، واج - كا رع - سجرسني ، إيبي خنت إب رع ، ثم جاء منتوحوتب الرابع (سعنخ - كا رع

Sankh - Ka - Re) الذى سار على سياسة أسلافه بإرسال البعثات إلى المحاجر وبخاصة إلى وادى الحمامات تحت إمرة وزيره أمنمحات وإلى وادى الهودى جنوب شرق أسوان وذلك للحصول على الجمشت . ولا نستطيع الجزم عما إذا كان أمنمحات الذى ذهب إلى وادى الحامات قد حاول الاستيلاء على العرش حتى يضع نهاية للاضطراب الذى بدأ منذ وفاة منتوحوتب الثالث . ولكن المؤكد أن مؤسس الأسرة الثانية عشرة هو نفس الشخص (أمنمحات الاول) ، فأنهى بذلك حكم طيبة وبدأ حكم أسرة جديدة .

الأسرة الثانية عشرة

من حـــوالى ١٩٩٠ إلى ١٨٠٠ ق م.

أمنمحات الأول : Amenemhet I (سحتب - إب - رع) اتخذ عاصمة جديدة لحكمه قريبة من منف ، وسماها « اثت تاوى » (يحكم القطرين) ، وهى تقع حاليا على مقربة من الجيزة . وقد سار أمنمحات على سياسة أسلافه فاهتم بجنوب البلاد ، وربما يكون هو الذى أقام المركز التجارى فى مدينة كرمة فى شمال السودان بعد أن أتم تشييد حصن سمنة جنوب الجندل الثانى . كما اهتم بالحدود الشرقية والغربية بالبلاد فبنى التحصينات ، وما زال حطام إحـــداها باقيا حتى اليوم فى وادى النطرون . وعلى الرغم من محاولة أمنمحات الأول تنظيم الأمور الداخلية فى البلاد حيث ترك حكام الاقاليم الموالين له فى مناصبهم ، إلا أنه لقى بعض المصاعب من خصومه . وتصور بردية تفررو هو[١] حالة البلاد وما

---

(١) البردية محفوظة تحت رقم ١١١٦ « ب » بمتحف لينتجراد وقد قام بدراستهـا جوليفيشف

= Golénischeff, W., Op. Cit.

ينتظرها من فوضى . وتبدأ البردية بالمقدمة التى تصف الفوضى المنتشرة فى البلاد فى تلك الآونة . يقول النص :

« انصت يا قلبى وانع تلك الأرض التى فيها نشأت ... لقد أصبحت هذه البلاد خرابا ، فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ولا من يذرف الدمع . فأى حال عليها تلك البلاد ؟ لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس ». وقد كان من جراء تعطيل أعمال الرى العظيمة العامة أن « أصبح نيل مصر جافا فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم وصار الإنسان عندما يريد أن يبحث عن ماء (يقصد النهر) لتجرى عليه السفن يجد طريقه قد صار شاطئا والشاطىء صار ماء . وكل طيب قد اختفى ، وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو الذين يغزون البلاد . وظهر الأعداء فى مصر . فانحدر الأسيويون إلى مصر... وسأريك البلاد وهى مغزوة تتألم . وقد حدث فى البلاد ما لم يحدث قط من من قبل ... فالرجل يجلس فى عقر داره موليا ظهره عندما يكون الآخر يذبح بجواره ... سأريك الابن صار مثل العدو ، والأخ صار خصما ، والرجل يذبح والده ، وكل فم ملؤه (صياح المتسول ؟) ، وكل الأشياء الطيبة قد ولت ، والبلاد تحتضر ... وأملاك الرجل تغتصب منه وتعطى الأجنبى ... »

« وسأريك أن المالك صار فى حاجة الأجنبى فى غنى ... وأن الأرض قد نقصت وفى الوقت نفسه تضاعف حكامها ، وصارت الحبوب شحيحة فى حين أن

= كما قام بترجمتها جاردنر وارمان

Gardiner, A. H., "New Literary Works From Ancient Egypt", Petersburg 1116 B, Recto. (In) JEA, 1, 1914, pp. 100 — 106 and Erman, LAE, pp. 1.0 — 115.

وكانت هذه البردية من القطع التى يجرى تلقينها لطلبة المدارس فى الدولة الحديثة .

المكيال صار كبيرا ، وكال الحبوب [أى بحابى الضرائب] حتى يطفح الكيل...»

« سأريك البلاد وقد صارت مغزوة تتألم ، وأن منطقة عين شمس لن تصير بعد مكان ولادة كل إله » . ثم يحـــاول نفرر وهو إقناع الشعب بأن الآلهـة اختارت أمنمحات الأول لإنقاذ مصر . يقول النص : « سيأتى ملك من الجنوب اسمه أمينى Ameni ، وهو ابن سيدة نوبية الأصل ، وقد ولد فى الوجه القبلى ، وسيتسلم التاج الأبيض ، ويلبس التاج الأحمر ، فيوجد بذلك التاج المزدوج ، سينشر السلام فى الأرضين (مصر) على الوجه الذى يحبه أهلها ... »

« وسيفرح أهل زمانه ، وسيجعل ابن الإنسان اسمه باقيا أبد الآبدين . أما الذين كانوا قد تآمروا على الشر ودبروا الفتنة فقد أطبقوا أفواههم خوفا منه ، والأسيويون سيقتلون بسيفه ، واللوبيون سيحرقون بلهيبه، والثوار سيستسلمون لنصائحه ، والعصـــاة سيخضعون لبطشه ، وسيخضع المتمردون للصل الذى على جبينه » .

« وسيقيمون « سور الحـاكم » حتى لا يتمكن الأسيويون من غزو مصر ، وسيستجدون الماء حسب طريقتهم التقليدية لكى تردها أنعـــامهم . والعدالة (ماعت) ستعود إلى مكانها ، والظلم ينفى من الأرض فهنيئـا لمن سيرى ذلك ومن سيكون من نصيبه خدمة ذلك الملك »[1] .

وقد اهتم أمنمحات الأول بطيبة وإلهها آمون ، فأقام له المعـــابد ، واهتم كذلك بالتشييدات المعمارية ، فبنى هرما له فى اللشت ، وقد استخدمت فى

---

(1) Wilson, J.A., "The Prophecy of Neferti", (in) ANET, pp. 444 — 446.

تشييد هذا الهرم أحجار أخذت من معابد بعض ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة . كما قام بتشييد الكثير من المعابد فى سيناء وفى شرق الدلتا ؛ وبخاصة فى الختاعنة مركز فاقوس ، وفى تل بسطة قرب الزقازيق . كما شيد معبدا فى الفيوم .

ولما كان أمنمحات الأول قد تولى العرش بعد أن كان وزيرا ، لذلك نراه يشرك معه ابنه سنوسرت الأول فى الحكم حتى يطمئن على ملكه . ولكن مسئولية الحكم ظلت تقع على عاتق أمنمحات إلى أن قتل بسبب النزاع على العرش ، وكان ذلك أثناء غياب ولى عهده سنوسرت الأول .

ومن الأدلة الأثرية التى تلقى بعض الضوء التاريخى على نهاية الملك أمنمحات الأول ، نشير إلى برديتين ، إحداهما هى بردية سنوهى Sinuhe والتى تعبر عن أحب القصص إلى قلوب المصريين القدماء . وفى الواقع فإن القصة احتوتها خمس برديات [1] وما لا يقل عن سبعة عشر لخاف (أوستراكا) يقول النص : « ... وكان جلالته قد أوفد جيشا إلى أرض التمحو (الليبيين) بقيادة أكبر أبنائه الإله الطيب سنوسرت الأول وكان فى طريق عودته ومعه الأسرى

---

(١) أهم تلك البرديات محفوظ بمتحف برلين تحت أرقام ٣٠٢٢ ، ١٠٤٩٩ وقام بنشرها جاردنر

Gardiner, A. H., in Berlin, Staatlichen Museen, Hieratische Papyrus, V. Die Erzählung des Sinuhe … (Leipzig, 1909), pls. 1 — 15.

كما قام بدراستها ماسبرو

Maspero, G.; Les Mémoires de Sinouhit (Bibliothèque d'Étude, 1, Cairo, 1908).

من التحنو* الليبيين وكل (أنواع) الماشية التى لا حصر لها .

وأرسل القصر الملكى إلى الحدود الغربية رسلا ليخبروا ابن الملك بما حدث فى القصر . وقد قابله الرسل فى الطريق ووصلوا إليه عند حلول المساء . لم يتباطأ لحظة واحدة ، طار الصقر ومعه أتباعه ، ولم يذع ذلك بين جيشه ، ومع ذلك فقد وصلت رسالة إلى أبناء الملك الذين كانوا مع [illegible] فى ذلك الجيش ، واستدعى أحدهم ونظر لأنى (كنت قريبا) فقد سمعت صوته عندما تكلم بعيدا ، فهلع قلبى وتدلى منى الذراعان وأصابت القشعريرة كل أطرافى ، فأخذت أعدو لأجد مخبأ ووضعت نفسى بين شجرتين حتى أبعد نفسى عمن يكون سائرا فى الطريق . »

ثم يروى سنوهى عن نفسه أنه هرب عندما تواترت أنباء موت أمنمحات الأول « واتجهت جنوبا ، ولكن لم يكن فى نيتى الوصول إلى القصر ، لأنى ظننت أن النزاع سيبدأ ، ولم أكن أعتقد فى أنى قادر على الحياة بعد كل هذا ... » واستطاع سنوهى أن يصل إلى فلسطين ثم إلى لبنان حيث مكث هناك سنوات . ولما سأله أمير رتنو* العليا عن سبب مجيئه إلى تلك البلاد ، أخذ يعيد عليه قصته ذاكرا له أنه عندما سمع بموت الملك أمنمحات ، ارتعدت فرائصه ولم يعد لقلبه وجود فى جسمه ، بل حمله بعيدا فى طريق البوادى . ثم يستدرك قائلا « ومع ذلك فلم يتحدث عنى أحد بسوء ، ولم يبصق فى وجهى أحد ، ولم أسمع كلمة سباب » وقد مكث فى تلك البلاد حيث بدأت القلاقل تنتشر فيها عندما بدأ بعض زعماء القبائل حقا ـ خاسوت يهاجمون الناس فعينه أمير رتنو العليا قائدا للجيش

(*) بدأ ظهورهم منذ أواخر الدولة القديمة على حدود مصر الغربية ، وكان يميزهم وجود ريشتين مثبتتين فوق رؤوسهم .

(*) فلسطين وسوريا فى ذلك الوقت .

للقضاء على تلك الاضطرابات ، مما زاد فى مكانته وشهرته . ولما عاوده الحنين إلى مصر ، أرسل إلى الملك سنوسرت الاول وزوجته يستعطفهما ويستأذنهما فى المجىء فرد عليه الملك مرحبا بعودته إلى البلد الذى نشأ فيه وإلى القصر «...حتى يقبل الثرى أمام البابين الكبيرين ، ويعيش بين أمناء القصر ... » ووعده سنوسرت بأن يفعلوا له كل ما يليق به وأن يحنطوا جثته كما ينبغى أن تكون «... سيكون لك موكب جنازة فى يوم دفنك ، وسيكون تابوتك من الذهب ، ورأسه من اللازورد ستكون السماء فوقك وستوضع فوق زحافة . ستجرك الثيران ويسير المرتلون أمامك ، وستؤدى رقصة ال (موو) عند باب قبرك . وسيقرؤون لك ما تتطلبه مائدة قرابينك ، وستذبح لك الذبائح أمام مذابحك . وستكون أعمدتك من الحجر الابيض بين (مقابر) الابناء الملكيين ، وهكذا لن تموت فى الخارج ، ولن يدفنك الاسيويون ، ولن يضعوك داخل جلد شاه ... ففكر فيما يحدث لجثتك وعد » .

وعاد سنوهى إلى مصر وظل فى خدمة سنوسرت الذى عفا عنه وأغدق عليه الهدايا «... كان الملك هو الذى أمر بعمل ذلك . ولم يحدث أن عملت هذه الاشياء لرجل فقير مثلى .

(وها أنذا) أعيش يغمرنى فضل الملك حتى يحين يوم الوفاة [١] ... » .

أما البردية الاخرى [٢] التى تشير إلى نهاية حكم أمنمحات الاول ، فهى التى

Wilson, J. A., «The Story of Si – Nuhe», (in) ANET. (١) pp. 18 — 22.

(٢) قام بدراستها ماسبرو

Maspero, G., Les Enseignements d'Amen - emhait Ier à Son

تشتمل على نصائح هذا الملك لابنه سنوسرت الأول . وتتناول البردية أعمال الملك أمنمحات الأول وتحذيره لابنه ممن يخونون العهد ، ويقابلون الإحسان بالإساءة . يقول النص « ... كن على حذر من أتباعك ... لا تثق فى أخيك ولا تعرف لك صاحبا ، ولا تقرب إليك شخصا ... إنى أعطيت الفقير وأطعمت اليتيم وحققت أهداف من لا أمل له ولكن ممن العطف كان خيانة ... » ويستمر أمنمحات فى ذكر جحود الذين أغدق عليهم النعم ثم يقول « ... كنت مجهدا وكنت أميل إلى النوم وسمعت الأسلحة تتحرك ... وقمت لأحارب وحيدا ولاحظت أنه شغب يدور بين الحرس المتلاحمين...واستطعت أن أرد المعتدين ... ولكن لا شجاع فى الليل ولا قتال لمن كان وحده ... والنجاح لن يتم دون حامى ... إذن لقد تمت المؤامرة بالنجاح ... » ويستمر النص فيذكر أن ذلك حدث كله عندما كان سنوسرت بعيدا . ومما يثير اللوعة والأسى فى نفس الملك خيانة أتباعه وحاشيته الذين عاونهم ، ووضع كل الثقة فيهم ، فردوا ذلك بالتآمر على حياته ثم هو يشير إلى ما قام به من أعمال إنشائية مثل قصره الذى شيده وزينه بالذهب ، وكانت أبواب حجراته من النحاس ، والسقوف محلاة باللازورد . ويذكر أيضا أعماله الحربية ومنها غزوته لإقليم واوات فى النوبة ، وتأديبه للآسيويين ، وإخضاع البلاد لسلطانه

---

fils Sanouasrit Ier (Cairo, 1914).

كما ترجمها ارمان

Erman, LAE, pp. 72 — 74.

وأحدث ترجمة لها هى التى نشرها واسون

Wilson, J. A., «The Instructions of King Amen-Em-Het», (in) ANET, pp. 418 — 419.

وتأمين حدودها . ويختتم نصائحه لابنه « أيها الملك سنوسرت ... لتسر أقدامك ... تأمل ... إنى جهدت فى البداية وأنت تسيطر فى النهاية ... » ثم يتمنى لابنه النجاح ويوصيه بعمل الخير وإقامة التماثيل والمعابد .

سنوسرت الأول Sen - usertI (خبر - كا - رع) سار على سياسة أبيه فى التوسع فى حدود مصر الجنوبية واستد نفوذه إلى بلاد كوش بالنوبة العليا ، مستهدفا بذلك تأمين حدود مصر والحصول على ذهب النوبة ، كما أرسل البعثات إلى الواحات . وشيد هرمه ومعبده الجنزى فى اللشت بالقرب من العاصمة إثت تاوى . وقد عثر على تمثالين من خشب الأرز لسنوسرت الأول فى مقبرة كبير كهنة آون ويدعى أمحوتب . كما تشير لوحة مرى ابن منخة الموجودة حاليا بمتحف اللوفر إلى تكليفه بتصميم هرم الملك سنوسرت الأول « ... الذى كانت تطاول أعمدته السماء ببحيرته التى تصل إلى النهر وبواباته العالية ... وهو مصنوع من حجر طره ... » ويعتبر من أهم أعمال سنوسرت الأول ، تشييده لمعبد الإله رع فى مدينة هليوبوليس ، وإقامة مسلتين من الجرانيت . ومن أهم آثاره كذلك ما وجد فى الكرنك حيث شيد بناءاً خصيصا لسفينة الإله آمون رع . وقد امتدت عناية سنوسرت الأول بمعابد الآلهة إلى أنحاء مصر ، فشملت تشييد أو تجديد المعابد فى كثير من بلاد الدلتا والصعيد ، وأعطى اهتماما واضحا للفيوم .

أما فيما يتصل بنشاطه الحربى ، فقد أبدى اهتماما خاصا ببلاد النوبة ، وبدأت كلمة كوش تتردد بكثرة فى النصوص مما يدل على امتداد النفوذ المصرى إليها . فنرى فى نص الأمير أمينى ابن خنم حتبه أنه بعث من قبل الملك سنوسرت الأول للتنقيب عن الذهب من بلاد النوبه وزود نفسه بالجند الأكفاء وعاد محملا بالذهب . كما قام على رأس بعثة أخرى مكونة من ستمائة جندى إلى مناجم

الصحراء الشرقية على طريق قفط . وكان سنوسرت حريصاً على استخراج الذهب والنحاس من مناجم سيناء حيث تشير إلى ذلك آثار سرابة الخادم . هذا وقد عثر فى وادى الهودى على لوح « سمبو » رئيس خزائن سنوسرت الثانى يشير فيه إلى وصوله إلى تلك المنطقة . وقد قام سنوسرت بإرسال بعثتين إلى بلاد بونت ، يشير إلى أخبار البعثة الأولى منها لوح حجرى موجود حاليا بقلعة النويك بانجلترا ، أما البعثة الثانية فكانت بقيادة خنوم حتب وقد سجلت أخبارها أيضا على لوح حجرى موجود حاليا بانجلترا .

امنمحات الثانى (نوب - كا - رع Noub - Ka - Re) قبل وفاة سنوسرت الأول بثلاث سنوات أشرك معه فى الحكم ابنه أمنمحات الثانى . والظاهرة أن مصر أفادت من الهدوء الذى خيم على النوبة فى عهد أمنمحات الثانى ومن استتباب الأمن فى مصر ذاتها . وعلى ذلك نجد أمنمحات الثانى يوجه عنايته لاستغلال المحاجر والمناجم فى سيناء والنوبة ، كما أرسل بعثة إلى بلاد بونت . وتبادل الهدايا مع أمراء سوريا ، أى أن مصر فى ذلك الوقت أقامت علاقات ودية وتجارية مع الأقطار الشمالية ومع بلاد بونت .

وفى عهد خلفه سنوسرت الثانى (خع - خبر - رع Khaa- kheper -Re) استمرت العلاقات الودية مع البلاد الأسيوية . ويشاهد فى مقبرة أحد الأمراء فى عهد هذا الملك ويدعى « خنوم حتب الثالث» (ويرجح أنه حفيد خنوم حتب الذى عاصر أمنمحات الأول) نقوش تظهر جماعة من الأسيويين بزعامة شخص يدعى « ابشاى » قادمين إلى مصر وقد أحضروا معهم الهدايا . وقد كان الغرض من قدومهم أن يقيموا فى المنطقة الشرقية من الدلتا حيث سمح لهم الفرعون بذلك . وربما كان الأسيويون قد تعرضوا لظروف قاسية فى بيئتهم أو ربما كانت الجهات التى كانوا مستوطنين فيها قد أصابها الجدب

والجفاف فأتوا إلى مصر . ومنذ عهد سنوسرت الثانى ، نجد نصوصا على جدران بعض القلاع تثبت ارتفاع منسوب النيل وقت الفيضان فى عهود مختلفة ، وربما كان ذلك مرتبطا بمشروعات الرى التى بدأها سنوسرت الثانى فى منطقة الفيوم . وقد شيد هرمه فى اللاهون (بجانب الفيوم) وعلى مقربة منه أقيمت مقـــابر البلاط . ولعلا ما عثر عليه المؤرخون والأثريون فى مقـــابر أميرات الدولة الوسطى سات حتحور ومريت وخنوميت من دهشور وسات حتحور أونيت فى اللاهون ليعطينا فكرة واضحة عن التطور الجمالى الذى تكشف عنه صناعة الحلى ، فهذه الكنوز تضم عدة قلائد يختص سنوسرت الثانى بأبدعها .

وقد ترك العرش لابنه سنوسرت الثالث (خع - كا - رع Khaa - Ka - Re) وقد حكم هذا الملك ما يزيد على ثمانية وثلاثين عاما ، وكانت العائلات القوية فى البلاد تحمل الضغينة للحكام السابقين ، بالرغم من أن أمنمحات الأول قد أبقى الكثير منهم فى أقاليمهم على أن يقوموا بدفع الضرائب وتقديم الولاء وإرسال رجالهم للحرب ، ولكن بمرور الوقت ، أخذ هؤلاء الحكام يستعيدون نفوذهم. لذلك بدأ سنوسرت الثالث بالقضاء على نفـــوذ هؤلاء الحكام لإزالة كل أثر للإقطاع وأصبح حكام الأقاليم مجرد موظفين عاديين . ولقـــد تركزت جهـــود سنوسرت الثالث الحربية فى بلاد النوبة وفى صحراء مصر الشرقية للقضاء على القبائل المغيرة ، كما أقام الكثير من التشييدات مثل المعابد . وشيد هرمه فى منطقة دهشور . وقد عثر على مجموعة كبيرة من حلى الأميرات على مقربة من هرمه . وقد خلفه على العرش ابنه أمنمحات الثالث (نى — ما عت — رع NI - Maat - Re) الذى انصرف إلى التشييدات المعمارية واهتم بالرى واستصلاح الأراضى ولا سيما فى اقليم الفيوم . وقام ببنـــاء الجسور وشيد القناطر عند منطقة دهشور فى هوارة ، كما بنى الكثير من المعابد مثل معبد مدينة

ماضى فى الجنوب الغربى من إقليم الفيوم ، وبنى معبدا آخر فى مدينة شدت (وهى مدينة الفيوم حاليا) . وشيد هرمه عند بلدة هــوارة ، وبنى معبده إلى الشرق من هرمه . وقد عثر عام ١٩٥٦ على مدفن الأميرة نفروبتاح ابنة امنمحات الثالث .

وعلى ذلك فى الاستطاعة القــول بأن عصر هذا الملك كان عصر هدوء واستقرار ، وأنه يعتبر استكمالا للنهضة العمرانية فى البلاد . ولقد واصل بعثاته الاقتصادية والتجارية إلى سيناء للحصول على كنوزها حيث وجــه إلى تلك الجهات أكثر من عشرين بعثة . كذلك وجه بعثاته إلى وادى الحمامات للحصول على الأحجار اللازمة للتشييدات المعمارية والتماثيل . ولم يقتصر أمنمحات الثالث على ذلك فحسب ، وإنما اشتملت بعثاته صحراء النوبة الغربية للحصــول على الديوريت ، وقد عثر على ألواح هناك تشير إلى تلك البعثات . وخلفه على العرش أمنمحــات الرابع (ماعت ـ خرو ـ رع) Maat - kherou - Re الذى ورد اسمه على جدران معبد مدينة ماضى . وقد استمرت البعثات إلى المحاجر فى النوبة ووادى الهودى جنوب شرق أسوان . وتذكر بردية تورين أنه حكم تسعة أعوام ولا يعرف على وجه الدقة مكان دفنه . ويرجح أنه مدفون فى أحــد الهرمين اللذين ما زالت بقاياهما قائمة حتى الآن إلى الجنوب من دهشور . ويحتفظ المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية بتمثال له عثر عليه فى منطقة أبى قير . ويشير عصر هذا الملك إلى بداية الانهيار فى عصر الدولة الوسطى .

وآخر ملوك الأسرة الثانية عشرة الملكة سوبك ـ نفرو Sobek - Nofrou (سوبك ـ كا ـ رع) وهى ابنة الملك أمنمحات الثالث . وقد شيدت هرمهــا فى هوارة بالقرب من هرم أمنمحات الثالث ، كما عثر على اسمهــا مكتوبا على بعض

الكتل الموجودة فى أهناسيا « سوبك كا رع » ، وربما كان هـذا هو اسمها عند ولا يتها للعرش . ولا يوجد من آثار تخصها سوى جعـل وخاتم اسطوانى . وتقدر بردية تورين مدة حكمها بثلاث سنوات ويحتمل أن تكون نهاية الأسرة الثانية عشرة نتيجة لحـدوث اضطرابات داخلية ومنازعات بين أفراد الأسرة المالكة . وكان من نتيجـة انهيار هـذه الأسرة ، أن دخلت مصر فى عصر الفترة الثانية التى بدأت بعد موت الملكة سوبك نفرو وتعرضت فيها مصر الغزو الأجنبى .

مظاهر الحضارة فى عصر الدولة الوسطى

اولا : نظام الادارة

عند قيام الأسرة الثانية عشرة حاول مؤسسها أمنمحات الاول أن يعيد للبلاد وحدتها وأن تسترد الملكية سلطتها المركزية بعد أن كان نظام الإقطاع قد مكن لبعض الحكام من الاستقلال بمقاطعاتهم . ومن أجل ذلك اتجـه إلى إخضاع حكام الأقاليم للتاج ورسم حـدود الأقاليم المختلفة حتى يتمكن من تنظيم مملكته . وتشير النصوص [١] المصرية القديمة إلى محاولات الملك فى هـذا الاتجاه فتصف إشرافه بنفسه : « ... كان مشرقا كإله الشمس أتوم نفسه لكى يزهق الباطل ويعمر ما تخرب ويرده إلى ما كانت عليه ويعيـد إلى كل مدينة ما اغتصبته الأخرى منها ، ويجعل لكل مدينة حدودها التى تفصلها عن الأخرى وقد أرسى أحجار الحدود ثابتة كالسماء ... » .

---

(١) Newberry, P.E.; Beni Hassan, vol. 1, london, 1893, Taf. 25.44 f.

وعلى الرغم من تلك المحاولات فإن حكام الأقاليم استمر نفوذهم الواسع داخل أقاليمهم ولا سيما فى النصف الأول من عهد الأسرة الثانية عشرة . فقد اتسعت سلطاتهم وأصبح على حاكم الإقليم أن يقود جيش الإقليم كذلك . كما كان لكل إقليم خزائنه وموظفيه ومشرفيه سواء على الجنـــود أو مخازن الغلال أو الصحراء . هذا بالإضافة إلى وجود بلاط صغير بجانب حاكم الإقليم . وتشير النصوص المصرية القديمة إلى الطريقة التى كان يدير بهـا حاكم الإقليم شئون إقليمه . ويتضح ذلك فى نقوش مقبرة أمينى [1] حاكم الإقليم السادس عشر فى عهد سنوسرت الأول ، يقول النص « ... انى لم أستعمل القوة مع أية ابنة من بنات الاهالى ، ولم أظلم أية أرملة ، ولم أقبض على عامل ما ، ولم أطرد راعيا ما ولم يكن هناك رئيس ... أخذت منه عماله أثناء العمل . ولم يكن هناك فقير ... ولا جائع فى عصرى . وعندما حلت سنوات المجاعة حرثت جميع أراضى الإقليم من الحد الجنوبى حتى الشمالى ، وأبقيت الأهالى أحياءا وأعطيتهم طعاما حتى لم يوجد بينهم جائع واحد ، وقد أعطيت الأرملة كما أعطيت المتزوجة ، ولم أوثر العظيم على الصغير ... » .

وتسجل النقوش الموجودة على الجداران الخارجية لمعبد سنوسرت الأول فى الكرنك التقسيم الجغرافى والإدارى للأقاليم فى البـــلاد . وكانت أقاليم الجنوب تبدأ من أسوان وتنتهى عند أطفيح فى جنوب منف بينما كانت أقاليم الشمال تبدأ من منف وتشمل الدلتا . وقد اقتضت طبيعة البـــلاد الجغرافية والسياسية تقسيم الإقليم الجنوبى الى قسمين : احدهما من أسوان الى أسيوط ، والثانى من القوصية شمال أسيوط الى أطفيح .

---

(1) ———— , Ibid., Taf. 8, 18 ff. 15.

وقد أخذت سلطة حكام الأقاليم تضعف تدريجيا إزاء المجهودات التى بذلها ملوك الدولة الوسطى للقضاء على سلطة الإقطاع، حتى تم نهائيا القضاء على آخر نفوذ للإقطاع فى عهد سنوسرت الثالث ، ولم يتبق لحكام الأقاليم غير ما صوروه من عطف الفرعون عليهم ، وانتهت بذلك تلك الدويلات الصغرى التى كانت قائمة فى كل إقليم واستطاع الملوك بذلك من إيجاد طبقة أخرى من حكام الأقاليم خاضعين للعرش . وقد استمرت الإدارة المركزية للبلاد فى العاصمة كما استمر منصب الوزير كما كان فى عصر الدولة القديمة . وكان هناك عدد من الإدارات أهمها إدارة الخزينة وإدارة الأملاك الملكية يعاونهم جيش كبير من الموظفين الذين ازداد عـــددهم زيادة ملحوظـة فى جميع مصالح الحكومـة وازداد شأنهم عن قبل .

ثانيا : الانعكاسات الفنية

مع قيام عصر الدولة الوسطى أضيفت إلى مظاهر الفن بعض العنـاصر الفنية الجديدة . وفى الإمكان ملاحظة ذلك فى كافة نواحى الإنتـــاج الفنى سواء فى أساليب العمارة أو النقش أو النحت أو الفنون الصغرى .

ففى مجال العمارة : انعـكست النهضة السياسية والاقتصادية التى بدأت منـذ أواسط الأسرة الحادية عشرة على العمارة الدينية . ويلاحظ على العمارة فى عصر الدولة الوسطى اتجاه بعض الملوك إلى العـودة إلى الشكل الهرمى فى بناء مقـابرهم فى طيبة . وقد سار على نهجهم منتوحوتب الثـانى والذى يجمـع فى تصميمه بين هرم الملك ومعبده فى وحدة معمارية واحدة وأمنمحات الاول . أما رجال البلاط فقد أقاموا مقابرهم حول هرم الفرعون على هيئة المصطبة . وكانت مادة البنـاء مادة من اللبن ، أما الحجر فقد استخـدم فى الكسوة الخـارجية . وتعتبر من

أهم مقابر الدولة الوسطى مقابر حكام الأقاليم التى تتضح فى مقابر البرشا ومير وبنى حسن . ولو أننا نلاحظ أن ذلك الوضع بدأ يتغير تدريجيا فأخذنا نلمس صغر حجم هذه المقابر مرة أخرى فى الوقت الذى صارت فيه مقابر الملوك أكبر حجما وأكثر مظهرا . وعلى أية حال فإن جدران المقابر كانت فى هـــذا العصر مزينة بموضوعات مختلفة ، بعضها يمثل المناظر المألوفة فى الحياة اليومية مثل مناظر العمال ومناظر الحفلات الموسيقية ، ومناظر الأعياد الدينية التى يقوم فيها الكهنة ببعض الطقوس الدينية ، وكذلك مناظر الصيد . كما نشاهد مناظر لسفن ذاهبة أو آتية من أبيدوس، لأن العادة المتبعة فى عصر الدولة الوسطى هى نقل مومياء الميت إلى أبيدوس لتزور المعبد أو لتدفن هنـاك بعض الوقت حيث توجـــد مزارة الإله أوزير .

وقد أقام ملوك الدولة الوسطى المعابد الآلهة التى كانت تتميز باحتوائها على قاعات ثلاثة متتـالية ، وفى آخر تلك القـاعات يوجد ناووس [١] على قاعـدة مرمرية . ومن نماذج معابد الآلهة التى تخلفت من عهد أمنمحات الأول ، عثر على أطلال معبد فى شمال شرق القاهرة ، كان يتـكون من فناء وبهو وثلاث مقصورات [٢] . وقد أقام سنوسرت الأول مسلتين أمام معبد أمنمحات الأول . أما أمنمحـات الثـالث وأمنمحات الرابع فقد أقاما معبـدا صغيرا لآلهة الحصاد « رننوت Renenut » وإله التمساح سوبك والإله حور [٣] فى مدينة ماضى .

(١) Vandier, J., Manuel d'archéologie Égyptienne, t. II, p. 862 sq.

(٢) Drioton, E., Du Bourguet, Les Pharaons à la Conquête de l'art, p. 169.

(٣) Naumann, R., Der Tempel des Mittleren Reiches in Medinet Madi, Mitteilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts, Cairo, 8, (1939), s. 185 ff.

أما فيما يختص بجواسق اليوبيل ، فقد عثر فى طود جنوبى الأقصر على بقايا معبد من عهد الأسرة الحادية عشرة . وتدل نقوشه على استخدامه فى الاحتفال بيوبيل أحد الملوك . وقد عثر كذلك فى الكرنك على أحجار جوسق سنوسرت الأول الذى احتفل فيه بيوبيله ، وهو ينتمى إلى طراز المعبد المحاط بالأعمدة . أما جوسق أمنمحات الثالث فيتميز بقاعدة كبيرة جرانيتية استبدلت بدلا من المنصة .

وبالنسبة للنقش ، فقد دلت التركة المنقوشة على ازدهار ذلك الجانب الفنى سواء فى النقش البارز أو الغائر أو فى فن التلوين . ومن نماذج النقش ، نشير إلى نقوش الملك منتوحوتب الثانى ، وآثار الملك سنوسرت الأول على جدران معابده فى الكرنك ، والتى سجل فيها الفنان احتفاله بعيد الحب سد .

ولم تقتصر تلك المهارة الفنية فى النقش على العمائر الملكية ، بل امتدت إلى حكام الأقاليم وكبار رجال الدولة . فقد نتج عن تنافس حكام الأقاليم ، أن ارتفع مستوى الفن فى تلك الأقاليم على أساس أن النهضة الفنية اعتبرت انعكاسا لسلطة هؤلاء الحكام .

وبالإضافة إلى تقدم فن النقش بنوعيه ، فقد تقدم الرسم بالألوان فوق الملاط تقدما ملموسا .

وفيما يتعلق بالنحت ، فقد اتجه فى بداية الأمر إلى التقيد بالقواعد الفنية المرعية فى فن الدولة القديمة وفى بداية عصر الدولة الوسطى . فلم يكتف الفنان فى تلك الآونة بالواقع ، بل كان يضيف عليه شيئا من الهيبة والوقار . ومن النماذج المعبرة بوضوح عن ذلك الاتجاه ، نشير إلى تماثيل سنوسرت الأول بملامحه الجاده . ولقد اتجه فن النحت بعد ذلك إلى التحرر من تلك القواعد

الفنية ، والاتجاه إلى الأسلوب الواقعى . ومن النماذج المعبرة عن ذلك الاتجاه الأخير ، نشير إلى تماثيل سنوسرت الثالث (عند سمنة) بملامحه الحادة المعبرة عن الروح العسكرية ، وتمثال أمنمحات الثالث بوجهه الهادىء المعبر عن حياة السلم .

وبجانب تماثيل الملوك ، كانت هناك تماثيل الأفراد التى صنعت من مختلف الأحجام ، وفى كافة الأوضاع دون التقيد بصور صاحبها . ويلاحظ فى تماثيل الأفراد فى الدولة الوسطى تأثرها بروح عصرها ومدارسها الفنية . كما يلاحظ أن تماثيل كبار الموظفين قد تأثرت بالثراء الواسع الذى هيأ لفن النحت نصيبا من الازدهار ، ومن ثم جاءت التماثيل معبرة عن مظاهر القوة والسلطان . ولم يقتصر فن النحت على تلك التماثيل فحسب ، بل كثرت كذلك التماثيل الخشبية . ومهما كان الأمر فنى الاستطاعة القول بأن فن نحت التماثيل فى عصر الأسرة الثانية عشرة سواء الملوك أو للأفراد جاء غاية فى الروعة . ولقد تعدى هذا الازدهار فى فن النحت إلى فن التصوير ، حتى أنه يلاحظ فى عصر الأسرة الحادية عشرة ظهور فنان يدعى « إرتزن » ويلقب « رئيس الفنانين الرسام والمثال » ، وكان يقول عن نفسه (انه فنان لا يضارعه فى فنه أحد وهو يعد الأول فيما يحذقه) ، وذلك على أساس نبوغه فى حرية التعبير بالرسم وفى التصرف على القواعد الفنية المرعية فى تلك الآونة . ولم يقتصر الأمر على هذا الفنان ، بل ظهر سواه من الفنانين فى ذلك العصر منهم (رسام خاص فى القصر الملكى) ، وآخر (رئيس فنانى جبانة أبيدوس) [١] .

أما الفنون الصغرى مثل صناعة الحلى ، فتمتاز الأسرة الثانية عشرة بما

---

(١) آ. ارمان، ه . رانكه ، المرجع السابق ، ص ٤٨٦ .

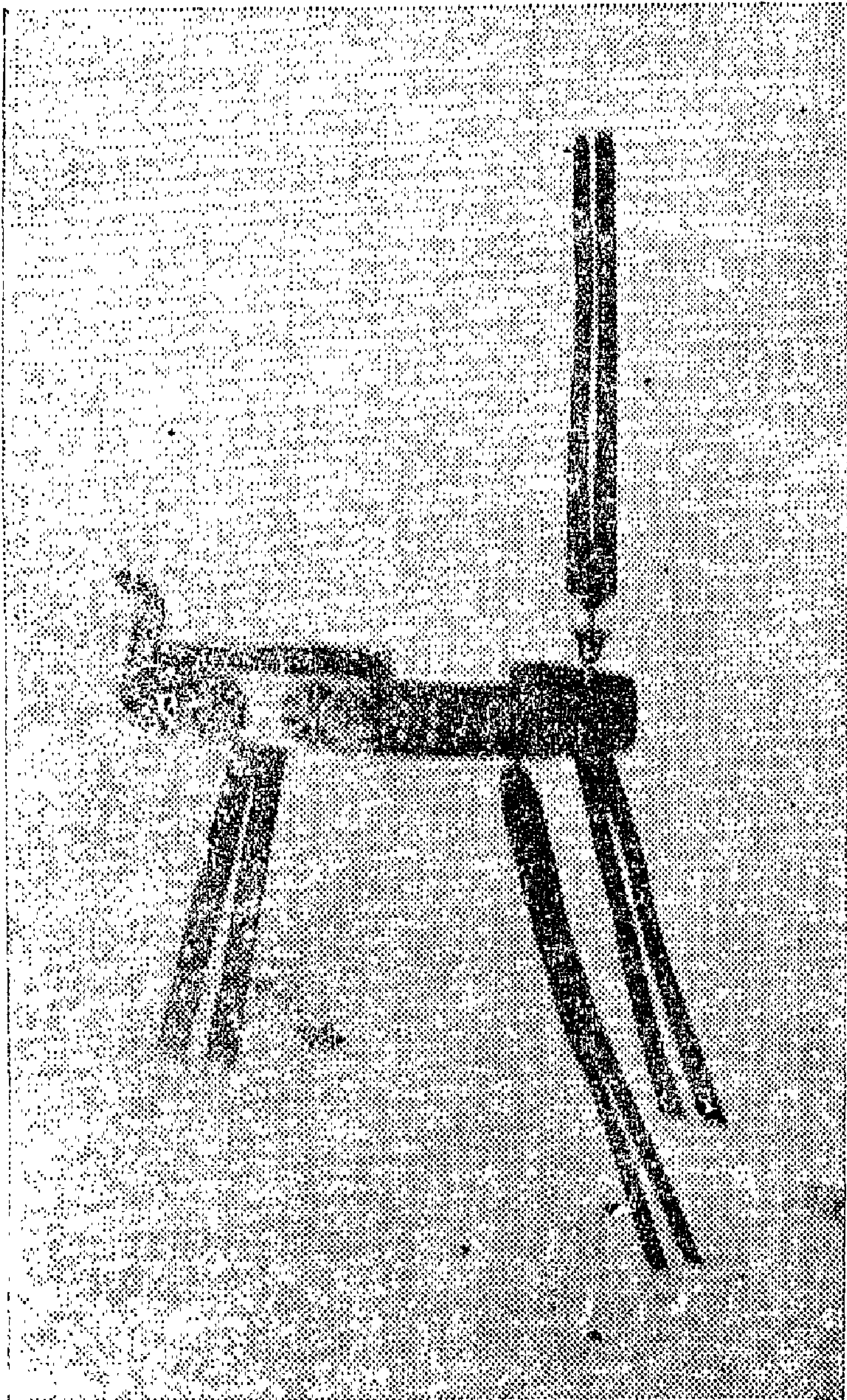
أنتجه صانعو الحلى وخير شاهد عليها الآثار الذهبية التى تضمنتها كنوز دهشور (اكتشفها دى مورجان De Morgan [1] عامى ١٨٩٤ ، ١٨٩٥) وتخص الأميرات سات حتحور Sat - Hathor ومريت Merit وخنوميت Khnumet ، وكذلك كنوز اللاهون (اكتشفها بترى وبرنتون Brunton عام ١٩١٤) وهى تخص الأميرة سات حتحور أونيت Sat – Hathor Iunut . ومنها تاج (شكل ٧١) للأميرة يتكون من شريط دائرى من الذهب يلتف حول الرأس وعليه وريدات مطعمة بأحجار ملونة . وتوجد من الخلف زهرة لوتس من الذهب تخرج منها ريشتان من الذهب أيضا هما رمز الإله أمـــون ، وتنسدل ثلاثة أشرطة إلى أسفـــل ، إثنان على جانبى الوجه ، والثالث إلى الخـــلف . والأشرطة مشبوكة بخطاطيف كما أن الريشتين وزهرة اللوتس موضوعة فى فجوات يمكن إخراجها منها [2] . ويوجد من حلى الدولة الوسطى بالمتحف المصرى ، سلاسل صغيرة من الذهب لها حلقات بسيطة يتدلى منها دلايات تحمل رموزا دينية كرمز الحياة « عنخ » ورمز الخلود « جد » ورمز السعادة «واس» وجدت بمقبرة الأميرة خنوميت (شكل ٧٢) وهذه النماذج تعتبر من أجمل ما أنتجه فن الصياغة القديم ، ونشير أيضا إلى تاج الأميرة خنوميت الذى يشبه فى تركيبه إكليلا من الزهور ذات خمسة فروع من الفيروز تتوسطها قطعة صغيرة من العقيق الأحمر . وقد نظم الصائغ الملكى هـــذه الزهور فى أسلاك ذهبية تمسكها من حين لآخر حلية تتكون من أربع زهور لوتس مرتبطة ببعضها .

---

(١) De Morgan, J , Fouilles à Dahchour, Mars–Juin/1894 & 1894 — 1895, Vienne, 1903.

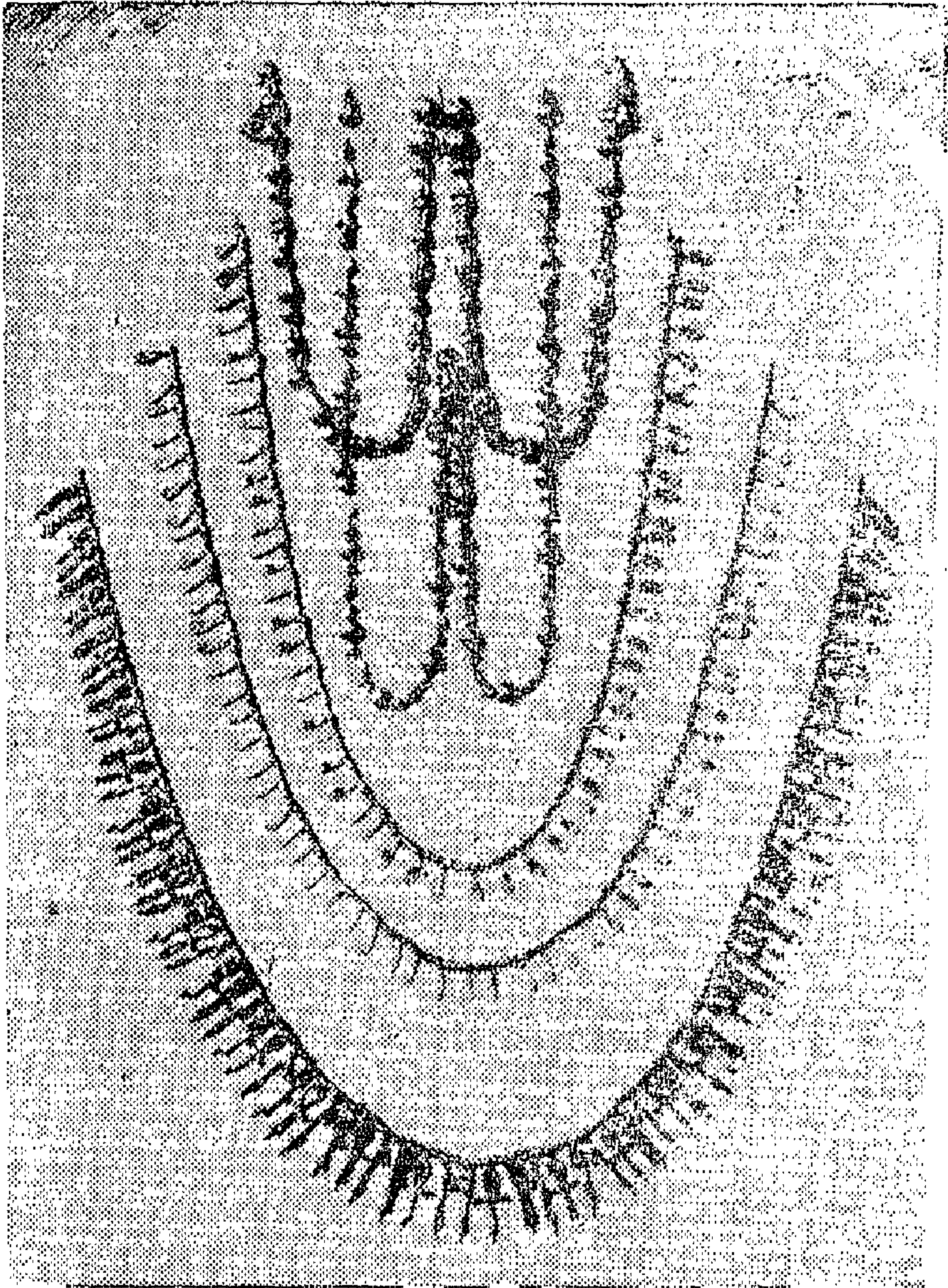
(٢) م . صبرى ، مصر ومجدها الغابر ، ص ص ١ · ٤ — ٢ · ٤ .

وتوجد قلادة جميلة مطعمة بأحجار وعليها اسم الملك سنوسرت الثانى وجدت بمقبرة الأميرة سات حتحور أونيت وتمدد فيها الأسلوب الفنى التعبيرى فى عهد الأسرة الثانية عشرة . فقد حفر أحد وجهيها بينما طعم الوجه الآخر وبها رسم تحيطه مساحة مفرغة وفى وسطها الحلية الملكية لسنوسرت الثانى « خع خبر رع »



شكل (٧١)

تاج الأميرة سات حتحور أونيت من اللاهون



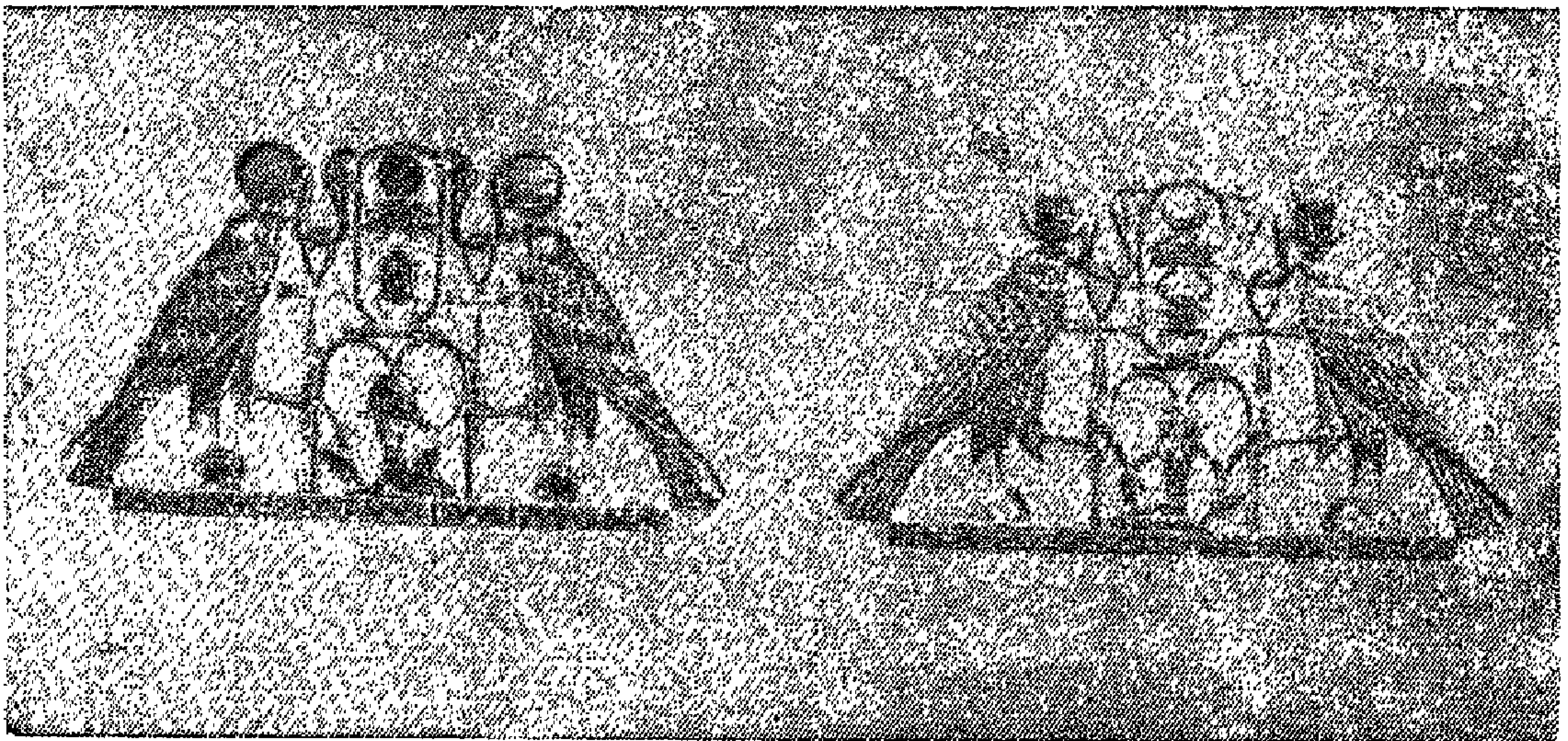
(شكل ٧٢)

عقد للأميرة خنوميت به رموز دينية

تحمله كفى رجل ويجلس القرفصاء يمثل إله الزمن ويتدلى من كوعه الأيمن ضفدع صغير ، وهو رمز المائة ألف وعلى الجانبين الإله حور رابضا فوق رمز الأبدية وحاملا قرص الشمس ، وبجواره الكوبرا يتدلى منها عنخ رمز

الحياة(١) (شكل ٧٣) والتصميم فى مجموعه بما يحمله من رموز إلهية وملكية يعبر عن الرغبة فى أن يمنح إله الشمس للملك الحياة الأبدية . ويلاحظ أن قدمى الصقر قد صنعتا منفصلتين وأن مخالبها قد شكلتا بمنتهى الدقة . كما عثر له على صدرية(٢) على شكل واجهة قصر يتوسطها الخانة الملكيـــة « خع خبر رع » وعلى جانبيه حور يرتدى تاج الوجهين وتحميه الكوبرا تتدلى منها علامة الحياة « عنخ » (شكل ٧٤) .

وقد عثر كذلك على قلادة تخص الملك سنوسرت الثالث (شكل ٧٥) وكانت دقيقة لدرجة تدل على ما ذهب إليه من تطور هذه الصناعة ودقتها فى هذه المرحلة من مراحل تطور الفنون داخل هذه الحقبة الفنية . ولقد وصفتها مرجريت مرى(٣) بأنها مصنوعة من لويحة سميكة من الذهب قطع فيها الرسم



(شكل ٧٣)

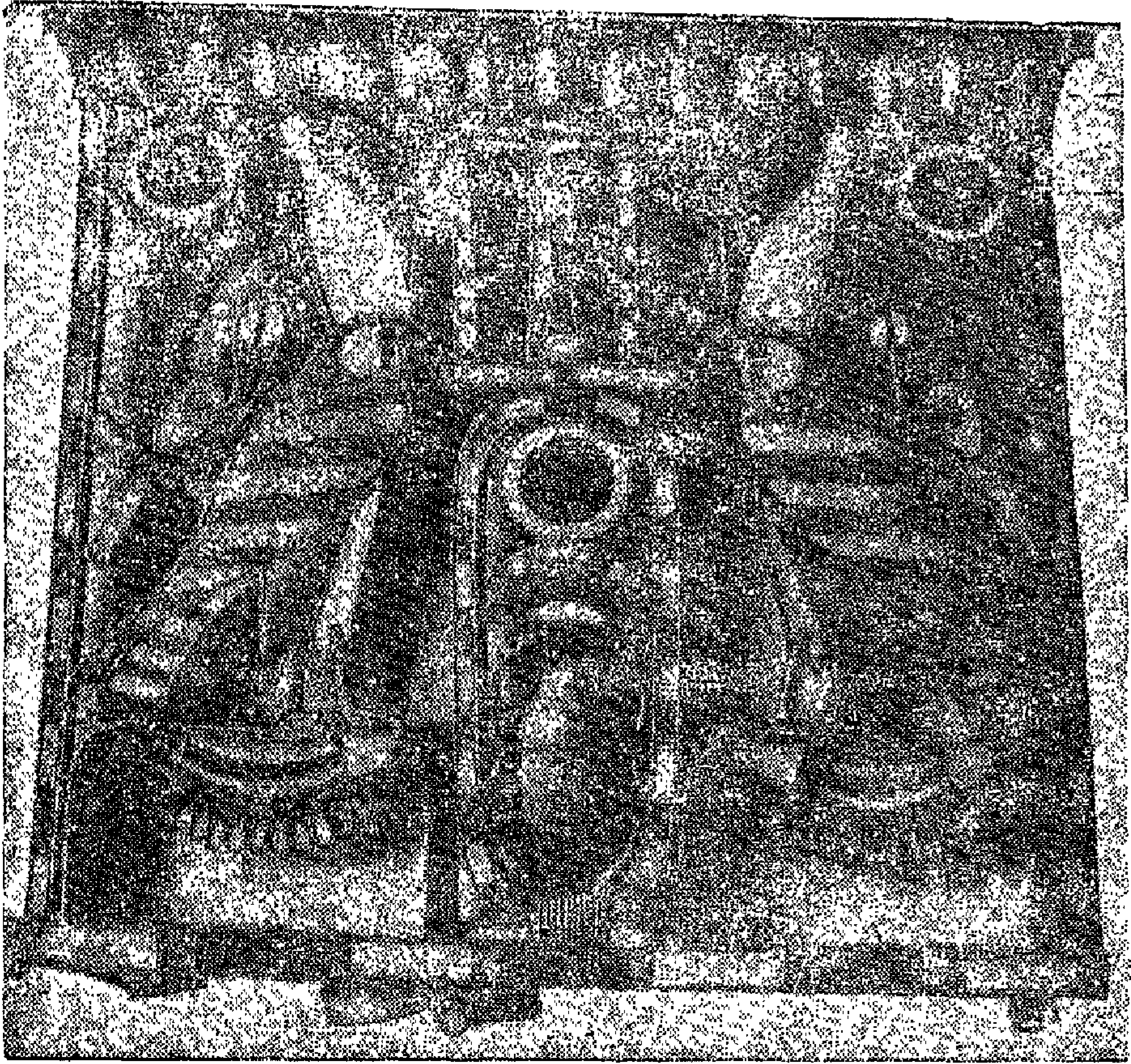
صدرية الأميرة سات حتحور أونيت عليها اسم سنوسرت الثانى

منظر أمامى وخلفى الصدرية

(١) Brunton, G. Lahun I, The Treasure, London, 1920, p. 44.

(٢) Michalowski, K., op. cit., p. 440, Fig. 791.

(٣) م . مرى ، المرجع السابق ، ص ٤٠١ .



شكل (٧٤)
صدرية لسنوسرت الثانى

ورتب بطريقة تجعله بالرغم من ظهوره لأول وهلة وكأنه أضعف الحلية كثيرا إلا أن نقط الأجزاء المختلفة تجعلها قوية جدا ، فإن اللوتس المائل مثلا ربط إلى جناح العقاب وذيل الأسد . وعندماتم قطع لويحة الذهب فان سلكا رفيعا من الذهب لحم حول كل خط من خطوط الشكل الخارجى وحول كل تفصيل . أما سلسلة الفجوات التى حدثت فقد ملئت بقطع اللازورد والفيروز والعقيق التى تناسبها ، ثم مسح السطح جميعه بصقله لكى يضم السلك الذهبى لأحجار الدقيقة ضما محكما فى أماكنها. وعندما يتم ذلك فإن المنظر يكون جميلا كمنظر المينا المطعمة ذات الحواجز . وقد نقش ظهر الحلية بالرسم الذى فى صدرها .



شكل (٧٥)

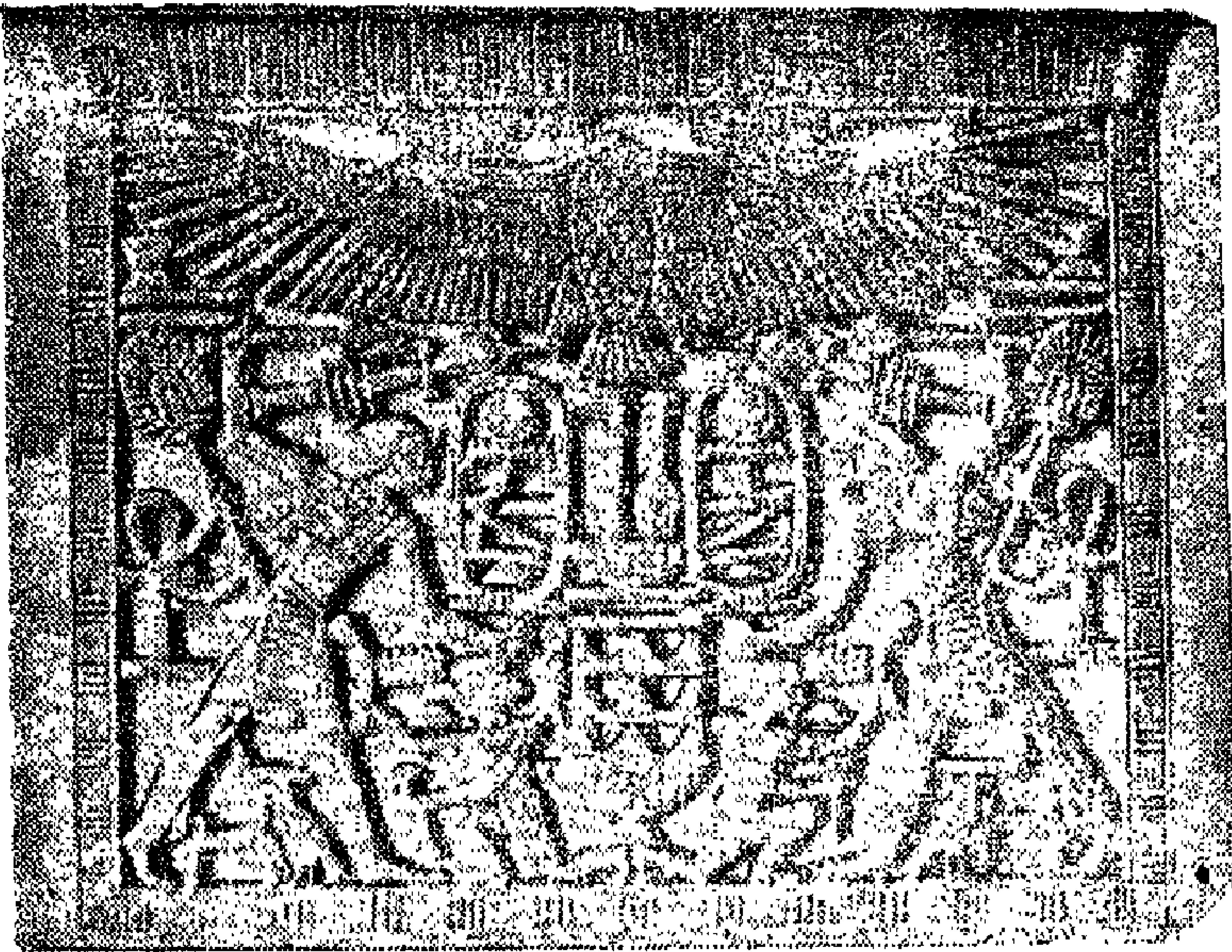
صدرية لسنوسرت الثالث

أما القلادة الثالثة (شكل ٧٦) فتخص أمنمحات الثالث. وقد اتجه الصانع المصرى فى صناعتها إلى تصميم آخر يختلف عن تصميم القلادتين الأخرتين ، فحجمها قد شكل أكبر من اللازم لكى يحوى صورا للملك وهو يحارب (١). وقد أشار ونلوك Winlock (٢) إلى صور الملك داخل إطار القلادة وعلل ذلك بأن التصميم يرجع إلى تعبير الفنان بالإخلاص للذات الملكية . ويتضح فى التصميم منظر تقليدى مزدوج يعبر عن انتصار الملك أمنمحات الثالث « نى ماعت رع » على أعدائه فى البلاد الأجنبية ويظهر فيه وهو يمسك أحد أعدائه من شعر رأسه ويهوى عليه باليد الأخرى برأس الدبوس .

ويلاحظ أن الفنان المصرى القديم عندما أراد أن يزخرف تلك الحلى الملكية ،

(١) Michalowski, K., op. cit., p. 440, Fig. 793.

(٢) Winlock, H., The Treasure of El-Lahun, New York, 1934, p. 88.



شكل (٧٦)
صدرية أمنمحات الثالث

لم يكن اختياره لتلك الزخرفة عفو الخاطر ، ولكنه اتخذ بعض الرموز الملكية الإلهية تدعيما لفكره الديني وحرصا على تأكيد ظاهرة الملكيـــة الإلهية والحماية الإلهية أيضا لشخص حامله سواء كان الفرعون أو أحـــد أفراد الأسرة المالكـــة .

وهكذا تكون الدولة الوسطى قد ساهمت بنصيب وافر فى حيوية الفن المصرى القديم وتطوره .

ثالثا ـ الأدب والعلم :

على الرغم من تعرف المصريين على الكتابة مع بداية العصر التاريخى ، وعلى الرغم من التركة الكبيرة من النقوش والنصوص التى تخلفت عن عصر الدولة القديمة ، إلا أنه لا يوجد بينها القصص التى تندرج تحت اسم ما نطلق عليه

الأدب المصرى القديم . فليست كل بردية تركها المصريون القدماء تحتوى على نصوص أدبية ، فأكثر البرديات كانت مليئة بالنصوص الدينية أو بالمعلومات الطبية أو الرياضية . أما تلك البرديات التى تحتوى على نصوص أدبية وتمثل الجزء الأكبر من الأدب المصرى القديم، فيعود تاريخها إلى ما بعد عصر الدولة القديمة ، وخاصة فى أواخر الاسرة السادسة حيث دخلت البلاد فى عصر الثورة الاجتماعية . وقد تسببت كثرة الأحداث فى تلك المرحلة إلى ازدهار الأدب المصرى القديم وارتقاء أساليبه . كما كان تشجيع الحكام فى عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة من الأسباب القوية التى أدت إلى رفع شأن الأدب . وفى عصر الأسرة الثانية عشرة ، ارتفع شأن أدب القصة .

وفى الاستطاعة تقديم بعض نماذج من الأدب المصرى ، وخاصة فى مجال القصص التى لاقت إقبالا فى عصر الدولة الوسطى . وقد سبقت الإشارة إلى بعض نماذج من الأدب من عصر الدولة الوسطى مثل بردية نفرروهو ، وقصة سنوهى ، ونصائح الملك أمنمحات لابنه سنوسرت نظرا لارتباطها موضوعيا مع تتابع الأحداث التاريخية فى تلك الآونة . وتوجد نماذج أخرى من هـــذا الأدب نتعرض لبعض نماذج منها .

نصائح الوزير بتاح حوتب Ptah - hotep : يوجـد أكثر من نص لهـذه البردية ، وأقدمها يعود إلى الأسرة الثانية عشرة . والنسخة الكاملة تحتويها بردية تسمى بردية بريس[1] Papyrus Prisse .

---

(١) البردية محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس وأول من قام بدراستها دفود.
Dévaud, E., Les maximes de Ptah - hotep (Fribourg, 1916).
كما ترجمها جن

وتبدأ النصائح بمقدمة الملك إزيزى Izezi يشرح فيها الوزير بتاح حوتب إحساسه باقتراب ضعف الشيخوخة يقول النص: « .. ضعفت العينان ، وأصاب الصم الأذنين ... والقلب كثير النسيان ولا يذكر ماحدث بالأمس ، إن العظام تعانى من تقدم السن استحال الحسن إلى قبيح ولم يعد لشيء مذاق إن ماتجلبه الشيخوخة على الإنسان هو أن تجعله يخطىء فى جميع الأمور ... » .

وتعتبر هذه النصائح من الأعمال الأدبية الجيدة التى كثر الإقبال عليها سواء فى الدولة الوسطى أو فيما بعدها ، وكانت تلقن للتلاميذ كمحفوظات . وتتناول البردية نواحى مختلفة فى الحياة . يقول النص : « ... لايداخلك الغرور بسبب علمك ولا تتعال لأنك رجل عالم . استشر الجاهل كما تستشير العالم لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلى آخر حدود الفن ، ولا يوجد الفنان الذى يبلغ الكمال فى إجادته ، إن الحديث الممتع أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ... » .

« ... إذا كنت زعيما يحكم الناس فلا تسع إلا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقيـــة دون خطأ . ما أعظم الحق فإن قيمته خالدة ، ولم ينل منها أحد ... ولكن الذى يعتدى على ما يأمر به يحل به العقـــاب . إنه (الحق) مثل الطريق السوى أمام الضال ، ولم يحدث أبدا أن عرف عن عمل السوء أنه أوصل صاحبه سالما إلى مأمنه » .

= Gunn, B., The Instruction of Ptah - hotep and the Instruction of Kégemni (Wisdom of the East Series, London, 1909.

وترجمها أيضا ارمان .

Erman, LAE, pp. 54 – 66.

كما تناولها بالترجمة ولسون

Wilson, J. A., "The Instruction of the Vizier Ptah – hotep" (in) ANET, pp. 412 – 414.

« ... إذا كنت مدعوا إلى مائدة من هو أعظم منك فخذ ما يعطيه لك عندما يوضع أمامك . لا تنظر إلا إلى ما هو أمامك ولا تسدد نظرات كثيرة إليه ... غض من طرفك حتى يحييك ولا تتكلم حتى يخاطبك ، إضحك عندما يضحك فإن ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك كل ما تفعله ، إن الإنسان لا يعلم ما فى القلب ... »

« إذا كنت من يوثق فيهم ويرسلهم أحد العظماء إلى عظيم آخر ، فكن أمينا جدا عندما يرسلك . بلغ الرسالة كما قالها . لا تخف شيئا مما قاله ، واحذر من النسيان . تمسك بأهداب الصدق ولا تتخطاه حتى ولو كان ما تقوله قد خلا مما يرضى ... » .

« إذا كنت شخصا فقيرا تعمل تابعا لأحد الرجال المعروفين الذين يشملهم رضاء الإله (الملك) فلا تحاول معرفة شىء عن ماضيه عندما كان مغمورا . لا تتعالى عليه بسبب ما تعرفه عنه فى ماضى أيامه ... » .

« إذا كنت شخصا عاقلا ناجحا فاحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة . اشبع جوفها واكسى جسدها . وأعلم أن العطور خير علاج لأعضاء جسدها . ادخل السرور على قلبها طيلة أيام حياتها فهى حقل يدر الخير لسيده » .

« إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحت غنيا بعد أن كنت فقيرا فى بلدك الذى يعرفك أهله فلا تنسى كيف كان حالك فيما مضى . ولا تغتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الله ولكن لا تحسبن أنك أقل من أى شخص آخر مثلك أصبح فيما أصبحت فيه » .

« احن ظهرك لمن هو أعلى منك ، لرئيسك فى العمل وسيعمر بيتك بخيراته

وتنال مكافآتك فى موعدها المقدر لها . ما أتعس الذى يناصب رئيسه العداء ، فإن المرء يحيا فقط طالما كان الرئيس راضيا » .

« ما أجمل أن يصغى الابن عندما يتكلم والده ، فسيطول عمره من جراء ذلك . إن من يسمع يظل محبوبا من الله ولكن الذى لا يسمع مكروه من الآلهــة ، والقلب هو الذى يرشد صاحبه فيجعل منه شخصا يسمع أو شخصا لا يسمع ، فقلب الإنسان هو حياته وسعادته وصحته ... » .

« أما الغبى الذى لا يسمع ، فلا يستطيع أن يفعل شيئا . فهو ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا وإلى الخــير كما لو كان شرا . ويجلب على نفسه اللوم فى كل يوم لأنه يفعل كل ما هو مكروه من النـاس ويعيش على ما يسبب الموت للنـاس . إن قالة السوء هى الغذاء الذى فى فمه ولهذا السبب سيعرف الحكام حقيقة خلقه وسيموت ، وهو حى فى كل يوم[1] ... » .

وعلى ذلك فإن الأدب المصرى القديم قد احتوى الكثير من الحكم والنصائح بالإضافة إلى القصص وما فيها من صور صادقة المغامرة . ولقد انعكست حياة المصريين القدماء وعاداتهم ومثلهم العليا فى هذا الإنتاج الأدبى الذى يلقى الضوء التاريخى على الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة فى تلك الآونة .

ومن تلك القصص ، قصة الملاح الغريق ، والتى احتوتها بردية قام بنشرها جولينيشف[2] كما اهتم بها فيكنتيف[3] . وتدور حوادث هذه القصة فى البحر

(١) ———— , Ibid., pp. 412 – 414.

(٢) Golénischeff, W., Le Conte du Naufragé (Bibliothèque d'Etude 11, Le Caire, 1912.

(٣) Vikentief, V., Voyage Vers l'ile lomtaine; le Caire, 1941.

الأحمر عندما تهب عاصفة على سفينة مصرية حيث يشير نص القصة ، وهلك كل من كان على ظهر السفينة ولم ينج منهم أحد ، ورمتني موجة من موجات البحر إلى جزيرة حيث ظللت ثلاثة أيام وحيـــدا لا مؤنس لى إلا قلبى ، أنام وسط مأوى من فروع الأشجار حتى يغمرنى ضوء النهار . وزحفت بعد ذلك باحثـا عما أسد به رمقى فوجدت هناك التين والعنب وأنواع الخضروات المختلفة ... » .

وعندئذ يظهر للملاح الغريق ثعبان ضخم يشير إليه النص « ... كان ثلاثين ذراعا فى الطول ، وكان طول ذقنه أكثر من ذراعين ، وكان جسمه مغطى بالذهب وحاجباه من اللازورد الحقيقى ... » . وعندما يفزع الملاح الغريق يطمئنه الثعبان قائلا « .. لاتخف ، لاتخف أيها الصغير ، ولا تعبس طالما أنك جئت إلى . لقد شاء الله حقا أن تعيش عندما أوصلك إلى (جزيرة الروح) »... ويستمر نص هذه القصة فيذكر أن الملاح ظل ثلاثة شهور فى ضيافة الثعبان « .. ثم جاءت السفينة كما تنبأ تماما الثعبان فذهبت وتسلقت شجرة عاليـــة وناديت من كانوا فيها وذهبت لأخبره فوجدته قد علم بذلك ، وقال لى : مع السلامة ، مع السلامة إلى منزلك لترى أولادك ، واذكرنى بخير فى بلدك فإن هذا هو كل ما أطلبه منك .. » ثم عاد الملاح بعد ذلك إلى مصر محملا بالهدايا . ويشير فى نهاية نص القصة إلى أن نبوءة الثعبـــان قد تحققت عندما ذكر له : « ... انظر ! ستصل العاصمة بعد شهرين ، وستحتضن أطفالك وسيرد إليك شبابك فى القصر وستدفن فى (بلدك) .. » .

وتتميز هذه القصة من زاوية التحليل القصصى برصانة أسلوبها وحسن اختيار الألفاظ . أما من ناحية الهدف ، فتعتبر جزءا من قصص المغامرات التى لاقت قبولا فى تاريخ أدب الدولة الوسطى .

الفصل السابع

عصر الفترة الثانية

الاسرات الثالثة عشرة الى السابعة عشرة

من حوالى ١٨٠٠ إلى ١٥٧٠ ق . م .

الاسرة الثالثة عشرة

لم يترك ملوك الأسرة الثالثة عشرة ما يمكن الاهتمام به ، ولكن هناك ظاهرة واضحة وهى أن بعضهم احتفظ بلقب رئيس الجيش ، والبعض الآخر يتضح من اسمه أنه كان مندوبا للقصر فى أحد الأقاليم . ومن المعروف أن كثرة عدد ملوك هذه الأسرة يدل على انهيار من ناحية ، ومنافسة قوية من ناحية أخرى ، وهى منافسة من قواد الجيش وبين مندوبى القصر فى الأقاليم .

وقد أورد مانيتون فى تاريخه أن الأسرة الثالثة عشرة حكمت فى طيبة ، وجعل على رأسها ملك يدعى خو - تاوى - رع Khou – Taoui – Re ولو أن المؤرخين ما زالوا يختلفون فى ترتيب ملوك تلك الأسرة واسم مؤسسها ويتفق ماير Meyer مع مانيتون فى اسم مؤسس الأسرة ولقد رأينا أن عرش البلاد فى أواخر أيام الأسرة الثانية عشرة كان تحت حكم الملكة سوبك نفرو ، وأن البلاد كانت تعانى تحت حكمها من الانهيار السياسى والاقتصادى .

ويرى بعض المؤرخين أن تلك الملكة ربما تكون قد تزوجت من حاكم يدعى سخم رع Sekhem – Re وهو الذى يضعه المؤرخون على رأس الأسرة الثالثة عشرة بدلا من الملك خو - تاوى - رع . وربما يكون هذا الحاكم

قد خلع تلك الملكة واستولى على العرش عنوة ، واتخذ لقب أمنمحات . ويعتقد بعض العلماء أن مدة حكمه لا تقل عن أربعة أعوام ، وأنه استطاع أن يسيطر على البلاد من الدلتا حتى قلعة سمنة [١] . وله آثار عثر عليها فى سمنة وكرمة فى النوبة . كما استؤنف تسجيل منسوب المياه فى عهده فى قمة وسمنه [٢] ، وعثر على نقش له على حجر فى الدير البحرى [٣] ، وله إصـــلاحات معمارية فى كل من اللاهون وطيبة وتل بسطة .

ثم ذكر مانيتون فى قائمة أسماء ملوك هذه الأسرة اسم الملك سخم كارع Sekhem-Ka – Re الذى ورد اسمه فى بردية اللاهـون ، ووجدت له آثار كاوح لأمير يدعى مرى - رع [٤] عثر عليـه فى أتريب (بنها) ، وعليه رسم لإله النيل يقدمه إلى الملك سخم كارع . وقد عثر فى تانيس على بقية باب مطعم بالفضة نقش عليه اسمه الأول ، واسم زوجته وبعض بناته [٥] . ومما يشير إلى استتباب الأمن والسلام فى عهده ، إهداؤه لوزيره تمثال من الجرانيت الأسود ، وذلك على أساس أن وجـود وزير الملك فى تلك المرحلة إنما يشير

---

(١) Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob", London, 1898, p. 87.

(٢) LD; II, 151 A, 151 B, 151 C, 151 D.

(٣) Naville, E., "Deir el Bahari", Report of the Egypt Exploration Fund, 1906 – 1907, p. 6.

(٤) Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum, London, 1909, p. 223, pl XXVIII.

(٥) Mariette, A., "Monuments Divers Recueillies en Egypt et en Nubie, Paris, 1889, pls. 103, 104.

إلى إستقرار الأمور ، والسير على سنة من سبقوه من الملوك بتعيين وزراء .
وهناك إشارة إلى اسم الملك سخم كا رع على أثر اسطواني عثر عليه في شمال أسوان .

أما فيما يتعلق بالملك خو - تاوى - رع Khou - Taoui - Re (وجاف) ، فقد عثر على بعض آثاره فى منطقة الطود فى الدلتا ، كما عثر له على لوح حجرى فى جزيرة الفنتين ، كما وجدت بقية من تمثال له فى طيبه ؛ وعثر على تمثال آخر له فى سمنة . كما يوجد الكثير من أسماء ملوك تلك الأسرة ، منهم سنفر إيب الذى عثر له على لوح حجرى فى جزيرة الفنتين ، كما وجد له تمثال ضخم ولوح حجرى ومائدة قربان فى طيبة مسجلة عليها ألقابه .

أما الملك سعنخ إيب رع Sankh - ib - Re فقد ورد اسمه فى قائمة الكرنك وفى بردية تورين . كما عثر على اسمه منقوشا على موائد قربان فى معبد الكرنك ، وهى موجودة حاليا بمتحف القاهرة (١) . وقد عثر أيضا على أثر اسطوانى وجعل نشرهم بترى (٢) . أما مدة حكمه فغير معروفة .

ومن ملوك تلك الأسرة كذلك، الملك سبك حتب الثالث Sobek - hotep III الذى عثر له على آثار فى طيبة تحمل اسمه (٣) . كما عثر فى جبانة الكاب على قبر سبك نخيت أحد رجال عهده (٤) ، وأنقاض معبد له فى تلك المنطقة .

---

(١) Kamal, "Tables d'Offrandes", 1, p. 31 - 37.

(٢) Petrie, F., "Scarabs and Cylinders", London, 1917, pp. 13, 16.

(٣) Weigall, A Guide to the Antiquities of upper Egypt, London, 1913, p. 70.

(٤) Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptien du Musée Charles X", Paris, 1827, p. 273.

وعثر كذلك على عتبة باب نقش عليها اسمه في الجبلين . وتشير بردية تورين إلى استمرار حكمه حوالي ثلاث سنوات [١] .

وقد تلاه على العرش الملك نفر حتب الأول Nofer – hotep I وفقا لبردية تورين ، وتتمثل آثاره في نقوش عثر عليها في أسوان [٢] ، وفي جزيرة سهيل [٣] ، وصخور شط الرجال [٤] ، وجميعها سجل نسب هذا الملك . وتشير آثاره إلى إحيائه العقيدة الأوزيرية لاسترضاء الشعب وإرضاء عاطفة الشعور الديني . ومن آثار هذا الملك تمثال صغير الحجم موجود حاليا بمتحف بولونيا بإيطاليا [٥] وتدل نقوشه على أن التمثال نحت في مكان غير بعيد من الدلتا . ولعل أهم أثر عثر عليه من عهده هو تلك اللوحة التي اكتشفها ماريت Mariette في أبيدوس [٦] . ويبدو فيها الملك وهو يتحدث مع موظفيه حول إقامة تماثيل للإله أوزير وتاسوعه . ويشير نص اللوحة إلى ما يلي : ـ

« في السنة الثانية من حكم جلالة الملك « نفر حتب » الذي أنجبته الأم الملكية « كمي » لها الحياة والثبات والسعادة مثل « رع » .. خاطب الأشراف والنبلاء من أتباعه ، ومهرة الكتاب وحفاظ كل الكتب السرية قائلا : لقد تاق قلبي إلى رؤية الكتابات القديمة الخاصة بالإله « أتوم » ... وحتى يمكنني أن أعرف الإله

---

(١) Lepsius, R , " Auswahl der Wichtigsten Urkunden des Aegyptischen Altertums", Leipzig, 1842, Taf. V.

(٢) Petrie, F., A Season in Egypt, London, 1888, p. 337.

(٣) Mariette, A., Op. Cit., XXI, p. 3.

(٤) Petrie, F., Op Cit., pl, XV no. 479, p. 15.

(٥) Petrie, F., A History of Egypt, London, 1927, p. 21.

(٦) Breasted, AR, 1, No. 753 ff.

« أوزير » فى صورته الحقيقية ، وبذلك يكون فى استطاعتى أن أنحت له تمثالا كما كان فى غابر الزمان ... » ... ثم قال جلالته للأشراف : إن جلالتى يحيى « أوزير » أول أهل الغرب ورب .. المرابة المدفونة » ، وإنى سأنحت تمثالا له ... وهى التى تمثله بوصفه ملك الوجهين القبلى والبحرى .. » .

مما سبق يتضح لنا ما كان للإله أوزير من المكانة وبخاصة عند الملوك فقد أخذ الإله أوزير يحتل مكانة عظيمة فى الديانة فى عهد الدولة الوسطى حتى اعتبر أعظم الآلهة شأنا وبخاصة فى إقامة شعائره الدينية .

وقد عثر أيضا للملك نفر حتب فى الكرنك على محراب به نقش لصورتين يعتقد أنهما تمثلانه وتمثلان شريكه فى الحكم أخوه سبك حتب الرابع الذى ورد اسمه فى قائمة الكرنك، ولكن بردية تورين وضعت بين اسميهما ستحتحور رع . وتدل آثار سبك حتب الرابع فى طيبة (١) على أنه جعل عرشه فى تلك المدينة . وتشير آثاره فى النوبة على امتداد نفوذه فى الجنوب . ثم خلفه على العرش سبك حتب الخامس الذى يعتقد أنه كان شريكا له فى الحكم كما تدل على ذلك بعض الآثار التى تحمل اسميهما . وتوجد له آثار مثل مائدة قرابين جرانيتية بمتحف ليدن عليها ألقاب هذا الملك . كما وجدت له لوحة بمتحف اللوفر (٢) .

ثم خلفه على العرش سبك حتب السادس الذى ورد ذكره فى قائمة الكرنك،

---

(١) Weigall, A History of the Pharaohs, Vol. II, London, 1925, p. 161.

(٢) Pierret, Recueil d'Inscriptions Inedites du Musée Egyptien du Louvre, p. 34.

وبردية تورين على أن مدة حكمه دامت حوالى أربع سنوات وقد عثر له على آثار بمعبد أبيدوس وبعض الجمارين . وتلاه على العرش نفر حتب الثانى الذى ورد ذكره فى قائمة الكرنك (١) وقد عثر له على تمثال جرانيتى فى الكرنك .

وتشير بعض الآثار إلى الملك نى خع نى ماعت رع Ni-Khaou-Ni-Maat-Re منها لوحتان وجدتا فى أبيدوس (٢) . واللوحتان محفوظتان بمتحف اللوفر ، يسجلان سيرة الكاهن أمينى سنبو حيث يذكر تبليغه الأمر الملكى بإجراء إصلاحات فى معبد أبيدوس . ويشير نص اللوحة الأولى « ... لقد صدر الأمر بأن ينظف معبد « العرابة » هذا ، وستقدم لك العمال لهذا الغرض ، هــذا بالإضافة إلى « كهنة الساعة » التابعين للجهة ، وهم عمال مخزن القربان ، فقمت بتنظيف الطابقين السفلى والعلوى للمعبد ، وجانبى جــدرانه كليهما وقد ملأ المصورون (النقوش والكتابة) بالألوان ، والترصيع والتطعيم ... » .

ويشير نص اللوحة الثانية : « لقد صدر الأمر بتبليغ الرسالة الملكية الثانية إلى « أمينى سنبو » وهى : أن هــذه الأعمال التى قمت بهــا قــد فحصت ، وأن الفرعون يشكر لك ، ويرجو لك أن تعيش عمرا سعيدا فى هــذا المعبد الخاص بالملك ... » .

وقد خلف الملك نى خع نى ماعت رع ملوك آخرون . ويرجح ماير حدوث اضطرابات داخل البلاد فى نهاية حكم الملك سنب حتب السادس واغتصاب العرش

---

(١) Sethe, K., Urkunden des Aegyptischen Aeltertums, Leipzig, 1904, p. 609.

(٢) Breasted, AR, 1 § 781.

على يد واح - إيب - كا - رع Uah – Ib – Ka – Re فقد ورد اسمه على لوحة عثر عليها فى طيبه ، وهى موجودة حاليا بالمتحف البريطانى (١) . كما عثر على آثار أخرى له منها جعران (٢) ، وخاتم اسطوانى ، وآنية خزفية (٣) . وبانتهاء حكم ذلك الفرعون ، انتهى سلطة ملوك تلك الأسرة فى المحافظة على حدود مصر الجنوبية . ويعتقد أن الأمور لم تكن مستقرة بعد عهده . وقد مرت البلاد فى تلك المرحلة بحالة من الاضطرابات حيث كثر عدد الطامعين فى العرش وبالتالى كثر التنازع على السلطة . واستمرت البلاد تمر بتلك المرحلة الحرجة حتى دخل الهكسوس من شرق الدلتا . ويتضح من سيرة آخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة أن الهكسوس قد دخلوا مصر فى أواخر عصر تلك الأسرة .

الاسرة الرابعة عشرة

يشير مانيتون إلى أن تلك الأسرة اتخذت من مدينة سخا (٤) فى غرب الدلتا عاصمة لها . ويبلغ عدد ملوكها ستة وسبعون ملكا حكموا مائة وأربعة وثمانين عاما ، ولو أن بردية تورين لم تذكر سوى واحد وعشرين ملكا . ويعتقد أنه فى الوقت الذى كانت تحكم الأسرة الرابعة عشرة فى سخا ، كانت طلائع الهكسوس قد بدأت تستقر فى شرق الدلتا ، بينما كانت طيبة وبعض أجزاء من الصعيد تحت نفوذ حكام الأقاليم .

---

(١) Budge, A Guide to the Egyptian Galleries Sculpture, London, 1909, p. 279.

(٢) Petrie, F., Historical Scarabs, London, 1889, p. 219.

(٣) Petrie, F , Kahun, Gurob and Hawara, London, 1890, pl. X, Fig. 72.

(٤) Meyer, E., Histoire de l'Antiquite, II § 301.

ويقسم مانيتون ملوك الهكسوس إلى ثلاث أسرات

الأسرة الخامسة عشرة

عـدد ملوكهم ستة وهم : سلاطيس
بنون
خيان
أبوفيس
يناس
أسيت

الأسرة السادسة عشرة

جعل مانيتون حكام هذه الأسرة إثنين وثلاثين ملكا

الأسرة السابعة عشرة

وعدد ملوكها ثلاثة وأربعون ملكا من الهكسوس ، ومثلهم من المصـريين يحكمون فى طيبة .

اصل الهكسوس : كلمة هكسوس تعريف للقب « حقا خاسوت » . «وحقا» بمعنى حاكم ، و « خاسوت » تعنى البلاد الأجنبية . وأن هـذا اللفظ قد جاء ذكره فى قصة سنوهى المعروفة . كما ورد ذكره فى نقوش خنوم حتب أمير إقليم بنى حسن* . والذى عاش فى عهد سنوسرت الثانى . ويبدو أن مجموعة فلسطينية قد هاجرت إلى مصر فى أيام خنوم حتب ، وكانت تلك القبيلة تحت

(*) الإقليم السادس عشر من أقاليم الصعيد .

إمرة أمير يدعى إبشاى الذى لقب بحاكم البلاد الأجنبية . ولا يوافق ماير على هذا الرأى .

وتوجد فى اللغة المصرية أسماء مختلفة للهكسوس مثل الوباء أو العامو بمعنى الأسيويين أو الساميين ، ومنتيوستت بمعنى البدو الأسيويين ثم شاسو أى الرعاة . وهذا الاسم الأخير كان يطلق على البدو المغيرين على حدود مصر الشرقية ، وكان أصلهم من فلسطين . ثم يذكر مانيتون أنه فى عهد الملك توتيماوس Tutimaeus » ... أصابتنا ضربة من غضب الإله ، فقد تجرأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا ، وقد كان مجيئهم أمرا مفاجئا ، وقد تسلطوا على البلاد ... وبعد أن تغلبوا على الرؤساء ، أحرقوا المدن بوحشية ، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها ، وساروا فى معاملة الأهالى بكل قسوة ... وفى نهاية الأمر نصبوا واحدا منهم اسمه سلاطيس الذى اتخذ من مدينة « منف » مقرا ، وفرض الضرائب على الوجهين القبلى والبحرى ... ولما كشف عن مدينة على الجهة الشرقية من فرع « تل بسطة » عمل على بنائها من جديد (أواريس) [١] وحصن جدرانها ووضع فيها حامية يبلغ عددها حوالى ٢٤٠٫٠٠٠ رجل مسلحين لحماية حدوده ... ثم توفى بعد أن حكم تسع عشرة سنة . بعد ذلك تأتى قائمة بأسماء الملوك التالية « بنون » حكم أربعة وأربعون عاما ـ « خيان » حكم ستا وثلاثين عاما وسبعة أشهر ـ «أبو فيس» حكم واحداً وستين عاما ـ «يناس» حكم خمسين عاما وشهرا و « أسيس » حكم تسعة وأربعين عاما وشهرين . وقد كان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطمعون باستمرار فى محو

---

(١) س . حسن ، مصر القديمة ، عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

الشعب المصرى .[1]

ويعتقد مانيتون أن الهكسوس مدوا نفوذهم إلى حدود الأقاليم الوسطى فى جنوب البلاد فقد ذكرت حتشبسوت أنها أجرت بعض الترميمات فى معبد للإلهة حتحور بمدينة القوصية شمال أسيوط ، والتى قام بتخريبها الهكسوس كما ورد فى لوحة كارنارفون[2] الأولى Carnarvon Tablet I ما يؤيد احتلال الهكسوس لإقليم الأشمونين ، وبلدة القوصية(*) . بينما يعتقد ماير وبترى أن الهكسوس وصلوا إلى ما وراء طيبة ، ويتخذون دليلا على ذلك من ظهور اسمى خيان وأبوفيس فى جهة الجبلين بجوار طيبة . وإذا صح فربما يكون الهكسوس قد وصلوا طيبة فى عهد الملك خيان الذى يعد من أقوى ملوكهم بدليل ورود اسمه على كثير من الآثار مثل قطعة من الجرانيت الأسود وجدت فى الجبلين ، ومجموعة من الجعارين فى فلسطين وسوريا ، ثم على تمثال أسبع[3] وجد فى بغداد وهو موجود حاليا بالمتحف البريطانى ، ثم غطاء رخامى عثر عليه فى كريت . وتشير الأدلة الأثرية إلى حمله للقب حقا ـ خاسوت الإله الطيب وابن الشمس ، ورئيس الجنود .

ومهما كان الأمر فإن الهكسوس لم يستطيعوا احتلال الصعيد بأمره ، وعلى

---

(١) هذه الفقرة ذكرها المؤرخ جوزيف نقلا عن مانيتون
Meyer, Ed., "Geschichte des Altertums" (Stuttgart, 1928) § 151.

(٢) Wilson, J. A., "The War Against the Hyksos", (in) ANET, p. 232.

(*) جنوبى مدينة الأقصر

(٣) Budge, A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum, London, 1909, p. 97, No. 340.

ذلك فإنهم تركوا الجزء الأعلى من الصعيد لحكام مصريين يحكمونه على أساس الولاء لهم . ولقد أساء الهكسوس فى بداية الأمر معاملتهم للمصريين وأهانوا معبوداتهم . وقد أشارت بعض النصوص المتأخرة إلى عصر الهكسوس بأنه عصر قد شاع فيه الاستبداد والظلم .

وقد عثر على مدافن الهكسوس فى تل اليهودية بجوار هليوبوليس وفى أبى صير الملق ، وسدمنت فى الجنوب من منف . وكذلك وجدت بعض مقابرهم فى فلسطين . ولقد قدسوا الحمار ثم عبدوا ست فى صورة حمار ويؤيد ذلك اتخاذ بعض ملوكهم اسم عاقى بمعنى الحمار قوى .

طرد الهكسوس : لم يتحمل المصريون طويلا ظلمهم حيث تزعم أمراء طيبة فى أواخر الأسرة السابعة عشرة حركة التحرير . ومن المرجح أن يكون بعض الطيبيين قد امتنعوا عن دفع الجزية أو أن ملوك الهكسوك قد أحسوا بخطر حكام طيبة ، فبدأ نشوب القتال بين الطرفين فى أواخر الأسرة السابعة عشرة . وتشير بعض النصوص المصرية القديمة إلى تفاصيل طرد الهكسوس من مصر ، ومنها ماجاء فى سيرة أحمس بن إبانا Ahmose - Son of Eban والمنقوشة على جدران مقبرته بالكاب (١) . وقد قام بترجمة النص كل من برستد (٢) وجاردنر (٣) .

(١) Wilson, J. A., "The Expulsion of the Hyksos", (in) ANET, pp. 233 - 234.

(٢) Breasted, AR, 11, §§ 1 – 13.

(٣) Gunn, B., and Gardiner, A. H, New Renderings of Egyptian Texts, "The Expulsion of the Hyksos", (in) JEA, Vol. V., London, 1918, pp. 48 — 54.

يقول النص : « أيها الناس إنى أتكلم إليكم جميعا ، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التى نلتهـــا وكيف انى قد كرفئت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة ، وكذلك بالعبيد والإماء ، وكيف أنى قد منحت أراضى شاسعة جدا لأن اسم الرجل الشجاع يمكث فى الشىء الذى فعله وإنه لن يغمر (اسمه) فى هذه الأرض إلى الأبد .

وهكذا تكلم : لقد نشأت فى مدينة الكاب (نخن) وقد كان والدى جنديا للملك الوجــــه القبلى « سقننرع » Seqnen-Re واسمه « بابا » Bebe بن « رعنت » Ro-Onet وقد انخرطت جنديا بدلا منه فى سفينة الثور الوحشى ، فى زمن سيد كلتا الأرضين ، صادق القول « نب بحتى رع (الملك أحمس) حينما كنت شابا ولم أكن قد اتخذت لى زوجا ، بل قضيت ليالى فى سرير بحار وعندما أسست منزلا (تزوجت) نقلت على ظهر السفينة المسماة « الشمالية » لأنى كنت شجاعا ، وكنت قد اعتدت مصاحبة الملك على الأقدام فى خلال أسفاره إلى الخارج فى عربته ، وعندما جلسوا أمام مدينة « أواريس » (حاصروها) أظهرت شجاعة ، وأنا على قدمى فى حضرة جلالته ، وعلى ذلك رقيت إلى السفينة المسماة «الظاهور» فى « منف » .

وعندما بدأوا الحرب على الماء فى القناة « بزدكو أواريس » - Pa - djedku Avaris أسرت أسيرا وأحضرت يدا ، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون ، ومن أجل هذا أعطيت « ذهب الشجاعة » .

وقد أعيد القتال فى هذا المكان ، وقمت بأسر أسير آخر هناك ، وأحضرت يدا فأعطيت «ذهب الشجاعة» ثانية ، وعندما حاربوا فى مصر فى الجزء الجنوبى من هذه البلد (أواريس) أحضرت أسيرا حيا . وقد ذهبت به إلى الماء لأنه

كان قد أسر فى الجهة التى فيها المدينة ، وحملته معى فى الماء إلى الجهة الأخرى ، وقد أعلن حاجب الملك بذلك ، وتأمل : لقد كوفئت « بذهب الشجاعة » من جديد ثم ساروا بعد ذلك لنهب « أواريس » وقد أحضرت من هناك أسلابا : رجلا واحدا وثلاث نساء أى مجموع أربعة رؤوس وقد أعطانيهم جلالته عبيدا. ثم حاصروا بلدة شاروهين ثلاث سنوات ، وعندما نهبها جلالتـه أحضرت من هناك غنـائم : امرأتين ويدا ، وقد أعطيت « ذهب الشجاعة » وتأمل فإن غنيمتى قد أعطيتها عبيدا ...

والآن عندما ذبح جلالته الآسيويين صعد جنوبا إلى « خنت حن نفـــر » khenti - hen - nefer ليقضى على بدو « بلاد النوبة » وبدأ جـلالته مذبحـة عظيمة فيهم ، وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة وقد كوفئت بالذهب من جديد ... »[1] .

وبالإضافة إلى سيرة أحمس بن إبانا توجد بعض النصوص التى تشير إلى حروب الهكسوس ، وجدت على واجهة معبد لحتشبسوت [2] نحت على الصخر فى بنى حسن ، ويعرف هذا المكان باسم « اصطبل عنتر » Istabl Antar وقد تنـاول هـذا النص ديفيز [3] Davies كما قام بترجمتـه برستد [4] . يقـول النص :

---

(١) Wilson, J. A., Op Cit., pp. 233 — 234.

(٢) Wilson, J. A., "The Hyksos in Egypt", (in) ANET, pp. 230 — 231.

(٣) Gardiner, A. H., "Davies's Copy of the Great Speos Artemidos Inscription" (in) JEA, XXX II, 1946, pp. 43 — 56, pl VI.

(٤) Breasted, AR, 11 §§ 296 — 303.

« ... لقد أنجزت هذه الأشياء بتدبير قلبي ، ولم أغفل بوصفي إنسانا ... بل لقد قويت ما تحطم ، ولقد رممت ما دمر ، وذلك منذ أن كان الآسيويون في وسط أواريس في الشمال ومعهم قبائل حائلة بينهم هادمين ما كان قائما . وقد حكموا بدون رع وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهي حتى عهد عظمتي ... [1] » .

ومن الوثائق المصرية القديمة التي تضمنت قصة الخلاف بين ملك الهكسوس أبو فيس في الدلتا ، والملك المصري سقننرع ، تنبغي الإشارة إلى بردية ساليه الأولى Papyrus Sallier I الموجودة بالمتحف البريطاني تحت رقم ١٠١٨٥ ، وقد قام بترجمتها جن Gunn وجاردنر [2] وإرمان (٣) . ويشير نص البردية :

« والآن حدث أن أرض مصر كانت في كارثة ، ولم يكن للبلاد حاكم يعتبر ملكا في هذا الوقت . وقد حدث أن الفرعون سقننرع له الصحة والرفاهية ، كان حاكما على المدينة الجنوبية (طيبة) . ولكن كانت الكارثة في بلد الآسيويين ، وكان الأمير « أبوفيس » ... في « أواريس » وكانت كل البلاد خاضعة له .. وقد اتخذ الملك أبوفيس ... الإله « ست » إلها له ، ولم يعبد أي إله آخر في البلاد سوى « ست » . وقد بنى معبدا ليكون عملا طيبا خالدا بجانب قصر أبوفيس ... وقد كان يستيقظ كل يوم ليقدم التضحيات للإله « ست » ، وكان موظفو جلالته ... يحملون الإكليل من الزهر كما يفعل تماما في معبد « رع حور اختي » ... وكان الملك أبوفيس ... يرغب في إرسال رسالة

---

(١) Wilson, J. A., Op. Cit., p. 231.

(٢) Gunn, B., and Gardiner, A. H., Op. Cit., pp. 40-45.

(٣) Erman, LAE, pp. 165-167.

مثفرة الملك سقنترع أمير المدينة الجنوبية .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك أبوفيس ... بإحضار ... رئيسه ... (عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل) ... ويبدو أبوفيس وهو يستشير « كتابه والحكماء » ويبدو أنهم اقترحوا عليه طلبا يمس الكبرياء حول بحيرة فرس البحر فى طيبة . فلو قبل سقننرع هذا الطلب، فسوف يريق ماء وجهه ولكنه لم يكن فى وضع يسمح له بتجاهل ذلك ... وبعد مرور عدة أيام على على ذلك ، أرسل الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التى قالها له كتابه والحكماء ، ووصل رسول الملك « أبوفيس » ... إلى أمير المدينة الجنوبية فأخذوه إلى حضرة الأمير ، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك « أبوفيس » ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ، فقال له الرسول « لقد أرسل لك الملك « أبوفيس » ... يقول . أمر بأن يهجر فرس البحر بحيرته التى فى ينبوع المدينة الجارى (طيبة) لأنه (فرس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشانى ليلا أو نهارا ، إذ أن أصواته المزعجة فى أذنى .

وعندئذ بقى أمير المدينة الجنوبية صامتا ، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جوابا لرسول الملك « أبوفيس » فقال له أمير المدينة الجنوبية . كيف سمع سيدك عن البحيرة التى فى ينبوع المدينة الجارى ؟ قال له الرسول ! ... الموضوع الذى من أجله قد أرسلك . وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك « أبوفيس » ... كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز ... وقال له أمير المدينة الجنوبية : ارجع إلى الملك « أبوفيس » ... سيدك ! أى شىء تقول له سأفعله عندما تأتى ... وعاد رسول الملك « أبو فيس » مسافرا إلى المكان الذى فيه سيده .

وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام ... وأعاد عليهم

التهمة التى بعث بها إليه الملك « أبو فيس » ... وقد ظلوا صامتين جميعـــا لمدة طويلة ، ولم يستطيعوا الإجابة بخير أو شر .. [1] » .

وتنتهى البردية نهاية غير واضحة ، ولكنها تشير إلى كراهيـــة المصريين للهكسوس حيث شبهوهم بالطاعون ، وأن ملك الهكسوس كان قلقا من نشاط سقننرع ، كما أن كفاح المصريين كان مصبوغا بصبغة دينيـــة حيث رفعوا راية الجهاد تحت لواء الإله أمون رع .

وبالإضافة إلى ما ذكرته بردية سالييه عن المرحلة الأولى من حرب التحرير ، فإنه يلاحظ فى مومياء سقننرع بقية القصة . فبفحص المومياء التى عثر عليها فى طيبة ، يتبين أنه مات متأثرا بجراحه ، ربما فى موقعة مع الهكسوس مما يدل على بداية الكفاح المسلح فى عهده والمومياء محفوظة حاليا بالمتحف المصرى . أما باقى تفاصيل حرب التحرير [2] ، فيمكن الاستدلال عليها من نص لوحـــة كارنارفون التى نشرها جن وجاردنر [3] وإرمان [4] ، والتى تشتمل على نص كتب فى أيام الملك كامس ka-mose وكذلك من لوحة أخرى من الحجر الجيرى عثر عليها فى الكرنك ونشرها حبشى Habachi [5] . ويشير نص لوحـة الملك

---

(١) Wilson, J. A., Op. Cit., pp 231 — 232.

(٢) Wilson, J. A, "The War Against the Hyksos", (in) ANET, pp. 232 — 233.

(٣) Gunn, B., and Gardiner, A H, Op. Cit., p. 45 - 47.

(٤) Erman, LAE, pp 52 — 54.

(٥) Habachi, L, "Preliminary Report on Kamose Stela and Other Inscribed of two Statues at Karnak, (in) Ann Serv., Le Caire 1955, pp. 195-202, and Hammad, M., Chronique d'Egypte, XXX, 1955, pp. 198-208.

كامس : « السنة الثالثة : حور الظاهر على عرشه ، الإلهتين ، تجديد الآثار — حور الذهبي ، الذى يحمل الأرضين مسرورتين ، ملك الوجه القبلي والوجـــه البحرى (واز خبر رع ابن الشمس) كامس ، مانح الحياه ، ملك تاج الارضين مثل رع دائما والأبد . الملك القدير فى طيبة ، « كامس » مانح الحياة مخلدا ، كان ملكا محسنا وقد جعله « رع » ملكا حقيقيا ومنحه القوة والصدق .

وقد تكلم جلالتـــه فى قصره إلى مجلس كبـار رجال الدولة الذين كانوا فى حاشيته قائلا : أريد أن أعرف قوتى عندما أرى حاكما فى « أواريس » وآخـر فى أثيوبيا وأنا أجلس فى الحكم مشتركا مع رجل أسيوى وآخر من النوبة وكل رجل منهما مسئول عن قطاعه من مصر هذه وذلك الذى يقاسمنى الأرض لأجعله يمر فى ماء مصر حتى منف . أنظر ! إنه يسيطر على هرموبوليس ولا يمكن لإنسان أن يستقر إذا ما استعبده الأسيويون وإنى سأصارعه وأبقر بطنه ، وإن رغبتى هى إنقـاذ مصر والقضـاء على الأسيويين . وعندئذ قال عظماء مجلسه : أنظر ! إن ماء النيل سيطر عليه الأسيويون ، وقد أخرجوا ألسنتهم حتى نهايتها . إننا فى طمأنينـة نملك نصيبنـا من مصر والفنتـين قوية والأرض الوسطى من جانبنا حتى القوصية ، والقوم يحرثون لنـا أحسن أرضهم وماشيتنـا ترعى فى مستنقعات الدلتا ، والشعير يدرس لخنازيرنا ، ومواشينا لم تؤخذ ... إنه يستولى على أرض الأسيويين ونحن نملك مصر ولكن كل من يأتى إلى أرضنـا ويعمـل ضدنا سوف نناهضه .

وكانوا قد أغضبوا قلب جـلالته : أما عن خطتـكم ... فإن الذى سيقتـسم البلاد معى لن يحترمنى ... سوف أبحر إلى الشمال لأصل إلى مصر السفلى (إذا حاربت مع) الأسيويين فإن النصر سوف يأتى . فإذا ظن أنه اقتنـع بالبـكاء ،

فإن الأرض بأكلها ... سترحب بى بوصفى الحاكم داخل طيبة ، « كامس » حامى مصر . ولقد توجهت إلى الشمال لأنى كنت قويا لدرجة تسمح بى بمواجهة الآسيويين بأمر « أمون » صادق النصيحة وكان أمامى جيشى الشجاع كأنه عاصفة من لهب . وكان جنود « المازوى » فى مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع الآسيويين وليدمروا مواقعهم شرقا وغربا ، ومعهم طعامهم وأدمهم ، وكان جيشى مزودا بالمؤن فى كل مكان .

وقد أرسلت فصيلة قوية من المازوى ... تيتى بن بيبى داخل نفروس(*) وكنت لا أريد السماح له بالهرب ثم دفعت الآسيويين الذين اعتدوا على مصر للهروب... وقضيت الليلة فى سفينتى وقلبى منشرح وعندما طلع النهار، انقضضت عليه كالصقر . وعندما جاء وقت الإفطار كنت قد هاجمته ودمرت أسواره وذبحت شعبه ، وجعلت زوجته تنزل إلى شاطىء النهـــر . وكان جنودى كالأسود ... فقسموا غنائمهم وقلوبهم مبتهجة . وكانت مقاطعة « نفروس » على وشك السقوط ... وكانت مقاطعة « برشاق » غير موجودة عندما وصلته وهربت خيولهم فى الداخل ، الحامية ... » (١) .

ويستدل من دراسة هذا النص على أن النضال ضد الهكسوس كان بدافع النزعة القومية عند كامس . وقد كانت أول معركة فى نفروس وانتهت بانتصار كامس .

أما اللوحة الحجرية التى عثر عليها فى الكرنك فتصف هزيمة ملك الهكسوس أبو فيس فى معركة النيل حيث استولى كامس على ثلاثمائة سفينة محملة بالأحجار

(*) مدينة تقع على مسافة قصيرة شمال هرموبوليس .

(١) Wilson, J. A., Op. Cit. pp. 232 — 233.

الكريمة والمعادن النفيسة وغيرها . كما أسر رسول أبوفيس الذى كان ذاهبا إلى أمير كوش بالنوبة العليا محاولا أن يؤلبه على مصر ليحرضه على مهاجمتها ، واعدا إياه أن يتقاسما مدن مصر . ويشير كامس فى هذه اللوحة إلى استيلائه على الواحات البحرية ، ويذكر أسماء المدن التى وقعت تحت سيطرته بين الأشمونين وأطفيح .

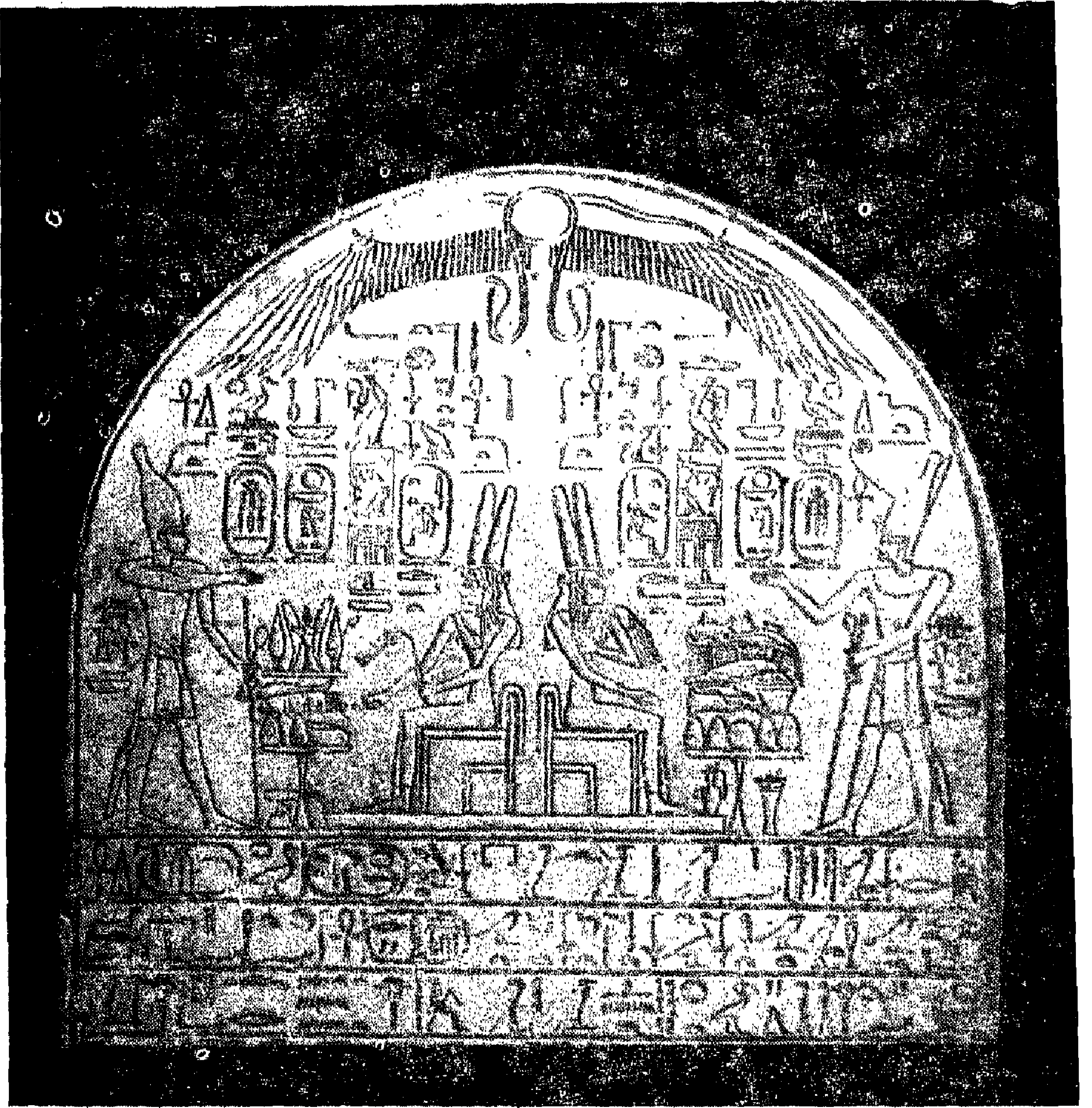
وبعد موت كامس تولى أخوه أحمس الأول Ahmose I (نب بحتى رع) . وقد تم له الاستيلاء على الوجه البحرى كله وعلى أواريس عاصمة الهكسوس . ولا توجد آثار ملكية للملك أحمس سوى نقوش أحمس بن إبانا التى سبقت الإشارة إليه .

وفى الإمكان القول بأن الملوك الثلاثة سقننرع وكامس وأحمس هم أبطال الجهاد الحقيقى فى حرب التحرير . ويعتبر بعض المؤرخين هؤلاء الثلاثة هم آخر من حكموا فى الأسرة السابعة عشرة فى طيبة . وقد سبقهم إلى الحكم ثمانية ملوك على الأقل ، عثر على مقابرهم فى منطقة دراع أبو النجا بطيبة .

ولم يقتصر الكفاح ضد الهكسوس على الرجال وحدهم ، وإنما ساهمت فيه بعض الملكات مثل الملكة « تتى شرى » ، وهى أم سقننرع ولها مدفن فى أبيدوس، ولوحة يقص فيها أحمس وفاءه لها (شكل ٧٧) ، والملكة إياح حوتب زوجة سقننرع وأم ولديه ، وهى التى ذكرتها النصوص فى لوحة الكرنك(١) بأنها « ... ربة الأرض وسيدة جزر البحر الأبيض فاسمها رفيع الشأن فى كل قطر أجنبى . العظيمة القديرة ، التى دبرت سياسة القوم ، والتى أحكمت شئون مصر وجمعت صفوف جيشها ، وأعادت الفارين ، ولمت شتات المهاجرين ، وهدأت قلق الصعيد ... الملكة إياح حوتب لها الحياة ... » . ويشير هذا النص إلى

---

(١) Sethe, Urk., IV, p. 14 ff.



شكل (٧٧)
أحمس يقدم القربان لروح الملكة تتى شرى فى نقش على الجزء
العلوى من لوحة الملك أحمس

مدى إسهامها فى السياسة الداخلية ، وكذلك فى السياسة الخارجية للبلاد . ويتجه ماير(١) إلى القول بأن ألقاب هذه الملكه (سيدة جزر البحر الأبيض) قد تشير إلى أصلها ، وأنه اعتبرها من كريت حيث كانت كريت مركزا حضاريا مهما فى تلك المرحلة . ولايستبعد أن يكون سكان تلك الجزر قد تحالفوا مع المصريين فى كفاحهم ضد الهكسوس ، وربما تكون الملكة إياح حوتب قد ساهمت فى زيادة التحالف بين أهل مصر وأهل كريت . وبالإضافة إلى ماسبق ذكره من نساء هذه الأسرة ممن لعبن دورا فى حرب التحرير ، تجدر الإشارة كذلك إلى أحمس نفرتارى زوجة كامس ثم زوجة أحمس ، وهى التى عبدت فيما بعد فى طيبة ، واعتبرت هى وابنها أمنحوتب الأول إلهان حارسان للجبانة ، وكانت القرابين تقدم لها بصيغة القربان المعروفه (٢).

---

(١) Meyer, Ed., op. cit., pp. 54-55.

(٢) Petrie, F., A History of Egypt, London, 1927, p. 37 ff.

الفصل الثامن

الدولة الحديثة

الأسرات الثامنة عشرة إلى العشرين

من حوالى ١٥٧٠ إلى ١٠٩٠ ق م.

الأسرة الثامنة عشرة

من حوالى ١٥٧٠ إلى ١٣٠٥ ق م.

يجعل مانيتون أحمس الأول على رأس الأسرة الثامنة عشرة ، ولو أن شارف (١) يميل إلى اعتبار هذا الملك وابنه أمنحوتب الأول من ملوك الأسرة السابعة عشرة ، ويضع تحوتمس الأول على رأس الأسرة الثامنة عشرة . ومهما يكن الأمر فنى الاستطاعة القول بأن الأسرة الثامنة عشرة قد بدأت بأحمس الأول . ويعـود أصل هذه الأسرة إلى طيبة وإلهها أمون . ويمكن ملاحظة الصلة الوثيقة بين أسماء هذه الأسرة والدور الذى لعبه القمر فى حياتهم فاسم أم أحمس « إياح حوتب » يعنى القمر مطمئن ، وكامس كان يعتبر نفسه « وليـد القمر » وابن « تحوت » وهو إله القمر ، وكلمة أحمس نفسها تعنى حرفيا « القمر ولد » ، وكلمة تحوتمس تحتوى على اسم الإله تحوت . وقد أشار ماير إلى حقيقة ارتباط أسمائهم بالقمر الذى كان يقدس فى الأشمونين مما قد يدعو إلى التساؤل عن وجود صلة بين تلك الأسرة وبين الإله أمون ووطنه الأول فى إقليم الأشمونين (٢) . وقد اعتبرت

---

(١) Scharff, A., and Moortgat, Op Cit, p. 123.

(٢) Meyer, Ed., Op. Cit., S. 49.

نساء هذه الأسرة أنفسهن أزواج أمون وكاهناته منذ عصر الملكة إياح حوتب ، واعتبار الملوك من أبنائهن حكاما شرعيين من ورثة أمون إله طيبة . وقد عثر على حجر بين أنقاض الكرنك يرجع إلى عهد الملك أحمس نقش عليه وصية خاصة بالبيت المالك ، ويظهر فيه الفرعون ممسكا بصبي يدعى أحمس ويتقدم به لأمون بقربان من الخبز الأبيض . ويستدل من دراسة هذا الأثر ، على أن الفرعون كان يقدم ابنه لأمون . وتبدو من ألقاب الصبي ما يصوره ابنا لأمون ، وأنه يطلب السماح من أمون أن يعهد إليه بولايته على العرش . وقد صورت أم الصبي وهي الملكة أحمس نفرتاري على نفس الأثر باعتبارها من زوجات أمون . ويتضمن الأثر تنصيب الملكة الكاهنة لأمون مما يدل على أن الملكة كانت تشغل وظيفة دينية في معبد أمون .

وتعاقب على العرش خلال عصر هذه الأسرة ملوك اتصفوا بالقوة والحزم واستعادوا لمصر حريتها وأراضيها . فقد نجح أحمس الأول ، أول ملوك هذه الأسرة في طرد الهكسوس كما سبقت الإشارة . وقد كان لهذا أثره البعيد في صبغ الحكومة بالصبغة العسكرية ، وكان على أحمس بعد أن طرد الهكسوس أن يخضع حكام الأقاليم لإعادة نفوذ الحكومة المركزية للبلاد ، وخاصة وأن بعض حكام الأقاليم كان قد تآمر على أحمس حتى بعد أن انتهى من طرد الهكسوس. ولقد كان من نتيجة ذلك أن تركزت السلطة مرة أخرى في يد الفرعون ، مما ساعد على تجهيز جيش قوي استطاع عن طريقه أن يوطد أركان الامبراطورية الجديدة . وانتهت بذلك سلطة حكام الأقاليم التي كانت موجودة منذ أواخر عصر الدولة القديمة ، وعصر الانتقال الأول ، والدولة الوسطى ، وعصر الانتقال الثاني . وبعد أن تفرغ أحمس من أعمال الحرب ، وجه جهوده إلى إصلاح البلاد وتعمير المعابد ولا سيما في طيبة ومنف وأبيدوس . وقد ترك عهده الكثير

من الآثار ، من بينها لوح عثر عليه فى أبيدوس وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى ويخص أحد كهان أوزير ، وكذلك نقش فى أعلاه الزورق المقدس يحمله ثمانية كهان وفى وسطه محراب ، ويبدو فيه أحمس وزوجته أحمس نفرتارى وأمامهما الكاهن صاحب اللوح ويدعى موسى ، وهو يتضرع إلى الملك الإله بأن يحكم فى صالح ابنه « بسر » Pesar الذى يبدو أنه تنازع مع بعض الأهالى على ملكية حقل . كما توجد آنية رخامية (١) تحمل اسم الملك أحمس الأول وهى محفوظة حاليا بالمتحف المصرى ، بالإضافة إلى عدة جعارين فى كل من المتحف البريطانى ومتحف اللوفر وتورين (٢) . ويوجد له أيضا تمثال من الجرانيت المحبب فى المتحف البريطانى (٣) ، وتمثال آخر من الحجر الجيرى فى متحف تورين (٤) .

ومن الشخصيات البارزة فى عهد أحمس الأول تجدر الإشارة إلى « تتى كى » . ويبدو من نقوش مقبرته أنه كان حاكما لطيبة وأنه ظل يترقى حتى وصل إلى مركز نائب الملك فى كوش . ومن مناظر هذه المقبرة ، منظر وليمة ، وكذلك الإشراف على الحصاد ، ومنظر الاحتفال بالجنازة ، ومنظر « شعيرة تكنو » التى تتطلب

---

(١) Mariette, A., Catalogue de Boulaq, 6 me, Ed. 536.

(٢) Gauthier, A. H , Op. cit., pp. 197 — 180.

(٣) Budge, A history of Egypt from the end of the Neolithic Period to the Death of Cleopstra, VII, B. C. 30, London, 1902, p. 185.

(٤) Orgurti, Catalogo illustrato dei Monumenti Egizildel R. Museo di Torino, II , p. 72. & No 39 et Regio museo de Turino I, p. 412. No. 3032.

اف رجل بعباءة ما عدا رأسه . والواضح أن هذه الشعيرة غير مفهومة ، وربما كانت تعبر عن التضحية البشرية ويميل جاردنر (١) إلى القول بأنها ربما تعود إلى عادة قديمة عندما كان الخدام يضحون بأنفسهم مع سادتهم فى العالم الآخر .

وتعد من مظاهر النهضة فى عهد أحمس الأول ، كثرة الموظفين الذين أسهموا فى تنظيم الشئون الإدارية والاقتصادية ، والتعرف إلى أنواع جديدة من أسلحة الحرب حيث أصبحت الدولة دولة عسكرية تعتمد على الفتوحات الخارجية . وتبعا لذلك أصبح للجندية المركز الأول فى البلاد ، فالملك هو الرئيس الأعلى للدولة ، وقائد الجيوش أثناء المعارك الحربية . وكان من شأن التبعات المترتبة على ذلك أن يكون لمصر جيش منظم ثابت ابتداء من عصر الأسرة الثامنة عشرة . وأصبح لزاما على الدولة أن تكيف أحوالها الاقتصادية والاجتماعية لتواجه المسئوليات المترتبة على قيام الامبراطورية .

وقد خلف أحمس على العرش ، ابنه أمنحوتب الأول (زسر - كا - رع) Zeser – Ka – Re الذى عمل على استعادة حدود مصر فى النوبة . والظاهر أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة لم يهدفوا إلى الاكتفاء باحتلال النوبة عسكريا لكى يحصلوا منها على المواد الخام ، وإنما كان هدفهم أكثر من ذلك حيث يسروا الاتصال بالنوبة لنشر الثقافة المصرية فيها . وتشير سيرة أحمس بن إبانا إلى مرافقته للملك أمنحوتب الأول إلى بلاد كوش ، وأن تلك الرحلة كان يهدف منها إلى توسيع حدود مصر الجنوبية . كما يظن أن الملك قد قام بحملة على سكان الصحراء الليبية كذلك . وتشير إلى ذلك سيرة أحمس الكابى ، وهو جندى

---

(١) Gardiner, A. H., The Tomb of Amenemhet, pp. 51 – 52.

رافق الملك فى حملته على مكان يسمى « كهك » . ولم يستطع المؤرخ زيته (١) تحديد ذلك المكان ، وإنما يرجح أن يكون على حدود مصر الشمالية الغربية ، بينما اعتقد ماسبرو أنه يقع بين بحيرة مريوط وواحة سيوة « ... وتسكن قبيلة « كهك » بين « بحيرة مريوط » « وواحة أمون » ولا بد أنها قد هاجمت بجرأة المقاطعات الغربية من الدلتا . وقد نظم الفرعون حملة عليهم ، وخلد ذكرى انتصاره بصنع لوحة صغيرة من الخشب ، نجد ممثلا عليها الملك المظفر ملوحا بسيف فى يده على العدو الذى كان طريحا على الأرض عند قدميه ... » (٢) .

ويوجد من الأدلة ما يشير إلى خروج أمنحوتب الأول على رأس حملة إلى سوريا ، كما يوجد نقش ومعه منظر لكتلة من الحجر يجرها ستة ثيران يقول النص : « ... الحجر مسحوب بماشية مما استولى عليه جلالته من أرض الفنخو (٣) . (وهم الفينيقيون على الأرجح) ... » وقد انتظمت الحياة السياسية والاجتماعية فى عهده ، واستقرت الأمور فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية . وتدل على ذلك العديد من الآثار مثل لوح كارس (٤) مدير أملاك الملكة إباح حوتب . واللوح مؤرخ فى السنة العاشرة من حكم أمنحوتب الأول ، وهو محفوظ بالمتحف المصرى . وقد أشرف أمراء الكاب على الأقاليم الجنوبية من وراء الشلال ومنهم « حور مين » الذى كان حاكما على إقليم نخن ، كما عين الملك مسئولا على أقاليم الجنوب من وراء الشلال وقد اهتم أمنحوتب الأول بإقامة العمائر

---

(١) Sethe, Urk., IV, p. 19.

(٢) Rosellini, Monumenti Storici, Vol. III, I, Pl. 108 & Pl. 11b.

(٣) Breasted, A R, II, § 27.

(٤) Sethe, Urk., IV, pp. 45 — 49.

الدينية ، فجدد معبد آمون بالكرنك(١) وأقام معبداً فى الدير البحرى وهو الذى أزاله مهندس الملكة حتشبسوت الذى سننموت Senmout ليقيم مكانه معبداً لها ، إلا أن بعض الأحجار وجد عليها اسم أمنحوتب الأول منقوشا وكذلك اسم والدته أحمس نفرتارى(٢) وقد عثر بجبانة طيبة الغربية على أنقاض معبد(٣) صورت به مناظر احتفال الملك بالعيد الثلاثينى . وعثر على تمثـال له بين أنقاض هذا المعبد . وأقام معبداً فى أبيدوس كرسه لأبيه أحمس الأول ، بالإضافة إلى بعض المبانى فى الكاب (٤) وقد عبد أمنحوتب الأول بعد وفاته فى جبانة طيبة ، وخاصة بين العمال . أما بالنسبة لقبره ، فقد أشارت بردية أبوت إلى أنه كان فى دراع أبو النجا غربى طيبة ، حيث تشير هذه البردية إلى تقرير لجنة فحص مقابر الملوك فى الجهة الغربية من طيبة عن نتيجة زيارتها لفحص قبر أمنحوتب الأول . ويشير النص « إن الأفق الأبدى للملك (جسر كا رع بن الشمس) أمنحوتب » ... وهو الذى يقع فى شمالى معبد « أمنحوتب صاحب الحديقة » ، وقد وضع عمدة البلد ... تقريره عنه للملك « رمسيس التاسع » للضابط الملكى « نسو آمون » ، ولكاتب الفرعون ، ولمدير بيت المتعبدة المقدسة للإله « آمون رع » ملك الآلهة (أى الملكة) ، وللضابط الملكى « رع نفر كا ام با آسن » ،

---

(١) Ibid., pp. 42 — 43.

(٢) Winlock, H. E., Excavations at Deir el Bahri, 1943, pp. 113 & 208.

(٣) Carter, H., "Report on the Tomb of Zeser - Ka - Ra Amen - Hetep I. Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914," (in) JEA, Vol. III, London, 1916, p. 147.

(٤) ZAS, XXI, p. 78.

والحاجب الملك ، والحكام العظام قائلا (فى هذا التقرير) « ان اللصوص قد سرقوه » ، - قد فحص اليوم ، ووجده البناءون سليما » .

وبعد موت أمنحوتب الأول نشأ نزاع على وراثة العرش ، حيث انتهى الأمر بتولية تحوتمس الأول (عا - خبر - كا - رع Aa - Kheper - Ka - Re) عن طريق زواجه من الأميرة أحمس ابنة أمنحوتب الأول وصاحبة الحق فى ولاية العرش ، حيث أن تحوتمس الأول لم يكن ابنا لأمنحوتب الأول ولكنه كان أميرا من أمراء البيت المالك . وبعد أن اعتلى العرش ، اتجه إلى إصلاح حدود البلاد الجنوبية ، فسار على رأس حملة إلى الجنوب حتى وصل إلى الشلال الرابع . وبذلك أخذ النفوذ المصرى يمتد حتى وصل إلى آخر دنقلة ، كما أصبحت مدينة نباتا داخل حدوده . ثم أخذ النفوذ المصرى فى الامتداد جنوبا حتى وصل إلى قبيل الخرطوم . وعين حاكما على هذه المملكة الجنوبية التى كانت تمتد من مدينة الكاب حتى حدود مملكته فى السودان ، وأطلق على هذا الموظف الابن الملكى لـ كوش .

وتشير سيرة كل من أحمس بن إبانا وأحمس الكابى ، وكذلك الأثر الحجرى من صخور تومبس إلى جهود تحوتمس الأول الحربية فى بلاد النوبة وفى آسيا . فقد سار على رأس حملة إلى آسيا حتى وصل إلى نهر الفرات . وعن هذه الحملة تشير سيرة أحمس بن إبانا « ... وبعد ذلك اتجه (تحوتمس الأول) إلى بلاد رتنو ليغسل قلبه (لينتقم) من كل البلاد الأجنبية ... ووصل جلالته إلى نهارين (بلاد النهرين) ، ووجد جلالته ... ذلك العدو عندما كان يشرف على نظام المعركة ، وقد أحدث جلالته مذبحة عظيمة بينهم ، وكانت أعداد الأسرى الأحياء الذين أحضرهم جلالته بانتصاره يخطئهم العدو وكنت فى طليعة جيشنا ، ورأى جلالته كم كنت شجاعا . وقد غنمت عربة بجوادها ، وقمت بأسر من كان

قبرها حيا ، وقد قدموا لجلالته وعندئذ منحت الذهب مرة أخرى ... » (١)

وكانت من نتيجة حملاته الاسيوية امتداد الامبراطورية المصرية فى عهده « من قرن الارض ، إلى أطراف المياه المعكوسة » أى من دنقلة إلى نهر الفـــرات ، إشارة إلى أنه يجرى من الشمال إلى الجنوب بعكس نهر النيـــل . وكلمة « قرن الارض » تعنى أن تحوتمس بلغ بامبراطوريته حدودا واسعـة . كما قام تحوتمس بحملة على الليبيين فى حدود مصر الغربية وكان من نتائج أعماله الحربية ، اتساع الامبراطورية التى امتدت من وراء الشلال الرابع فى الجنوب ، إلى نهر الفرات فى الشرق .

وفى الداخل ، قام بالتشييدات المعمارية وأهمها معبد لآمون جعـــل به بهوا للأعمـــدة سجل فيه ولاءه لآمون (٢) . وتذكر نقوش « إنينى » فى لوحتـه الموجودة على واجهة مقبرته ، إلى التشييدات المعمارية التى أقيمت فى عهد تحوتمس الاول . يقول النص « ... وقد أشرفت على المبانى الأثرية العظيمة التى أقامهـا فى الكرنك ، فقد أقام قاعة العمد الفاخرة بأعمدة على هيئة سيقـــان البردى ، وكذلك أقمت أبراج (البوابتين) العظيمتين بالقرب منهـــا ... ورأيت كيف أقيمت المسلتان العظيمتان من أمام مدخل المعبد من الجرانيت الأحمر ، ورأيت كيف بنيت السفينة الفاخرة التى طولها مائة وعشرون ذراعا ، وعرضها أربعون ذراعا لينقل عليها هاتان المسلتان (من محاجر أسوان إلى طيبة) ... وأشرفت على كيفية حفر قبر جلالتـــه ، وكنت وحيـــدا ولم يره إنسان ، ولم يسمع

---

(١) Wilson, J A, " The Expulsion of the Hyksos, " (In) ANET., p. 234.

(٢) Sethe, Urk., IV, S. 92.

به أحد ... » كما امتد نشاط تحوتمس الأول المعمارى إلى أبيدوس ، حيث يشير لوح حجرى — موجود الآن بالمتحف المصرى [١] — إلى فرحة الشعب باهتمام الملك بالإله أوزير . يقول النص « ... ما أعظم هـذا لإدخال السرور على قلوب الشعب ، وما أمتع هذا لوجوه الآلهة عندما تنعم بآثار الإله «أوزير» ... وتم صنع الآثار لوالده أوزير ، وأبعث تمثاله إلى الأبد ، وقد كان صنعه متينا وسريا جدا دون أن يراه أحد ... ، وكذلك صنع له القارب الذى يحمل على الأعناق المسمى « وتس نفرو » (حامل جمال الإله) من الفضة والذهب واللازورد ، ... ومن كل الأحجار الأخرى الثمينة ... وقد أوقفت عليه موائد قربان معها أوان كثيرة ... وصنعت له القارب « نشمت » الفاخر ... وأمر جلالتى بنحت تماثيل للتاسوع الأعظم الذين فى العرابة (أبيدوس) ، وأن يذكر كل باسمه ... لقد عمل جلالتى كل هذا لأجل والدى «أوزير» لأنى أحبه أكثر من كل الآلهة الأخرى ليبقى اسمى ، وتدوم آثارى فى بيت والدى « خنتى أمنتى » رب العرابة مخلدا أبدا ... »

وبالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه ، فقد أعاد تحوتمس الأول بناء معبد الإله ست فى أومبوس ، وقد عثر على بقايا (٢) ذلك المعبد . كما أقام بعض التشييدات فى كل من سمنة وقمة عند الشلال الثانى ، علماً بأنه عثر على قائمة بالقرابين المقدمة للإله أمون فى سمنة (٣) . ويوجد لتحوتمس الأول تمـثال جالس من حجـر الديوريت موجود حاليـا فى متحف تورين (٤) . وقـد عثر على بقايا تمثالين

---

(١) Ibid.; pp. 94 — 102.

(٢) Petrie, F.' op. cit , p. 65.

(٣) LD, III, PL, 47 "C ".

(٤) Lanzon, Catalogue of Turin, 1374.

له موجودين حاليا بالكرنك (١) .

وقد خلف تحوتمس الأول على العرش ابنه تحوتمس الثانى (عا - خبر - إن رع Aa – Kheper – en – Re) من زوجته موت نفرت ، حيث أنه لم يكن له أولاد ذكور من زوجته الملكة أحمس ، حفيدة أحمس نفرتارى ؛ بينما رزق بابنته حتشبسوت من الملكة أحمس . وقد تزوج تحوتمس الثانى من اخته حتشبسوت (غير شقيقة) حتى يكتسب شرعية أحقيته فى العرش . وكان قد حدث بعد وفاة تحوتمس الأول نزاعا على العرش بين أفراد العائلة المالكة وأدى هذا التنافس على السلطة إلى عدم استقرار الأمور ، مما تسبب فى قيام بعض الثورات فى شمال السودان وفى سوريا . وقد استدعت هذه الثورات قيام الملك تحوتمس الثانى بإرسال الجيوش لقهر هذه الثورات . وتؤكد لوحة « إنينى » المهندس المعمارى فى عهد تحوتمس الأول إلى أن ابنه تحوتمس الثانى قد خلفه على العرش ملكا على مصر ، كما سيطر على الصحراء الشرقية والغربية . يشير النص إلى موت تحوتمس الأول : « ... وقد ارتاح الفرعون من الحياة ، وصعد إلى السماء ... فى سعادة ، ثم ظهر الصقر الذى فى العش على العرش ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر - إن - رع » (تحوتمس الثانى) ، وبذلك أصبح ملكا على الأرض السوداء (مصر) وسيطر على الأرض الحمراء (الصحراء) واستولى على الأرضين مظفرا (٢) ... » وعلى ذلك فيمكن القول بأن تحوتمس الثانى تولى العرش بعد وفاة تحوتمس الأول . وهكذا

---

(١) Petrie, F., op. cit., p. 69.

(٢) Sethe, Urk., IV, p. 58.

يناقض قول زيته (١) الذى يعتقد أن تحوتمس الثالث أو الملكة حتشبسوت قد تولى أحدهما أو كلاهما العرش بعد وفاة تحوتمس الأول .

وعلى الرغم من قيام الملك تحوتمس الثانى ببعض الحملات التأديبية لأولئك الذين أرادوا أن يناوئوا النفوذ المصرى فى بلاد النوبة وفى سوريا (٢) وعلى حدود مصر الغربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من الاهتمام بالتشييدات مما يتضح فى طيبة وقمة وسمنة ووادى حلفا . فقد استكمل بعض الإنشاءات المعمارية فى المعبد الذى أقامه أحمس الأول فى مدينة هابو ، وقد عثر على حطام تمثال فى معبد الأمير وازمس فى طيبة يسجل العام الثامن عشر من حكمه (٣) . كما تخلفت بعض النقوش التى تخصه على باب معبد قاعة قمة (٤) . وترك أيضا قائمة بالعطايا للإله أمون على معبد سمنة (٥) ويوجد حاليا بمتحف تورين التمثال الذى أقامه تحوتمس الثانى لوالده . ويحمل هذا التمثال النقش التالى : الإله الطيب سيد الأرضين « عا خبر إن رع » محبوب « أمون » واهب الحياة ، مخلدا ، صنعه (التمثال) بمثابة أثر لوالده « تحوتمس » المشرق مثل الشمس ... » .

---

(١) Sethe, K., Das Hatshepsut Problem noch einmal Untersucht (Abhandlungen — Preuss — Akad — d. Wissens chaften, Berlin, 1932.

(٢) Sethe, Urk , IV, p. 43.

(٣) Daressy, M G , La Chapelle d'Uazmés (in) Ann. Serv., Vol. I, Le Caire, 1899 — 1900, p. 99.

(٤) Sethe, Urk ; IV, pp. 141 ff

(٥) LD, III, PL. 47 C.

وقد أشار مانيتون إلى أن مدة حكم تحوتمس الثانى قد بلغت عشرين عاما . وبعد وفاته ، تولى العرش تحوتمس الثالث تحت وصاية الملكة حتشبسوت التى ظلت الملكة الحقيقية للبلاد ، بينما كان تحوتمس الثالث يقـــوم بدور ثانوى فى أول الأمر . وقد اختلف العلماء حول سير الأمور عقب وفاة تحوتمس الثانى ، فبينما يشير نص إنينى[1] إلى تولى تحوتمس الثالث (من - خبر - رع Men - kheper - Re) عرش مصر بعد وفاة تحوتمس الثانى (... ثم صعد « تحوتمس » الثانى إلى السماء واختلط بالآلهة ، وعين فى مكانه ابنه « تحوتمس » الثالث ملكا على الأرضين . وقد أصبح حاكما (تحوتمس الثالث) على عرش من أنجبه ، ولكن اخته (اخت تحوتمس الثانى) الزوجة الملكية « حتشبسوت » كانت هى التى تدبر شئون الأرضين حسب آرائها هى ، وقد كانت مصر تعمل مطأطئة الرأس لها وهى صاحبة الأمر ... وهى سيدة الأمر ، وآراؤها متفوقة وكلتا الأرضين تطمئن عندما تتحدث ... » .

وهذا يدعم الرأى القائل بأن الملكة حتشبسوت كانت صاحبة النفوذ بحكم وصايتها على تحوتمس الثالث بعد وفاة والده . يرى إدجرتون[2] Edgerton رأيا آخرا ، وهو أن تحوتمس الثانى اخترع قصة الاختيار الإلهى بواسطة أمون رع لابنه تحوتمس الثالث حتى يكسبه أحقية تولى العرش ، وأنه بعد وفاة تحوتمس الثانى تزوج تحوتمس الثالث من حتشبسوت حتى يكتسب شرعية الجلوس على العرش ، وأن حتشبسوت كانت صاحبة السلطة الحقيقية . ومهما كان الأمر ،

---

(١) Sethe Urk . IV, p. 61 ff.

(٢) Edgerton, The Thutmosid Succession (Studies in Ancient Oriental Civilization : Publications of Chicago Oriental Institute).

فإن التركة الأثرية تشير إلى أن تحوتمس الثالث ظل خلال السنوات السبع الأولى بعد تتويجه هو الحاكم الفعلى للبلاد ، وأن حتشبسوت لم تحاول أن تعلن نفسها ملكة على البلاد إلا بعد فوات هذه الأعوام السبعة من حكم تحوتمس الثالث . وعندها اغتصبت عرش البلاد لمدة ثلاث عشرة سنة ، وأعلنت نفسها ملكة على الوجه القبلى والوجه البحرى ، وتركت تحوتمس الثالث يعيش منطويا . ومما تجدر الإشارة إليه ، أن حتشبسوت قد اعتمدت فى تبرير ارتقائها العرش على جهود كهنة أمون الذين أوحوا إليها بتصوير قصة مولدها الإلهى ، والتى سجلتها نقوش جدران معبد الدير البحرى . وتتلخص تلك القصة فى أن أباها تحوتمس الأول قد جمع مجلس البلاط والكهنة وأوصاهم بأن يعترفوا لها بالملك .

وقد كرست حتشبسوت كل جهودها فى الأعمال الإنشائية ، وأهمها معبدها الجنزى المعروف باسم الدير البحرى، ومعبد الوادى التابع لها ، كما شيدت بعض المعابد الصغيرة فى مدينة هابو ، وعند الشلال الثانى . وأقامت مسلتين فى الكرنك نقشت عليهما اسمها وألقابها بعد اعتلائها العرش[1] ، كما بنت هيكلا لأمون . وكان من أقرب الموظفين إليها مهندسها سنموت الذى قام ببناء معبد الدير البحرى وقد اهتمت بتنشيط التجارة ، فأرسلت بعثة إلى بلاد بونت جلبت منها بعض السلع والحاصلات . وربما كان العامل الدينى هو الدافع لهذه البعثة ، حيث جلبت من هناك المر وأشجار البخور العطرية اللازمة لمعابد أمون . وقد أشرف على هذه الحملة الكاهن الأعظم حبوسنب . وقد صورت خطوات الحملة

---

(١) Breasted, AR, II, pp. 304 – 321.

إلى بلاد بونت على أحد جدران معبد الدير البحرى حيث يظهر الإله أمون جالسا (١) والملكة حتشبسوت تردد أسباب إرسالها لهذه الحملة . « كان جلالة الملك يتضرع إلى سيد الآلهة (أمون رع) عند درج مائدة قربانه ، وعندما سمع أمرا من العرش العظيم ، إذ يقول وحى من الإله نفسه إن طرق أرض بونت ستقتحم ، وإن الطرق العامة إلى الهضاب التى تنتج أشجار البخور ستخترق ، وإنى سأقود الحملة بحرا وبرا لتحضر الأشياء العجيبة من تلك الأرض المقدسة لهذه الإلهة (حتشبسوت) ولأجلى أنا مبدع جمالها » .

ولا يعرف على وجه الدقة الأحداث التى صاحبت نهاية حتشبسوت ، ولكن من الواضح أن تحوتمس الثالث حطم تماثيلها ومقابر موظفيها وعلى الأخص سنموت . وقد عثرت بعثة متحف المتروبوليتان على قطع صغيرة من بقايا هذه التماثيل فى محجر قديم أمام الدير البحرى .

وربما كان العهد السلمى الطويل الذى عاشته البلاد فى ظل حكم حتشبسوت سببا فى أن تتألب بعض القوى فى جنوب غربى آسيا . لذلك اتحدت بعض الإمارات ، وثارت على الحكم المصرى بزعامة أمير قادش[٢] . وما أن انفرد تحوتمس الثالث بالحكم إلا وخرج لقتال هؤلاء الأمراء وتشير لوحة أرمنت[٣]

---

(١) Ibid., §. 246.

(٢) جنوبى حمص فى سوريا

(٣) Wilson, J.A., " The Armant Stela " (in) ANET, p. 234.

وقد نشر اللوحة موند ومايرز

Mond, R., and Myers, O. H., The Temples of Armant. A Preliminary Survey (London, 1940), Pls. XI, No. 5; LXXXVIII, No. 8, and CIII; Text Volume, 182 – 184.

« ... لم يتأخر جلالته فى التقدم نحو بلاد زاهى[1] Djahi ليقتل الخائنين الذين فيهـــا ، وليكافىء الموالين له ...... » . وقد جاءت تفاصيل حملته الأولى على جدارات معبد الكرنك ، وفيها إشارة إلى أنه ترك حصن ثارو بجوار القنطرة إلى فلسطين ، حيث وصل إلى غزة فى عشرة أيام ، ومنها إلى سفح جبل الكرمل (فى فلسطين) عند يحم yehem ، حيث يتفرع الطريق فى ثلاث شعب . وعقد مجلسه الحربى الذى أشار عليه باتباع أحد طريقين والانصراف عن اختراق طريق الجبال ، وهو أضيق الطرق وأشدها خطورة وقد علل المجلس ذلك بأن مقدمة العربات سوف تكون عند العدو ، بينما بقية الجيش مازالت بعيدة لم تخترق الطريق لأنه يمر بين سلسلتين من المرتفعات . وكانت نظرتهم فى الواقع سليمة ، ولكن كان لتحوتمس الثالث رأيا آخرا . وتشير النصوص المدونة على جدران معبد الكرنك إلى هذه القصة : « ... السنة الثالثة والعشرون ، الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر فى بلدة « يحم » لقد أمر جلالته أن يعقد مجلس حربى ليتشاور فيه رجال جيشه قائلا : إن ذلك العدو ... صاحب « قادش » قد جاء بجيشه .. وهو مقيم ... ومعه السوريون وقوم كود Kode بخيولهم وجنودهم وعشيرتهم ، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا : سأقف هنا لمحاربة جلالته فى بلدة مجدو(*) Megiddo فحدثونى ما يدور بخلدكم فى هذا الخطب فأجابوا جلالته قائلين : كيف يتسنى للمرء أن يسير فى هـذا المضيق ؟ وقد وصلتنـــا الأخبار بأن العـــدو على تمام الاستعداد هناك فى خارج المدينة وأن عددهم قد أصبح هائلا ... وهل يكون السير ممكنا إلا إذا سار الجواد خلف الجواد والجندى

---

(١) تشير إلى بلاد فلسطين وسوريا .

(*) تقع بين سلسلتى جبال لبنان وهى ذات موقع حربى منيع .

وراء الجندى أيضا ؟ وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة فى ساحة القتال فى حين أن المؤخرة ما تزال واقفة هنا فى « عرونة » عاجزة عن محاربة العدو؟ ... فأجاب الملك : إنى ما دمت حيا وما دام الإله « رع » يحبنى وما دام والدى « آمون » يرعانى ، وما دام نفس الحياة ينعشنى بالحياة والقوة ، فلن أسلك إلا هذا الطريق المؤدية إلى « عرونة » وليذهب منكم من يشاء فى أحد هذين الطريقين الآخرين ... وليتبعنى منكم من يريد أن يسلك الطريق التى سيتخذها جلالتى لأن الأعداء الذين يكرههم الإله « رع » سيقولون : هل اتخذ جلالته طريقا آخر لأنه يخشى بأسنا وبطشنا ... وعندئذ أمر جلالته بإصدار منشور لكل الجيش جاء فيه : إن سيدكم المظفر سيكون فى مقدمتكم لاقتحام ذلك الطريق الوعر الضيق(١) .. » وتقدم تحوتمس بجيشه حاملا تمثالا للإله آمون رع واستغل عنصر مفاجأة العدو من هذا الطريق أمام مجدو والعدو لم يستعد الاستعداد الكافى بعد . وعسكر الجيشان ، وفى الفجر تقدم تحوتمس الثالث على رأس الجيش « ... فى عربة من الذهب الخالص ، محلاة ومزينة بعتاد الحرب ، مثل حور ذى الذراع القوى ، وكإله للحرب مثل منتو Montu الذى فى طيبة بينما قوى أبوه أمون ساعده .. » ونشبت المعركة وانتصر المصريون لولا أن شغلوا بجمع غنائم المعسكر . ويشير النص التالى إلى انشغال المصريين بجمع الغنائم « ... والآن ! إذا لم تتجه جنود جلالته بقلوبهم للاستيلاء على ما خلفه العدو

---

(١) Wilson, J. A., The Asiatic Compaigns of Thut - mose III, « The Annals in Karnak », (in) ANET, P. 235.

وقد ترجم النص وعلق عليه برستد ونلسن وفولكنر

Breasted, AR, II. §§ 391 - 443 ; Nelson, H H., The Battle of Megiddo, Chicago, 1913 and Faulkner, R O, « The Battle of Megiddo, » (in) JEA, Vol. XXVIII, 1942, PP. 2 — 15.

لاستولوا على مجدو فى تلك اللحظة فى الوقت الذى كانوا يسرعون فيه بسحب كل من أمير قادش العدو الملعون (أمير هذه المدينة) على وجه السرعة ليحملوهم إلى مدينتهم ...»(١) وعلى ذلك تمكن العدو من أن يدخل فى حصونه ويتحصن فى مدينة مجدو مدة لا تقل عن سبعة شهور وأخيرا استسلمت لهم عندما أرسل بعض المحاصرين أبناءهم بالأسلحة ليسلموها إلى فرعون بينما كان جندى الأعداء «... يقفون فــــوق الأسوار يرددون المديح لجـــلالتى يسألون أن أمنحهم أنفاس الحياة ...» ، ولكن أمير قادش تمكن من الفرار وطلب تحوتمس الثالث من سكان مجدو الولاء «... ثم سمح لهم جلالتى أن يعودوا إلى مدنهم، فذهبوا جميعا يعتلون ظهور جيادهم ...» . فكان هذا الترفع الكريم من تحوتمس الثالث هو حجر الزاوية فى صرح امبراطورية استمرت قرنا من الزمان . وبعد الاستيلاء على مجدو إتجه تحوتمس الثالث شمالا فاتحا البلاد التى دخلت فى طاعته . وأتبع تحوتمس هذا النصر بحملات أخرى بلغت ستة عشر حملة فى سوريا وفلسطين حقق فيها جميع أغراضه الحربية ، حيث استمر يخرج إلى آسيا كل عام تقريبا ، فكان يذهب إليها أوائل الصيف ويعود فى أوائل الشتاء . ولما كان هذا الموسم هو موسم الحصاد فى الجهات الفلسطينية والسورية فلم يحتاج فى تموينه إلى كثير من المؤن من مصر . وفى الحملات الخمس الأولى ، تمكن من الاستيلاء على المدن الساحلية الفلسطينية والسورية . وفى حملته السادسة استولى على قادش . وقـــد وصل فى حملته الثامنة إلى أعالى نهر الفرات ووصل إلى مدينة قرقيش وكانت تلك الحملة موجهة ضد «... ذلك العدو الخاسىء فى النهرين ...» (٢) ، أى ملك

(١) Wilson, J A., Op. cit., P. 236.

(٢) ——— Ibid., p. 239.

ميتانى الذى كانت تقع بلاده (النهرين) عند المنحنى العظيم لنهر الفرات . وفى الإمكان ملاحظة إعداد تحوتمس الثالث لهذه الحالة من لوحة بركل Barkal Stela التى أقامها فى معبد آمون على مقربة من الشلال الرابع فى السنة السابعة والأربعين من حكمه . يقول النص « ... أمرت ببنـــاء سفن من خشب الأرز من جبال أرض الإله ، على مقربة من ربة جبيـل ووضعت على عربات تجـرها الماشية وسافرت أمام جلالتى لكى تعبر النهر العظيم الذى يفصل تلك البلاد الأجنبية من بلاد النهرين ... (١) » . لقد كان تحوتمس الثالث يعد لكل شىء عدته ، فقد عبر الفرات وطارد ملك ميتانى الذى فر أمامه ويقول أنه دمر « ... تلك البـلاد (المسماه) النهرين التى فر ملكها خـوفا ... » وأقام على الضفة الشرقية من نهر الفرات لوحة نصر تخليدا لانتصاره وغزوته لتلك البلاد وفى حملته السادسة عشرة ، سقطت مدينة قادش وتحطمت مرة ثانية ولم تقم لها قائمة بعد ذلك . ويذكر أحد ضباطه « ... أرسل جلالته إلى هناك كل شجاع فى جيشه ليخترق السور الجديد ، الذى شيدته (مدينة) قادش ، فكنت أنا الذى اخترقته وكنت أول جميع الرجال الشجعان ولم يفعل ذلك أحد قبلى(٢) ... » .

ويبدو أن الأمور استمرت هادئة فى سوريا وفلسطين بعد ذلك لفترة ما إذ يلاحظ أن تحوتمس الثـــالث لم يقم بأية مجهودات حربية . ولكن نص لوحة (٣) بركل من السنة السابعـــة والأربعين من حكمه ، يشير إلى قيام مصر

---

(١) Wilson, J. A., « The Barkal Stela », (In) ANET, P. 240, and Reisner, M. B., (In) Z A S, LXIX, 1933, PP. 28 f.

(٢) Breasted, A R, II § 590.

(٣) Reisner, OP. Cit., P. 31.

بمجهود حربي في السودان . ومن المحتمل أن تكون بعض قواده هم الذين قاموا بهذا المجهود الحربي . أما الحملة التي كان على رأسها في السودان، فقد حدثت في السنة الخمسين من حكمه . ومع ذلك فإنه يعتقد أنه لم يكن هناك داع للقيام بهذين المجهودين ، إذ أن حوليات تحوتمس الثالث المنقوشة على جدران معبد الكرنك تشير إلى ورود الجزية بانتظام من بلاد النوبة . وتنبغي الإشارة إلى ما أمر به تحوتمس الثالث عند زيارته لتلك البلاد بتأليه سنوسرت الثالث ، واعتباره إلها حاميا للنوبة اعترافا بفضله في فتح هذه البلاد .

وهكذا تحقق لتحوتمس الثالث إقامة امبراطورية ضخمة امتدت من الفرات في الشمال حتى الشلال الرابع في الجنوب . وأقام في آسيا الغربية حكما عسكريا وسياسيا ، وعين مندوبا ساميا للمنطقة كلها ، كما عين مفتشين مقيمين في المدن الهامة . وكان يجمع أبناء الحكام من كل بلد ليتعلموا في مصر ، ويشبون على حبها ثم يعودون وقد تشبعوا بالثقافة المصرية والمدنية الفرعونية .

« ... والآن جيء بأولاد الأمراء وأخواتهم ليكونوا رهائنا في مصر، فاذا مات أحد هؤلاء الأمراء كان يرسل جلالته ابنه ليقوم مقامه . عدد أبناء الأمراء الذين أخذهم جلالته هذا العام ٣٦ رجلا ... »[١]

ورغم الصفات التي تكال مدحا لتحوتمس الثالث ووصفه بأنه أعظم ملوك مصر ، إلا أنه يلاحظ أن هذا الفرعون كان من الأسباب التي أدت إلى انهيار مصر فيما بعد . فقد تغالى في الهبات والمنح على آمون من ناحية ، وتغالى في حملاته وجهوده الحربية من ناحية أخرى . وكان من نتيجة ذلك أن فقدت مصر

---

(١) Breasted, A R, II § 467.

مواردها وإمكانياتها فى الرجال ، كما انصرفت بعض العناصر المصرية عن الروح العسكرية . ويأتى عهد تحوتمس الثالث بعد حكم دام أربعة وخمسين عاما ، ودفن فى مقبرته بوادى الملوك . وتشير نقوش القائد أمون - ام - حب المنقوشة على جدران مقبرته فى جبانة شيخ عبد القرنة رقم ٨٥ « ... صعد إلى السماء وانضم إلى آتون وامتزجت أعضاؤه مع خالقه . وعندما أضاء الصباح وأشرقت الشمس، مكن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس أمنحوتب على عرش والده وتسلم ألقابه الملكية ... » .

أمنحوتب الثانى (عا - خبرو - رع Aa - Khepru - Re) لم يتردد أمنحوتب الثانى فى اتباع خطوات أبيه وتنفيذ سياسته الحربية ، إذ نشأ نشأة عسكرية خالصة . وفى بداية عهده ، انتهزت بعض الولايات السورية الشمالية فرصة موت تحوتمس الثالث ، وأرادت التخلص من الحكم المصرى . وتشير لوحتيه فى معبد بتاح فى منف [1] ، ومعبد أمون رع فى طيبة [2] إلى أخبار حملتيه إلى آسيا . فقد قام أمنحوتب الثانى بحملته الاولى على آسيا ، وهزم فيها الثائرين ، وأحضر سبعة أمراء أسيويين كانوا يتزعمون الثورة ، وضربهم بدبوس قتاله . ثم علق جثث ستة منهم على أسوار طيبة أمام الإله

---

(١) Wilson, J. A., « The Asiatic Campaigning of Amen - hotep II », (in) ANET, P P. 245 - 247.

وقام بنشر اللوحة بدوى

Badawi, A.M., Die neue historische Stele Amenophis II, (in) Ann. Serv. , XLII (1943), 1 – 23 , PL 1.

واللوحة موجودة بمتحف القاهرة تحت رقم ٦٣٠١ .

(٢) ترجم اللوحة برستد

Breasted, AR, II §§ 781 – 790.

أمون ، ثم أخذ السابع إلى بلاد النوبة وعلقه على أسوار نباتا حتى يرهب بقية الحكام . وفى العام التاسع من حكمه ، قام بحملة أخرى فى فلسطين لإخماد فتنة قامت فى إحدى المدن . وتشير لوحة منف إلى أخبار حملاته على سوريا « ... كان ذلك فى عامه السابع حين زحف جلالته فى حملته الظافرة الأولى إلى رتنو Retenu ليوسع حدود ملكه على حساب الخوارج ممن خالفوا أمره . فلم يكد يبلغ شمش - إدوم Shamash - Edom (١) ... هناك أصبح مثل ست فخربها فى لحظة قصيرة ثم عبر جلالته نهر العاصى وكأنه رشب (٢) ... فلمح جماعة من السوريين مسلحين فانقض عليهم ، وأخذوا يتساقطون بما فى ذلك قائدهم ... ثم بلغ جلالته أوغريت (٣) فأفناهم جميعا . ثم وصل جلالته بعد ذلك إلى قادش فخرج إليها أميرها مسالما وترك جلالته أهل المدينة يقسمون بين يديه يمين الولاء ، وانطلق بعجلته الحربية نحو نشبو (٤) وكان وحيدا ... ثم عاد ... بوقت قصير بجر ... ستة عشر من أشرافها ، وعشرين يدا مقطوعة ... وكان ذلك بعد أن سلمت المدينة ... وأتبعه فى طريقه إلى الوطن ... ووصل جلالته إلى منف منشرحا ... »

وفى حملة السنة التاسعة ، زحف على إقليم أبق (٥) حيث قصد جلالته إلى ويحم ، ممتطيا عجلة الحرب ... فخرب ماباسن وخاتيشان (قرى فى شمال فلسطين) ثم قصد إلى إتيرن Iteren ومجدول - يون Migdol - Yen ... فساق

---

(١) بسوريا .

(٢) من آلهة الحرب والقتال فى آسيا .

(٣) رأس الشمرة إلى الشمال من اللاذقية .

(٤) إلى الجنوب من صيدا على الساحل اللبنانى .

(٥) بشمال فلسطين .

من أمرائها أربعة والاثين ، ومن العبيد سبعة وخمسين، ومن الأهالى مائة وواحد والاثين ... وفى يوم عيد جلوسه نهب فوهون انوخرات ... وزحف جلالته على هوهكتى فقبض على كاكا Qaqa وعين بدلا منه أميرا آخر ... هناك عاد جلالته إلى منف بعد أن أصبحت أقاليمها كلها تحت سيطرته ، وأخذ يستعرض غنائم الحرب ... » (١)

وكان من نتيجة ذلك أن أخذت جميع المدن تحسب حسابا لهذا الملك الشاب الجديد ، فأخذت ترسل هداياها وفى مقدمتها عاملكة ميتانى (*) ومدينة قادش. وربما قامت بينه وبين ملوك ميتانى علاقات ود نظرا لأن هذه الدولة وجدت فى نشاط الحيثيين فى آسيا الصغرى خطرا يتهددها ، كما أن مملكة أشور كانت تتحفز لها . ولذا فضلت التقرب من مصر ، وازداد تقاربهما فى عهد خليفته تحوتمس الرابع (من - خبرو - رع Men - Khepru - Re) الذى تزوج من ابنة الملك آرتاتاما ملك ميتانى . وهذه الأميرة الميتانية سميت بالاسم المصرى بعد ذلك « موت ام ويا » وأصبحت أم أمنحوتب الثالث الذى تولى العرش بعد وفاة أبيه . والواقع أن هذا الزواج أمد مصر بشيء من القوة لأنها أيضا كانت معادية للحيثيين . ولهذا استقر الرأى لكل من ميتانى ومصر على وقف تنافسهما على شمال سوريا ، واتحدتا سويا الوقوف فى وجه خطر الحيثيين . ويلاحظ أن ازدياد الروابط بين مصر وآسيا فى ذلك الوقت أدى إلى اختلاط دم الفراعنة بالدم الآرى ، مأثر ذلك فى طبيعة الملوك . فنجدهم ينصرفون إلى الملذات ويبتعدون عن الروح العسكرية التى كانت مفخرة لأوائل ملوك الأسرة. كذلك

---

(١) Wilson, J.A., OP. Cit., PP. 245 - 247.

(*) تقع على الفرات وامتدادها إلى شرقه نحو دجلة .

بدأت نظرتهم تجاه الأمور الدينية تتغير ، ولم يجدوا ما يبرر تهافتهم على عبادة أمون دون الآلهة الاخرى . وربما كانت النظرة العالمية التى تأثروا بها فى ذلك الوقت أقوى الأسباب التى جعلتهم يفكرون فى معبود واضح يقبله مختلف أبناء البلاد التى فتحوها . وربما شعروا أن قوة ونفوذ أمون يؤثر فى سلطانهم . وهكذا بدأوا ينصرفون عنه ، ويشجعون بعض المعبودات القديمة وخاصة تلك التى تجد ترحيبا وقبولا لدى الشعوب الاخرى مثل أتون . وهو اسم قديم بإله الشمس ، ويدل على قرص الشمس . وهو كظاهرة طبيعيـــة معروفة لدى الشعوب فى جميع أنحاء العالم . ولقد ظهر اسم هذا الإله لأول مرة أثناء حكم الأسرة الثامنة عشرة فى عهد تحوتمس الرابع . فقد أشاد هذا الملك بفضل الإله رع اختى عليه ، حيث تسجل قصة الرؤيا على لوحة (١) كبيرة من الجرانيت لا تزال قائمة فى مكانها الأصلى بين ذراعى « أبو الهول » بمنطقة أهـــرام الجيزة . وهى إحدى القصص التى يحاول فيها الكهنة تأكيد رضاء الآلهة عن تحوتمس الرابع . وتحكى لوحة الحلم هـــذه أن الأمير تحوتمس الرابع كان يصطاد فى الصحراء عندما غلبه النوم فى ظل تمثال حورام اخت «أبو الهول» وتراءى له الإله فى المنام فطلب إليه أن يزيل الرمال المتكاثفة حوله عند ارتقائه

---

(١) Wilson, J.A., " A Divine Orcle Through a Dream ", (in) ANET, P. 449.

وقد نشر اللوحة لبسس ولرمات

LD, (1849 — 59) , II , 68. & Erman, A., Die Sphinxstele (SPAW, 1904, 428 — 444).

وترجمها برستد

Breasted, AR , II , § § 810 — 815.

للعرش ، كما وعده أنه سيعطيه العرش . ولقد ظهر له الإله يتكلم « ... ولدى تحوتمس ، أنا أبوك ، حرماخيس - خبر رع أتوم إنى واهبك ملكى على الأرض على رؤوس الأحياء ، وستلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش جب ، وستكون لك خيرات القطرين وجزية الممالك على مر الأيام إن وجهى الك ورغبتى متجهة نحوك ، ستكون حارسى وحاميى لأنى أشعر الآن بأعضائى مريضة . إن رمال الأرض التى أعتليها قد غمرتنى ، فاتجه إلى لتنفذ رغبتى . لأنك ابنى الذى تحمينى وأنا معك ... أنا مرشدك ... » .

ويستدل من تلك القصة على أن تحوتمس الرابع لم يكن وريثا للعرش ، أو على الأقل لم يكن لحكمه مقبولا ، وأن كهنة الإله رع حور اختى هم الذين ساندوه على تولية العرش . ولا تزال هذه المشكلة فى حاجة إلى تدعيم أقوى بالأدلة الأثرية . ومهما كان الأمر ، فالواضح أن كهنة رع كانوا وراء قصة الرؤيا وأنهم قد نجحوا فى تحويل عقيدة الأمير تحوتمس الرابع من احترامه لعبادة آمون إلى عبادة الشمس فعندما جلس تحوتمس الرابع على العرش ، أخذ يمجد فى رع مهملا آمون . ولعل فى الاستطاعة القول ، بأن بداية ظهور هذا المذهب الدينى الجديد ترجع إلى عهد تحوتمس الرابع ، ثم وجدت تأييدا قويا فى عهد ابنه أمنحوتب الثالث (نب - ماعت رع Neb - Maat - Re) لولا أنه كان رجلا لا يعنيه سوى الانغماس فى ملذاته ، وخاصة بعد أن اطمأن إلى توطيد أركان حكمه . فاضطر أن يهادن كلا من العقيدتين ، ثم رأى مصلحته أخيرا مع الطرف الأقوى ، فتحيز إلى كهنة آمون وخاصة وأنه شعر بمحاولاتهم استغلال نسبه إلى أم أجنبية وهى موت أم ويا ابنة الملك الميتانى ، فاستجاب للكهنة على الفور وشيد معبدا ضخما لآمون فى طيبة ، فرد الكهنة على هذا الجميل وأعلنوا

على الشعب مولده الإلهى . وقد سجل أمنحوتب الثالث قصة مولده الإلهى فى نقوش معبد الأقصر (شكل ٧٨ أ ، ب) وهى تشبه إلى حد كبير قصة المولد الإلهى للملكة حتشبسوت فى معبدها بالدير البحرى .

أما بالنسبة لفكرة ألوهية الملك الحى ، فإنها لم تمثل إلا ابتداء من عصر الأسرة الثامنة عشرة . ففى بعض مناظر بهو الأعمدة بمعبد صولب بالنوبة ، يمثل الملك أمنحوتب الثالث وحول أذنيه القرنان الملتويان لكبش آمون . ويعبر هذا التمثيل عن الفرعون كإله إذ يوجد أمامه تمثيل آخر لنفس الملك وهو يتعبد إلى ذاته المؤلهة ، ويؤكد ذلك النص الذى يعلو تمثيل الفرعون المؤله « نب ـ ماعت رع الإله العظيم » [1] . وعلى ذلك فى الإمكان القول بأن فكرة إنشاء معبد لعبادة أمنحوتب الثالث لشخصه ، لم تبدأ فى مصر وإنما كان ذلك فى سدنجا ، وسيسب ، وصولب بشمال السودان .

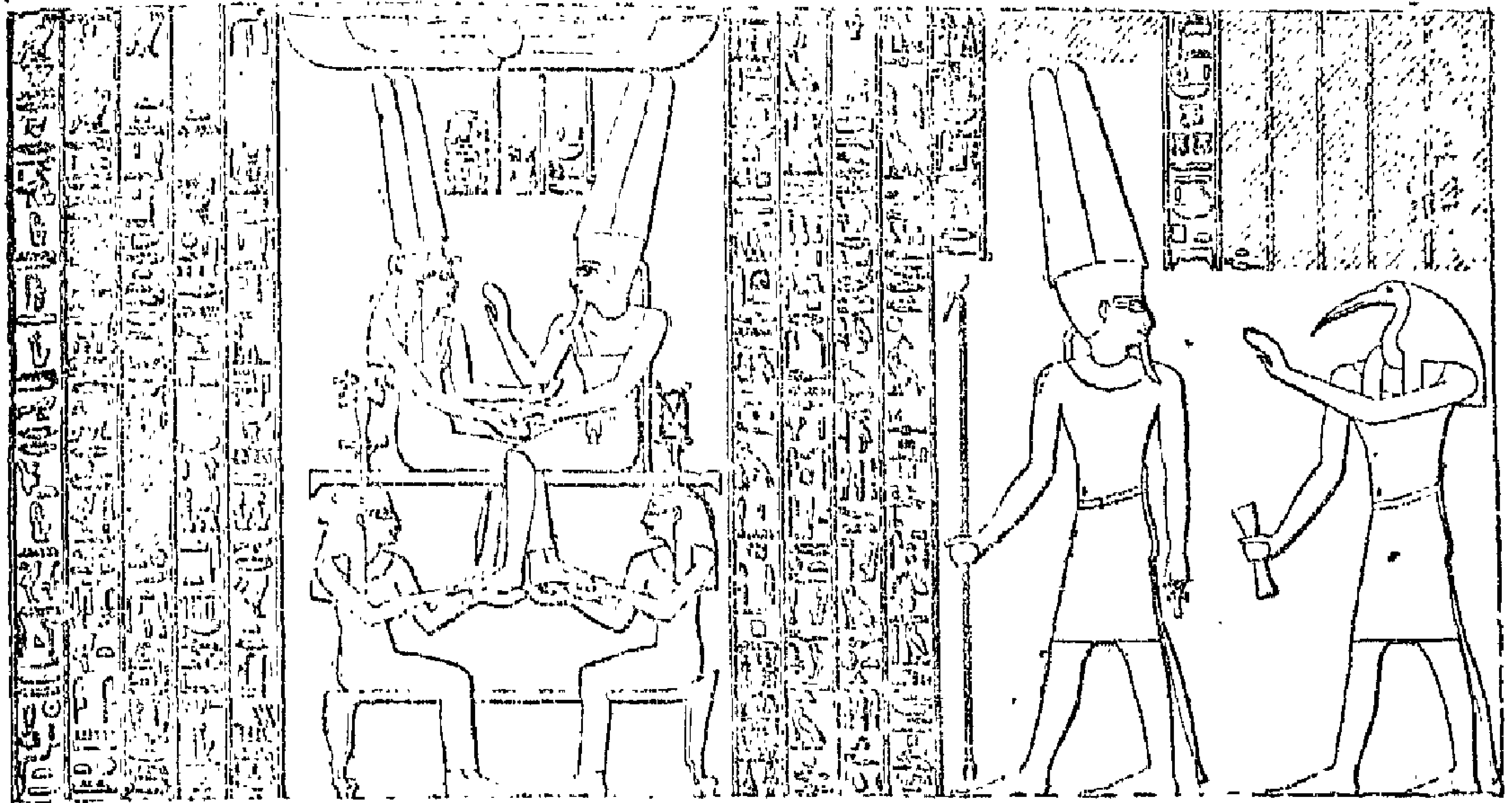
وإذا ما نظرنا إلى العلاقات الدولية فى عهد أمنحوتب الثالث ، نجد أن مصر كانت تتمتع بمركز ممتاز ، ونجد أن أمنحوتب الثالث قد قام بمصاهرات حيث تزوج من أميرات من دولة الحيثيين ومن بابل ومن ميتانى ، وكان مركز مصر بالنسبة لهؤلاء مرموقا . ومن آثار نشاط أمنحوتب الثالث المعمارى ، إقامته قصر لمنتو صاحب الإقليم الأول ، وآخر للمعبودة « موت Mut» (٢) صاحبة آمون . كذلك بنى لآمون زورقه المقدس(٣) .

---

(١) L D, 85 (a), 87 (b) & (c).

(٢) Benson and Gourlay, The Temple of Mut in Asher, London, 1899.

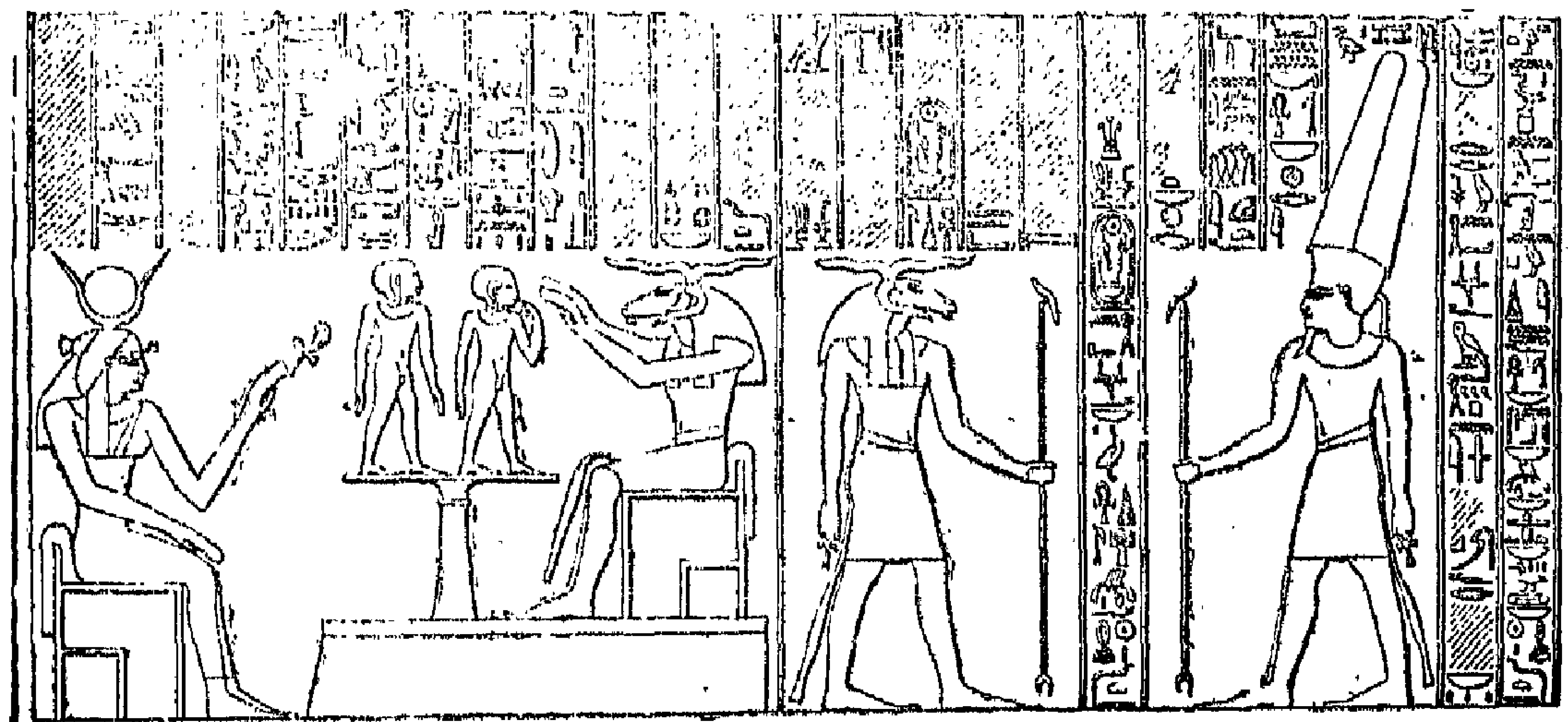
(٣) Breasted. AR, II, § 888.



شكل (٧٨ « ا »)

قصـــة المولد الإلهى

الملك أمنحوتب الثالث — معبد الأقصر



شكل (٧٨ « ب »)

الإله أمون يطلب من الإله خنوم تشكيل طفل ملكى وقرينه — من قصة المولد الإلهى للملك أمنحوتب الثالث

وتصف لوحته(١) الشهيرة فى معبده الجنزى فى الأقصر ، الذى يقع خلف تمثالى ممنون فى طيبة « ... كان لا يسعد قلب جلالته شىء مثل تشييد المبانى الفخمة التى لم يبن مثلها منذ بدء العالم . وقد شيد جلالته لوالده أمون معبدا فخما فى غربى طيبه ، فصار بمثابة الحصن الخالد واستخدم فى تشييده أجود أنواع الحجر الجيرى من كتل الأحجام الكبيرة ، وغطى أجزاءه جميعها بالذهب وزين أرضيته بالفضة ، كما غطى أبوابه برقائق الذهب . ووضع فيه التماثيل الملكية من جرانيت الفنتين ، ومن الحجر الرملى الصلد ، ومن جميع أنواع الأحجار الجيدة ... وكانت صناعتها كاملة وستبقى خالدة . وكانت أحجامها الكبيرة تضىء الوجود إلى عنان السماء ، وكان انعكاس أشعتها فى وجوه الناس مثل قرص الشمس عندما يضىء فى مطلع النهار ... »(٢)

وعلى مقربة من معبده الجنزى ، بنى قصرا على الضفة الغربية من النيل . ولم يقف نشاطه المعمارى على طيبة ، بل امتد إلى منف التى جعل أكبر أولاده تحوتمس كبيرا لكهانها ، كما شيد قصرا ومعبدا بها . وقد امتدت آثاره إلى ما وراء الشلال ، فشيد فى صولب معبدا لعبادة أمون من الحجر الرملى ، وملأ

---

(١) نشر اللوحة لاكو

Lacau, P., Stéles du Nouvel Empire (Catalogue général ..... du Musée du Caire, – Cairo, 1909), 1 , 47 – 52, PlS XV _ XVI.

وترجمها برستد

Breasted, A R, II, § § 878 — 892.

واللوحة موجودة حاليا بالمتحف المصرى تحت رقم ٣٤٠٢٥ .

(٢) Wilson, J.A., « From Amen-hotep III s' Building inscription », (in) ANET, PP. 375 — 376.

جدرانه بالنقوش وكسى أبوابه بالذهب والفضة (١) ، وأقام عند مدخله مسلتين لم يبق من آثارها شيء يذكر . وقد عثر فى جزر بحر إيجـة على مجموعة من الآثار تحمل اسمه واسم زوجته الأولى(٢) « تى » ، ووجد بعضها فى جزيرة رودس (٣) والبعض فى جزيرة قبرص (٤) .

امنحوتب الرابع (أخناتون - نفر - خبرو - رع) Nofer – Khepru – Re

تولى العرش شريكا مع أبيه فى طيبة . وكانت نشأته فى أرمنت (*) ، حيث تولى تعليمه كهنة من أتباع العقيدة الهليوبوليتانية ، وتعمق فى ديانة رع . وتزوج من أخته ، وكانت تدعى نفرتيتى (ومعناها الجميلة تهادى) . وتجدر الإشارة إلى أنه بعد أن ارتقى العرش ، أخذ يشجع الديانة الأتونية ويتخذها كديانة رسمية . وكان متأثرا فى أغلب الظن بالأفكار الاسيوية التى ربما لم يكن هدفها الحرص على نشر مذهب جديد تقبله كل الشعوب ، وإنما كان الهدف الأساسى هو مناوءة كهنة أمون الذين يمثلون العنصر الأصيل فى البلاد . ولما وصلت العلاقات بين الملك وكهنة أمون إلى درجة كبيرة من التوتر ، بدأ كهنة أمون ثورتهم ، كما بدأوا المؤامرات ضد أخناتون للقضاء عليه . ولكن الملك كان مؤيدا لمعتقد أتون ، فبدأ حركة قوية لمحو أمون من جميع أرجاء الامبراطورية

---

(١) Breasted, AR, II, § 890.

(٢) Sewell, Tiles from Mecena with the Cartouche of Amenophis, III, (P S B A), XXIII, P. 258.

(٣) Dussaud « Civilization Pre-Hellenique dans le bassin de la Mer Egée. Paris 1910, P. 155.

(٤) Murry, Smith, Walters, " Excavations in Cyprus, » IV, P. 608

(*) قرب طيبة .

المصرية . وبعد وقت من تحيزه الواضح للدين الجديد ، وقف ضد كهنة أمون ، فغير اسمـــه من أمنحوتب (وتعنى أمون راضى) إلى اسم أخ - إن آتون Akh – en – Aton (المفيد لآتون) أو (ليسعد آتون) ، وذلك تعزيزا للصلة بمعبوده وأصبح أمر إنكار الإله القديم والإيمان بالإله الجديد أمرا رسميا ، حيث كان اسم الملك رمزا لسياسة الدولة . وقد نقل أخناتون عاصمة مصر من طيبة ، وأنشأ عاصمة جديدة أسماها أخت أتون أى (مشرق آتون)(*) ، وبنى فيها القصور الملكية ومعبداً لآتون وقد نسب أخناتون تأسيسها إلى إلهه « إلى أبى ، أتون الحى ، ولمعبد أتون فى أخت أتون إلى الأبد وإلى الأبد (١) » .

وتتمثل المصادر التاريخية لديانة أتون فى لوحات الحدود « لمشرق أتون » ونقوش مقابر تل العمارنة (٢) وبقايا معبده فى الكرنك .

وفى الإمـكان التعرف على بعض مـلامح الديانة الآتونيه فى نشيد أخناتون .

أنت تطلع ببهاء فى أفق السماء ،
يا أتون الحى ، (يا) بداية الحياة .
عندما تبزغ فى الأفق الشرقى ،

(*) مكان بين طيبة وم ف فى محافظة أسيوط وهى قرية تل العمارنة حاليا .

(١) Davies, N. de, The Rock Tombs of El Amarna, V, Egypt Exploration Fund, Archaeological Survey of Egypt XVII, London, 1908, P. 34.

(٢) ————— , The Rock Tombs of El Amarna, VI, London, 1908, Pl. XXVII.

تملأ كل البلاد بجمالك ،
أنت جميل ، عظيم ، متلألىء ، وعال فوق كل بلد ،
وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها ،
لأنك أنت « رع » ، وتصل إلى نهايتها ،
وتخضعها لابنك المحبوب .
وبالرغم من أنك بعيد فإن أشعتك على الأرض،
وبالرغم من أنك أمام أعينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك .

وعندما تغرب فى الأفق الغربى ،
تصبح الأرض سوداء كما لو كان حل بها الموت .
ينام (الناس) فى حجرة وقد لفوا رؤوسهم ،
فلا ترى عين عينا أخرى ،
ويمكن أن تسرق أمتعتهم التى يضعونها تحت رؤوسهم ،
فلا يدركون ذلك .
ويخرج كل أسد من عرينه
وجميع الزواحف (تخرج) لتلدغ ،
ويلف الظلام كل شىء ويعم الأرض السكون ،
لأن الذى خلقهم يرتاح فى أفقه .
وعندما يصبح الصباح ، وتطلع أنت من الأفق ،
وعندما تضىء كآتون أثناء النهار ،
تطرد الظلمة وتمنح أشعتك .
فالأرضان فى عيد كل يوم

ويستيقظ (الناس) ويقفون على الأقدام ،
لأنك أنت الذى أيقظتهم .

يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم ،
ويرفعون أذرعهم ابتهالا عند ظهورك ،
والناس جميعا يؤدون أعمالهم .
وتقنع كل الحيوانات بمراعيها ،
وتزدهر الأشجار والنباتات .
والطيور التى تطير من أعشاشها ،
(تمد) أجنحتها لتمدح قوتك ،
وتقف الحيوانات على أرجلها ،
وكل ما يطير أو يحط ،
إنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم .
وتسير السفن نحو الشمال ونحو الجنوب ،
لأن الطرق كلها مفتوحة عندما تظهر
وتمرق الأسماك فى النهر أمامك ،
لأن أشعتك تتغلغل فى المحيط .

أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء ،
إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا .
إنك أنت الذى يعنى بالطفل فى بطن أمه ،
وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه ،
لأنك تعنى به وهو فى الرحم .

أنت الذي يعطى النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم ،
عندما ينزل (الطفل) من بطن أمه ليتنفس ،
فى اليوم الذى يولد فيه ،
تفتح فمه ، وتمده بكل ما يحتاج إليه .
وعندما يصرخ (الكتكوت) وهو داخل البيضة .
فأنت الذى يمده بالنفس فى داخلها ليعيش ،
وعندما تتم خلقه داخل البيضة ، تجعله يكسرها
ويخرج من البيضة وهو يوصوص إذا ما حان موعده ،
ويمشى على رجليه عندما يخرج منها .

ما أعظم (أعمالك) التى عملتها !
إنها خافية على الناس .
أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له !
لقد خلقت الدنيا كما شئت ،
عندما كنت وحدك
الناس والماشية والوحوش الضارية
وكل ما على الأرض يسعى على قدميه ،
وكل ما يرتفع (فى السماء) يطير بجناحيه .

فى بلاد سورية والنوبة وأرض مصر ،
تضع كل شىء فى مكانه .
إنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه

ويحصل كل شخص على طعامه ، وسنوات حياته مقدرة له
يختلف الناس فى لغاتهم ،
كما يختلفون أيضا فى طبائعهم ،
ويمتاز لون جلودهم عن بعضهم البعض،
لأنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية .
أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر ،
وأنت الذى يأتى به عندما يشاء ، لتبقى على الناس ،
وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك ،
وأنت سيدهم جميعا ، (سيدهم) الذى يشغل نفسه من أجلهم ،
سيد كل أرض ، الذى يشرق لأجلهم ،
أنت آتون (شمس) النهار ، عظيم البهاء .

أنت الذى يعطى الحياة (أيضا) لكل البلاد الأجنبية البعيدة ،
لأنك خلقت نيلا فى السماء ،
لينزل لأجلهم ويحدث أمواجا فوق الجبال ،
مثل (أمواج) البحر
لتروى حقولهم التى فى قراهم ،
ما أجمل أعمالك يارب الأبدية !
فالنيل الذى فى السماء (خلقته) للأجانب
ولكل حيوانات الصحراء التى تسعى على الأقدام ،
أما النيل (الحقيق) فإنه ينبع من العالم الآخر لأجل مصر .

لقـــذى أشعتك كل مباج ،
وعندما تشرق ، تحيا وتنمـو لأجـلك ،
وجعلت فصول السنة لتغذى كل ما خلقت
فالشتاء يبرد أجسامهم
والحرارة تجعـلهم يحسون بك .
لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها ،
وحتى ترى كل ما صنعت
وذلك عندما كنت وحيدا .
تشرق فى صورتك كآتون الحى .
لامعا ، مضيئا ، فى جيئتك ، ورواحك .
جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها ،
(وسواء أكانت) مدنا أو بلادا أو حقولا ، طريقا أو نهرا ،
فان كل عين تراك فوقها مشرقا ،
لأنك آتون (شمس) النهار على الأرض .

أنت فى قـلبى ،
وليس هناك من يعرفك
غير ابنك « نفر - خبرو - رع ، واع - إن - رع »
لأنك أنت الذى خلقته عالما بمقاصدك و (مدركا) لقـوتك
أنت الذى صنعت الدنيا بيديك ،
وخلقت (الناس) كما شئت أن تصورهم .
فهم يحيون عندما تشرق ،

ويموتون عندما تغرب ،
إنك أنت الحياة بعينها .
ويعيش الإنسان (فقط) إذا أردت .
تتعلق العيون بالجمال حتى تغيب ،
ويترك الناس أعمالهم عندما تغرب فى الغرب .
ولكن عندما (تشرق) ثانية
يزدهر كل شيء لأجل الملك ...
لأنك أنت الذى خلقت الأرض ،
وأنت الذى خلقتهم (أى الناس) لأجل ابنك .
الذى ولد من صلبك ،
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ... أخناتون .
وزوجة الملك العظيمة ... نفرتيتى
عاشت متمتعة بالشباب ، دائما وإلى الأبد . (١)

---

(1) Wilson, J. A., " The Hymen to the Aton ", (in) ANET, PP. 369 - 371.

وقد ترجم النشيد إرمان

Erman, LAE, PP. 288 - 291.

وأيضا برستد

Breasted, J H., The Dawn of Conscience, New York, 1933, PP. 281 - 286.

وترجمه للعربية أ. فخرى ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، طبعة ثانية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ص ٣٠٩ — ٣١٤ .

وترتكز ديانة آتون على عدد من المبادئ ، كان أهمها اعتبار آتون الإله الأوحد، وتحريم عبادة الآلهة الأخرى ، واعتبار أخناتون ابن آتون ورسوله إلى الناس ليس فى مصر فحسب بل وللعالم بأسره . ومن أجل آتون بدأ الاستغناء عن المعابد المغلقة ، واستبدالها ببهو كبير فى وسطه مذبح حتى يتمكن كل متعبد من الاستمتاع بقرص الشمس الذى تعطى أشعته الحياة للناس أجمعين . ومن أهم مظاهر آتون ، الاتجاه نحو العالمية وذلك عن طريق الاعتراف بجميع الكائنات الحية فى جميع البلاد بخلاف الطابع الضيق الذى كان موجودا فى الديانة فى أيام الدولتين القديمة والوسطى . ومن العوامل الواضحة الدعوة إلى ماعت فقد كان أخناتون وإلهه آتون « يعيشون على الحق » ، وقد أدى هـذا الولاء للحق إلى تسجيل مناظر الملك العائلية فى حياته الشخصية على طبيعته . هـذا وقد انصرف أخناتون إلى دينه الجديد ، وكتب لإلهه نشيده الذى وجد فى إحدى مقابر تل العمارنة . ويوجد شبه كبير فى تكوينه وتفكيره مع المزمار رقم [1] ١٠٤ من مزامير(*) داود فى التوراه .

نشيد آتون	المزمار ١٠٤
وعندما تغرب فى الأفق الغربى	تجعل ظلمة فيصير ليلا
تظلم الأرض كالموت ...	
ويخرج كل أسد من عرينه	فيه يدب كل حيوان الوعر
وكل ما يزحف ، أنها تلدغ .	الاشبال تزمجر لتخطف
وعندما يطلع النهار ، وتشرق	تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويها

(1) Breasted, J.H., A History of Egypt, New York, 1905, PP. 371 ff.

(*) النصوص الدينية التى تحتوى عليها التوراه .

المزمار ١٠٤	نشيد أتون
تربض .	فى الأفق . . . تسوق الظلام بعيدا .
الإنسان يخرج إلى عمله ،	يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم
وإلى شغله فى المساء	جميع مـــن فى الكون يؤدون عملهم
ما أعظم أعمالك يارب	ما أكثر أعمالك !

ولقد أحدثت ديانه أتون انقساما كبيرا فى البلاد ، حيث وقف كهنة أمون موقف العداء من أخناتون . ويرجع الفضل إلى قائد الجيش حور محب — الذى لم يحارب دعوة أتون — فى الإبقاء على ولاء الجيش للعرش . وقد حاولت الملكة « تى » أم أخناتون فى زيارتها لمدينة أخت أتون إرجاعه عن هذا الدين الجديد ، مما أدى إلى نشوب نزاع بين أخناتون وزوجته نفرتيتى التى رفضت أن تترك المثل العليا لثورة أتون الدينية (شكل ٧٩) وكان من أهم نتائج إنشغال أخناتون فى ثورته الدينية ، إهماله لشئون المملكة ، فلم يلتفت أخناتون إلى رسائل حكام مصر فى آسيا ، وكذلك رسائل بعض الأمراء الأسيويين وهى التى تعرف برسائل تل العمارنة (*) والتى توضح انهيار الجزء الأسيوى مـــن الامبراطورية المصرية .

(*) رسائل تل العمارنة عبارة عن ألواح صغيرة من الطين المحروق كتبت باللغة الأكدية الدارجة وقد عثرت عليها إحدى الفلاحات فى عام ١٨٨٧ فى تل العمارنة بمصر الوسطى ، ثم بيعت تلك الرسائل إلى المتاحف الأوروبية وتجار الآثار ويبلغ عدد ما عرف منها ٣٧٧ لوحا تتعلق جميعها بالمراسلات الخاصة بالأرشيف الملكى لأمنحوتب الثالث وابنه أخناتون . وقد ترجمها ألبريت

Albright, W. F., « The Amarna Letters », (in) ANET, pp. 483-490. =



شكل (٧٩) أخناتون ونفرتيتي يتعبدان قرص الشمس

وقد اتجه الملك الحيثي واحتل سوريا ، كما خضعت ميتاني لاحتلال الحيثيين . وبعد أن فقدت مصر سوريا ، أصيب النفوذ المصرى بضربات قوية فى كل من فينيقيا وفلسطين فسقطت جبيل . وفى فلسطين اتحد أحد الأمراء ويدعى لابايا مع قبائل الخابيرو (فى فلسطين) وبدءوا يتطلعون للاستيلاء على المدن . وأخذت الأمور تزداد سوءا ، حيث رفض أخناتون أن يرسل من يدافع عن تلك البلاد . وكان من نتيجة ذلك كله ، أن فقدت مصر فلسطين ، وبدأت الحاميات المصرية تنسحب من آسيا تاركين للثوار والبدو تخريب المدن مثل أريحا وتل بيت مرسيم والجدل فى غزة . وقد أدى ذلك فى النهاية إلى فقد مصر لهذا الجزء من امبراطوريتها .

نهاية ديانة اتون ، تأثرت الامبراطورية من فقد مواردها ، مما تسبب عنه مصاعب مالية وسياسية . فإذا أضفنا ذلك إلى طبقة الكهنة والعائلات القديمة التى وقفت موقف العداء من ديانة آتون ، يمكننا التعرف على المصاعب التى بدأ يواجهها هذا الدين فى أواخر سنوات حكم أخناتون . وقد زوج أخناتون ابنته مريت أتون من سمنخ كارع (عنخ - خبرو - رع Ankh - Khepru - Re) وأشركه معه فى الحكم . وسافر سمنخ كارع إلى طيبة ، ربما كمحاولة لتهدئة كهنة أمون ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل . واستمر شعب طيبة فى عدائه لأخناتون لأن كهنة أمون الأقوياء أصروا على إعادة الأمور إلى ما كانت عليه. ووصلته أنباء عن موت أو قتل سمنخ كارع وزوجته فى طيبة ، فزوج ابنته

= وتعتبر هذه الألواح من أهم المصادر التاريخية التى تتناول الحالة السياسية فى بلاد فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا وبابل وآشور وميتانى وخيتا ، فى أواخر أيام أمنحوتب الثالث وفى عهد أخناتون .

الثالثة عنخس إن أتون الصغرى(١) إلى توت عنخ أتون ، وأعلنه خليفة له . ثم مات أخناتون فى العام الحادى والعشرين من عهده ودفن فى مقبرته بالعمارنة . وتولى العرش بعده توت عنخ أتون الذى قضى حوالى ثلاث سنوات فى تل العمارنة، وبعد ذلك غادرها إلى طيبة . وهناك بدأ يتقرب من كهنة أمون ، وغير اسمه تحت ضغط ونفــوذ كهنة أمون إلى توت عنخ أمون « نب - خبرو - رع Neb - Khepru - Re » ، كما خضعت زوجته إلى تغيير اسمها إلى عنخس ان امون Ankhesenamun وأصر كهنة أمون على إزالة آثار أتون ، فحطموا المدينة وخربوا القبور ، مما دفع توت عنخ أمون إلى تخصيص جزء كبير من الموارد المالية لإصلاح ما تهدم من تلك المعابد .

ويوجد نص على لوح فى معبد أمون بالكرنك(٢) . يتحدث توت عنخ أمون فى هذا النص عن ترميمه المعابد « .. لقد تهدمت معابد الآلهة والآلهات .. وهجرت هياكلها ، وأصبحت أكواما عالية ... وأدارت الآلهة ظهرها للبلاد ... وإذا صلى إنسان لإله يسأله النصح لا يأتى إليه أبدا ، وإذا دعا الإنسان إلهه

---

(١) Brunner, « Eine neue Amarna-Prinzessin » (in) Z A S, LXXIV, 1938, PP. 104 - 108.

(٢) اكتشفه لجران وهو موجود حاليا بالمتحف المصرى تحت رقم ٣٤١٨٣ وقد نشر النص لجران ولاكو

Legrain (in) Recueil de Travaux ………, XXIX. 1907, PP. 162 - 173. and by Lacau, P., OP. cit , 224 ff., PL. LXX, with the fragment of deuplicate inscription, Cairo 34184 on P. 230 f.

كما توجد للنص ترجمة وتعليق ل بنت .

Bennett, J , « The Restoration Inscription of Tutankhamun », (in) JEA, Vol. XXV, London, 1939, PP. 8 - 15.

أيضا لا تأتى إليه أبدا . لقد أوذيت قلوبهم لأنهم حطموا ما سبق عمله ... » فما الذى أراد أن يفعله هذا الفرعون التائب الذى بدأ ترميم المعابد ؟ « .. إنه طرد الخديعة من جميع أرجاء الأرضين وأقامت ماعت وأصبح الكذب أمرا دنسا فى البلاد كما كان الأمر من قبل ... » كان على عاتق توت عنخ أمون أن يرضى الآلهة بترميم ممتلكاتهم وزيادة عليها وأغدق على المعابد « ... مميزة وبحية لأجل آبائى ، جميع الآلهة وذلك بناء على الرغبة فى إرضائهم بعمل ما تريده « كما » كل منهم لكى يحموا مصر(١) ... » .

كان ذلك دون شك ترضية لكهنة أمون الذين يكونون بذلك قد انتصروا انتصارا كاملا ، وبدأ نفوذهم يقوى مرة أخرى . وربما يكونون قد اشترطوا على توت عنخ أمون بعدم إحياء العقيدة الآتونية مرة أخرى . وبذلك لم يصبح لحكم الملك نفس القوة السابقة ، وإنما ظل الفرعون خاضعا لسيطرة الكهنة والموظفين . وقد حكم توت عنخ أمون حوالى عشر سنوات وتميز عهده بازدهار الفن مما يتضح من محتويات مقبرته الذى يلاحظ فيها الإسراف فى المظاهر وتجهيز الأثاث . كما يتميز عهده باستمرار النفوذ المصرى فى النوبة وشمال السودان . وتجدر الإشارة إلى وثيقة سومرية ربما تعود إلى المرحلة التى تلت وفاة توت عنخ أمون ، وتشتمل هذه الوثيقة على رسالة من أرملة توت عنخ أمون (عنخس ان أمون) إلى ملك الحيثيين تطلب منه أن يرسل أحد أولاده ليتزوجها ويتولى عرش مصر . يقول مورسيل الثانى Mursil II إن سوبيليوليوما Suppiluliuma والذى حرر حوليات أبيه « ... وازداد الموقف سوءا حين توفى سيدهم ...

(١) Wilson, J. A, " Tutankamon's Restoration After the Amarna Revolution ", (in) ANET, PP. 251 - 252.

(نب خبرو رع) أى توت عنخ امون ، وأرسلت ملكة مصـــر التى أصبحت أرملة ، رسولا إلى أبى ومعه خطاب يجرى بالعبارات الآتية « مات زوجى وليس لى ولد . ويقول الناس إن عندك أولادا كثيرين ... فإذا أرسلت إلى أحد أولادك ، فإنه سوف يصبح زوجا لى ، لأنى أكره أن أختار واحدا من خدمى (رعاياى) فأجعله زوجى . وعندما عرف أبى ، دعا السادة الكبار إلى الاجتماع فى جلسة (وقال لهم) « لم يحدث مثل هـذا الشىء أمامى منـذ قديم الزمان » . وقـرر إرسال أحـــد أمنائه « حاتو - زيتيش » Hattu - Zittish (وقال له) : « أذهب وائتنى بمعلومات صحيحة ، فربما حاولوا خـداعى . أما بشأن حاجتهم إلى أمير ، فعليك أن تأتينى بالخبر اليقين . وفى غياب حاتو - زيتيش فى أرض مصر ، استولى أبى على مدينة قرقيش ... وقدم إلى أبى السيد حانيس Hanis سفير مصر . وكان أبى قد أصدر إلى حاتو - زيتيش حين أرسل إلى بلاد مصر تعليمات بهـذا المعنى . « ربما كان لديهم أمير ، وإنما يحاولون خداعى ، ولا يرغبون حقـا فى أن ينصبوا أحـد أبنائى ملـكا عليهم » . وردت الملـكة المصرية على أبى فى رسالة تقول : « لماذا تقول : إنهم يريدون خديعتى؟ فإذا كان لى ابن فهل كان فى وسعى أن أكتب إلى أجنبى كاشفة عن مصيبتى ومصيبة بلادى ؟ أنت لا تصدقنى . بل تقول لى مثل هذا الـكلام ! لقد مات من كان زوجى ، وليس لى ابن فهل يتحتم على أن أتزوج من أحد رعاياى ؟ إننى لم أكتب إلى أحـد سواك ، إنهم يقولون أن لك أبناء كثيرين فارسل إلى واحد منهم ليصبح زوجى وملكا على بلاد مصر » . ولما كان والدى كريم النفس ، فإنه وافق على كلام السيدة وقرر إرسال ابنه[1] » . ولـكن هذا الأمير قتل قبل وصوله إلى مصر . وهكذا فشلت محاولة الاحتفـاظ

---

(1) Desroches - Noblecourt, C. Life and death of a Pharaoh, Tutankhamen, a Penguin Book, 1965, PP. 202 – 203.

بالعرش للعائلة التى قامت بثورة العمارنة . وربما تكون عنخس ان أمون قد أقدمت على هذا بعد موت توت عنخ أمون وقبل أن يتزوجها آى Ay (خبر - خبرو - رع) لكى يكتسب شرعية الجلوس على العرش . وتشير الأدلة الأثرية من عهده إلى زيارته لمنف فى آخر العام الثالث من عهده[1] . وقد حكم آى أربع سنوات وترك بعض الآثار مثل مقبرته على مقربة من مقبرة أمنحوتب الثالث ، فى الوادى الغربى خلف أبواب الملوك . كما أقام هيكلا فى جبل أخميم بالصعيد . وأتم نحت أحد [2] تمثالين من الجرانيت الوردى لأسدين ، كان سلفه توت عنخ أمون قد بدأ فى نحتهما ليهديهما إلى والده أمنحوتب الثالث ، فى معبده بمدينة صولب بالسودان .

وانتقل العرش إلى قائد الجيش حور محب Horemheb (جسر - خبرو - رع) الذى سار إلى طيبة بصحبة الإله حور حيث تم تتويجه ، وتزوج من الأميرة موت نزم ، وقد أعلن حور محب أن أعضاء عائلة العمارنة ملحدين ، ولذلك اعتبروه أول ملك شرعى بعد أمنحوتب الثالث . وبذلك تكون تلك الثورة الدينية قد انتهت تماما ومحى كل أثر لعقيدة أتون . كما حرم ذكر الفراعنة الملحدين وهم أخناتون وسمنخ كا رع وتوت عنخ أمون وآى . وتشير نقوش مقبرة حور محب[3] فى سقارة التى شيدها قبل أن يصبح ملكا ، إلى ما قام به فى

---

(١) Badawi, A., Memphis Als Zweite Landhauptstadt im N. R. S. 59.

(٢) Desroches — Noblecourt, C, O P. cit., P. 306.

(٣) توجد بقايا هذا القبر مبعثرة بين متاحف أوروبا (المتحف البريطانى — اللوفر — بولونيا — ليدن — فينا) وكذلك المتحف المصرى . وقد درس نقوش هذه المقبرة بورتر وموس .

العام الأول من حكم توت عنخ أمون « ... وبأنه كان الرفيق الوحيد وأنه كان عند قدمى سيده فى ساحة الحرب فى يوم قتل الأسيويين[١] ... » .

وقد اهتم حور محب بالإصلاحات الداخلية أكثر من الحروب الخارجية فأصدر التشريعات والعقوبات بإصلاح أحوال البلاد الداخلية . ويتضح ذلك فى مرسوم قوانينه التى درسها المؤرخ الانجليزى فليجر (٢) Pfluger ، وقد عثر على مرسوم حور محب منقوشا على نصب كبير فى معبد الكرنك، عثر عليه بالقرب من الجناح الغربى من الصرح العاشر[٣] ، ورد فى مقدمة المرسوم أن الملك كتبه « بعد أن سهر الليالى والأيام يبحث جميع حالات الظلم فى هذا البلد » وقد اشتمل المرسوم على جزء خاص بالتشريعات والعقوبات وجزء آخر خاص بالإصلاحات الإدارية ، وفى نهاية المرسوم تنظيم خاص بالبروتوكول فى القصر وترتيب الموظفين . وقد تناول فليجر مرسوم حور محب فقسم الجزء الخاص بالتشريعات إلى جزء خاص بالعقوبات التى توقع

= Porter, B , and Moss, R L.B., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, III, Memphis, Oxford, 1931, PP. 195 – 197.

كما ترجمها برستد .

Brearted, AR, III, § § I – 21.

(١) Wilson, J A , " Texts from the Tomb of General Hor - em - heb ", (in) ANET, PP. 250 — 251.

(٢) Pfluger, K., (in) J N E S, Vol. V, 1946, PP. 260 - 276.

وقد ترجمه إلى الفرنسية العالم البلجيكى فان دى وال

Van De Walle, B., Le Décret d'Horemheb, Chronique d'Egypte, No. 44; 1947, PP. 230 - 238.

(٣) Desroches - Noblecourt, C., OP. cit., P. 310.

على من يستولى على أحد القوارب التى تحمل الضرائب « يوقع عليه العقاب بجدع أنفه ونفيه إلى حصن ثارو » (الذى يقع على حدود مصر الشرقية) . ويلى ذلك عقوبات توقع على من يستولى على سفن ملكية محملة بالضرائب أو على من يحول دون وصول سفن خاصة بزوجة الملك أو المعابد وتتناول التشريعات بعد ذلك العقوبات التى توقع على الموظفين المنوط بهم جمع قرابين الملك إذا استخدموا بعض الفلاحين أرقاء ومن العقوبات التى يتضمنها مرسوم حور محب كذلك ، عقوبة الجندى المتهم بالاستيلاء على جلود الحيوانات « فإن ذلك أيضا من الأشياء المهمة ويجب أن يحقق فيها على هذا الأساس ، وتشتمل عقوبة الجندى على « وابتداء من اليوم ، توقع عليه العقوبة بضربه مائة جلدة ، ويفتح فى جسمه خمسة جروح ويؤخذ منه الجلد الذى اغتصبه كما لو كان مسروقا » . وتنص باقى التشريعات الخاصة بالعقوبات على الإجراءات التى تتخذ فى حالة الظلم على بعض الفلاحين ، وتلاعب موظفى الضرائب . وفى حالة القسوة أو كثرة العمل على الأرقاء . وقد ختم حور محب مرسومه بقوله « ... إنكم تستطيعون رؤية هذه المراسيم التى أمر جلالتى بتجديدها عند إصلاح البلاد كلها بعد أن رأى جلالتى أعمال الظلم التى كانت تحدث فى هذه البلاد ... » .

ولكى يتفرغ حور محب للإصلاحات الداخلية التى سبق ذكرها ، اتجه إلى عقد معاهدة(١) رسمية مع ملك الحيثيين مورسيليس الثالث وهى أول محالفة بين مصر وخيتا . وكان من نتيجة تلك الإجراءات أن عاشت البلاد فى طمأنينة .

وبموت حور محب ، استولت على الحكم عائلة جديدة .

---

(١) ج. ولسون ، الحضارة المصرية ، ص ٣٨٣ .

الأسرة التاسعة عشرة

من حوالى ١٣٠٥ إلى ١٢٠٠ ق. م.

كان انتقال العرش من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة التاسعة عشرة بسهولة ودون متاعب . فقد تولى الحكم رمسيس الأول (من - بحتى - رع Men - Pehti - Re) بعد موت حور محب . وقد جاء من مدينة « صان الحجر » (*) التى كانت مقرا لعبادة الإله ست منذ عهد الهكسوس ويلاحظ أنه سار على سياسة سلفه حور محب، فأقام الكثير من المعابد فى منف وفى النوبة . وقد خلفه على العرش ابنه سيتى الأول (من - ماعت - رع Men - Maat - Re الذى يعنى اسمه رجل ست(١) » . وفى عهده ارتفع شأن الإله ست من جديد ، فأصبح يعترف به كإله للأمم الأجنبية وإله للعواصف . وقوى الاتجاه بنقل العاصمة إلى تانيس ، بينما ظلت طيبة هى العاصمة الدينية . وقد تطلع سيتى إلى استعادة الامبراطورية ، وتشير نقوش(٢) أحد جدران معبد أمون بالكرنك ، إلى اهتمامه بإنشاء الحصون على حدود البلاد الشرقية ، كما تشير نصوص الكرنك كذلك إلى تقرير تلقاه سيتى الأول عن قيام بدو فلسطين بتدبير الثورة « ... كانوا يدبرون ثورة فاجتمع زعماؤهم فى أحد الأمكنة ، وانتظروا على سلسلة

(*) (تانيس) فى شرق الدلتا .

(١) ج. ولسون ، نفس المرجع ، ص ٣٨٤ .

(٢) نشر هذه النقوش وترجمها برستد و ورتر وموس

Breasted, A R, III, § §80 – 156. Porter, B., and Moss, R L B, Topographical Bibliography ··· II. Theban Temples; Oxford, 1929, PP. 19 — 23.

جبال فلسطين ، وبدأوا يتنازعون ، ويذبح كل منهم أخاه ، ولم يبالوا بقوانين القصر .... . فسير حملة إلى الحدود الشرقية و ... كان قلب جلالته مسروراً من ذلك[1] ... لقد قاد سيتى الأول جيشه إلى كنعان Canaan ليعيد ما فقدته مصر من امبراطوريتها ... ثم أرسل جلالته أعظم فرق أمون (عظيمة الأقواس) إلى مدينة حماه . وأعظم فرق رع (مفرطة الشجاعة) إلى مدينة بيسان Beisan وأعظم فرق ست (قوية الأقواس) إلى مدينة ينعم Yanoam وفى مدة يوم خضع الثوار لمجد جلالته .. » واستطاعت مصر أن تسترد امبراطوريتها عندما تم لسيتى الأول النصر فى فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا ، واستولى على قادش حيث تم له هزيمة أعدائه ، وأقام لوحة نصر كبيرة هناك . وبهذا أصبحت حدود مصر عند شمال سوريا مرة أخرى[2] . وبعد حملته التى استولى فيها على قادش ، قام بحملتين لتأديب الثائرين فى ليبيا سجل أخبارهما على معبد الكرنك . ويرى برستد أن الحرب الليبية المصرية قد وقعت فى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون حيث هزم فيها الليبيين . أما بالنسبة لحربه مع الحيثيين ، فقد أشارت نقوش معبد الكرنك إلى المكان الذى وقعت فيه المعركة مع الحيثيين ، وأنها كانت فى شمال قادش . وربما كانت الأسباب التى حملت سيتى الأول على محاربة الحيثيين هو استمرار خيتا فى تحريض سوريا وفلسطين ضد مصر ، ولو أن المصادر الحيثية أشارت إلى أن « خاطوسيل » ملك خيتا كان يريد تفادى الحرب مع مصر . ومهما يكن من أمر ، فان الحرب بين المصريين والحيثيين لم تكن حاسمة ولم يجن من ورائها سيتى ما تمناه من أن يرد للامبراطورية سابق عهدها ،

---

(١) Wilson, J.A., " Campaigns of Seti I in Asia ", (in) ANET, P. 254.

(٢) Breasted, AR, III, § § 141 ff.

ولكنه نجح فى إعادة النفوذ المصرى إلى أرض فلسطين وجنوب سوريا ، كما أنه جعل ملك خيتا تخشى قوة مصر ، وربما يكون قد عقد معاهدة مع خيتا ليحترم كل منهما حدود الآخر .

وبعد حملاته فى أفريقيا وآسيا ، بدأ يوجه اهتمامه إلى الداخل وتشير بردية(*) مناجم الذهب (١) إلى اهتمام الملك سيتى الأول بإرسال الحملات للحصول على الذهب من المناجم ومن الأهمية الإشارة إلى آثار سيتى الأول سواء فى مصر أو فى بلاد النوبة وشمال السودان . أما فيما يتعلق بآثاره فى مصر ، فنشير إلى أعماله ولا سيما بهو الأعمدة فى الكرنك ومعبديه فى كل من طيبة وأبيدوس ، ومقبرته فى وادى الملوك . وبالنسبة لبلاد النوبة وشمال السودان فتتضح آثاره فى « سيسيبى » و « نورى » و « جبل برقل » .

وبعد أن حكم سيتى الأول تسعة عشر عاما ، تولى ابنه رمسيس الثانى (أوسر - ماعت - رع User — Maat — Re) الحكم ، وكان أبوه قد أشركه معه كوليا للعهد فى حياته مما أكسبه دراية فى شئون السياسة والحرب . وفى بداية حكمه ، أتم ما بدأه سيتى الأول من معابد ، كما سار على سياسته فى الاهتمام بالمناجم . وتشير النقوش الموجودة على بعض المعابد فى الأقصر والرمسيوم والكرنك وأبيدوس ، إلى أخبار حملاته فى آسيا ، وحروبه مع الخيتيين وخاصة فى معركة قادش التى حدثت فى السنة الخامسة من حكمه . وتشير أحداث هذه المعركة (٢) إلى أن رمسيس الثانى وقع فى كمين أعده له الخيتيون ،

(*) موجودة حاليا بمتحف تورين

(١) Ball, J., Egypt in the Classical Georgraphers, Cairo, 1942, P. 180 ff & Goyon, G., Le Papyrus de Turin, (in) Ann. Serv., XLIX, PP. 337 - 392.

(٢) Wilson, J A , « The Asiatic Campaigning of Ramses II », (in) ANET, P. 255.

ولكنه استطاع هو وجيشه النجاة . وقد استعان الحيثيون في هذه المعركة بقيادة ملكهم « موتال » بالجنود المرتزقة من جزر بحر إيجة ، وإمارات آسيا الصغرى وبلاد الفرات ، بينما كان رمسيس الثاني على رأس أربعة جيوش « جيش ست وجيش بتاح وجيش رع وجيش آمون » بالإضافة إلى بعض الجنود المرتزقة . وعلى الرغم من أن رمسيس الثاني لم ينجح في الاستيلاء على قادش ، إلا أن النقوش المصرية أكثرت من الإشارة إلى احتفال رمسيس الثاني بنصره العظيم مدعيا أنه « ... صد جميع البلاد بالخوف منه ، بينما كانت بسالة جلالته هي التي حمت جيشه ، فقدمت جميع البلاد الأجنبية المديح إلى محياه الجميل ... » . وفي الإمكان ملاحظة محاولة رمسيس الثاني إخفاء هزيمته بادعاء النصر وبأنه استطاع أن ينجو من الكمين الذي أقامه له الحيثيون عندما أحاطوا به « .. ألفان وخمسمائة من العربات في طريقه ، المكونون من محاربي العدو الحيثي والأمم الأجنبية الكثيرة التي كانت معهم من أرزاوا Arzawa وبداسيا pedasia وإروين Irwen وميسيا Mysia وقادش وليكيا وأوجاريت Ogarit وحلب وكيزوادنا Kizzuwadna . وكان في كل عربة ثلاثة رجال يعملون معاً ... » . وتضرع إلى آمون ، فلما أتى هذا الإله لمعونته « ... وجدت الألفين وخمسمائة عربة التي كنت في وسطها غدت أكواما من الجثث أمام خيلي .. » وعندما علم ملك خيتا بذلك ، أرسل عليه هجوما آخر « ... الأمراء الكثيرون ، ومع كل منهم عرباته ، والكل مسلحون بعتاد الحرب : أمير أرزاوا و (أمير) ميسيا و (أمير) إروين و (أمير) ليكيا و (أمير) داردانيا و (أمير) كركيش و (أمير) كيليكيا و (أمير) حلب وأخوه ملك خيتا مجتمعين معا ، ويبلغ عددهم ألف عربة ... » . وبانتهاء معركة قادش التي لم يكتب فيها النصر الحاسم لأي من الطرفين ، اتفق الجانبان على احترام الحدود وعدم التدخل في شئون الطرف الآخر .

وبذلك تكون مصر قد احتفظت بفلسطين ولبنان وجزء من سوريا بدون مدينة قادش .

وفى الأعوام التى تلت معركة قادش ، قاد رمسيس الثانى حملات أخرى إلى فلسطين وسوريا احتل فيها عسقلان (١) « عندما تمردت ، وهزم هكا ... حتى إذا رآها أمراء قادش ، يقع فى قلوبهم الخوف منه ... » . وعندما أدرك كل من المصريين والحيثيين عدم جدوى تلك الحروب المتتالية اتجها إلى عقد معاهدة (٢) « أمن طيب وأخوة » . وتوجد نقوش النص المصرى (٢) للمعاهدة على جدران معبد آمون بالكرنك والرمسيوم . والمعاهدة تشتمل على تحالف دفاعى ، وذلك فى العام الحادى والعشرين من حكم رمسيس الثانى . ويشير إلى ذلك النصان المسمارى والهيروغليفى لتلك المعاهدة . فقد جاء فى النص المصرى (٣) ، أن ملك الحيثيين حاتوسيليس Hattusilis أرسل رسلا « يطلبون الصلح » من رمسيس الثانى « ... نور الحكام الذى جعل حده كما شاء فى كل بلد ... » . ولكن النص

---

(١) تشير نقوش معبد الكرنك إلى هذه المعركة وقد نشر النص رزنسكى

Wreszinski, W , Atlas Zur Altäegyptischen Kulturge-Schichte II, Leipzig, 1935, P. 58.

كما ترجمه برستد

Breasted, AR, III, §§ 353-355.

(٢) Wilson, J A., " Treaty Between the Hittites and Egypt ", (in) ANET, PP. 199-201.

(٣) Muller, W.M., (in) MVAG, VII, Berlin, 1902, No. 5.

كما ترجمه برستد

Breasted, AR, III §§ 367 - 391.

الحيثى (١) يذكر أن رمسيس الثانى هو الذى اتصل بخاتوسيليس وأشار بعقد معاهدة صلح واتفاق بين البلدين ويعتقد أن هذه الاتفاقية حررت أولا فى العاصمة الحيثية بالاستعانة بالسفراء المصريين ، الذين أخذوا النص بعد ذلك إلى مصر مكتوبا على لوح من الفضة حيث أعيدت كتابة النص من جديد على لوحين من الفضة ، أخذوا واحداً منه إلى بلاد الحيثيين ووضعوه « عند قدمى » إله العاصفة الحيثى ، ووضعوا اللوح الثانى « عند قدمى » الإله رع فى مصر . وفى كلا الحالتين أقسم الملك يمينا أمام الآلهة . وبهذا أصبحت المعاهدة معتمدة بالسلطة والموافقة الإلهية .

وتشير المعاهدة فى مقدمتها إلى وجود حروب ومعاهدات بين مصر وخيتا ، وأن الملكين يرغبان فى السلام . كما تشير المعاهدة إلى تبادل اللوحين المنقوش عليهما النص . وفى الجزء الثانى من الاتفاقية ، يوجد تأكيد من كلا الطرفين بشأن عدم الاعتداء « .. إن أمير خيتا العظيم الشأن لن يتعدى أبداً على أرض مصر أو يأخذ شيئا منها وأن حاكم مصر القدير (رمسيس الثانى) لن يتعدى على أرض خيتا أو يأخذ أى شىء منها أبداً ... » . وفى الإمكان ملاحظة عدم تحديد الحدود فى هذه المعاهدة بين الأراضى التى تدعيها كل من خيتا ومصر . وربما كانت هناك منطقة تقع بين المنطقتين التى يدعى كل من الحيثيين والمصريين أنها تخصه وكانت خيتا تعتبر شمال سوريا ووسطها والجزء الشمالى من الشاطىء الفينيقى تابعة لها ، بينما اعتبرت مصر أن الباقى من فينيقيا وفلسطين حتى جبال

---

(١) وضع لانجدون وجاردنر تقييما مقارنا للنسختين المصرية والحيثية

Langdon, S, and Gardiner, A.H. " The Treaty of Alliance between Hattusili and Ramesses II of Egypt ", (in) JEA, Vol. VI, 1920, PP. 179 – 205.

الجليلية خصوصا . أما الجزء الثالث من المعاهدة ، فيشير إلى تحالف دفاعي ضد عدو كبير ومعناه قوة ثالثة أرادت أن تنازع خيتا ومصر في ممتلكاتهم ، وضد أي ثورات في كل من الامبراطوريتين . وبالنسبة للجزء الرابع ، فيشير إلى تسليم السياسيين إلى بلدهم ســـواء من ذوي السلطة « رجل عظيم » أو من المواطنين العاديين « رجل أو رجلان من غير المعروفين » . وفي آخر بنود المعاهدة توجد أسماء الشهود الآلهة الذين شهدوا على توقيع المعاهدة « .. أما عن هذه الكلمات فإن ألفا من الآلهة الذكـــور والإناث من بلاد خيتا ومعهم ألفا من آلهة مصر الذكور والإناث شاهدون معي على هذه الكلمات [١] ... » . ثم يلي ذلك آلهة أخرى تبدأ بالشمس والصاعقة . ثم تختتم بـ « ... الآلهة والإلهات ، والجبال وأنهار أرض مصر ، والسماء والأرض والبحر الكبير والرياح والسحب ... » [٢] . وقد كان من أثر هذه المعاهدة ، أن توطد السلام بين مصر وخيتا .

وليس من شك في أن مصر قد كسبت من تلك المعاهدة نصراً سياسياً لم تكن تستطيع أن تبلغه عن طريق الحرب . وقد توجت الصلة بين البيتين الحاكمين بزواج رمسيس الثاني من ابنة خاطوسيل ملك خيتا ، بعد وفاة زوجته نفرتاري . وتشير النصوص المصرية إلى عهد الســـلام والرخاء بين خيتا ومصر « . ولهذا أصبح أي رجل أو امرأة يريد السفر في مهمة إلى زاهي ، أن يذهب إلى بلاد خيتا دون أن يخالج قلوبهم خوف وذلك بسبب عظمـــة انتصارات جلالته .. » [٣] .

---

(١) Wilson, J.A , OP. cit., PP. 199-200.

(٢) ———— ., Ibid , P. 201.

(٣) Ch. Kuentz, (in) Amitiés du Service des Antiquités de l'Egypte, XXV, Cairo, 1945, pp. 181 ff.

وقد اهتم رمسيس الثانى بالمنشآت المعمارية ، فأنشأ الكثير من المعابد فى الكرنك وفى الجزء الأمامى من معبد الأقصر والرمسيوم وأبيدوس ومعابد النوبة وخاصـــة معبد أبى سنبل . و قد أقام مدينــــة فى شرق الدلتا أسماها بر - رعمسيس (*) . وبعد حكم دام سبعة وستين عاماً مات رمسيس الثانى ودفن فى قبره بوادى الملوك .

وتنبغى الإشـــارة إلى أن عبادة شخص الملك الحى لم تبـدأ إلا منذ عهد رمسيس الثانى حيث يمثل هذا الملك فى منظرين بالمعبد الكبير بأبى سنبل ، وهو مزود بالقرنين الملتويين المخصصين لكبش أمون للتعبير عن ذاته المؤلهة . ويقرأ فى المنظر الأول بالحجرة « L » وفوق صورة الفرعون المؤله « رع مس سو الإله العظيم[1] » .

مرنبتـاح Mer - ne - ptah (با - إن - رع - مرى - أمون) خلف أباه على العرش وتشير لوحة [2] إسرائيل فى معبد مرنبتاح الجنزى إلى حملتـه إلى آسيـا لإخماد بعض الثورات ، كما تشير تلك اللوحة إلى حملته الليبيـة فى السنة

(*) قد تكون (صان — الحجر) أو ربما بلدة قنتير مركز فاقوس الشرقية .

(١) LD, III, P. 191.

(٢) اللوحة موجودة حاليا بالمتحف المصرى تحت رقم ٣٤٠٢٥ واكتشفها بترى فى حطام معبد مرنبتاح الجنزى فى طيبة ونشرها بترى

Petrie, W.M.F., Six Temples at Thebes, London, 1897, pls. XIII-XIV.

كما نشرها لاكو

Lacau, P., OP. Cit., 1, pp. 52 ff.

وترجمها ارمان

Erman, LAE, pp. 274 – 278.

الخامسة من حكمه ، هاجمت بعض الشعوب الليبية شمال غرب الدلتا ، ويشير نص لوحة إسرائيل إلى أن الملك مرنبتاح كان « ... ثائراً كالأسد على أقربهم ، وجمع رجال بلاطه ، وقال لهم : اسمعوا أمر سيدكم .. هل ستخرب البلاد وتهجر عند غزو كل بلد فى حين أن أقوام الأقواس التسعة ينهبون تخومها ، والثوار يغزونها كل يوم ؟ ... » ودارت المعركة فى بربر[1] وأنزل مرنبتاح بهم هزيمة منكرة وطاردهم حتى ليبيا التى فتحها بدون جهد شاق . وتشير النصوص المصرية إلى هروب ماربای « ... فى جنح الليل وحيداً ، ولم تكن فى رأسه ريشة ، حافى القدمين ... ولم يكن معه ماء من مياه القرب ليحفظ عليه حياته ... »[2] .

كما تشير إحدى القصائد الشعرية إلى ذلك الانتصار وتأكيد سيادة مصر وقوتها .

« ... والأمراء منطرحون على الأرض يصيحون « الرحمة » ،
ولا يرفع واحد رأسه من أهالى الأقواس التسعة ،
الخراب للتحنو ، وبلاد خيتا قد أسكتت ،
ونهبت كنعان[3] وأصابها كل شر ،
وسيقت عسقلان[4] ، وهجم على جزر[5] ،
وجميع الأراضى أصبحت هادئة ،

---

(١) غرب الدلتا قرب مدينة كفر الزيات .

(٢) Wilson, J.A., " Hymn of Victory of Mer - ne Ptah " (The Israel Stela), (in) ANET, PP. 376 – 377.

(٣) جنوب فلسطين .

(٤) شمال فلسطين .

(٥) جنوب فلسطين .

وكل من كان غير مستقر أصبح مرتبطا بملك مصر العليا والسفلى (مرنبتاح) (١)......
وقد دام حكم مرنبتاح إحدى عشر عاما ودفن فى قبره بطيبة .

خلفاء مرنبتاح : مرت البلاد بمرحلة اضطراب وعدم استقرار بسبب التطاحن على العرش بين أفراد الأسرة المالكة وفى الإمكان القول بأنه قد استنفذ اقتصاديات البلاد نتيجة الانهماك فى الحروب من ناحية ، وبسبب التشييدات المعمارية الضخمة والتركة المنحوتة من ناحية أخرى ، والتى انتشرت فى كافة أنحاء البلاد . ولم تكن مرحلة حكم مرنبتاح وحدها هى المسئولة عن ذلك الضياع ، بل يعود ذلك فى الواقع إلى المرحلة التى حكم فيها رمسيس الثانى . وقد زاد على ذلك أن هاجمت مصر شعوب البحر والشعوب الليبية من ناحية الحدود الغربية . وعلى ضوء تلك العوامل مجتمعة أصبحت مصر بعد موت مرنبتاح مهيأة لعدم الاستقرار والنزاع على العرش . وتتضح مظاهر تلك الفوضى فى قصر مدة الملوك الذين خلفوا مرنبتاح واختلاف المؤرخين فى ترتيبها . ويتجه دريوتون وفانديه وماير (٢) إلى القول بأنه بعد وفاة مرنبتاح ، تولى العرش أمون مس سى Amon – Mess–si (ستب - إن - رع) . الذى حكم حوالى عامين . وآثاره شحيحة . فقد عثر له بالقرنة على جزء من منظر يشاهد فيه الإله أمون يقدم رمزا لهذا الفرعون ، وهو موجود حاليا بمتحف ليفربول (٣) . ومن آثاره يوجد نقش على الجدار الأمامى فى مدينة هابو (٤) ، ونقش على المعبد الجنوبى فى

---

(١) Wilson, J.A., Ibid., P. 378. and Erman, LAE, PP. 274 ff. and Breasted, AR, III § 617.

(٢) Meyer, Ed., Geschichte des Altertums, Stuttgart, 1928, P. 585.

(٣) Liverpool Museum Catalogue, P. 52.

(٤) L.D, III, 202 d.

وادى حلفا . أما مقبرة هذا الملك فتوجد فى وادى الملوك . وقد خلفه على العرش سبتاح septah (آخ - إن - رع) ودام حكمه ست سنوات . وأقام معبده الجنزى فى شمال معبد ـ أمنحوتب الثالث[1] . أما مقبرته فتقع على الممر المؤدى إلى مقبرة سيتى الثانى[2] . ومن أهم موظفيه «باى» حامل الخاتم الملكى، و«سيتى» ابن الملك صاحب كوش ، و «حورا» ساقى الملك، ورئيس الرماة «بياى» . وقد خلف سبتاح على العرش سيتى الثانى (أوسر - خبرو - رع User-khepru-Re) الذى تشير النقوش إليه كابن سبتاح الأكبر . فقد عثر على قاعدة تمثال سبتاح فى تل بسطه ومعه ابنه سيتى الثانى والنقش يشير إليه على أنه ولى العهد[3] . وقد اهتم باقامة بعض التشييدات المعمارية ، وأهمها معبد استراحة أمون (٤) الذى يشتمل على محاريب السفن المقدسة للآلهة أمون ، وموت ، وخنسو . كما يوجد بالمتحف البريطانى[5] تمثال لسيتى الثانى وآخر مع زوجته بالمتحف المصرى[6]، وثالث بمتحف تورين[7] . أما متحف الأشموليان فيحتوى على آنية حجرية

---

(١) Petrie, W.M.F., OP. cit., PP. 16 — 17.

(٢) Davis, M., Maspero, Ayrton, Daressy Jones, The Tomb of Siptah, the monkey tomb and the golden tomb, London, 1908.

(٣) Naville, Bubastis. Pl. XXXVIII, P. 45.

(٤) Legrain, G., Karnak, P. 76.

(٥) Arundale and Bonomi, Gallery of Antiquities Selected from the British Museum, London, P. 43.

(٦) Maspero, Guide du Visiteur au Muse du Caire, Cairo, 1915, P. 149.

(٧) Lanzone, Catalogo General dei Musei di Antichita : Regio Museo di Torino, No. 1383.

وجدت فى بلدة غراب(١) . وقد خلفه على العرش رمسيس سى بتاح Ramses -Si-Ptah الذى ولى عرش البلاد بسهولة ، إلا أنه بدأت بعض مظاهر التدهور تشمل البلاد فى عهده ، فبدأ الحكام يستقلون بأقاليمهم .

الأسرة العشرون

من حوالى ١٢٠٠ الى ١٠٩٠ ق. م .

فى الإمكان التعرف على حقيقة مجريات الأمور فى تلك المرحلة من بردية هاريس(٢) التى يصف فيها رمسيس الثالث حالة البلاد السيئة والتى أنقذها منها أبوه ست نخت Seth-Nakht (أو سر - خعو - رع) « ... أتى على مصر حين من الدهر لم يكن فيها سيد ، وإنما كان أمر السلطان فيها مشاعا بين حكام المدائن وأمراء الأقاليم الذين أصبحوا يتنازعون من أجل العرش ، يستوى فى ذلك الكبير منهم ومن كان حقيرا ... » ويستنتج من ذلك النص أن الحكام الذين ارتقوا العرش بعد مرنبتاح قد وصلوا إلى الحكم أثناء هذه النزاعات . ويستمر رمسيس الثالث فى وصفه لحالة البلاد الداخلية فيقول « ... ثم جاء بعد ذلك عصر خلو من السنين ، وظهر بين الناس سورى يقال له « ارسو » واستطاع أن يضع نفسه فى مكان الرئاسة ، وأجبر البلاد كلها على تأدية الخراج إليه ، واستعان بقبيلته على نهب أرزاق الناس . وكان ينظر هو وشيعته إلى الأرباب كما ينظرون

(١) Petrie, F., illahun, kahun and Gurob, London, 1890, Pl. XIX, P. 23.

(٢) Erichsen, W., Papyrus Harris I, Bibliotheca Aegyptiaca, V, 1933, Pl. 75. and Breasted, AR, IV, § 397 ff.

إلى الناس فلم يفكروا فى شىء من خير أو أضحية ، يتقربون بها إلى أرباب الوادى . فلما سكن غضب الأرباب بعد حين ، وضعوا البلاد فى حالتها العادية ، فنصبوا على العرش ولدهم الخارج من أصلابهم ليكون حاكما على جميع البلاد وليكون على عرشهم الكبير (الملك ست نخت) ... لقد أعاد البلاد الثائرة كلها إلى النظام ، وقتل الناقين الذين كانوا فى مصر ، وطهر عرش مصر العظيم (١) ... ورد على المعابد أوقافها ، وأجرى على كهانها أرزاقهم ، وجرت فيها الأضحيات والقرابين يقدمها الكهان فى حينها وموعدها .

وهكذا كان إنقاذ مصر على يد ست نخت ، ولكنه لم يمكث سوى ثلاث سنوات على العرش . وقد خلفه فى الحكم ابنه رمسيس الثالث (مرى — أمون Meri - Amon) الذى تشير بردية هاريس السالفة الذكر إلى تولية العرش « ... وبعد ذلك نصبنى والدى « أمون رع » وسيد الآلهة » و « رع أتوم » و « بتاح » ... على عرش من أنجبنى ، فتسلمت وظيفة والدى ببهجة ، وفرحت البلاد ، وسعدت بنعمة السلام ... فوضعت التاج ذا الريشتين مثل الإله تاتن (Ta-Tjenen) وجلست على عرش حور اختى ولبست رموز الملكية مثل أتوم . (٢) .

وتشير نقوش (٣) معبده الجنزى المعروف بمعبد مدينة هابو (٤) إلى حروبه ضد المهاجرين الذين حاولوا غزو مصر وكانوا من الليبيين وشعوب البحر وهم

---

(١) ———— , Ibid ; §§ 397 ff.

(٢) Erichsen, W , OP. Cit., Pls. 76 - 77. and Breasted, AR, Iv 40 ff.

(٣) Wilson, J.A., « The War Against the Peoples of the Sea », (In) ANET, P. 262.

(٤) على الضفة الغربية من طيبة .

ينتمون إلى الجنس المندو أوروبى(١) . فى العام الخامس من حكم رمسيس الثالث ، هاجم الليبيون مع حلفائهم عن السبد والماشواش Meshwesh حدود مصر الغربية . ولكن رمسيس الثالث انتصر عليهم على مقربة من مدينة (كوم أبو بللو) بغرب الدلتا . وتبدو صورة حربه الأولى ضد الليبيين على الجدارين الغربى والشمالى الخارجيين لمعبد مدينة هابو . فى المنظر الأول ، يشاهد رمسيس الثالث يتسلم سيفه من الإله أمون فى حضرة الإلهين «أمون» و «خنسو» . ويستدل من هذا المنظر ، على سماح الآلهة بنشوب الحرب ومنح الفرعون النصر كما يشاهد رمسيس وهو خارج من المعبد يتبعه إله الحرب «منتو» وتسبقه رموز الآلهة «أوبوات» و «خنسو» و «موت» و «أمون» . ويقـــرأ فى النقش أمام الملك « ... لقد سار جلالته وقلبه قوى فى شجاعه وبطولة إلى بلاد تمحو ... التى تحت سلطانه(٢) .. » وفى العام الثامن من حكمه ، دار أول صدام بين مصر وشعوب البحر عندما نزلت من الشمال موجة كبيرة من شعوب البحر مؤلفة من جيش بحرى وآخر برى وكانوا « ... يتكونون من الفلسطينيين Philistines والشكر Tjeker وشكلش Shekelesh والدنيون Denyen والوشاش Weshesh ... » وكانت تلك الجماعات قد غزت بلاد الأناضول وشمال سوريا ، وقضت على خيتا واستولت على قبرص وقرقش على الفرات . ثم اتجهوا بعد ذلك لغزو مصر « .. استولوا على الممالك فى جميع أنحاء الأرض وكانت قلوبهم مطمئنة

---

(١) كان هذا الجنس يعيش حول بحر قزوين ثم هاجر الى الغرب وحل فى منطقة مقدونيا .

(٢) Edgerton, W.F., and Wilson, J.A., « Historical Records of Ramses III », (in) SAOC, 12, Chicago, 1936 and by Breasted, AR, IV, § § 59 - 82.

ويقولون فى لغة إن خططنا ستنجح ... » (١) وقد صد رمسيس الثالث هجومهم البحرى عند زاهى ، كما صد هجومهم البحرى فى الدلتا عند « مداخل الأنهار » . وبذلك أنقذ رمسيس الثالث مصر من خطر داهم لا يقل فى خطورته عن غزو الهكسوس واستمرت مصر بعد ذلك تحكم فلسطين بعد أن استولت على الآلاف من الأسرى من تلك الشعوب « ... أسكنتهم فى حصون ، ودفعتهم باسمى ، وكانت صفوفهم العسكرية تقدر بمئات الآلاف ، وخصصت تموينات لهم جميعاً ، من ملابس ومأكولات من الخزانة ومن شون الغلال ، تصرف لهم كل عام (٢) ... » ولكن تلك الشعوب لم تهدأ فعادت تنظم صفوفها ، وخاصة شعب المشواش وحاولت مهاجمة مصر من ناحية ليبيا ، وكانوا بقيادة مششر Meshesher ابن زعيم ليبيا كبر Kaper ، فتصدى لهم رمسيس الثالث وهزمهم هزيمة منكرة ، وأسر منهم كثيرين ، كان من بينهم مششر ولما جاء كبر يرجو العفو من الفرعون عن ابنه ، قبض عليه وقتل بسيف الفرعون ، وأسر جيشه . ومن المصادر الأثرية التى تشير إلى تلك الحرب التى تؤرخ بالعام الحادى عشر من حكم رمسيس الثالث ، تجدر الإشارة إلى النص المنقوش على الجدار الشرقى داخل الردهة الثانية لمعبد مدينة هابو (٣) ، والمنظر الموجود على الجدار الشرقى جنوبى البوابة الكبيرة من الردهة الأولى ، بالإضافة إلى ما جاء فى بردية هاريس .

وهكذا اطمأن رمسيس الثالث على حدود مصر الغربية بعد أن تخلص من أعدائه فى الشرق ، حينما طهر سوريا وفلسطين من بقايا شعوب البحر التى تفرقت فيما بعد ، واستقر بعضها فى بعض بلاد البحر الأبيض مثل البلست فى فلسطين ،

---

(١) Wilson, J.A., OP. Cit., P. 262.

(٢) Breasted, AR, IV, § 403.

(٣) Edgerton, W.F. and Wilson, J.A., OP. Cit., Pls. 80 - 83.

والشردان فى سردينيا ، والمكر فى جزيرة صقلية.

وكان من نتيجة تلك الحروب المتتالية أن تأثرت الحالة الاقتصادية فى البلاد، فأخذت تتدهور فى النصف الثانى من حكمه مما أدى إلى سوء الحالة الداخلية . ولقد ساعد على ذلك زيادة نفوذ كهنة الإله آمون رع ، وتعيين بعض الأجانب فى البلاط الملكى . وتشير بردية تورين (١) القضائية The Judicial Papyrus of Turin إلى مؤامرة دبرتها إحدى زوجات الملك وتسمى « تى » للاستيلاء على العرش لصالح ابنها بنتاور ، واشترك معها بعض كبار البلاط . وبعد قتل الملك ، قبض على المتآمرين وقدموا للمحاكمة . وكانت تهمتهم الرئيسية هى تدبير الثورة ضد الملك . وقد اتهم فى نفس القضية بعض السحرة لأنهم أخفوا أسماء المتآمرين وأعطوهم صفات مثل « الشيطان » و « الشرير الذى فى طيبة » .

وتشير بردية تورين القضائية إلى أن رمسيس الثالث هو الذى ألف محكمة التحقيق بعد موته لأنه كان يقول أنه فى حضرة أوزير . ويعدد النص قائمة المتهمين الأولى « ... الأشخاص الذين أحضروا هذا بسبب الجرائم الكبرى التى ارتكبوها ووضعوا فى ساحة المحاكمة فى حضور كبار المسئولين الخاصين بساحة المحاكمة ليحاكموا أمام المشرف على الخزانة منتو ـ إم ـ تاوى Montu - em - tawi ، والمشرف على الخزانة « بفروى Paif - ru » ... والمجرم الأول هو

---

(١) قام برستد بترجمة هذه البردية

Breasted, AR, IV §§ 416 – 453.

وقام بك بدراسة حديثة لها

Buck, A., « The Judical Papyrus of Turin », (in) JEA, Vol. XXIII, 1937, PP. 152 – 164.

باى .. باك .. كامن Pai - bak - kamen الذى كان وقتئذ رئيس الحجرة .
وقد أحضر لأنه كان متآمرا مع « تى » ونساء الحرم وقد تحالف معهن ...
والمذنب الكبير مسد سو رع Mesed - su - Re ... والمجرم الكبير
با .. تو .. إمدى .. أمون Pa - tjau - emdi Amon [1] ... أما فيما يختص بما
فعلوا ، فإنهم هم الذين فعلوا فلينزل ما فعلوه على رؤوسهم فى الوقت الذى أتمتع
فيه بالحصانة والخلود الأبدى ، لأنى من بين الملوك الصالحين الذين يصاحبون
الإله أمون رع ملك الآلهة ويصاحبون أوزير حاكم الأبدية ... » وانتهت تلك
المحاكمة بتوقيع عقوبة الخيانة على بعض المتآمرين « .. لقد فحصوا أمرهم ووجدوهم
مذنبين ، لقد تسببوا فى جعل الأحكام توقع عليهم وقبضت عليهم جرائمهم ... »
أما باقى المتهمين فقد « ... وجدوهم مذنبين وتركوهم لأنفسهم فى ساحة
المحاكمة فانتحروا ولم توقع ضدهم عقوبة ... » كما حكم على قاضيين من هيئة
المحكمة « وتوقعت عليهما عقوبة بجدع أنفيهما وصلم أذنيهما لأنهما أهملا
التعليمات الصحيحة التى تلقياها ... » لاتهامهما بتصرفات تخالف أصول المهن
القضائية .

وتنبغى الإشارة إلى الآثار التى خلفها رمسيس الثالث . ففى مجال العمارة ،
أقام فى الكرنك معبدا لأمون ، وآخر لبعض الآلهة ، مثل خنسو ومونت .
كما أصلح فى معابد بتاح وآتوم ، وأغدق الهبات على جميع المعابد .

---

(1) Wilson, J.A., « Results of a Trial For Conspiracy », (in) ANET, PP. 214 – 215.

وتشير بردية هاريس الأولى[1] إلى تفاصيل تلك الهبات التي حصل عليها الكهنة، فعندما هزم رمسيس الثالث قبائل الماشواش ، استولى على أكثر من أربعين ألفا من رؤوس الماشية ، ومنح أمون ٢٨٣٣٧ حيوانا من بين التي استولى عليهم سيف جلالته القوى من الماشواش المهزومين ، وجعل منها قطعانا قدمها مرة أخرى إلى أبيه أمون رع ملك الآلهة ... » [2] وتشير نفس البردية إلى أن الإله أمون كان يملك أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ من الماشية الصغيرة والكبيرة ، وأن ٩٧١ من الماشواش كانوا يسهرون على العناية بقطيع واحد من شرق الدلتا . [3] وأن أكثر الآلهة الذين اختصوا بتلك المنح هم « أمون » إله طيبة ، و « رع » إله هليوبوليس و « بتاح » إله منف . أما باقي الآلهة فكانوا أقل نصيبا .

وتشير نصوص بردية أورين[4] إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها البلاد في

---

(١) Wilson, J.A., « From the Lists of Ramses III », (in) ANET, P. 262.

بردية هاريس موجودة حاليا بالمتحف البريطاني تحت رقم ١٠٠٥٣ ونشرها بيرش

Birch (in) Facsimile of an Egyptian Hieratic Papyrus of the Reign of Ramses III, London, 1879.

وترجمها الى الهيروغليفية اريكسن وبرستد

Erichson, w., OP. Cit., and Breasted, AR. IV, §§ 151, 412.

(٢) Edgerton, W.F., and Wilson, OP. Cit , P. 67.

(٣) Breasted, AR, IV §§ 224, 226.

(٤) نشر نصوص البردية جاردنر

Gardiner, A.H., Ramesside Administrative Documents, London, 1948, PP. XIV ff., 45 ff.

وأحدث تحليل تفصيلي لها نشره اسبيجلبرج

Spieglberg, W., Arbeiter und Arbeiterbewegung .... unter dem Ramessiden, Strassburg, 1895.

نهاية حكم رمسيس الثالث . فقد دفع الجوع بعض عمال الجبانة إلى القيام بأول إضراب فى التاريخ « ... العام ٢٩ ، الشهر الثانى ، من الفصل الثـــانى ، اليوم العاشر : فى هذا اليوم اخترق فريق العمال فى الجبانة الأسوار الخمسة صائحين « نحن جياع » ... وجلسوا خلف المعبد ... » (معبد تحوتمس) وبعد يومين هجموا على معبد رمسيس الثانى وحاول بعض الموظفين أن يستمعوا إلى شكواهم ولكن المضربين صاحوا « ... لقد جئنا إلى هذا المكان بسبب الجوع وبسبب العطش ، فنحن بدون ثياب وبدون زيت وبدون سمك وبدون خضروات. اكتب إلى فرعون، سيدنا الطيب واخبره بذلك ، اكتب إلى الوزير الذى يشرف علينا ، افعل ذلك لكى نعيش ... » ثم عاود العمال مرة أخرى عندما لم تصرف لهم رواتبهم . ويستدل من النصوص الواردة فى تلك البردية على عدم استقرار الأمور فى تلك المرحلة .

والواقع أن تلك المرحلة كانت من أشد الأيام فى تاريخ مصر إلى الدرجة التى يمكن أن نطلق عليها ما ذكره المصريون أنفسهم (عام الضياع عندما مات الناس جوعا) . وتشير بعض النصوص إلى أن رمسيس الثالث كان قد أوصى قبل مقتله بالعرش لابنه رمسيس الرابع ووجه وصيته إلى حكام الاقاليم وقادة الجيش . وتشير بردية هاريس إلى ختام وصية رمسيس الثالث « ... كتب عليه أن يغيب فى الأفق كما تغيب الشمس ، وأصبح مقامه بين آلهة السماء والأرض، وأن « أمون رع » قد قضى بأن يجلس ولده على « عرش حور » وجعله سيد القطرين وأعطاه تاج « أوزير » لأن « أمون » منحه سلطان الأرض ، وجعل عمره أطول أعمار الفراعنة ... » .

خلفاء رمسيس الثالث : بعد وفاة رمسيس الثالث ، سارت الأمور إلى حافة

الانهيار حيث تضاءل نفوذ الملوك بينما ازداد نفوذ الكهنة . وفى الإمكان الاشارة إلى مدى تحكم هؤلاء الكهنة فى عهد رمسيس الرابع . فقد كان رمسيس نخت الكاهن الأكبر لآمون ، بينما كان أبوه مرى — بارسمت كبير مأمورى الضرائب كما كان اثنان من أبناء رمسيس نخت فى وظائف هامة فى الدولة . فتولى ابنه نس — أمون منصب كبير كهنة أمون وابنه وسر ماعت رع — نخت مشرفا على الأوقاف الملكية . وبتلك الطريقة ، أصبحت السلطة الحقيقية فى البلاد فى الواقع فى أيدى كهنة أمون وأصبحت سلطة الملك محدودة ، وأخذ الفساد يظهر بوضوح فى الدوائر الحكومية ، كما أخذت أقسام الحكومة المختلفة تتنازع فيما بينها . وقد تتابع الملوك بعد رمسيس الرابع حتّى رمسيس الحادى عشر .

ويتضح لنا من دراسة تاريخ ملوك الأسرة العشرين ، تشابههم فى أمرين : الاول ، خضوعهم للكهنة . والثانى ، عجزهم عن إيقاف الانهيار الاقتصادى فى البلاد . والواقع أن السلطة الحقيقية فى البلاد كانت لكهنة أمون .

أما عن سلطة مصر فى الخارج ، فقد بدأ نفوذها يضعف فى آسيا . أما فى النوبة ، فقد بقى نفوذ مصر كما هو لأن مناجم الذهب الموجودة فى النوبة كانت ملكا لآمون . لذلك كان حكام بلاد النوبة يختارون بواسطة كهنة أمون وكانت قبضتهم على إقليم النوبة قوية .

اعمال الملوك الرعامسة تشير بردية هاريس وبردية مالت إلى الإصلاحات والتشييدات المعمارية التى قام بها رمسيس الرابع (حق — معات رع ، ستب — إن — أمون (Heqa -maat - Re , Sotep -en- Amon) ، كما تشير إحدى برديات متحف تورين إلى تصميم مقبرته وإلى العمل فى المحاجر فى عهده كما تشير غيرها من البرديات إلى أخبار الانحلال والرشاوى والسرقات التى حدثت فى عهده .

وفى الاستطاعة الإشارة إلى ما جاء فى بعض النصوص (١) المصرية القديمة عن التزوير والتلاعب وعمليات الاختلاس « ولكن فى العام الأول من حكم الملك (رمسيس الرابع) الإله العظيم ، حدث تزوير فى « الغلال » وها هو بيان بالتلاعب الذى قام به ربان السفينة « خنوم نخت » خـــلال تسع سنوات » . ويستدل من ذلك على الحالة السيئة التى وصل إليها نظام الحكم فى تلك المرحلة . هذا ولم يستغرق حكم رمسيس الرابع أكثر من ست سنوات . وقد عثر له على لوحتين كبيرتين فى أبيدوس تشيران إلى تقربه للآلهة .

أما رمسيس الخامس (سخبر - إن رع Sekheper - en - Re) فتشير بردية ولبور (٢) التى عثر عليها فى الأقصر عام ١٩٢٩ فى جهة الخوخـــة وموجودة بمتحف بروكلن إلى نظام جبـــاية الضرائب وتقسيم الأراضى . وقد عثر على مومياءه فى مقبرة أمنحوتب الثالث . وربما كان سبب وفاته هو إصابته بمرض الجدرى . وقد دام حكمه حوالى أربع سنوات .

وبالنسبة لرمسيس السادس ، (نب ماعت - رع Neb - Maat - Re) فقد بنى مقبرته فى أبواب الملوك ومقبرة فى عنيبة ببلاد النوبة . وله آثار متفرقة فى كثير من بلاد مصر وشمال السودان . ولم يحكم سوى سبع سنوات .

وفيما يختص بمن خلفه من ملوك الرعامسة ، من رمسيس السابع إلى رمسيس العاشر ، فقد اضطربت الأمور فى عهودهم ، وساءت حالة البلاد الاقتصادية ،

---

(١) Gardiner, A.H., OP. cit., PP. XIV, 45 ff.

(٢) Gardiner, A.H., « The Wilbour Papyrus (3 Vols.) Oxford, 1948.

وكثرت السرقات من المقابر(١) سواء مقابر الأفراد أو الملوك ولاسيما فى عهد رمسيس التاسع (ستب - إن - رع Sotep - en - Re) . وتشير بردية أبوت(٢) عن سرقات مقابر الملوك فى عهده إلى أن بسر حاكم شرق طيبة ، تقدم بتقرير للوزير عن حالة الجبانة التى يشرف عليها باورعة وهو حاكم غربى طيبة المسئول عن الأمن وصيانة المقابر . وعند التحقيق فى الأمر ، أفادت لجنة التحقيق بأن ما قاله بسر غير حقيقى مما عزز مركز باورعة

ويستدل من نصوص تلك البردية ، على تدهور الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد . وفى الاستطاعة الإشارة إلى أقوال الشهود فى قضية سرقات المقابر وما تضمنته من تأريخ لبعض الحوادث فى سنة « حرب أمنحوتب كبير الكهنة » مما يدل على نفوذ أمنحوتب كبير كهنة أمون حتى وصل مركزه إلى الدرجة التى سمحت بإبراز شخصيته على قدم المساواة مع الملك .

وفى عهد رمسيس العاشر« (خبر ماعت - رع Kheper - Maat - Re) وفى السنة السادسة من حكمه ، عاود العمال الإضراب حينما رفض كبير كهنة أمون أن يصرف لهم مخصصاتهم مما اضطر العمال إلى تقديم الرشاوى إلى كبار الموظفين حتى يستطيعوا أن يفوزوا بحقهم .

---

(١) Peet, T.E., The Great Tomb – robberies of the twentieth Egyptian Dynasty, 2 vols., Oxford, 1930.

والكتاب يحوى بردية امهرست التى أصبحت تعرف باسم بردية ليوبولد الثانى بعد استكمالها .

(٢) Breasted, AR, IV, § 509 ff.

أما فى عهد رمسيس الحادى عشر (ستب - إن - بتاح) Sotep - en - ptah، فقد بدأ اتجاه جديد أساسه محاولة النهضة بالبلاد ، وتطهير كافة مرافقها من الحالة التى وصلت إليها . ويشير نص إلى محاولة استكمال كمية الغلال الناقصة وتوصيلها إلى طيبة . وهذا النص موجود فى أحد خطابات شخص يدعى تحوتمس ، وكانت وظيفته كاتب الجبانة الفخمة العظيمة « ... ابعث كاتبك وكاتب الجبانة ... وحارس الباب ... واجعلهم يسرعون لإحضار الغلال حتى لا يجوع الرجال .. ويلومونك ... » وقد أشار شرنى[1] إلى ما حدث ذلك فى العام التاسع عشر من حكم هذا الملك ، وأرجع إلى كهنة أمون محاولة ما أسماه حرفيا بتجـــديد الولادة فنرى العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى يوافق العام الأول من عصر النهضة . ولكن هذا العصر نراه ينتهى باستيـــلاء الكهنة على العرش وتأسيسهم للأسرة الحادية والعشرين عندما اغتصب حريحور كبير كهنة أمون العرش .

وبهذا تكون الدولة الحديثة قد انتهت بانتهاء الأسرة العشرين ، ودخلت مصر فى العصر المتأخر .

---

(١) Cerny, J., " A Note on Repeating of Births ", (in) JEA, Vol. XV, London, 1929, PP. 194 ff. and (in) JNES, Vol. VII, July, 1948, PP. 157 ff.

مظاهر الحضارة فى الدولة الحديثة

اولا : نظام الحكم

اتجه المصريون منذ أوائل عصر الدولة الحديثة اتجاها عسكريا مما كان له أكبر الأثر فى تشكيل الحكومة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة بالشكل العسكرى . ونتيجة لتلك الظروف تغيرت نظم الدولة الداخلية لمواجهة التبعات التى ترتبت على الفتوحات واتساع الامبراطورية المصرية . وفى الاستطاعة إلقاء بعض الضوء التاريخى على عناصر الادارة الرئيسية فى عصر الدولة الحديثة .

سلطة الفرعون : استردت الملكية سلطتها المركزية الواسعة وتم القضاء على سلطة حكام الأقاليم وتعتبر الطريقة التى قام بها أحمس الأول فى وضع أساس الامبراطورية المصرية ذات أهميـــة كبرى فى التكوين السياسى فى الأسرة الثامنة عشرة . فقد أيده بعض حكام الاقاليم أثناء حروبه مع الهكسوس بينما لم يتعاون البعض الآخر معه مما اضطره إلى القضاء على نظام الاقطاع . وبذلك انهارت اللامركزية التى كانت سائدة فى أواخر عصر الدولة القـــديمة ، وعصر الانتقال الأول ، وعصر الدولة الوسطى ، وعصر الانتقال الثانى وسيطرت على البلاد حكومة مركزية قوية وأصبح الملك هو الرئيس الفعلى للدولة . ولما كان للعسكرية المركز الأول فى البلاد ، كان لزاما على الملك أن يتولى منصب القائد الأعلى للجيش وأن يرأس المجالس الحربية .

الوظائف الرئيسية فى الدولة : كان أكبر مركز فى الدولة بعد الملك الوظائف الأربعة الرئيسية التالية : كبير كهنة أمون ، ووزير الوجه القبلى ، ووزير الوجه البحرى ، ثم حاكم بلاد النوبة ، الذى اتخذ لقب « الإبن الملكى لكوش » . ولقد تطلب النظام الإدارى فى عصر الدولة الحديثة وجود جهاز حكومى كبير يستطيع

أن يباشر سلطاته الإدارية ليس في مصر فحسب ، بل وفي كافة أنحاء الامبراطورية الواسعة وكان على رأس هذا الجهاز الحكومي :

الوزير : كان على الملك مع كثرة الأعباء أن يستعين بوزيرين وليس بوزير واحد ، كما كان الحال في عصر الدولتين القديمة والوسطى . وكان أحد هؤلاء الوزيرين يشرف على الوجه البحرى وجزء من الصعيد حتى أسيوط جنوباً ، وكان يتخذ مقره في هليوبوليس ، بينما كان الوزير الآخر يشرف على الوجه القبلى حتى أسيوط شمالا ، ومقره في طيبة . وتسجل نقوش مقبرة « رخمى رع » Rekh - mi - Re [1] وزير تحوتمس الثالث إلى أن ظروف الإدارة والحكم قد اقتضت تقسيم هذا الإقليم الجنوبى إلى قسمين : أحدهما يمتد من أسوان إلى قفط ، والثانى ما بين قفط وأسيوط . كما انقسم كل من هذين القسمين إلى أربعين مركزاً على رأس كل منها حاكم مسئول عن جباية ضرائب المركز وتوصيلها للقصر الملكى في موسم الحصاد . ونظراً لخطورة منصب الوزير ، كانت التقاليد تقضى بإجراء الاحتفالات عند تنصيبه .

وتشير نقوش رخمى رع [2] إلى نصائح الفرعون له عند توليه الوزارة

---

(١) وهى المقبرة رقم ١٠٠ فى طيبة وقد نشر نقوشها ديفيز

Davies, N. de G., The Tomb of Rekh — mi — Re at Thebes, Publications of the Metropolitan Museum of Art, XI, New York, 1943.

كما ظهرت تلك النصوص فى كتاب زيته

Sethe, Urk., IV, 1071 – 1117.

وترجمها برستد

Breasted, AR, II, § § 663–7:1.

Wilson, J A., " The Vizier of Egypt", (In) ANET, (٢) pp. 212– 213.

« .. تطلع إلى منصب الوزارة ... وكن يقظاً .. فالوزارة عماد الأرض كلها ، ولاحظ أنه ليس بالمنصب الهين ولكنه مر المذاق ... إمنح كل ذى حق حقه ... تصرف بالعدل ... عامل من تعرفه كما تعامل من لا تعرفه ، وانظر إلى المقرب إليك نظرك إلى البعيد عنك ... كن مهيباً يهابك الناس ... كن عنيفاً مع المتكبر، فالفرعون يفضل من يستحى على من يتكبر ... » . وقد ازدادت سلطة الوزير الأعلى فى طيبة على أساس كونه الشخص التالى للملك فى الإشراف على النشاط الحكومى فقد كان من سلطاته الإشراف على حكام الأقاليم ، كما كان يبلغ عن ارتفاع منسوب النيل حتى يمكنه توزيع الأراضى وتحديد الضرائب عليها وموعد تسديدها ، كما كان يقابل المشرف على بيت المال كل يوم حتى يمكن توزيع الدخل على أبواب الصرف المطلوبة من الحكومة . وكان يتلقى تقارير كل أربعة شهور من الموظفين المحليين عن سير الأعمال حتى يمكنه أن يطلع الملك عليها أولا بأول .

ومن ناحية القضاء ، كان الوزير يحتل مكانة كبير قضاة الدولة والمشرف على المجالس القضائية مثل البيوت الستة الكبرى . ويصف رخمى رع فى نقوشه كيفية تسييره لشئون البلاد « ... كنت ربانا لا أغفل ليلا أو نهاراً ، وسواء وقفت أم جلست وجهت بصيرتى إلى مقدمة سفينتى ومؤخرتها ، ولم تتراخ يدى عن العصا التى أسير بها أعماق الماء ، وظللت يقظا حتى لا تجنح (السفينة) منى فى فرصة ما ... » . وبالرغم من سلطات الوزير الواسعة ، فلم يكن له الحق فى أن يصدر الأحكام وفق هواه ، بل كان هناك القانون المعتاد الذى يتفق مع ما يصدره الفرعون من أوامر تستند إلى صفاته الإلهية (*) وهى الحو والسيا والماعت .

(*) هذه الصفات الإلهية كانت تسمى أيضا السبع حتحورات على أساس أن الإله هو الذي يمنحها الملك عند ولادته . ومن هذه الصفات « حو » أي اللفظ ذو السلطة أو الأمر

ولهذا السبب كان يقع على الوزير مسئولية خاصة فى ناحية من أهم نواحى الحكم وهى القضاء « ... إن الذى يمقته الله هو إظهار المحاباة وتلك هى التعليمات التى يجب أن تتبعها ... »[١] « ... فالموظف الذى يشغل وظيفة عامة يتناقل الماء والريح كل ما يفعله ولا يمكن أن تبقى أعماله خافية ... »[٢] .

وعلى ذلك فقد كان الوزير يمثل السلطة العليا لكل شىء حتى المعابد ، وكان يتقدم كبار الكهنة . وفى عصر الدولة الحديثـــة اختار الملوك لمنصب الوزير شخصيات دينية مثل كبير كهنة أمون ، أو كبير كهنة بتـــاح . ومعنى ذلك أن الوزير جمع فى شخصه بين أعلى منصبين دنيوى ودينى .

حكام الاقاليم : لاحظنا فيما سبق اختفاء نظام الإقطاع القديم ، ولو أن بعض حكام المدن استمروا يحملون اللقب القديم لأمراء الأقاليم ، ولكنهم فقدوا النفوذ وأصبحوا مجرد موظفين حكوميين ليست لهم أية قيمة سياسية . وربما وصل عدد هؤلاء الأمراء فى عصر سيتى الاول إلى تسعة عشر أميراً على الوجهين البحرى والقبلى . ولقد تطلب اتساع رقعة الامبراطورية المصرية فى آسيا والنوبة اتخاذ عواصم إدارية لسهولة التحكم فى إدارة تلك الأقاليم . فكانت « سميرية » فى مدن الساحل الفينيقى عاصمة إدارية وعسكرية للأقاليم الآسيوية ، بينما

= الخالق و « سيا » ومعناها الإدراك أو الفهم .

Frankfort, H., OP. Cit., P. 61.

(١) Davies, N. de G., OP. Cit , P. 87 and Breasted, AR, II, § 668.

(٢) Davies, N. de G., OP. Cit., P. 68 and Breasted, AR, II, § 766.

كانت عنيبة عاصمة لأقاليم الجنوب يقيم فيها نائب الملك . وكثيراً ما كانت وظيفة نائب الملك يتولاها ولى العهد بغرض تدريبه على نظم الإدارة والحكم . وكان هناك أيضاً مبعوثو الملك إلى البلاد الأجنبية كما كان لقواد الجيش البرية والبحرية مكانة ممتازة ، فكانت الدولة تستعين بهم فى أوقات السلم فى الأعمال المدنية والإدارية فى الجهاز الحكومى لما يحتاجه الجيش من أعمال . ومن هؤلاء القادة العسكريين المشهود لهم بالكفاءة ، نشير إلى أحمس بن إبانا وأحمس الكابى وسنموت . ومن جهة أخرى ، فانه يلاحظ وجود بعض مظاهر التأثير الأجنبى فى الجهاز الحكومى للدولة نتيجة لاستقدام أبناء الأمراء الأسيويين ، لتربيتهم فى مصر ، ونتيجة كذلك للمصاهرات مع الشعوب الأسيوية ، إذ أخذ بعض الملوك يتزوجون من أميرات سوريات أو ميتانيات . وزيادة على ذلك ، فإن هذا التأثير الأجنبى ظهر بوضوح عند الاستعانة بالرقيق الأجانب الذين استطاعوا الاستئثار بالسلطة مع مضى الوقت والوصول إلى المناصب الرئيسية فى الدولة . ومن أمثلة هؤلاء « ينخامو » Jauchamu الذى كان مندوباً سامياً على الإقليم السورى (١) ، وآخر يدعى « دودو » (٢) كانت له مكانة مرموقة فى البلاط . ونشير نقوش مقبرة دودو فى تل العمارنة إلى نفوذه الواسع « ... كنت الفم الأعلى للبلاد جميعها ... وكنت أنقل كلام جميع سفراء البلاد الأجنبية إلى القصر حيث كنت أقيم يومياً ، وكنت أخرج كسفير للملك يحمل جميع أوامر جلالته ... » .

---

(١) Knudtzon, J.A., Die El Amarna Tafeln, Leipzig, 1915, § 1169 ff.

(٢) Ranke, (in) ZAS, 56, 69 ff.

وتشير النقوش الموجودة على جدران مقبرته إلى حفل تعيينه « خادما أول للملك فى
أخت أتون (١) .

على أن هناك عنصرا آخر كان له أثره فى الجهاز الحكومى وهم الجنود المرتزقة مثل شعوب البحر من الشردان وبقية الأجناس . ولقد أصبح هؤلاء الجند المرتزقة قوة خطيرة تسيطر على بعض النواحى فى البلاد . وعلى ذلك فإن زعماء الجند المرتزقة من جانب والكهنة الأقوياء من جانب آخر ، تمكنوا تدريجيا من الاحتفاظ بالسلطة فى عصر الدولة الحديثة إلى جانب طبقة الرقيق الخاصة بالحاكم التى ازداد نفوذها شيئا فشيئا . وتمكن بعضهم من تولى المناصب الهامة فى الجهاز الحكومى ، حتى استطاعوا فى نهاية الأمر من الاستيلاء على العرش فى عصر الأسرة الثانية والعشرين .

ثانيا — الفن :

العمارة الدينية : اتجه ملوك الدولة الحديثة إلى فصل مقابرهم عن معابدهم الجنزية . ولقد دفعهم إلى هذا خوفهم من سرقة مقابرهم . فبالنسبة لقبر أحمس الاول، يحتمل أن يكون قد حفر مقبرة صخرية ، كما ترك مقبرة رمزية فى أبيدوس (٢) أما أمنحوتب الاول ، فقد دفن فى دراع أبو النجا (٣) ، ويعتبر أول من فصل معبده الجنزى عن مقبرته ، حيث جرت التقاليد مع من سبقه من الملوك على أن

---

(١) Davies, N. de G., The Rock Tombs of El Amarna, London, 1908, Taf. 20.

(٢) Vandier, J , Manuel d'Archéologie Egyptienne, T. II, p. 218.

(٣) Carter, H., OP. Cit., P. 147,

يدفنوا إما داخل أهرامهم أو فى مقابر تحت أهرامهم أما تحوتمس الأول فقد اختار مقبرته فى مكان يقع خلف الجبل فى غربى طيبة فى علوة الشيخ عبد القرنة وقام على بنائها المهندس إنينى الذى سجل قوله « أشرفت على حفر القبر المنعزل لجلالة الملك دون أن يسمع أو يرى أحد » . وربما كان ذلك بغرض تضليل اللصوص . ومنذ عهد تحوتمس الأول ، أخذت المقابر الملكية تتسع وتمتد فى باطن الأرض وتزداد روعة وفخامة .

وبالنسبة لتصميم القبر الملكى ، تنبغى الإشارة إلى أنه كان فى أول الأمر بسيطا يشبه إلى حد كبير مقابر الأفراد ثم تطور إلى استطالة الجزء الأمامى من المقبرة الذى أصبح يتألف من درج ودهليز ثم درج ودهليز آخرين يؤديان إلى بئر . ومن النماذج الدالة على هذا التصميم مقبرة تحوتمس الثالث فى وادى الملوك . وقد تغير شكل المقبرة إمعانا فى تضليل اللصوص فاصبحت جميع الغرف بها مستطيلة كما هو الحال فى عهد أمنحوتب الثانى الذى يعتبر قبره أول قبر ملكى فخم فى وادى الملوك . أما مقبرة تحوتمس الرابع وأمنحوتب الثالث ، فأصبح محور المقبرة فيها ينحرف مرتين . وتنبغى الإشارة إلى أن جثة تحوتمس الرابع قد نقلت إلى قبر أبيه أمنحوتب الثانى ، إلى أن كشف عنها لوريه Loret فى عام ١٨٩٨ وقد وجد قبره فى وادى الملوك منهوبا ، ولو أنه عثر على عجلة حربية تصور نقوشها بعض مناظر الحرب (١) . وبالنسبة لمقبرة أخناتون فى تل العمارنة ، فإنه يلاحظ أن تصميمها تم على محور واحد حتى تواجه جميع أجزائها الشمس عند شروقها بما يتفق وعقيدته الدينية . وقد استمر هذا الاتجاه فى مقابر آى

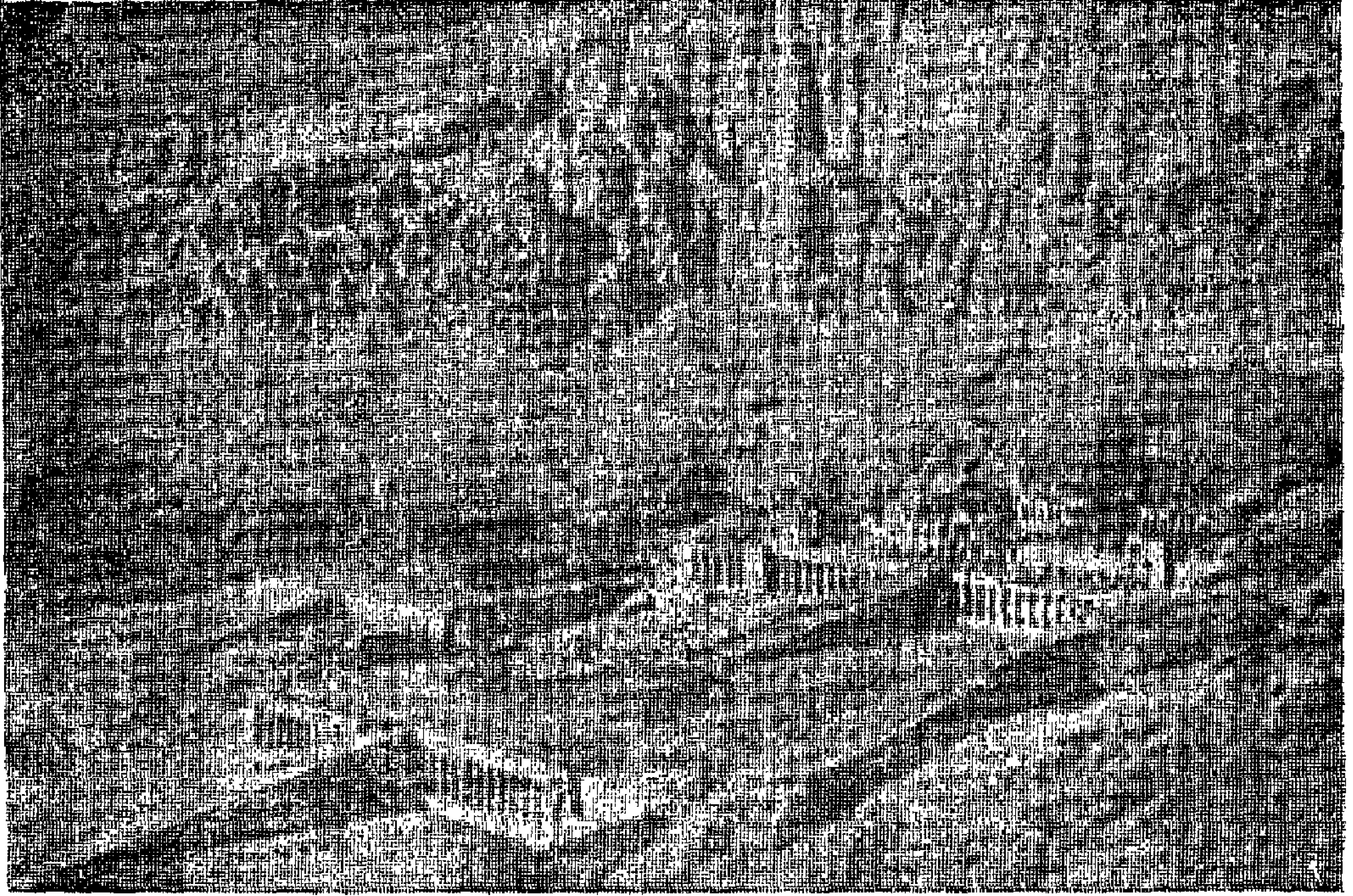
(١) Carter and Newberry, The Tomb of Thutmôsis IV, (Band 15 des Catalogue général) Westminister, 1904, P. 24, pls. IX ff.

ومعظم مقابر الرعامسة . أما مقبرة سيتي الأول ، فتعتبر أفخم المقابر الملكية في الدولة الحديثة من حيث طرازها ونقوشها . فقد أقام هذا الملك لنفسه قبرا رمزيا في أبيدوس يعتبر فريدا في نوعية العمارة المصرية ، إذ اتخذ هيئة قبر أوزير . ويتميز بفخامة أحجاره وأعمدته الجرانيتية واستقامة خطوطه . ويقع هذا القبر خلف معبد سيتي الأول في أبيدوس ، ويحيط بهما سور مشترك .

وبالنسبة للمعابد الجنزية لملوك الدولة الحديثة ، فتقع في غربي طيبة ، ويفصلها من المقابر الملكية الجبل المطل على الوادي . ويعتبر معبد أمنحوتب الأول أقدم تلك المعابد . ويلاحظ على معابد ملوك الأسرة الثامنة عشرة أنها بنيت كل منها بجانب الآخر . أما ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، فقد امتدت من الشمال إلى الجنوب بين المعابد القديمة . وتنبغي الإشارة إلى أن المعابد الجنزية كانت تشبه إلى حد كبير معابد الآلهة نظرا لأن الملوك كانوا يؤلهون بعد مماتهم وبعضهم أله في حياته . ويلاحظ أن المعابد الجنزية لم تخصص لعبادة الملوك فحسب ، بل تعدتها إلى عبادة الإله الرسمي للدولة ، بالإضافة إلى بعض الآلهة الرئيسية مثل رع حور اختي وأوزير . وأهم تلك المعابد هو معبد (١) حاتشبسوت في الدير البحري شكل ٨٠) الذي بناه المهندس سنموت ، وتعود أهميته إلى النواحي الفنية والدينية ، بالإضافة إلى العناصر المعمارية التي جمعت الكمال الفني . كما كان المكان الذي أقيم فيه المعبد من العناصر التي أضافت إلى روعته . وقد وصفته حاتشبسوت بأنه فردوس أمون . أما معبد تحوتمس الثالث الجنزي ، فقد بني إلى الشمال من الرمسيوم ، وبني معبد تحوتمس الرابع إلى الجنوب منه . ويعتبر معبد أمنحوتب

---

(١) Naville, E, Deir - El-Bahari, I-VI, London, 1895-1908 and Winlock, H.E., OP. Cit.



(شكل ٨٠)

معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى

الثالث من أعظم المعابد الجنزية وأفخمها ولو أنه لم يتبق منه سوى تمثالين ضخمين من حجر الكوارتز (١) . وكان أحد التمثالين يصدر عنه صوت موسيقى كل صباح، وربما كان التمثالان قد أقيما للبطل ممنون والإلهة الفجر. وفيما يختص بمعبد سيتى الأول فى طيبه (معبد القرنة) فانه يحتوى على أقسام ثلاثة : القسم الشمالى خصص لعبادة رع حوراختى ، والقسم الجنوبى لعبادة أمون رع ورمسيس الأول . أما القسم الأوسط ، فقد خصص لعبادة آمون رع وسيتى . ومن آثار الملك سيتى كذلك ، تنبغى الإشارة إلى معبده العظيم فى أبيدوس

(١) Lucas, A., and Harris, Ancient Egyptian Materials and Industries, London, 1962, p. 477.

الذى يتميز بمستوى رفيع فى الناحية الجمالية لنقوشه ، مما يعتبر من أجمل ما أخرج فنانى تلك المرحلة . ومما يسترعى الانتباه استحداث رسم تفاصيل المعارك الحربية بحجم كبير على جدران المعابد فى عهده . وبالنسبة لرمسيس الثانى ، فقد بنى معبده الجنزى فى الرمسيوم ليتفوق به على أسلافه ، وقد حليت واجهته الداخلية بمناظر معاركه فى قادش . أما معبد رمسيس الثالث فى مدينة هابو ، فيعتبر من خير ما شيده ملوك الدولة الحديثة .

وفى مجال النحت ، يلاحظ أنه على الرغم من التطورات السياسية التى مرت بها البلاد فى عصر الدولة الحديثة وانعكاس ذلك على النتاج الفنى ، إلا أن الفنان المصرى القديم لم يستطع التخلص من القيود الفنية القديمة فى بداية هذا العصر . ومن مظاهر هذا الاتجاه تصوير الفرعون على هيئة الأسد إظهارا لبأسه وقوته مما أكسب فن النحت فى تلك الآونة البساطة مع إظهار روح القتال . ويتضح هذا الاتجاه فى تماثيل الملكة حتشبسوت بجمالها الطبيعى معبرة عن البساطة وتمثيلها على هيئة أسد (١) رابض (شكل ٨١) . أما فن التصوير فقد نهج على نفس طريقة النحت من حيث بساطة التعبير كما يتضح فى صورة الملكة أحمس أم حتشبسوت وصور سنموت .

ومنذ أواخر عصر تحوتمس الثالث ، استطاع الفنان أن يخطو خطوة واسعة فى سبيل التجديد والتحرر من القيود الفنية بالتعبير الواضح عن جمال الطبيعة وإبراز مظاهر الترف . ولقد جاء هذا التطور الفنى الجديد انعكاسا طبيعيا لمكاسب البلاد السياسية والاقتصادية ، فجاء الفن معبرا عن أحاسيس الفنان الذى اتجه نحو إبراز تفاصيل الوجه وتسجيل مظاهر الترف كالحلى والزينة ،

---

(١) Cairo Museum, No. 1144 « C », 42069.



(شكل ٨١)

حتشبسوت على هيئة أسد رابض

تاركا أسلوب البساطة الذى اتصفت به المرحلة السابقة . ومن بين التماثيل المعبرة عن هذا الاتجاه الجديد ، تماثيل تحوتمس الثالث ومنها تمثاله المصنوع من حجر الديوريت الأبيض والأسود والموجود بمتحف تورين (١) ، وتمثاله المصنوع

(١) Lanzon, G., op. cit., p. 1376.

من الجرانيت الرمادى والموجود بمتحف فلورنس بإيطاليا (١) ، وتمثاله المصنوع من حجر الشست والموجود بالمتحف المصرى (٢) . وكذلك تماثيل أمنحوتب الثالث وزوجته الملكة « تى » بشخصيتها القوية . و توجد رأس للملكة تى (٣) مصنوع من الأبنوس بمتحف برلين تحت رقم ٢١٨٣٤ .

وبالنسبة للتصوير ، فقد سار على نفس النهج الذى سارت عليه أساليب النحت . ويتضح ذلك فى اللوحات المنقوشة لأمنحوتب الثالث وزوجته تى ، وفيها تظهر النقوش الموائد وحفلات الترفيه والصيد ووسائل التسلية وغيرها.

ثم تلى هذه المرحلة من مراحل تطور الفن فى عصر الدولة الحديثة ، مرحلة جديدة تتعاصر زمنيا مع عهد أخناتون . ويلاحظ تأثر الفن فى تلك المرحلة بتطور التفكير الدينى . فالواقع أن الانقلاب الذى أحدثته ثورة أخناتون لم يكن قاصراً على الناحية الدينية فحسب ، بل شمل الناحية الفنية كذلك . لذلك اتجه الفن إلى الأسلوب الواقعى وتصوير الطبيعة . فنجد النحت قد تحرر من أساليبه القديمة ، وجاءت تماثيل الأشخاص مجسمة تجسيما واقعياً بعيوبها ، كما حدث فى بداية عهد أخناتون فى بداية حكمه فى طيبة . ثم تطور هذا الأسلوب الفنى عندما تخلى الفنانون فى إظهار العيوب الجسمانية عندما انتقل أخناتون إلى تل العمارنة . ويتضح هذا فى تماثيل أخناتون وزوجته نفرتيتى . أما فيما يختص بفن التصوير والنقش ، فقد سلك نفس سلوك فن النحت من حيث التعبير الواقعى ،

---

(١) Schiaparelli, Catalogo generale dei Musei di Antichita di Firenze, Rome, 1887, p. 1503.

(٢) A Brief Description of the Principal Monuments, 1916, p. 31.

(٣) Davies, N. de G., op. cit., pl. XVIII.

والتمشى مع مظاهر الطبيعة . ويتجلى ذلك بوضوح فى تصوير أخناتون مع زوجته وأولاده فى حياتهم اليومية العادية حيث تبدو فيها الحركة والمشاعر بطريقة تتضح فيها جرأة التعبير الفنى (١) كذلك استطاع الفنان أن يصور اخناتون وزوجته وهما يدللان بعض أبنائهما (٢) (شكل ٨٢). ومن النماذج الفنية المعبرة عن فن تل العمارنة، نشير إلى تمثال نصفى للملك أخناتون مصنوع من الحجر الجيرى ومحفوظ حاليا بمتحف اللوفر . وكذلك تمثال الملك مع زوجته، والموجود بمتحف برلين والذى يبين قدرة فنانى تلك المرحلة على ابراز الملك فى مواقف طبيعية بشرية (٣). وكذلك التمثال النصفى للملكة نفرتيتى والموجود بمتحف برلين والذى يظهر مهارة فنانى أخناتون (٤) . وعلى ذلك فنى الاستطاعة القول بأن التراث الفنى الذى تخلف عن عصر تل العمارنة، كان له طابعه الخاص الذى تميز بصدق التعبير . ولقد استمرت هذه المظاهر الفنية فى عهد خلفاء أخناتون مثل توت عنخ أمون وآى وبداية عهد حور محب .

أما المرحلة الأخيرة من مراحل تطور النتاج الفنى فى عصر الدولة الحديثة، فتتعاصر زمنيا من بداية عصر الأسرة التاسعة عشرة، وحتى نهاية عهد الرعامسة حيث استرد الفن الأسلوب الذى كان موجودا قبل عهد أخناتون ، والذى كان يتميز بالترف . ومن أمثلة التركة النحتية التى تخلفت عن تلك المرحلة، تمثال

---

(١) Pendlebury, Tell el Amarna, 1935, pl. VIII.

(٢) Michalowski, K., L'Art de l'Ancienne Egypte, Paris, 1968, p. 397, Fig. 440.

(٣) Borchardt, L., Mittleilungen der Deutschen Orient- Gesellschaft Heft 1 ff., Leipzig, 1898 ff., 52, S. 32 ff.

(٤) Schaefer, (in) ZAS, 56, 1 ff.



شكل (٨٢)
أخناتون ونفرتيتي وقد أمسك كل منهما إحدى الأميرات الصغيرات

حور محب على هيئة الكاتب ، وتمثال سيتي الأول ، وتماثيل رمسيس الثانى وأشهرها تمثاله المصنوع من الجرانيت الأسود والموجود حاليا بمتحف تورين (١) ، وكذلك تمثال الملك رمسيس الثالث الموجود بمتحف القاهرة ، والذى يبدو فيه

(١) Bissing, V., Denkmaeler Aegyptischer Skulptur, München, 1914, Taf. 48.

ممسكا بعصا يعلوها رأس كبش (١).

اما التصوير والنقش : فقد كبرت أحجام اللوحات المنقوشة، وكثرت صور المعارك الحربية بتفصيلاتها . وعلى الرغم من أن تلك اللوحات لم يقدر لبعضها النجاح الكامل ؛ مثل صورة الحصـــان وهو يكبو (٢) ، والصورة المعبرة عن الحياة داخل الثكنات الحربية بطبيعتها المرحة (٣) إلا أن هـــذه اللوحات قد تشابكت فيها مناظر الأحداث بصورة أبعدت فنانى تلك المرحلة عن إيجاد الحبكة الفنية . ومهما كان الأمر ، فإن هذا لم يقلل من إبراز مناظر المعارك الحربية ، كما يتضح ذلك فى مناظر معبد الرمسيوم من عهد رمسيس الثانى ، ومناظر معبد هابو من عصر رمسيس الثالث ، وبعض مناظر معابد الأقصر والكرنك .

اما فيما يتعلق بالفنون الصغرى : فقد وصلت هذه الصناعة إلى القمة ولاسيما صناعة الحلى الذهبية المرصعة بالأحجار شبه الكريمة . وقرب أواخر عهد الدولة الحديثة زاد تطعيم المعادن بعضها بالبعض الآخر . ومن نماذج التركة المحتوية على الكنوز الخاصة فى ذلك العصر ، كنز الملكة إياح حوتب الذى يحتوى على بعض أساور الملكة والتى تتميز بإبراز مظاهر الثراء والرفاهية . وفيما يختص بحلى توت عنخ أمون فهى تتميز بالجمال الذى يظهر بوضوح فى القلائد والصدريات ولاسيما فى صدريته التى تصور الإلهة نخبت فى شكل طائر ، وهى موجـــودة حاليا بالمتحـــف المصرى (شكل ٨٣) . أما تابوت الملك وقناعه الجنزى فهو مصنوع من

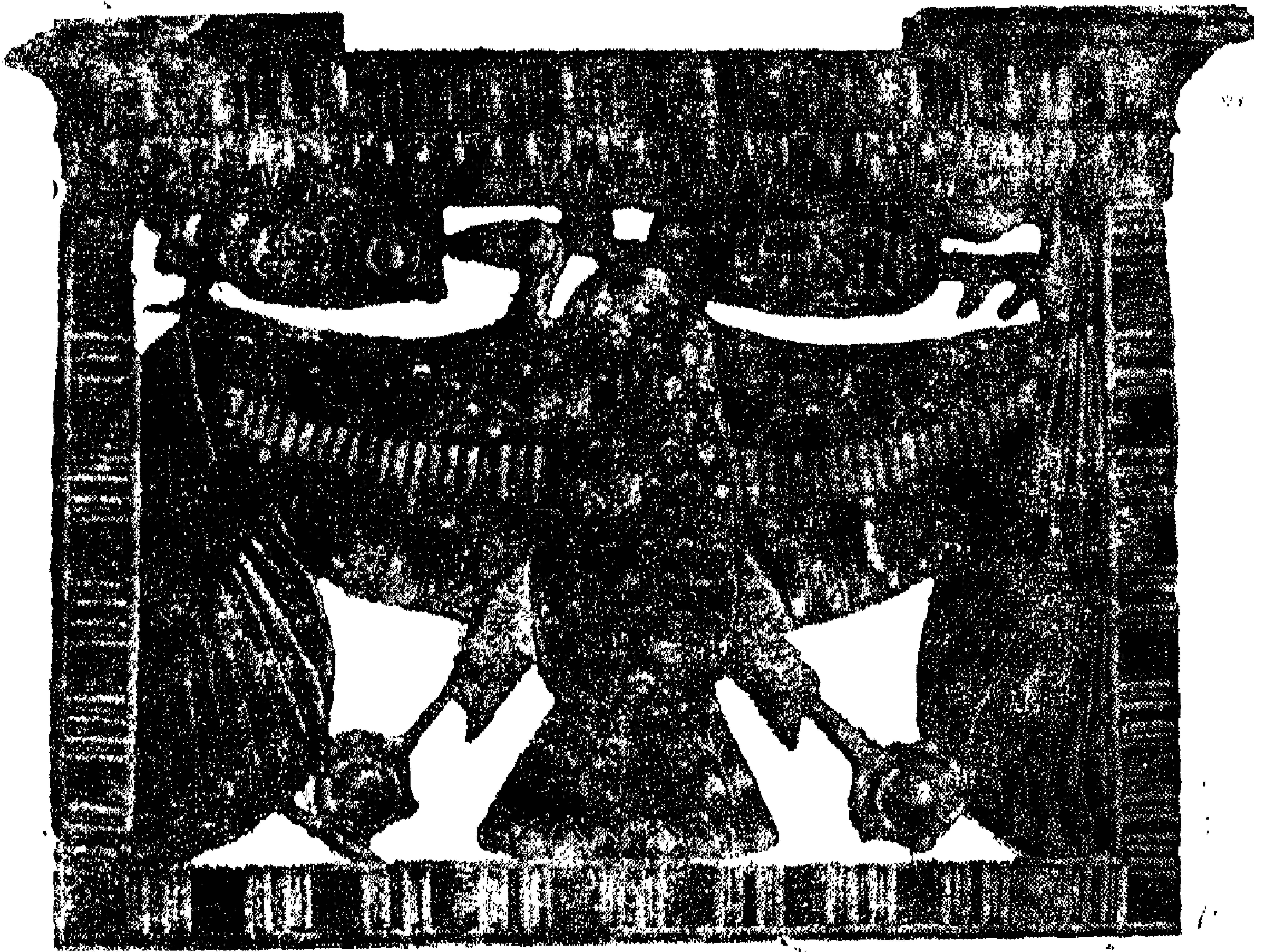
---

(١) Legrain, G., « Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers », Catalogue Général des Antiquités Egyptiennes du Musée du Caire, II, pl. 13.

(٢) LD, III, pp. 164-165.

(٣) Ibid., pp. 153-155.

الذهب الخالص ، ويغطى القناع رأس مومياء الملك(١) (شكل٨٤) . ومن عهد رمسيس الثانى ، عثر على بعض قطع الحلى مثل صدريته وخاتمه الذى يبدو فيه النقش البارز الذى يمثل جوادا رمسيس الثانى وهما يجران عربته فى موقعة قادش (٢) ، والخاتم موجود بمتحف اللوفر (شكل ٨٥) .

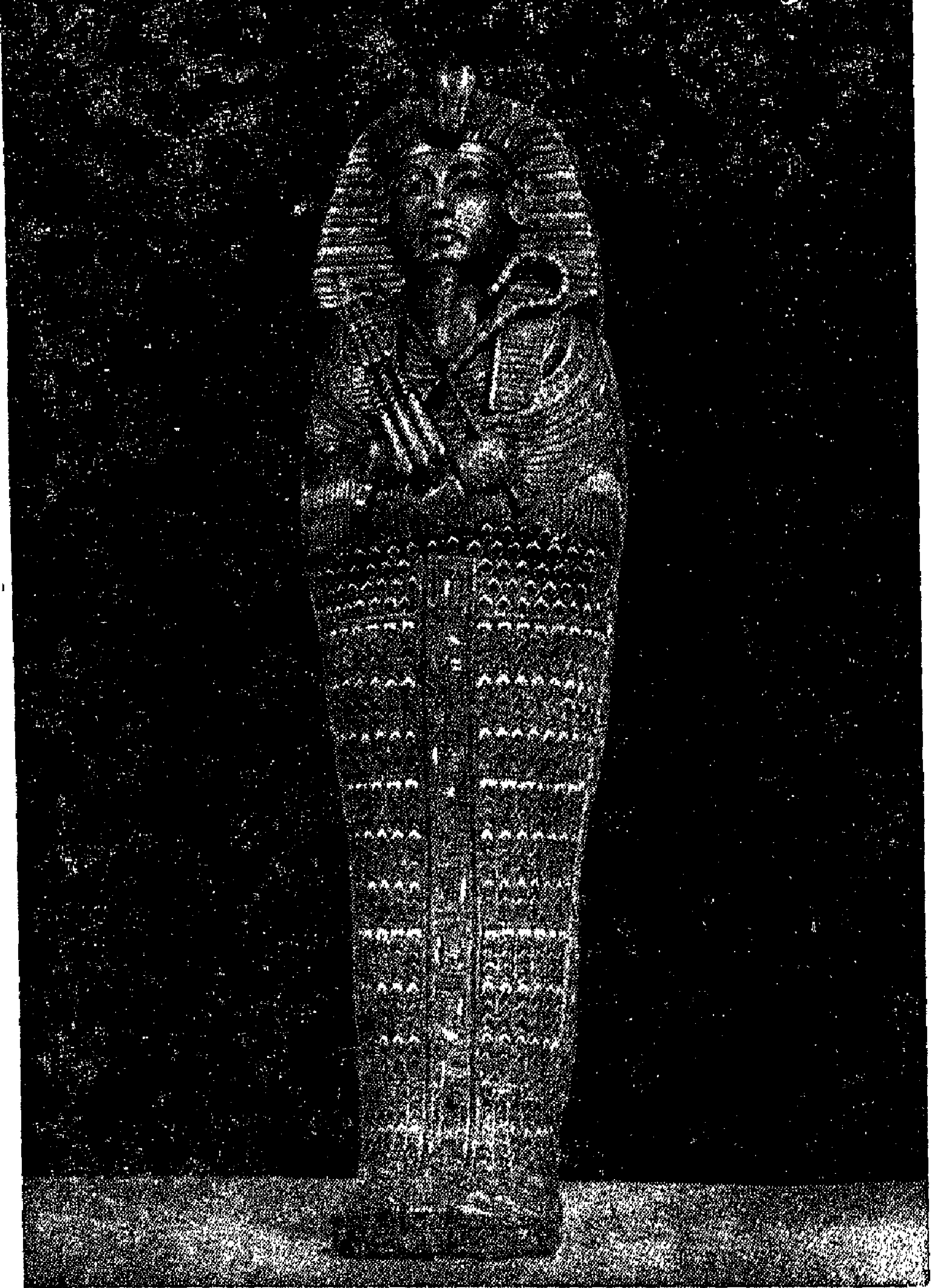


شكل (٨٣)

صدرية لتوت عنخ أمون مطعمة بالأحجار الكريمة

(١) Desroches-Noblecourt, C., op. cit., p. 129, Fig. XX.

(٢) Michalowski, K., op. cit., p. 441, Fig. 804.



شكل (٨٤)

قناع توت عنخ أمون الجنائزى يغطى رأس مومياء الملك



شكل (٨٥)

أحد خواتم الملك رمسيس الثانى يحليه جواديه

الفصل التاسع

العصـــــر المتـــــأخر

الأسرات الواحدة والعشرون الى الثلاثين

من حوالى ١٠٩٠ إلى ٣٣٢ ق م.

الأسرة الواحدة والعشرون

من حوالى ١٠٩٠ إلى ٩٤٥ ق م.

كان الحكم فى الأسرة الواحدة والعشرين مقسما بين حريحور Heri – Hor كبير كهنة أمون وعائلته من القواد الحربيين الذى اتخذ طيبة عاصمة له ، وبين ملك آخر فى الدلتا هو سمندس (نسو - بانب - دد Nesu – Pa - neb – Ded) الذى بسط نفوذه حتى أسيوط وكانت عاصمته تانيس (صان الحجر) . وعلى الرغم من أن الآثار لم تكشف حتى الآن أى تاريخ لهذا الملك، إلا أن ذكره قد ورد فى قصة الكاهن ونأمون على أنه كان فى ذلك الوقت وزيرا (١) ولم يصبح ملكا إلا بعد أن تخلى حريحور عن ملك تانيس . وقد اعتبره مانيتون مؤسس أسرة تانيس . ولا يعرف على وجه الدقة مقبرته ولا أية أنشطة له سوى نقش وجد فى طيبة ، حفر على عامود فى محجر (الجبلين)(٢) .

---

(١) س. حسن ، مصر القديمة ، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين، الجزء التاسع ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص٢ .

(٢) Breasted, AR, IV, No. 627 — 630.

« ... تأمل ، كان جلالته فى مدينة « منف » مقره الفاخر ذى القوة والنصر مثل « رع » . « بتاح » سيد حياة الأرضين » و « سخمت » العظيمة محبوبة « بتاح » . « منتو » والآلهة العظام القاطنون فى « منف » تأمل فإن جلالته جلس فى قاعة قصره وقد أتى رسل يخبرون جلالته بتداعى جدار القنـــاة الذى يؤلف حدود الأقصر وهو الذى أقامه الملك منخبر رع (تحوتمس الثالث) ... مكونا فيضانا عظيما وتيارا قويا فيها على الرقعـــة العظيمة لبيت المعبد . وقد أحاطت بالإمام ... فقال جلالته لهم : أما عن هذا الأمر الذى بلغ إلى فلم يوجد شىء فى مدة جلالته من قديم الزمان مثله ...

وقد (أرسل جلالته رؤساء بنائين) وثلاثة آلاف رجـل منهم من خيرة رجال جلالته وأمر جلالته لهم هو : اسرعوا إلى .. الجبل .. أناس جلالته بمثابة رفاق قدامى (...) ... (..) ... هذا الحجر منذ زمن الأجداد حتى هذا اليوم جبلين ... وقد حفروا هذا المرسوم الذى يخلد ذكرى جلالته سرمديا .. وقد وصل أمر جلالته لتجميل العمل على اللوحة ... (ولم) يفعل مثله فى زمن الأجداد . تأمل لقد أمر جلالته به بفضائل ممتازة مثل « تحوت » ... وكانت المكافأة عليه (أى للملك) القوة والنصر والظهور على عرش حور (الأحياء سرمديا) ... » (١) .

ويستدل من دراسة هذا النقش على أن سمندس حكم فى تلك الآونة فى طيبة مما يدعم سيطرته على البلاد بأسرها وربما توافق هـذا الحدث مع موت حريحور قبل انتهاء عهد الملك سمندس . ويشير النص المذكور إلى إرسال الفرعون موظفيه

(١) Ibid., No. 627 — 630.

لمحجر الجبلين للحصول على أحجار لترميم مبانى تحوتمس الثالث فى الكرنك ، وهو تواجد الملك فى هذه المحاجر .

ولما مات حريحور ، خلفه ابنه بعنخى فى طيبة الذى اعترف بشرعية الحكم لملوك تانيس ، بينما احتفظ لنفسه بمنصب كبير كهنة آمون . ثم ازدادت الصلة بين ملوك تانيس وكهنة آمون . وبعد موت سمندس، تولى العرش ابنه بسوسينيس الأول Psusennes I الذى يعد ثانى ملوك مصر فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين . وقد تزوج من ابنتى سمندس ، الأولى تدعى « استمخب » والثانية هى المتعبدة لحتحور « حنت تاوى » . ويلاحظ أن الملك بسوسينيس الأول كان يبسط نفوذه على البلاد بدليل ورود ألقابه على آثاره على النحو التالى « الثور الشجاع منحة آمون » ، « والثرى الذى يظهر فى طيبة » ، « العظيم الآثار فى الأقصر » . وكانت تانيس مقرا لجهوده ونشاطه السياسى والحربى . وقد أقام مقبرة له فى تانيس .

وقد تزوج بينزم (أكبر أولاد بعنخى) من ابنه بسوسينيس الأول والمدعى ماعت كا رع(١) . فلما مات بسوسينيس الأول أعلن بينزم نفسه ملكا ، بينما تولى ابنه ماساهرتا مركز كبير الكهنة . وخلفه فى تلك الوظيفة أخوه منخبر رع الذى وصل إلى العرش بعد ذلك تحت اسم بسوسينيس الثانى . ولا يعرف الكثير عن ترتيب ملوك تانيس حيث لم يتفق العلماء حول هذا الموضوع بالرغم من حفائر صان الحجر .

وتشير بردية الكاهن ونآمون(٢) إلى ما وصل إليه نفوذ مصر فى فينيقيا

---

(١) ___________ ; Ibid., No. 738 — 740.

(٢) عثر على هذه البردية فى بلدة الحيبة بمصر الوسطى وموجودة حاليا بمتحف

وغيرها نتيجة لضعف هذه الأسرة . فعندما وصل الكاهن ونأمون إلى جبيل لإحضار خشب الأرز اللازم لسفينة الإله أمون ، تعرض لحادث سرقة فاشتكى إلى أمير جبيل الذى رفض مقابلته وقام بطرده من بلده (١) .

وبالرغم من ضعف ملوك تلك الفترة ، إلا أنهم أسهموا فى إصلاح المقابر التى كانت قد نهبت فى فترات الضعف والانحلال منذ عهد الملك رمسيس التاسع . وقد كشفت أعمال مصلحة الآثار (٢) عن إحدى المقابر على مقربة من الدير البحرى ، حيث تكدست فيها الكثير من المومياوات الملكية (سقننرع وأحمس وسيتى الأول ورمسيس الثانى) ، مما يشير إلى احتمال تجميعها فى مكان واحد بعيدا عن أيدى اللصوص .

وقد دفن ملوك تلك الفترة فى صان الحجر ، حيث اكتشفت البعثة الفرنسية عام ١٩٣٩ مقبرة بسوسينيس الأول (٣) والملكة موت نزم . وتشير مخلفات تلك الأسرة وبخاصة الحلى الذهبية ، إلى المهارة والذوق الفنى فى صناعتها . فقد

= موسكو ، وقد قام بنشرها جولينيشف

Golenischeff, W., In Recueil de Travaux ....., XXI (1899), pp. 74 — 102.

ثم ترجمها إرمان

Erman, A., LAE, pp. 174 — 185.

(١) Wilson, J.A., " The journey of Wen - Amon to Phoenicia ", (in) ANET, pp. 25 — 29.

(٢) Maspero, G., Les Momies Royales de Deir — El - Bahari, Cairo, 1889.

(٣) Montet, P., Le Constructions et Le Tombeau de Psousennes, Paris, 1951.

عثر فى حجرة المقبرة الخارجية للملك بسوسينيس الأول على تابوته الذى زين غطاؤه من أسفله بصورة الإلهة نوت ، وبداخل التابوت تابوت آخر مصنوع من الجرانيت الأسود ، وحفر على غطائه نقش الفرعون أمام الإلهة نوت . كما عثر على تابوت ثالث مصنوع من الفضة ، ووجدت بداخله مومياء الملك ويديه مثنيتين على صدره وممسكتين بالسوط والصولجان ، وعلى وجهه قناع من الذهب وطبقة رقيقة من الذهب المنقوش على باقى الجسم ، واثنى عشر سوارا فى كل ذراع ، بالإضافة إلى ثلاثين خاتما مصنوعة كلها من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة ، وعقد من الذهب وقلادتين وأربعة جعلان كبيرة وبعض التمائم .

أما فيما يختص بحلى الملكة موت نزم ، فقد عثر فيها على تابوت من الجرانيت الوردى نقش عليه اسم الملكة « الزوجة الملكية والأخت الملكية ، ربة الأرضين « موت نزم » . والمعتقد أنها كانت أم الملك بسوسينيس الأول وليست زوجته بدليل النقوش الموجودة على إبريق ذهبى عثر عليه فى مقبرة بسوسينيس . يقول النص « ... الملك الطيب رب الأرضين وسيد القربان الكاهن الأول « لآمون بسوسينيس » والتى أنجبته الزوجة الملكية العظيمة ربة الأرضين « موت نزم » ... » وقد ورد نفس هذا النص على سوارين لهذا الملك [1] .

هذا بالإضافة إلى آثار أخرى للملك بسوسينيس الأول مثل قطع حجرية عثر عليها فى معبد الكرنك ، وقطعة من لوحة عثر عليها فى الجيزة منقوش عليها منظر لكاهن يركع أمام اسم هذا الملك ، وهذه القطعة موجودة حاليا بمتحف القاهرة . وكذلك لوحات من الخزف المطلى عثر عليها فى تانيس ، وبعضها موجود

---

(1) Keml, Revue de Philologie et d'archeologie Egyptienne et Coptes, IX, Inv, no. 539 et 549.

بمتحف القاهرة والبعض الآخر بالمتحف البريطانى . كما عثر على قاعدة تمثـال جرانيتى له فى تانيس وهى موجودة حاليا بالمتحف المصرى .

الأسرة الثـانية والعشرون

من حوالى ٩٤٥ إلى ٧٤٥ ق. م.

فى الإمكان التعرف على ملوك تلك الأسرة من الوثائق الآتية : ـ

لوحة « حـور باسن » القائد الحربى والـكاهن الأعظم للإله حرشيف (إله مدينة أهناسيا) أثناء حكم الملك شيشنق الرابع ، وهى موجودة حاليا بمتحف اللوفر بباريس[1] . وكذلك من اللوحة التى نشرها دارسى[2] Daressy ، ومن الصدرية التى عثر عليها فى تانيس على مومياء الملك شيشنق الثانى(٣) . وقد كانت مصر منذ أواخر الأسرة العشرين مكانا لهجرة الليبيين . وقد استقرت إحدى تلك الأسر فى أهناسيا وكان على رأس هذه الأسرة أحد الليبيين يسمى بويوواوا . وقد خدم الكثير من أبناء هذه الأسرة فى معبد الإله حرشيف إله مدينة أهناسيا . وأصبح الكثير من زعمائهم مركز مرموق . وقد امتد نفوذ أحد هـؤلاء الزعماء حتى أبيدوس جنوبا ، حيث بلغ من ازدياد نفوذه أن دعاه آخر ملوك الأسرة الحادية

---

(١) Louvre, No. 278, & Mariette, Le Serapeum de Memphis III, pl. 31.

(٢) Daressy, Cercuils des Cachets Royales (in) Ann. Serv., Tome, XVI., p. 177.

(٣) Le Drame D'varis, pp. 198 ff.

والعشرين » للمشاركة فى أعياد جلالته وتلقى المجد معه » . كما يشير إلى زيادة نفوذ الليبيين فى تلك المرحلة ، حادثة الاعتداء على قبر نمرود ابن ششنق الذى رفع الأمر للملك بسوسينيس الثانى فى تانيس فما كان من الملك إلا أن سافر بنفسه إلى طيبة للتحقيق فى الأمر ووضع تمثالا باسم المتوفى فى معبد أوزير بأبيدوس . ثم وصل هذا النفوذ إلى الدرجة التى سمحت بعد موت بسوسينيس الثانى ، أن يستولى ششنق الأول Sheshonk I ابن نمرود على العرش حيث اتخذ من تل بسطة (قرب تانيس القديمة بشرق الدلتا) عاصمة له . ولكى يجعل مركز العائلة شرعيا ، زوج ولى عهده أوسركون من ابنة بسوسينيس ، وقد استطاع ششنق الأول فى بداية حكمه من التغلب على نفوذ كهنة آمون فى طيبة الذين لم يرحبوا بطبيعة الحال باستيلائه على الحكم وكان من نتيجة هذا النزاع ، أن ذهبت الأغلبية منهم إلى السودان حيث أسسوا أسرة ملكية هناك فى مدينة نباتا بالنوبة العليا ، كما بقى البعض الآخر فى الواحات . ثم شن ششنق حملة على فلسطين حيث وطد مركزه فى تلك البلاد . وتذكر التوراة فى كتاب الملوك الأول الإصحاح ١٤ سطر ٢٥ « ... فى السنة الخامسة من حكم رحبعام صعد « ششنق » ملك مصر على أورشليم واستولى على خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء وأخذ جميع طروس الذهب التى عملها سليمان » .

وفى كتاب أخبار الأيام الثانى الإصحاح ١٢ سطر ٢ - ٤

« وفى السنة الخامسة للملك « رحبعام » صعد ششنق ملك مصر على أورشليم لأنهم خانوا الرب بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس . ولم يكن عدد الشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين وأخذ المدن المحصنة التى ليهوذا ، وأتى إلى أورشليم » .

وقد تخلف عن عهد هذا الملك بعض الآثار فى الكرنك ، منها بوابة النصر التى تخلد ذكرى انتصاره فى غزوته على فلسطين . كما تدل بعض النقوش على صخور السلسلة (بين إدفو وأسوان) تصميمه على إقامة الردهة الأولى لمعبد الكرنك فيما فيها البوابة الأولى التى تواجهها [١] .

كما عثر على عدة آثار أخرى مثل لوحة الكرنك التى عثر عليها لجران Legrain فى قاعة الكرنك عام ١٨٩٠ ، وهى مصنوعة من الحجر الرملى [٢] . وتسجل بعض أحداث حملته على فلسطين ، كما تظهره وابنه أبوت الكاهن الأكبر يتقدمان بقربان للإله آمون . ومن آثاره الأخرى لوحة الواحة الداخلة التى عثر عليها ليونز عام ١٨٩٤ ، وكذلك لوحة أخرى عثر عليها فى بلدة موث ونشرها سبيجلبرج عام ١٨٨٩ ، ولوحة خاصة بالضرائب الدينية عثر عليها فى أهناسيا المدينة عام ١٩٠٧ ، وهى موجودة حاليا بالمتحف المصرى . وقد خلف ششنق الأول ابنه أوسركون الأول Uasarkon I ويوجد من الأدلة ما يشير إلى تجديد العلاقات القديمة بين مصر وحكام بيبلوس فى عهد كل من ششنق الأول وأوسركون الأول . فقد عثر على تماثيل لهما فى بيبلوس . ومن آثاره الهامة نقش على جدران معبد فى تل بسطة محفور على جوانب عمود جرانيتى مقسم إلى نحو تسع وعشرين قطعة موجودة حاليا بالمتحف المصرى، وقد نشرها نافيل(٣). وبالنقش قائمة بالآثار التى أهداها أوسركون الأول لمعابد الآلهة والإلهات .

ومن الآثار الهامة التى تخلفت عن عصر هذا الملك، لوحة الوصية بالكرنك

---

(١) A J S L, Chicago, 1884, XXI, p. 24.

(٢) Breasted, AR, IV, Par. 924.

(٣) Naville, E., Bubastis I, pl. 51 — 52, p. 60.

(لوحة الإقطاع) ، وهى مصنوعة من الحجر الجرانيتى الحبب ، وقد عثر عليها لجران عام ١٨٩٧ فى معبد سيتى الثانى بالكرنك . وتعد هذه الوثيقة من الوثائق القانونية الهامة التى يمكن اعتبارها بمثابة مرسوم إلهى صادر من الإله آمون . وهى تشير إلى أن « أورات » ابن أوسركون الأول كان كاهنا أكبر للإله آمون فى طيبة وأرضى بإقطاع قطعة أرض لابنه « خمن واست » . ومن آثاره فى طيبة عثر كارتر فى وادى مقابر الملوك عام ١٩٠١ على ثلاثة توابيت خشبية بكل منها مومياء بإحداها نقش يظهر فيه الملك أوسركون الاول ، مما يدل على احتمال صلة هذه المومياوات بهذا الفرعون . ومن آثاره كذلك لوحة أبيدوس التى وجدت داخل صندوق صغير من الخشب . كما عثر على تمثال برونزى له بالقرب من تل اليهودية بجوار شبين الكوم ، وعليه نقش لاسم الملك . ويوجد أيضا تمثال لنفس الملك متخذا هيئة أبو الهول وهو موجود حاليا بمتحف فيينا .

هذا وقد حكم أوسركون حوالى ستة وثلاثين عاما ، وخلفه فى الحكم تكلوت الاول Takelot I الذى نسب إليه بعض الآثار ، منها تمثال صغير ولوحة عثر عليها فى أبيدوس . وتظهر نقوش اللوحة الملك والإله أوزير مع كاهن الإله أنوبيس وزوجته ، ولو أن دارسى يعتقد أن كلا الأثرين يخصان الملك تكلوت الثالث . وما زال الأمر يحتاج إلى تدعيم أقوى بالأدلة الأثرية لإثبات الرأى الأخير . كما عثر على بعض جعارين تخصه (١) . وقد ورد ذكر زوجته الملكة كابس بوصفها أم الملك أوسركون الثانى ذلك على لوحة حور باسن التى سبقت الإشارة إليها . وقد خلف تكلوت الأول ابنه أوسركون الثانى Uaserkon II الذى كان يلقب ابن الإلهة باستت فى معبد تل بسطة . وأهم آثار

---

(١) Hall, H.R , Catalogue of Egyptian Scarabs in the British Museum, Vol. 1, p. 24, No. 2429, 2430, 30606 and 47147.

هذا الملك هي التي عثر عليها في تل بسطة . كما وجدت لوحة في السرابيوم اسجل دفن عجل أبيس في السنة الثالثة والعشرين من عهده ، كذلك عــثر على قطعة حجرية في معبد بتاح نقش عليها اسم الملك ، كما عثر على لوحة منقوشة في بلدة ميت يعيش مركز ميت غمر دون عليها اسم أوسركون وهو يهدى قطعة من الأرض إلى الآلهة . وقد احتفل أوسركون الثاني في العام الثاني والعشرين من حكمه بعيد الحب سد ، وأصدر فيه بعض المراسيم الخاصة بالمعابد « ... اقصد أعفيت طيبة في ارتفاعها وعرضها بوصفها متطهرة ومزينة لسيدها بحيث لا يكون هناك تدخل في شئونها من قبل مفتشي بيت الملك كما يعفى أهلها إلى الأبد من أجل الاسم العظيم للإله العظيم الكبير ... » ويستدل من دراسة هذا النص على اعتراف أوسركون الثاني باستقلال طيبة .

وقد عثر مونتيه على مقبرته في تانيس وبجوارها تابوت يخص حور نخت كبير كهنة أمون رع . وكشف مريت عن تمثال جرانيتي للملك أوسركون وهو يركع وبيده لوحة . وقد خلف أوسركون الثاني على العرش ابنه تكلوت الثاني Takelot II . وكانت زوجته « كا رع مع » تحمل لقب المحبــوبة من أمون . وقد عين ابنه أوسركون كاهنا أكبر ، وحاكما للوجه القبلي . وقد حدثت ثورة في طيبة في العام الحادي عشر من حكم تكلوت الثاني مما استدعى إرسال أحد أبنائه لإخمادها . ثم حدثت ثورات أخرى في العام الخامس عشر من حكمه « ... لم يصبه التعب من خوض غمارها ، فحارب في وسطهم مثل حور سائرا على سياسة أبيه . ومرت سنوات كان كل امرئ يفترس صاحبه دون أن يعوقه شيء ... » . وقد عثر مونتيه على مقبرة تكلوت الثاني وأوانيه الكانوبية وبعض التماثيل في تانيس . وقد أشرك تكلوت الثاني قبل موته ابنه شيشنق الثاني في الحكم ، ولكن الأخير مات في حياة أبيه ولم يحكم بمفرده . وتولى العرش بعــد ذلك شيشنق

الثالث Sheshonk III الذى حكم حوالى اثنين وخمسين سنة ، وكانت أهم أعماله إقامة الرواية الغربية فى معبد تانيس ، وهى تتألف من برجين بينهما ممر . وقد عثر على مقبرته فى تانيس ، كما عثر على لوحة فى السرابيوم تخص أحد قـــواده ويدعى بدى أزيس . وتعود أهمية هذه اللوحة إلى أنها تقدم تسلسل الملك ششنق الثالث ، واللوحة موجودة حاليا بمتحف اللوفر(١) . كما توجد لوحات من عهد هذا الملك إحداها بمتحف القاهرة وهى مؤرخة بالسنة الثانية والثلاثين من عهده وتتعلق بهبة ، وأخرى بمتحف جامعة استراسبرج ومؤرخة بالسنة الثلاثين من حكمه وتتعلق بمرسوم بهبة لإلهة منديس . كما توجد أيضا لوحة له مكتوبة بالهيراطيقية فى متحف جيميه بباريس . وبعد انتهاء حكمه خلفه على العرش ابنه بامو Pamo كما تدل على ذلك النصوص التى عثر عليها فى سايس على بعض التماثيل والموجودة حاليا بالمتحف المصرى . وتشير هذه النصوص بقولها « الرئيس الأكبر لقوم مى (المشوش) » بامو « ابن رب الأرضين » ششنق محبوب أمون » . وتولى الحكم بعد ذلك ششنق الخامس ، ولم يترك أية آثار ذات قيمة . وقد صاحبت مرحلة الأسرة الثانية والعشرين ثورات متتالية ، أدت إلى عدم الاستقرار وضعف نفوذ الملوك ، وازدياد سلطة حكام الأقاليم .

الأسرة الثالثة والعشرون

من حوالى ٧٤٥ إلى ٧١٨ ق.م.

نتيجة للظروف السياسية التى سادت البلاد فى أواخر عصر الأسرة الثانية والعشرين ، استطاع بدى باست Bady – Bast أن يؤسس أسرة جديدة حكمت

(١) Breasted, AR, IV, 771 – 774.

فى تل بسطة . وفى ذلك الوقت كان هناك ملك آخر فى صان الحجر . وبذلك حكم مصر أسرتان ملكيتان فى وقت واحد . ومن المرجح أن يكون نفوذ بدى باست قد شمل جزءا كبيرا فى غرب الدلتا كما أيده كهنة طيبة بينما استمر كهنة منف يؤيدون الملك الآخر الذى امتد نفوذه على شرق الدلتا ومصر الوسطى . وقد اختلف المؤرخون فى مدة حكم بدى باست ، فبينما يقرر مانيتون أنه حكم خمسا وعشرين سنة ، يرى البعض الآخر أنه حكم أربعين سنة . ولو أن الآثار التى تخلفت عن عهده وخاصة نقوش مرسى الكرنك تشير إلى السنة الثالثة والعشرين . وربما تولى العرش بعد بدى باست ، ششنق الرابع ثم أوسركون الثالث Userkon III الذى ذكر مانيتون أنه حكم تسع سنوات . ومن أهم الأحداث فى عهده ، الفيضان العالى الذى سجلت أخباره على جدران معبد الأقصر ، والذى تسبب فى إتلاف هذا المعبد . وقد تخلفت عدة نقوش من عهد هذا الملك على مرسى الكرنك ، وهى تخص الفيضانات المتكررة التى حدثت فى السنة الثالثة وفى السنة الخامسة ، ثم فى السنة السادسة من عهد هذا الملك . كما وجدت آثار له فى معبد الكرنك منها معبد أوزير، ثم تمثال للملك من الحجر الجيرى وهو راكع ويدفع أمامه قاربا للإله سوكر . وقد خلفه فى الحكم تكلوت الثالث Takelot III . وقد عثر على لوحة له فى تل بسطة تعود إلى العام الثانى والعشرين من عهده ، وهى موجودة حاليا فى متحف فلورنسا وقد ورد ذكره فى نقوش معبد أوزير بالكرنك . كما قام هذا الملك بتولية ابنته شب ان أوبت فى وظيفة كهنوتية حيث لقبت زوجة أمون الإلهية . ثم تولى العرش بعد ذلك أمون رود Amon-Rwdi الذى اختلف المؤرخون فى وضعه . فبينما يرى ماسبرو أن وضعه فى الأسرة الثالثة والعشرين ، يرى البعض الآخر وضعه فى العصر

الصاوى(*) وبعضهم يضعه فى الأسرة الخامسة والعشرين وقد تخلفت عن عهده بعض الآثار ، فقد وجد اسمه فى منظرين من مناظر معبد بالكرنك ، كما عثر على قطع حجرية فى مدينة هابو تحمل اسم زوجته وابنته ، وإناء بلورى موجود حاليا بمتحف اللوفر ، وكذلك لوح خشبي من تابوت حفيدة هذا الملك. وهذا اللوح موجود بمتحف برلين(١) . وقد خلفه ابنه أوسركون الرابع ، وله آثار منها خاتم خزفى موجود بمتحف ليدن نقش عليه اسم هذا الملك ولقبه ، وتعويذة على هيئة درع موجودة بمتحف اللوفر عثر عليها فى تل بسطة . ويلاحظ ازدياد تفكك البلاد داخليا فى أواخر الأسرة الثالثة والعشرين إلى الدرجة التى جعلت حكام الأقاليم يستقلون بأقاليمهم .

الأسرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون

من حوالى ٧١٨ إلى ٦٦٣ ق. م.

عند وفاة ششنق الخامس ، قام الأمير تف نخت Tefnakhte أمير مدينة صا الحجر بتأسيس الأسرة الرابعة والعشرين فى الوقت الذى كان فيه ملوك آخرون فى أهناسيا والأشمونين وتل بسطة وتانيس ، مما يعكس حالة التفكك والانقسام التى كانت سائدة فى البلاد . وقد تمكن تف نخت من إخضاع الدلتا بأسرها ، ثم مضى فى طريقه ، ووجد استجابة نعلا من حكام مصر الوسطى

(*) ينسب هذا المصر إلى إسم صا — الحجر التى تقع فى غرب الدلتا ، وقد ورد ذكرها فى النصوص المصرية القديمة باسم ساو وسماها الإغريق سايس واتخذت عاصمة فى الأسرة الرابعة والعشرين .

(١) Breasted, AR, IV, 852, no. « C. »

وعاصمة الأشمونين وأهناسيا . ولكنه لم يستطع أن يكمل المسيرة وأن ينقذ البلاد من حالة الفوضى التي كانت عليها .

وحوالى عام ٧١٥ ق. م. حدث أول غزو على مصر جاء من الجنوب من بلاد كوش بزعامة بعنخى وكان ملكه ممتدا على السودان والنوبة وعاصمته قرب الشلال الرابع ونجح جيش بعنخى من إنزال الهزيمة بأعوان تف نخت وانتهى الأمر بانتصار جيوش بعنخى في الأشمونين . ثم واصل زحفه إلى منف التي تحصن فيها تف نخت على رأس جيش كبير . ولكن بعنخى أصدر أمراً بمهاجمة المدينة حيث دارت معركة كبيرة استمملت بعدها منف واعترف كهنة معبد بتاح به ملكا . وأعقب ذلك زيارته إلى هليوبوليس وهناك اعترف كهنة الإله رع به ملكا . ونتيجة لهذه الانتصارات المتتالية ، اضطر الأمراء وحكام الاقاليم إلى تقديم الولاء لبعنخى حتى أن تف نخت نفسه أرسل إلى بعنخى يطلب العفو منه « ... سوف لا أعصى أوامر الملك ، سوف لا أرد ما يقوله جلالته ، سوف لا أتصرف سوء إلى أي أمير إلا بعد أخذ رأيك . سأستجيب لكل أوامره ... » وقد أظهر بعنخى شيء من التسامح مع خصومه بأن أبقى هؤلاء الأمراء في مناصبهم كما أبقى تف نخت أميرا على صا الحجر . ونصب بعنخى نفسه فرعونا على مصر والسودان . وبعد ذلك عاد بعنخى إلى نباتا حيث سجل انتصاراته على نصب كبير في معبد أمون . ولم يكن تف نخت مبقيا على العهد لبعنخى ، فحاول أن يدعم سلطانه مرة أخرى ، وأطلق على نفسه لقب حاكم القطرين ، وسيد الدلتا والصعيد . ونشير إلى ذلك لوحة موجودة بمتحف أثينا (١)

(١) Capart, Recueil de Monuments Egyptiens, 2eme Série, 1905, PL. XCII.

تمثله كذلك يقدم قربانا إلى نيت إلهة سايس . . واستمر تف نخت فى الحكم حوالى عشر سنوات . ثم تلاه ابنه بكوريس (باك - إن - رنف (BaK-en-Renef وقد أطلق عليه اليونانيون اسم بوخوريس ، وقد حكم ست سنوات وانتهى حكمه بعودة شاباكا Shabaka الذى جاء بعد أبيه بعنخى ليستعيد مصر ، وقضت جيوشه على استقلال بكوريس فى مصر . وقد جعل منف عاصمة له ، وقام ببعض التشييدات المعمارية فى مدينة هابو . وقد قام شاباكا بمهادنة سرجون الثانى ملك آشور بأن تبادل الاثنان الهدايا ، واعتبر شاباكا نفسه بأن أصبح له نفوذ كبير على آسيا . واستمر حكمه حوالى ستة عشر عاما ، ثم خلفه على عرش نباتا أخاه شبتاكا Shebitaka الذى ظل على العرش حتى ولاية طهرقا وفى عهد شبتاكا ، ازداد الخطر الآشورى وخاصة بعد موت سرجون الثانى الذى خلفه على العرش ابنه سنحريب . وفى تلك الآونة ثارت بلاد الشام ضد الحكم الآشورى فأرسلت مصر حملة بقيادة طهرقا لمعاونة دولة يهوذا فى فلسطين ، وكان ملكها يدعى حزقيا ، وذلك لوقف التوسع الآشورى لغزو فلسطين . وبعد محاصرة سنحريب لاورشليم ، لم تستسلم المدينة له نظراً لانتشار وباء الطاعون فى جيشه مما اضطره الى الرجوع لبلاد آشور حيث مات مقتولا بيد أبنائه ، وخلفه ابنه أسرحدون Esarhaddon . وفى ذلك الوقت مات شبتاكا وخلفه أخوه طهرقا (Tarqu Tirhakah) وتشير خمس لوحات عثر عليها فى معبد كوه (*) إلى أحداث السنوات الأولى من حكمه . فقد توج فى منف وكان مقر إقامته فى صان الحجر . وقد اهتم بالإصلاح الداخلى ، فقام بإصلاح المعابد وخاصة معبد كوه ومعابد الكرنك . وفى العام السادس من حكمه ، استقبل عائلته فى منف وحدث

(*) بين الجندلين الثالث والرابع .

ارتفاع في النيل وزيادة في المحصول . وقد ترك طهرقا طيبة والصعيد تحت إمرة منتوعمات أحد رجاله الممتازين بينما ظل يقيم في شمال مملكته خوفا من الخطر الأشوري . وكان يقوم بتحريض الفلسطينيين والفينيقيين ضد الأشوريين . ومن ذلك تحريضه على ثورة في مدينة صور استدعت حضور أسرحدون نفسه ليحاصرها ، ولكنه لم يتمكن من التغلب عليها . فترك صور واتجه نحو مصر عن طريق سيناء ، ومنها إلى منف التي حاصرها واستولى عليها بمن فيها من عائلة طهرقا .

وتشير الألواح (١) المنقوشة بالمسمارية إلى فتح أسرحدون منف « ... من مدينة إيشوبري Ishhupri حتى منف مقره الملكي ، مسيرة خمسة عشر يوما ، حاربت يوميا دون انقطاع في معارك دموية ضد طهرقا ... ملك مصر وأثيوبيا الملعون من كافة الآلهة العظام وقد ضربته خمس مرات بسنان سهامي ، وسببت له جراحا لا تلتئم ، ثم حاصرت « منف » مقره الملكي ودمرتها وخربت أسوارها وأحرقتها ... » . ويستمر النص في وصف تلك الحالة « ... نفيت كل الأثيوبيين من مصر ، لم اترك واحد منهم يقدم لي فروض الطاعة وعينت في مصر في كل مكان ملوكا جدد وحكاما وضباطا ورؤساء موانى وموظفين رسميين ... » . واعترف جميع حكام البلاد بسيادة أسرحدون على مصر ، ومن بينهم منتوعمات أمير طيبة ولكن طهرقا عاد بعد سنوات واسترد منف وهزم الحامية الأشورية مما اضطر أسرحدون للقيام على رأس حملة لاخضاع مصر مرة ثانية . ولكنه توفي وخلفه أشور بانيبال الذي أرسل جيشا طرد طهرقا من منف واضطره إلى الهروب إلى طيبة ، ثم انتهى الأمر بسقوط طيبة في يد العدو الأشوري . وعلى

---

(١) Leo Oppenheim, A., « Texts from Hammurabie to the Downfall of the Assyrian Empire », (in) ANET, P. 293.

الرغم من وجود طهرقا فى نباتا ، فإن كهنة طيبة ومنف استمروا فى الاعتراف بطهرقا حاكما شرعيا للبلاد .

وقد خلف طهرقا ابن أخيه الملك تانوت أمانى Taenwat - Amani فى حكم نباتا الذى هاله امتداد نفوذ دولة الآشوريين إلى مصر ، فرفع راية الجهاد . وتقدم بجيشه إلى الشمال حتى وصل إلى طيبة ، ثم دخل منف بعد معركة مع أمراء الدلتا التابعين للآشوريين . وظل فى منف حتى عاد أشور بانيبال من نينوى (عاصمة أشور) فى حملته الثالثة . وعندئذ فر تانوت أمانى إلى طيبة التى سقطت فى يد الآشوريين مرة أخرى .

ويصف أشور بانيبال(١) أنه « ... غزا طيبة غزوا شاملا وأنه حمل معه إلى نينوى جزية ضخمة ... » . ومع ذلك فإنه يبدو أن هذه كانت آخر مرة يظهر فيها فى مصر عام ٦٦٣ ق.م. ولو أنه عثر على نص من عهد تانوت أمانى يعرف باسم لوحة الحلم ، يروى فيها أنه فى السنة الأولى من حكمه شاهد رؤيا ظهر له فيها ثعبانين عن يمينه وعن يساره . وقد فسر الحلم « مصر العليا تابع لك ، فخذ لنفسك مصر السفلى إلهتا الصل والعقاب ظهرتا على رأسك ، منحت لك الأرض طولا وعرضا وسوف لا ينازعك أحد فيها (٢) ، ثم عاد تانوت أمانى إلى نباتا ولم يحاول استعادة طيبة أو طرد الآشوريين من البلاد مرة أخرى ولو أنه أصر على الادعاء بأنه الملك الحقيقى حتى بعد حملة أشور بانيبال على طيبة .

وقد عثر على بعض نقوش له فى طيبة ، تشير إلى العام الثامن من حكمه ، وقد مات تانوت أمانى فى نباتا .

---

(١) ______ . Ibid , P. 295 .

(٢) Breasted, AR, IV, no. 919 f.

أما الحكام الاشوريون فقد استمروا فى تعيين أمراء الأقاليم عن يثقون فيهم . وقد قام أحد هؤلاء الامراء من سلالة تف نخت و يدعى نكاو (الذى كان أميرا على سايس) بالثورة ولكنه أسر مع غيره وأخذ إلى نينوى . ولكن اشور بانيبال أكرمه وأعاده إلى سايس « ... وأعدت له سايس كمقر وعاصمة كان قد عينه أبى عليها ملكا وعينت ابنه نابوشزيبانى Nabushezibanni على أتريب وأظهرت نحوه من الود والصداقة أكثر مما فعل أبى ... » [١] .

ويضع مانيتون نكاو هذا فى الأسرة السادسة والعشرين و يسبق اسمه بآخرين هما ستيفناس ونكبسوس ويضع بعده بسمتك الأول الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للأسرة السادسة والعشرين .

النهضة فى العصر الصاوى

الاسرة السادسة والعشرون

من حوالى ٦٦٣ إلى ٥٢٥ ق م .

اتخذت هذه الأسرة عاصمتها فى سايس (صا ـ الحجر) عندما ضعف شأن طيبة لاستيلاء الاشوريين عليها وانتهاء حلفها مع نباتا ، حاول بسمتك الاول Psamthek 1 (واح ـ إيب ـ رع) اكتساب ثقة أمراء الاقاليم له . فأبقى منتوعحات أميرا على طيبة ، كما أبقى على كبيرة الكاهنات واشترط عليها أن تتبنى ابنته نيتوكريس . وتشير لوحة [٢] عثر عليها فى الكرنك إلى ارساله ابنته إلى طيبة

---

(١) Leo Oppenheim, A., OP. Cit., P. 295.

(٢) Breasted, AR, IV, no. 933. ff.

لتصبح زوجة إلهية لآمون وقد استقبلت عند وصولها إلى طيبة بحفاوة بالغة . وبذلك يكون بسمتك الأول قد ضمن لابنته الإشراف باسمه على معابد آمون وأملاكه .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد عهد إلى بعض الأمراء من أنصاره بإقطاعيات فى الصعيد . وبهذه الاجراءات المتتابعة ، استطاع بسمتك الأول تنظيم السلطة الداخلية فى البلاد استعدادا لطرد الآشوريين عندما تواتيه الفرصة . ولكى ينفذ تلك الخطة ، تحالف مع جيجس ملك ليديا حيث كان كل منهما مهددا بالآشوريين . وزيادة على ذلك فقد لجأ إلى تجنيد جيش من المرتزقة الإغريق وأرسل إليه ملك ليديا جيشا لمساعدته فى طرد الآشوريين ، فكان هذا الجيش عونا له فى تخليص مصر من الاحتلال الآشورى وعند تم له طرد الآشوريين من مصر ، تتبعهم إلى فلسطين ثم تفرغ بعد ذلك لتوطيد مركزه . فاتجه إلى مهادنة مملكة نباتا ولو أنه يبدو من تصرفاته مع حكام الجنوب خشيته من اتصالهم بتلك المملكة . ولهذا الغرض ، فقد عين أحد أعوانه وهو نس ناوياو حاكما للوجه القبلى ومشرفا على حامية الفنتين .

أما بالنسبة للآشوريين ، فإنه لم يستمر فى عدائه الصريح لهم وخاصة بعد مقتل حليفه جيجس . وبذلك ضمنت مصر حدودها الشرقية فى فلسطين .

وفى عهد بسمتك الأول ، استقرت البلاد وازدهرت التجارة نظرا لتشجيعه للتجار الإغريق الذين استوطنوا فى مصر . وتشير بعض الآثار إلى انتعاش مصر فى عهد بسمتك الأول وازدهارها المتزايد . ومن ذلك قصة التماس « بتى إيزة »(١)

---

(١) Griffith, F. Ll., Catalogue of Demotic Papyri in the John Rylands Library, Manchester, 1909, PP. 30 ff.

التى تشير إلى النهضة التى تحققت فى عهد هذا الملك وازدياد حصيلة الضرائب . وتشير لوحة لأبيس أن حكم بسمتك الأول استمر أربعة وخمسين عاما ، وأن ابنه نكاو الثانى Nikau II (وحم ايب رع) قد خلفه على العرش . وقد انتهز نكاو الثانى فرصة اضطراب الأحوال السياسية فى غربى آسيا نتيجة للنزاع السياسى بين بابل وآشور ، والذى انتهى بتحالف الميديين مع بابل وتدمير نينوى . فأراد نكاو الثانى أن يقف بجانب أشور فأرسل جيشا نحو العراق اصطدم فى طريقه بجيش يوشيا ملك يهوذا عند مجدو ، وانتصر فيها الجيش المصرى وانتهى الأمر بقتل يوشيا ، وخلف يوشيا ابنه الذى أسره المصريون . وعين نكاو الثانى « يهو يقيم » الذى أعلن ولاءه لمصر . واستطاع نكاو الثانى بعد ذلك الاستيلاء على سوريا حتى وصل إلى الفرات . وهناك قامت معركة كبيرة بين الجيش المصرى والجيش البابلى بقيادة نبوختنصر فى قرقيش انتهت بهزيمة نكاو الثانى، وعودته إلى الدلتا . وبعد عودته إلى مصر ، بنى أسطولا بحريا فى البحر الأبيض المتوسط ، وأسطولا آخر فى البحر الأحمر . ويروى هيرودوت أن نكاو الثانى أرسل بعثة استكشاف إلى ساحل افريقيا حيث سارت من البحر الأحمر ، وعادت عن طريق مضيق جبل طارق . وقد اهتم نكاو بتوصيل البحرين الأبيض والأحمر بقناة[1] ، ولكنه تخلى عن هذا المشروع نتيجة لنبوءة بأن الآلهة تأمره بترك العمل لأن هذا المشروع ليس فى صالح مصر .

وقد خلف نكاو الثانى على العرش ابنه بسمتك الثانى Psamthek II (نوفر ايب رع) الذى لم يزد حكمه عن ست سنوات . وقد ازداد نفوذ الإغريق فى

(١) Posener, Le Canal du Nil à la Mer Rouge in Chronique d'Egypte, No. 26, 1938, pp. 259 - 273.

عهده ، وأصبحت لهم ثلاث حاميات : واحدة فى غرب مصر على شاطىء بحيرة مريوط ، والثانية فى شرق مصر ، والثالثة فى الفنتين .

وتدل الحركة الأثرية التى تخلفت عن عهد بسمتك الثانى ، أنه قد زار سوريا ، كما أنه وصل على رأس جيشه إلى وادى حلفا . وقد خلفه على العرش الملك واح إيب رع(*) Uoh - ib - Re (حع إيب رع) وقد قام بمساندة مملكة أورشليم فى صد أطماع نبوخذنصر ، ولكن الأخير استطاع تدمير أورشليم ، وهرب كثير من اليهود إلى مصر حيث استوطنوا فيها . أما بالنسبة لأحوال البلاد الداخلية ، فقد ترتب على ترحيبه باليونانيين وقوعه فى مشاكل عديدة ، حيث حدث أن استنجد الليبيون بالملك واح إيب رع لينقذهم من سطوة اليونانيين على بلادهم فأرسل لهم جيشا مصريا كاد أن يغدر به اليونانيون المقيمون فى ليبيا . وقد تسببت هذه الخيانة من قبل اليونانيين فى قيام ثورة فى مصر . فحاول واح إيب رع تهدئة الثورة بإرسال أحمس الثانى (أحد قواده) لإخمادها . ولكن الجنود المصريين بايعوا أحمس ملكا ، فتقدم أحمس الثانى إلى مصر حيث وقع أسيرا فى يد واح إيب رع ، ولكنه أكرم وفادته . وظل اسم واح إيب رع كملك البلاد على أن يكون أحمس الثانى شريكا له فى الحكم . وبعد مرور ثلاث سنوات خان واح إيب رع أحمس الثانى ، فاستعان باليونانيين مرة أخرى ، وأدى ذلك إلى قيام الحرب بين الاثنين ، وقتل واح إيب رع بأيدى الثوار، وربما بيد أعوانه .

وهكذا انفرد أحمس الثانى[1] Ahmose II (خنوم - إيب رع) بملك مصر . وكان عليه أن يهدىء نقمة المصريين على اليونانيين ، فخصص للتجار اليونانيين

(*) إبريس باليونانية .

(١) أمازيس باليونانية .

مكانا فى مدينة نوكراتيس(١) التى أصبحت مركزا هاما للتجارة بين مصر واليونان . ومن ناحية أخرى قام أحمس الثانى بتحصين حدود مصر خوفا من خطر مواجهة مصر من قبل اليونانيين المقيمين فى ليبيا . كما خاض أحمس معركة حربية فى فلسطين ضد الدولة البابلية ، ولكن جيوش بابل هزمت جيش أحمس ، ولكنها لم تواصل هجومها على مصر وقد نتج عن الصراع السياسى فى غرب آسيا ، ظهور الملك كورش ملك الميديين فى بلاد الفرس ، والذى نجح فى الاستيلاء على ليديا وعلى مدينة بابل وخلفه ابنه قمبيز الذى استولى على باقى دويلات آسيا الصغرى وأخذ يستعد لمواجهة مصر . وفى هذه الأثناء مات أحمس الثانى ليخلفه ابنه بسمتك الثالث Psamtbek III (نى - عنخ - كا رع) الذى كان عليه أن أن يواجه جيوش الفرس بقيادة قمبيز ، والتى كانت قد وصلت إلى الفرما(*) ، ولكنه هزم وانسحب إلى منف حيث تعقبه قمبيز ، فاضطر بسمتك الثالث إلى التسليم . وبعد ذلك استولى قمبيز على طيبة ، وأرسل جيشا إلى واحة سيوة ليحطم معبد أمون(٢) . ويشير هيرودوت إلى فشل ذلك الجيش حيث ثارت عليه عاصفة رملية قضت عليه . وتشير إحدى البرديات الآرامية إلى ذلك « ودمروا كل معابد آلهة مصر (فى عهد قمبيز) » . وبهذا تنتهى الأسرة السادسة والعشرون ، وتقع مصر فريسة للغزو الفارسى .

---

(١) بلدة تقع على الجانب الغربى من الفرع الكانوبى ، وتقوم على أنقاضها نقرش وكوم جعيف قرب الاسكندرية .

(*) بلوزيوم عند حدود الدلتا الشرقية

(٢) Ginsberg, H L., « Petition For Authorization to Rebuild the Temple of Yaho », (in) ANET, P. 492.

النكسة مع الغزو الاجنبي

الأسرة السابعة والعشرون إلى الثلاثين

الأسرة السابعة والعشرون

من حوالى ٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق. م.

تشير المصادر التاريخية إلى فشل حملتي قمبيز Cambyses إلى كل من أثيوبيا وواحة سيوة . فقد لقي في حملته إلى أثيوبيا هزيمة منكرة في السودان على يد ملوك نباتا . أما حملته إلى سيوة ، فقـــد هلكت في الطريق ولم تتمكن من الوصول إلى معبد آمون أو قتل كهنته . وقد اختلفت آراء المؤرخين في وصف مشاعر قمبيز تجاه المصريين ومعابدهم . والمحتمل أن يكون قد أساء معـــاملة المصريين وخرب معابدهم في بداية الأمر ثم عند ما هدأت الأمور واستقر في البلاد ، أمر بإصلاح المعابد . ويشير هيرودوت إلى إصابة قمبيز بالجنون عقب فشله في حملته إلى أثيوبيا . وقد عاد إلى بلاده تاركا واليا فارسيا على مصر .

وبعد موت قمبيز قامت ثورة في ليبيا ، فشل الفرس في إخضـــاعها وبدأ داريوس الأول Darius I (دارا الأول) ابن قمبيز وخليفته في الحكم في اتباع سياسة جديدة تخالف سياسة أبيه . فأمر بأن تحكم مصر بقوانينها ، كما أمر بإصلاح ما تهدم من المعابد وإقامة معابد جديدة ، كما أمر بإلغاء مصادرة إيراداتها . ونتيجة لذلك كله ، هدأت أحوال البلاد الداخلية . وحضر داريوس بنفسه إلى مصر ، واستمر في سياســة التقرب إلى المصريين ، كما أمر الحـــكام الفرس بتقديم القرابين للآلهة المصرية ولا سيما لعجل أبيس الذى أصبح لعبادته مكانة خاصة في مصر في تلك الآونة . وعلى الرغم من هـذه السياسة ، إلا أن المصريين لم تهدأ ثائرتهم ضد الغزو الفارسي . وكان يؤيد المصريين في ثورتهم ضد الفرس اليونانيون الذين خشوا بدورهم على بلادهم من احتلال الفرس لهم .

وفى تلك الآونة قامت ثورة فى الدلتا ضد الحكم الفارسى ، ولكن كسركسيس الأول Xerxes I (خشيارشا) الذى خلف أبيه فى حكم مصر نجح فى إخماد ثورة المصريين . وعلى الرغم من ذلك فقد عاود المصريون بمعاونة الإغريق الثورة مرة أخرى ضد الفرس فى عهد أرتكسركسيس الأول Artaxerxes I فقد أرسلت أثينا أسطولا كبيرا عن طريق البحر الابيض وصل حتى منف وساعد المصريين فى إلحاق الهزيمة بالجيش الفارسى ، وحصار ما تبقى منهم فى منف لمدة عام ونصف عام ، ونجحوا فى استرداد أغلب حصون منف من أيدى الفرس . ولكن الملك الفارسى أعد جيشا كبيرا استطاع أن يهزم الثوار ويأسر زعيمهم ، ولكن المصريين عاودوا الثورة مرة أخرى تحت زعامة أمون حر دامير سايس . ولم تستطع أثينا أن تقدم له المساعدات لأنها كانت قد عقدت الصلح مع فارس . وبعد ذلك حاول الفرس تهدئة الأمور فى مصر ، وذلك بتعيين بعض الولاة المصرين ومنهم أبناء زعماء الثورة . ولكن هذا لم يهدئ من ثائرة المصريين ضد الحكم الفارسى . فقد ظلت الثورة المصرية تتسع ، حتى بعد موت أرتكسركسيس وتولية ابنه داريوس Darius II (دارا الثانى) .

الاسرة الثامنة والعشرون

من حوالى ٤٠٤ إلى ٣٩٨ ق م .

سبقت الإشارة إلى استمرار ثورة المصريين ضد الغزو الفارسى واتساع نطاقها . ويعتبر عام ٤٠٠ ق . م . بداية لثورة عامة انتشرت فى مصر وقادها أمون حر (أمير تايوس Amyrtaius) . وكانت موجهة فى بداية الأمر ضد اليهود المقيمين فى الفنتين على أساس تحيزهم للفرس ، بعد أن كانت مصر قد آوتهم وسمحت لهم بحرية العقيدة ومزاولة نشاطهم الاقتصادي ، ولكنهم على الرغم

من ذلك تعـاونوا مع الفرس ضـد مصر . وتشير مجموعة الأوراق البردية الآرامية (١) التى عثر عليها فى جزيرة الفنتين إلى حرق المعبد اليهودى فى عهـد داريوس الثانى ، وإلى محاولة زعيمهم استمالة الحاكم الفارسى ليسمح لهم بإقامة المعبد مرة أخرى . ثم انتشرت الحرب بعد ذلك لمدة ست سنوات تم بعدها طرد الفرس نهائيا من مصر عام ٤٠٤ ق م . وبذلك يكون أمون حر هو المؤسس والملك الوحيد فى الأسرة الثامنة والعشرين وقد اتخذ مدينة سايس عاصمة لملكه . وتشير إحدى البرديات الآرامية إلى العام الخامس من حكمه .

الأسرة التاسعة والعشرون

من حوالى ٣٩٨ إلى ٣٧٨ ق م .

انتقـل العرش إلى مدينة منديس (شمال شرق السنبلاوين) حيث أسس نفريتس الاول Nepherites I (نايف عاو رود) هذه الأسرة . واهتم بشئون البلاد الداخلية بعد أن حاول مساعدة أسبرطة فى صراعها ضد الفرس ، وذلك بإرساله خمسمائة ألف مكيال من الغلال ، والمساعدة فى إنشاء أسطول بحرى مجهز من مائة سفينة مقاتلة . ولكن هذا المدد الذى تحملته الخزينة المصرية لم يف بالغرض المطلوب ، إذ حطم الأسطول قائد أثينى كان يقوم بخدمة الفرس عند رودس . وقد خلف الملك نفريتس الأول الملك أكوريس Achoris (هكر) ، الذى حاول هو الآخر تقديم المساعدة لأثينا وقبرص فى صراعهما ضد الفرس . واستمر الجميع فى مكافحة الفرس إلا أن قبرص استسلمت للفرس .

وتشير بردية الأخبار الديموطيقية إلى اهتمامه بالإنفاق على المعابد والاهتمام

---

(١) ———— , Ibid., PP. 491 - 492.

بالإصلاحات الداخلية . كما تشير إلى نهاية حكمه « ... خلع لأنه خالف القانون ولم يهتم بإخوانه ... (١) » وله آثار فى محاجر طرة والمعصرة والكاب والكرنك.
وقد خلفه فى الحكم اثنان هما بساموتيس Psammuthis (پى ساموت) الذى حكم لمدة عام ، ثم نفريتس الثانى (نايف عاو رود الثانى) الذى حكم لمـــدة أربعة شهور وانتقل عرش مصر بعدهما إلى أسرة جديدة من سمنود .

الاسرة الثلاثون

من حوالى ٣٧٨ الى ٣٤١ ق . م .

قام نختنبو الأول Nectanebo I (نخت نب اف) بتأسيس هذه الأسرة فى خلال الاضطراب الداخلى الذى عاشت فيه أواخر الأسرة التاسعة والعشرين ، وربما كان ذلك بمساعدة من كهنة سايس . وقد دخل نختنبو الأول فى بداية حكمه فى صراع مع الجالية اليونانية لاعتقاده بترددهم أثنـــاء صراع مصر مع فارس . وقد دعم هذا الاعتقاد اشتراك المرتزقة الإغريق فى حملة والى سوريا الفارسى على مصر والتى لم ينقذها من هذا الخطر سوى فيضان النيل ، مما اضطر الحملة إلى الرجوع إلى سوريا . وقد اهتم هذا الملك بالمعابد وفرض ضريبة على تجارة نوكراتيس لصالح معابد نيت فى سايس . وقد خلف نختنبو الأول على العرش ابنه جد حر (تيوس Teos) الذى خالف سياسة أبيه فى كراهيته للإغريق ، فقام بإنشاء جيش وأسطول من المرتزقة الإغريق لمحاربة الفرس حيث تولى بنفسه قيادة

(١) Dunham, D , and Macadam, M.F.L., « Names and Relationships of the Royal Family of Napata », (in) JEA, 53 1949, pp. 139 – 148.

هذا الجيش بمعاونة كل من خبرباس الأثيني للأسطول البحرى وأجيسيلاوس الاسبرطى لقيادة الجنود المرتزقة وبينما كان هذا الجيش يحارب الفرس فى بلاد الشام وصلته أنباء خيانة أخيه وابنه نختنبو الثانى (نخت حر حب) . وكان جد حر قد ترك أخيه نائبا عنه فى حكم مصر ، بينما كان يتقدم هو على رأس الجيش المحارب فى سوريا . ولكن أخيه أرسل إلى ابن جد حر ينايه بالملك ، فعاد نختنبو الثانى إلى مصر حيث واجهته بعض الاضطرابات الداخلية ، الذى استطاع أن يتغلب عليها . ولما استقرت له الأمور بدأ يهتم بتشييد العمائر الدينية وازدهر الفن فى عهده ازدهارا واضحا بما نعتبره إحياءا للتراث الفنى المصرى الأصيل .

الغزو الفارسى الثانى

من حوالى ٣٤١ إلى ٣٣٢ ق . م .

نرى بعد ذلك بلاد الفرس تصمم مرة أخرى على استرداد نفوذها فى مصر . فقد قام الملك أرتخشاشا الثالث (أرتاكسركسيس الثالث Artaxerxes III — أوخوس Ochus) بحملتين على مصر ، نجحت ثانيتهما فى احتلال منف وهروب نختنبو الثانى إلى الصعيد . ثم استطاع الفرس بعد ذلك استكمال احتلال مصر بأسرها ، وإعادتها تحت وطأة الحكم الفارسى مرة أخرى . ولم تفتر قوة المقاومة الوطنية ضد الفرس فى البلاد[1] حيث تزعم أحد أمراء الدلتا واسمه خباشا[2] ، حركة المقاومة الوطنية وأعلن نفسه ملكا على مصر ، واعترف به كهنة منف .

---

(١) Sethe, Urk., II, pp. 11 — 12.

(٢) ———— Ibid., PP. 16, — 18.

وفى تلك الآونة كان الاسكندر الأكبر يقود حملاته فى آسيا ضد الفرس ، وكان معه فى معركة أسوس(*) التى هزم فيها دارا الثالث ملك الفرس ، مصرى من أهناسيا اسمه تاف نخت فاستنجد بالإسكندر ليحرر مصر من الحكم الفارسى . وقد استجاب الإسكندر ، فسار إلى مصر وحررها من طغيان الحكم الفارسى، وبدأت بذلك أسرة البطالمة عام ٣٣٢ ق . م . ولقد تفادى الإسكندر الأكبر أسباب تذمر المصريين من الفرس ، فأحسن معاملتهم وقدم القرابين للآلهة المصرية ، وتوج نفسه ملكا على مصر حسب التقاليد المصرية القديمة فى منف وهليوبوليس ، كما زار معبد أمون فى واحة سيوة .

(*) قرب الاسكندرونة الحالية على الحدود بين سوريا وتركيا .

مراجع الكتاب

List of Abbreviations | مدلولات الاختصارات

AJSL = The American Journal of Semetic and Literatures (Chicago, 1884 ———).

ANET = Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (Princeton University Press, 1969).

Ann.Serv. = Annales du Service des Antiquities de l'Egypte (Le Caire, 18 9 ———).

AR = Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, Vol. I–V (Chicago, 1906 - 1907).

JEA = Journal of Egyptian Archaeology, (London, 1914 ———).

JNES = Journal of Near Eastern Studies (Chicago, 1942 ———).

LAE = Erman, A., The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, A Translation into English by Blackman, A. M. of Erman's Die Literature der Aegypter (Leipzig, 1923).

L D = Lepsius Denkmaeler aus Aegypten Und Aethiopien, Tafeln, Abt, I – VI, (Berlin 1849 - 56).

MVAG = Mitteilungen der Vorderasiatisch-aegyptischen Gesellschaft (Berlin, 1896 ———).

PSBA = Proceedings of the Society of Biblical Archaeology (London 1878 – 1918).

SAOC : Studies in Ancient Oriental Civilization
(Chicago, 1931 ————).

SBAW : Sitzungsberichte der Baverischen Akademie der
Wissenschaften (Munich, 1871 ————).

Urk I : Sethe, K., Urkunden des Alten Reiches
(Leopzig, 1903 ————).

Urk 4 : Sethe K., Urkunden der 18 Dynastie, Historisch —
biographische, Urkunden, 4 Vols. (Leipzig, 1906-9) ;
Vol. I, Second Edition (1927 — 30).

ZAS : Zeitschrift für Agyptische Sprache und Alteriumskunde
(Leipzig, 1863 ————).

مراجع عامة

أولا — مراجع عربية :

أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٥٠ .

أحمد بدوى ، محمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، العصر الفرعونى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٤ .

أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٦٠ .

رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، بيروت ١٩٦٧ .

رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ، بيروت ١٩٦٩ .

سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء التاسع ، القاهرة ١٩٥٢ .

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم — مصر والعراق — الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٧ .

محمد أبو المحاسن عصفور : علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم ، الاسكندرية ١٩٦٢ .

محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم منذ أقدم عصوره حتى الدولة القديمة ، القاهرة ١٩٦٥ .

نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة ، الجزء الأول ، الاسكندرية ١٩٦٣ .

ثانيا — مراجع مترجمة الى العربية

أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، القاهرة .

أدولف إرمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٥٣ .

آلن جاردنر : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٧٣ .

إتيين دريوتون وجاك فانديه : مصر ، عربه عباس بيومى وراجعه محمد شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلى ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٥٠ .

جون ولسون : الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ١٩٥٦ .

مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر ، ترجمة محرم كمال وراجعه نجيب ميخائيل ، القاهرة ١٩٥٧ .

هنرى برستد : انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق القديم ، ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ١٩٦٩ .

والتر ب إمرى : مصر في العصر العتيق، ترجمة راشد محمد نوير ومحمد على كمال الدين وراجعه عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٦٧ .

ثالثاً مراجع أجنبية

BAIKIE, J. A History of Egypt from the Earliest Times to the End of XIII th Dynasty, Vol I (London, 1929).

BREASTED, J H., A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest (London, 1935).

————, Ancient Records of Egypt, Vol. I – V (Chicago, 1906 — 1907).

————, The Dawn of Conscience (New York, 1933).

EDWARDS, L.E.S, The Pyramids of Egypt (London, 1967).

ERMAN, A., The Literature of the Ancient Egyptians (London, 1927).

FRANKFORT, H., Kingship and the Gods, A Study of Ancient Near Eastern Religion as the Integration of Society and Nature, (Chicago, 1969.).

GARDINER, A. H., « New Literary Works from Ancient Egypt, PAP, Petersburg, 1116 B, Recto, (in) JEA, (London, 1914).

GOLÊNISCHEFF, W., Les Papyrus Hiératiques no. 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermitage Impérial à St Pétersbourg (St. Petersburg, 1913).

MEYER, ED., Geschichte Des Altertums (Stuttgart, 1928).

MICHALOWSKI, K, L'Art de l'Ancienne Egypte, Paris, 1968.

SETHE, K., Urkunden des Alten Reiches Vol. I (Leipzig, 1903 ————).

————, Urkunden der 18 Dynastie, Historisch – biographische,

Urkunden, 4 Vols. (Leipzig, 1906 – 9) Vol I, Second Edition (1927 – 30).

WILSON, J , The Burden of Egypt (Chicago, 1951).

مراجع عصر ما قبل التاريخ

BREASTED, J H , The Conquest of Civilization (1926, 1938).

BRUNTON, G., and THOMPSON. C., The Badarian Civilization and Predynastic Remains Near Badari (London, 1928).

EDWARDS, L.E.S., " The Early Dynastic Period in Egypt ", (in) the Cambridge Ancient History, Vol. I, (Cambridge, 1964).

EMERY, W.B., Archaic Egypt (London, 1963).

FARINA, G., Il Papiro dei Re Restaurato, Publicazioni Egittologiche dei R. Museo di Torino (Rome, 1938).

GARDINER, A.H., and CERNY, J., The Turin Canon of King(1952).

GARDINER, A.H., Egypt of the Pharaohs (Oxford, 1961).

JUNKER, H.; Merimde Beni Salama (1929 & 1930).

MASOULARD, E., Préhistorie et Protohistoire d'Egypte (Paris, 1949).

MEYER, ED., Aegyptische Chronologie (Berlin, 1904).

MURRAY, M A., The Splendour that was Egypt (London, 1950).

PETRIE, W. M.F., Ancient Egypt (London, 1916).

————, Diospolis Parva, The Cemeteries of Abadiyeh and Hu (London, 1898 - 1899).

———, Prehistoric Egypt (London, 1920).

RICKARD, T.A. " The Early Use of the Metals ", (in) Journal of Institution of Metals, XLIII (1930).

SCHAEFER, H., Ein Bruchstück Altägyptischer Annalen Abh. d. Preuss. Akad. der Wissenschaften (Berlin, 1902).

SCHARFF, A., and MOORTGAT, A., Aegypten Und Vorderasien im Altertum (Munich, 1950).

WADDELL, W G., Manetho, the Loeb Classical Library (Cambridge Mass. 1940).

WAINWRIGHT, G.A., " The Red Crown in Early Prehistoric Times ", (in) JEA, I x (London, 1923).

مراجع مصر الأسرات المبكر

AL-OMARI, (Prés d'Helouan), " Exposé Sommaire Sur Les Campagnes de Fouilles " 1943 — 1944 et 1948 (in) Ann. Serv. Vol. XLVIII, 1948.

DRIOTON, E., " Les Fetês Egyptiens " (in) La Revue du Caire, Buletin de Litérature et de Critique Tome, XIII, (Le Caire, 1944).

EMERY, W.B., Hor Aha, Excavations at Saqqara (Cairo, 1939).

———, The Negadeh Tablet (in) Ann Serv., Tome XXXIII.

GARDINER, A., Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs (London, 1969).

———, New Renderings of Egyptian Texts, " The Temple of Wady Abbad ", (in) JEA, Vol. IV (London, 1917).

GAUTHIER, M.H., Le Livre Des Rois d'Egypte (Le Caire, 1907).

HAYES, W.C, The Scepter of Egypt (New York, 1953).

MACE, A.C., and WINLOCK, H.E., The Tomb of Senebtisi at Lisht (New York, 1916).

MARIETTE, A, Les Mastabas de l'ancien Empire (Paris, 1889).

MURRAY, A, Index of Names and Titles of the Old Kingdom (London, 1908).

PETRIE, W.M F, A History of Egypt from the Earliest Kings to the XVI th Dynasty (London, 1924).

————, The Royal Tombs of the Earliest Dynasties Part II (London, 1901).

QUIBELL, J.E., Hierakonpolis I (London, 1900).

REISNER, G.A., Excavations at Kerma, I-III (Cambridge, 1924).

————, The Development of the Egyptian Tombs Down to the Accession of Cheops (London, 1936).

SMITH, W S., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom (Oxford, 1946).

WILSON, J., " Brief Texts of the Old Kingdom ", (in) Pritchard, J B., ANET (Princeton, 1969).

WINLOCK, H.E., The Treasure of El-Lahun (New York, 1934).

مراجع عصر الدولة القديمة

BADAWY, A, Architecture in Ancient Egypt and the Near East, the Mitt Press (Cambridge, 1966).

BLACKMAN, A.M, " Notices of Recent Publications ", (in) JEA, Vol. X (London, 1924).

BORCHARDT, L., Das Grabdenkmal Des Königs Ne – User – Ré (Leipzig, 1907).

————, Denkmäler Des Alten Reiches, Catalogue Général du Musée du Caire (Berlin, 1937).

————, Hnt – K.W.S.," Die Stammutter der 5 ten Dynastie ", miteinen abbildung Sblat (in) Ann. Serv., XXXVIII (Le Caire, 1938).

BOURGUET, P., La Stela de la Famine à Sahel (Le Caire, 1954).

BREASTED, J.H., The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt (New York, 19 2).

BRUGSCH, H K, Die Biblischen Sieben Jahre der Hungersnoth (Leipzig, 1891).

DAVIES, N. De G., The Rock Tombs of Deir El Gebrâwi (London, 1902).

————, The Rock Tombs of Sheikh Said (London, 1901).

DERRY. D.E; et LAUER, J.P., " Decouverte à Saqqarah d'Un Partie de la Momie du Roi Zoser ", (in) Ann. Serv, XXXV (Le Caire, 1935)

DUNHAM, D., " The Biographical Inscriptions of Nekhebu in Boston and Cairo", (in) JEA, Vol. XXIV (London, 1938).

El NADOURY, R S., " The Date of the Egyptian Shrine at Byblos", Bulletin of the Faculty of Art, Vol. XXII (Alexandria, 1968).

ENGELBACH, " An Essay on the Advent of the Dynastic Race in Egypt and its Conquest ", (in) Ann. Serv, Tomb XLII (Le Caire, 1943).

ERMAN, A., Die Maerchen Des Papyrus Westcar, 2 Vols. (Berlin, 1890).

FAKHRY, A., " The Southern Pyramid of Snefru " (in) Ann. Serv., II, Fasc II (Le Caire, 1951).

FRANKFORT, H., Egypt and Syria in the First Intermediate Period, Problem and Method (in) JEA, Vol. XII (London, 1926).

GARDINER, A.H , " Horus the Behdetite as the God of Lower Egypt ", (in) JEA, XXX (London, 1944).

————, The Admonitions of An Egyptian Sage (Leipzig, 1909).

GUNN, B., " Notes on two Egyptian Kings Concerning King Snefru ", (in) JEA, Vol. XII (London, 1926).

HALL, H.R., " The Lists of kings Dynasty I ", (in) the Cambridge Ancient History, Vol. I (Cambridge, 1928).

HASSAN, S , With the Collaboration of ABDEL - SALAM, A. S , Excavations at Giza, 1930 - 1931, (Cairo, 1936).

HASSAN, S., With the Collaboration of BOGHDADY, F., Excavation at Giza (Oxford, 1932).

HAYES, W.C , " Royal Decrees From the Temple of Min at Coptus ", (in) JEA, Vol. 32 (London, 1946).

JÉQUIER, G., Le Mastabat Faraoun (Le Caire, 1928).

JUNKER, H , Grabungen Auf, Dem Friedhof Des Alten Reiches, Band I, Die Mastabas Der IV Dynastie Auf Dem Westfriedhof (Leipzig, 1929).

LANGE, H. O, Prophezeiungen Eines Agyptischen Weisen, SPAW, (1903).

LAUER, J.P, Histoire Monumentable Des Pyramides d'Egypte, Tome, I, Les Pyramides à Degrés, IIIe Dynastie (Le Caire, 1962).

MICHALOWSKI, K., L'Art de l'Ancienne Egypte (Paris, 1968).

PETRIE, W.M.F., Deshasheh (London, 1898).

QUIBELL, J E., Excavations at Saqqara (Le Caire, 1907, 1908).

————, Hierakonpolis, II (London, 1902).

REISNER, G.A, A History of the Giza Necropolis, The Tomb of Hetep — Heres, The Mother of Cheops, Vol. II, (Cambridge, Massachusetts, 1955).

————, A History of the Giza Necropolis, Vol. I (London, 1942).

————, Mycerinus, The Temples of the Third Pyramid at Giza (Cambridge Mass, 1931).

SETHE, K., Die Altaegyptischen Pyramidentexte Nach Den Papierabdrücken Und Photographien des Berlin Museums, Neu Herausgeben Und Erläutert, Zweiter – Band, 2 Vols, (Leipzig, 1908 & 1910).

VANDIER, J., La Famine dans l'Egypte Ancienne (Le Caire, 1936).

WILSON, J.A, " The Admonitions of IPu — Wer.

————, The Prophecy of Neferti .

————, The Tradition of Seven Lean years in Eqypt. (in) Pritchard J B., ANET, (Princeton, 1969).

مراجع عصر الفترة الأولى

GARDINER, A. H., « The Eloquent Peasant » (in) JEA, vol IX (London, 1923).

SCHARFF, A., Der Historische Abschnitt Der Lehre für könig Merikare, SPAW (Munich, 1936).

SUYS, E Étude Sur La Conte du Fellah Plaideur (Rome, 1933).

VOGELSANG, F, Kommentar Zu den Klagen Des Bauern, Sethe Untersuch., VI (Leipzig, 1913).

WILSON, J. A., All Men Created Equal in Opportunity.

————, The Instruction for King Meri-ka-Re.

————, The Protests of the Eloquent Peasant, (in) Pritchard, J. B, ANET (Princeton, 1969).

مراجع عصر الدولة الوسطى

BRUNTION, G, Lahun I, The Treasure (London, 1920).

DE MORGAN, J., Fouilles à Dahchour, Mars - Juin, 1894 & 1894 — 1895 (Vienne, 1903).

DÉVAUDE, E., Les Maximes de Ptah-hotep (Fribourg, 1916).

GARDINER, A. H., (in) Berlin. Staatlichen Museen Hieratische Papyrus, V. Die Erzählung des Sinuhe (Leipzig, 1909).

GOLÉNISCHEFF, W., Le Conte du Naufragé, « Bibliothéque d'Etude », II (Le Caire, 1912).

GUNN, B., The Instruction of Ptah-hotep and the Instruction of Kègemni, «Wisdom of the East Series,» (London 1909).

MASPERO, G., Les Enseignements d'Amenemhait Ier à Son fils Sanouasrit Ier (Cairo, 1914).

————, Les Mémoires de Sinouhit, « Bibliothéque d'Etude,» I (Cairo, 1908).

NAUMANN, R., Der Tempel des Mittlern Reiches in Medinet Madi, Mitteilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts (Cairo, 1933).

VIKENTIEF, V., Voyage Vers l'ile Lomtaine (Le Caire, 1941).

WILSON, J. A., The Instruction of King Amen - em - het.

————, The Instruction of the Visier Ptah-hotep.

————, The Prophecy of Neferti.

————, The Story of Si - nuhe. (in) Pritchard, J., B.' ANET (Princeton, 1959).

مراجع عصر الفترة الثانية

BUDGE, A Guide to the Egyptian Galleries Sculpture (London,1909).

————, A Gudie to the Egyptian Collections in the British Museum (London, 1909).

CHAMPOLLION, Notice Descriptive des Monuments Egyptien du Musee Charles X (Paris, 1827).

GARDINER, A. H., Daviess' Copy of the Great Speos Artemidos Inscription (in) JEA, XXXII (London, 1946).

GRIFFITH, Hieratic Papyri from Kahun and Gurob (London,1898).

GUNN, B., and GARDINER, A. H, New Renderings of Egyptian Texts « The Expulsion of the Hyksos», (in) JEA, Vol,V, (London, 1918).

HABACHI, L., «Preliminary Report on Kamose Stela and other Inscribed of two Statues at Karnak», (in) Ann. Serv. (Le Caire, 1955).

HAMMAD, M., Chronique d'Egypte. XXX (1955).

LEPSIUS, R., Auswahl Der Wichtigsten Urkunden Des Agyptischen Altertums (Leipzig, 1842).

MARIETTE, A., Monuments Divers Recueilles en Egypte et en Nubie (Paris, 1889).

NAVILLE, E., Deir - El - Bahari, «Report of the Egypt Exploration Fund» (1906 — 1907).

PETRIE, W. M. F., A History of Egypt (London, 1927).

————, A Season in Egypt (London, 1888).

————, Historical Scarabs (London, 1889).

————, Kahun, Gurob and Hawara (London, 1890).

————, Scarabs and Cylinders (London, 1917).

WEIGALL, A., A Guide to the Antiquities of Upper Egypt (London, 1913).

————, A History of the Pharaohs, Vol. II (London, 1925).

Wilson, J. A., The Expulsion of the Hyksos.

————, The Hyksos in Egypt.

————, The War Against the Hyksos. (In) Pritchard, J. B., ANET, (Princeton, 1969).

مراجع الدولة الحديثة

ALBRIGHT, W. F., The Amarna Letters (in) Pritchard J. B.; ANET (Princeton, 1969).

BADAWI, A. M., Die Neue Historische Stele Amenophi's II, (in) Ann. Serv., XLII (Le Caire, 1943).

BALL, J., Egypt in the Classical Geographers (Cairo, 1942).

BENNETT, J., « The Restoration Inscription of Tutankhamun », (in) JEA, Vol. XXV (London, 1939).

BENSON and GOURLAY, The Temple of Mut in Asher (London, 1899).

BIRCH, (in) Facsimile of an Egyptian Hieratic Papyrus of the Reign of Ramses III (London, 1879).

BISSING, V., Denkmaeler Aegyptischer Skulptur (Muenchen, 1914).

BORCHARDT.; L., Mittleilungen der Deutschen Orient Gesellschaft Heft I ff. (Leipzig, 1898).

BRUNNER, « Eine Neue Amarna Prinzessin », (in) ZAS, LXXIV (Leipzig, 1838).

BUCK, A., The Judicial Papyrus of Turin, (in) JEA, Vol. XXIII (London, 1937).

BUDGE, A History of Egypt From the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra, VII, B.C 30 (London, 1902).

CARTER, H., "Report on the Tomb of Zeser-Ka-Ra Amen-hetep I, Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914", (in) JEA, Vol. III (London, 1916).

CARTER, H., and NEWBERRY, The Tomb of Thutmôsis IV, Band 15 des Catalogue Général (Westminister, 1904).

CERNY, J , " A Note on Repeating of Births ", (in) JEA, Vol. XV (London, 1929).

CH. KUENTZ, (in) Amitiés du Service Des Antiquitiés de l'Egypte, XXV (Le Caire, 1925).

DARESSY, M.G., La Chapelle d'Uazmés (in) Ann. Serv., Vol. I (Le Caire, 1899 - 1900).

DAVIES, M., MASPERO, AYRTON, DARESSY JONES, The Tomb of Siptah, the Monkey Tomb and the Golden Tomb (London, 1908).

DAVIES, N. De, The Rock Tombs of El-Amarna, V , Egypt Exploration Fund, Archaeological Survey of Egypt, XVII (London, 1908).

————, The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes, Publications of the Metropolitan Museum of Art, XI (New York, 1943).

DESROCHES - NOBLE COURT, C. Life and Death of a Pharaoh, Tutankhamen, a Penguin Book (Milan, 1965).

DUSSAUD, Civilisation Pre-Hellenique dans Le Bassin de la Mer Egée (Paris, 1910).

EDGERTON, W.F., " The Thutmosid Succession " (in) SAOC (Chicago, 1933).

EDGERTON, W.F., and WILSON, J.A., « Historical Records of Ramses III " , (in) SAOC, 12 (Chicago, 1936).

ERICHSEN, W. , Papyrus Harris, I, Bibliotheca Aegyptiaca, V (1933).

ERMAN, A., Die Sphinxstele, SPAW (Munich, 1904).

FAULKNER, R.O., « The Battle of Megiddo », (in) JEA ,Vol XXVIII (London, 1942) .

GARDINER, A.H., Ramesside Administrative Documents (London, 1948) .

__________, The Wilbour Papyrus, 3 Vols. (Oxford, .1948) .

KNUDTZON, J.A., Die El Amarna, Tafeln, (Leipzig, 1915).

LACAU, P. , Stéles du Nouvel Empire, Catalogue Général . . . du Musée du Caire (Le Caire, 1909).

LANGDON, S., and GARDINER, A.H., « The Treaty of Alliance Between Hattusili and Ramesses II of Egypt» (in) JEA Vol. VI (London, 1920).

LEGRAIN, (in) Recueil de travaux . . ., XXIX (1907).

LUCAS,A., and HARRIS, Ancient Egyptian Materials and Industries (London, 1962).

MASPERO, G., Guide du Visiteur au Musée, du Caire (Le Caire 1915).

MOND, R., and MYERS, O H , The Temples of Armant, A Preliminary Survey (London,1940).

MUIIER,W.M., (in) MVAG, VII (Berlin ,1902).

NAVILLE, E, Deir - El -- Bahari, I - VI (London, 1895 – 1908)

NELSON H. H, The Battle of Megiddo (Chicago, 1913).

PEET, T.E., The Great Tombs robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 2 Vols. (Oxford, 1930).

PENDLEBURY, Tell El Amarna (1935).

REISNER, M.B., (in) ZAS, LXIX (Leipzig, 1933).

SCHIAPARELLI, Catalogo Generäle dei Musei di Antichita di Firenze (Rome, 1887).

SETHE, K., Das Hatshepsut Problem Noch Einmal Untersucht, Abhandlungen Preuss — Akad — d. Wissenschaften (Berlin, 1932).

SPIEGLBERG, W., Arbeiter und Arbeiterbewegung ··· Unter Dem Ramessiden (Strassburg, 1895).

VAN De WALLE, B., Le Décret d'Horemheb, Chronique d'Egypte, No. 44 (1947).

WILSON, J.A., A Divine Oracle Through a Dream.

————, Campaigns of Seti I in Asia.

————; From Amen — hotep III 's Building Inscription.

————, From the Lists of Ramses III.

————, Hymen of Victory of Mer — ne — Ptah (The Israel Stela.)

————, Results of a Trial For Conspiracy.

————, The Armant Stela.

————, The Asiatic Campaigning of Amen - hotep II.

————, The Asiatic Campaigning of Ramses II.

————, The Asiatic Campaigns of Thut — mose III, " The Annals in Karnak ".

————, Texts From the Tomb of General Hor - em - heb.

————, The Barkal Stela.

________, The Hymen to the Aten.

________, The Vizier of Egypt.

________, The War Against the Peoples of the Sea.

________, Treaty Between the Hitiites and Egypt.

________, Tutankamon's Restoration After the Amarna Revolution. (in) Pritchard, J.B., ANET, (Princeton 1969).

WINLOCK, H.E., Excavations at Deir el Bahri (New York. 1943).

WRESZINSKI, W., Atlas Zur Altäegyptischen Kulturge-Schichte, II (Leipzig, 19:5).

مراجـع العصر المتـأخر

CAPART, Recueil de Monuments Egyptiens, 2m Série (1905).

DUNHAM, D., and MACADAM, M.F.L., " Names and Relationship of the Royal Family of Napata ", (in) JEA, Vol. 53 (London, 1949).

GINSBERG, H.L., " Petition For Authorization to Rebuild the Temple of Yaho ", (in) Pritchard, J.B., ANET.

LEO OPPENHEIM, A., " Texts From Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire (in) Pritchard, J.B., ANET.

MASPERO, G., Les Momies Royales de Deir — El — Bahari (Le Caire, 1889).

MONTET, P., Le Constructions et Le Tombeau de Psousennes (Paris, 1951).

POSENER. Le Canal du Nil à la Mer Rouge in Chronique d'Egypte, No. 26 (1938).

WILSON, J.A., " The Journey of Wen - Amon to Phoenicia ". (in) Pritchard, J.B., ANET (Princeton, 1969).

فهرس أعلام أبجدى

(أ)

ه

و

ى

فهــــرس

الأشكال واللوحات والصور

صفحة

شكل		صفحة

شكل صفحة

الخرائط

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الفصل التاسع

صفحة

تصويب

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	١	للتى	التى
٣١	شكل ٧	دير ساتا	دير تاسا
٣٨	مرجع ١	Pyramiods	Pyramids
٣٩	شكل ١١	الإسرات	الأسرات
٤١	١٠	لإنتشار	لا نتشار
٤٢	مرجع ١	Wain Wrainuright	Wainwright
٤٤	شكل (١٤ أ)	الهير و غيلفية	الهير و غليفية
٤٥	(شكل ١٤ب)	الهير و غيلفية	الهير و غليفية
٤٧	٢	بأسم	باسم
٩١	١٦	جناخها	جناحها
١١٩	٦	المجالس	الجالس
١٥٥	٨	Ke	Ka
٢١٣	٢	وسلا	رسلا
٢١٧	٩	والظاهرة	والظاهر
٢١٨	٥	ولعلا	ولعل
٢١٩	٢١	عشر	عشر
٢٢١	١٥	الجداران	الجدران
٢٥٥	١٩	بالإحجار	بالأحجار
٢٨٢	٩	على الأقلم	على الأقل لم
٣٣٢	٣	عصنرا	عنصرا
٣٤٦	١٩	إرشال	إرسال